بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ





العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره

المجلد العاشر



دار امير كبير للنشر
تهران: ۱۳۷۶



بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد العاشر)
المصنف : الشيخ محمد تقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عدد النسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة

شابك ١ ـ ٠٢٦٣ ـ ٠٠ ـ ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران ـ ص. ب ٤١٩١ - ١١٣٦٥

١٤
الحكمة (٣٢١)

وَقَالَ عليه السلام لِعَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ عَبَّاس وَقَدْ أَشَارَ عَلَيهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ: لَكَ أنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي.

أقول: هكذا في (المصرية)[١] والصواب :(فاذا عصيتك فأطعني) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢] و(الخطيّة) وما يأتي من سنده.

وفي (ابن ميثم) بعد قوله (لعبد الله بن عبّاس): (رحمه اللّه)[٣]، وفي (ابن أبي الحديد): (رضِيَ اللّه عنهُ)[٤]، وفي الأوّل بدل (في شيء): (بشيء)[٥].

ثم إنّ الأصل في العنوان: أنّ المغيرة أشار عليه عليه السلام بإبقاء معاوية على

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٢٣٠.

(٢) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٣٣ ولكن في شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٢ «فإنْ» أيضاً.

(٣) ليست كلمة «رحمه الله» في شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٣٣.

(٥) في شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٢ «في شيء» أيضاً.

الشام، ثمّ يعزله إن شاء، حتّى يستقر أمر سلطنته، فلم يقبلعليه السلام منه، ثمّ جاء ابن عباس فصدق رأي المغيرة وأصرّ على قبولهعليه السلام ذلك، فقالعليه السلام له ما قال.

ففي (الطبري): روى الواقدي عن هشام بن سعد، عن أبي هلال قال: قال ابن عبّاس: قدمت المدينة من مكّة بعد قتل عثمان بخمسة أيام فجئت علياًعليه السلام أدخل عليه، فقيل لي: عنده المغيرة. فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلّم عليّ وقال لي: متى قدمت؟ فقلت: الساعة؛ ثمّ دخلت على عليّعليه السلام فقلت له: أخبرني عن شأن المغيرة ولِمَ خلا بك؟ قال: جاءني بعد مقتل عثمان بيومين فقال لي: اخلني، ففعلت فقال لي: إنّ النصح رخيص وأنت بقيّة النّاس وإنّي لك ناصح، وإنّي أُشير عليك بردّ عمّال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوك واطمأنّ الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت. فقلت له: والله لا أُداهن في ديني ولا أُعطي الدني في أمري. فقال: فإن كنت قد أبيت عليّ فانزع من شئت واترك معاوية فإنّ لمعاوية جرأة، وهو في أهل الشام يُسمع منه، ولك حجّة في إثباته كان عمر قد ولّاه الشام كلّها. فقلت له: لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً. فخرج من عندي على ما أشار به، ثمّ عاد اليوم فقال لي: إنّي أشرت عليك بما أشرت فأبيت عليّ، ثم نظرت في الأمر فإذا أنت مصيب، لا ينبغي لك أن تأخذ أمرك بخدعة، ولا يكون في أمرك دلسة.

فقال ابن عباس: فقلت لعليّعليه السلام: أمّا أوّل ما أشار به عليك فقد نصحك، وأمّا الآخر فغشّك، وأنا أُشير عليك بأن تثبت معاوية، فإن بايع لك فعليّ أن أقلعه من منزله، فقالعليه السلام: لا والله لا أُعطيه إلّا السيف؛ ثم تمثّل:

ما ميتة إن مُتُّها غيرَ عاجزٍ بعارٍ إذا ما غَالتِ النفس غولها

فقلت: لست بأربٍ بالحرب، أما سمعت النبيّصلى الله عليه وآله يقول: الحرب خدعة؟ فقال: بلى. فقلت له: أما والله لئن أطعتني لأُصدرن بهم بعد ورد، ولأتركنهم

ينظرون في دبر الأُمور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك ولا إثم لك. فقال: «يا بن عبّاس لست من هنياتك وهنيات معاوية في شيء تشير عليّ وأرى فإن عصيتك فأطعني» فقلت: أفعل، إنّ أيسر ما لك عندي الطاعة[1].

وروى خبراً عن ابن عبّاس في قدومه من مكّة عليه عليه السلام وعنده المغيرة، وانّه عليه السلام قال لابن عبّاس ما أشار عليه المغيرة أوّلاً وثانياً كالأوّل.

فقال ابن عبّاس له عليه السلام: نصحك في الأُولى لأنّك تعلم أنّ معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يبالون بمن ولّي هذا الأمر، ومتى تعزلهم يقولون: قد أخذ هذا الأمر بغير شورى، وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك، فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق، مع أنّي لا آمن طلحة والزبير أن يكرّا عليك.

فقال عليه السلام له: أمّا ما ذكرت من إقرارهم، فوالله ما أشك أنّ ذلك خير في عاجل الدّنيا لإصلاحها، وأمّا الذي يلزمني من الحقّ والمعرفة بعمّال عثمان، فوالله لا أُولّي منهم أحداً أبداً، فإن أقبلوا فذلك لهم خير، وإن أدبروا بذلت لهم السيف ـ إلى أن قال ـ قال ابن عبّاس له عليه السلام: اكتب إلى معاوية فمنّه وعده. فأبى وقال: والله لا كان هذا أبداً[2].

وعبّر بمضمون الخبرين المسعودي في (مروجه)[3]، وأما تبديل صاحب (الاستيعاب) ابن عبّاس بالحسن عليه السلام، وأنّه قال لأبيه: نصحك المغيرة في الأُولى فغلط منه[4].

---

(١) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٤٠ ـ ٤٤١، سنة ٣٥.

(٢) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٣٩ ـ ٤٤٠، سنة ٣٥.

(٣) مروج الذهب ٢: ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣٩٠ ـ ٣٩١.

ثمّ شتّان بينه عليه السلام وبين صدّيقهم وفاروقهم؛ يُشير المغيرة عليه نصحاً فلا يقبله منه، لكونه نصحاً دنيوياً لا دينياً، ويرسلان إلى المغيرة يطلبان منه حيلة لاستيلائهما على الأمر، فيُشير عليهما باشتراك العباس. ولو لم يكن في حقيقته عليه السلام وبطلان أمر الرجلين إلاّ هذا الموضع، لكفى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومن محاجات ابن عبّاس مع المغيرة وجمع آخر في مجلس معاوية، ما رواه المدائني: أنّ المغيرة قال لابن عبّاس: أما والله لقد أشرب على عليّ عليه السلام بالنصح فآثر رأيه ومضى على غلوائه، فكانت العاقبة عليه لا له، وإنّي لأحسب أنّ خلفه يقتدون منهجه.

فقال له بن عبّاس: كان أمير المؤمنين عليه السلام والله أعلم بوجوه الرأي ومعاقد الحزم وتصاريف الأمور، من أن يقبل مشاورتك في ما نهى الله عنه وعنّف عليه، قال سبحانه: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله...﴾[١]، ولقد وقفك عليه السلام على ذكر متين وآية متلوة في قوله سبحانه: ﴿...وما كنت متّخذ المضلّين عضداً﴾[٢]، وهل يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفيء المؤمنين من ليس بمأمون عنده ولا موثق به في نفسه؟ هيهات هيهات؛ هو أعلم بفرض الله وسنّة رسوله، أن يبطن خلاف ما يظهر إلّا للتّقيّة ولات حين تقيّة، مع وضوح الحق وثبوت الجنان وكثرة الأنصار يمضي كالسيف المصلت[٣].

(١) المجادلة : ٢٢.

(٢) الكهف: ٥١.

(٣) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٦: ٢٩٨ ـ ٣٠٣.

١٥
الخطبة (٢١٢)

ومن خطبة له عليه السلام:

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ. ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، وَالآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

«اللّهمّ أيّما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة» ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني...﴾[1].

«غير الجائرة» تنكيره عليه السلام كلمة (غير) مع كونها صفة (مقالتنا) كـ(العادلة)، يدلّ على عدم قبولها التعريف ومثله: ﴿...غير المغضوب عليهم...﴾[2]، فهو صفة (الذين) واستعمال المتأخرين لها معرفة غلط.

«والمصلحة غير المفسدة في الدين والدّنيا» هكذا في (المصرية)[3]، والصواب: (والمصلحة في الدين والدّنيا غير المفسدة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[4] و(الخطية).

مقالته عليه السلام: كانت الدعوة إلى الله تعالى ورسوله والأخذ بالكتاب والسنّة، ومعلوم كونها عادلة غير جائرة، لا كما فعل الأوّل في قضية خالد

---

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) فاتحة الكتاب: ٧.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٢١٩.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٠ ولكن في شرح ابن ميثم ٤: ٢٧ «فالمصلحة غير المفسدة في الدين والدنيا» أيضاً.

وتضييعه حدود الله تعالى من القصاص وحدّ الزنا في حقّه وفي نظائرها، ولا كما فعل الثاني في تفضيله الأشراف وفي نظائره. وواضح كونها مصلحة في الدين والدّنيا غير مفسدة، لا كما فعل الثالث من نصبه من يصلّي بالناس الصبح أربعاً في سكره، وجعله بيت المال نهب أقاربه.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): في دعوة عدي بن حاتم الطائي قومه إلى نصرته عليه السلام في الجمل؛ قال عدي لقومه: أظلكم عليّ عليه السلام والنّاس معه من المهاجرين والأنصار، فكونوا أكثرهم عدداً، فإن هذا سبيل للحي فيه الغنى والسرور، وللقتيل فيه الحياة والرزق.

فصاحت طي: نعم نعم حتّى كاد عدي أن يصمّ من صياحهم[1].

وفيه أيضاً: لمّا أقبل عليّ عليه السلام على طي؛ أقبل شيخ قد هرم من الكبر فرفع له من حاجبيه فنظر إلى عليّ عليه السلام فقال له: أنت ابن أبي طالب؟ قال: نعم، قال: مرحباً بك وأهلاً قد جعلناك بيننا وبين الله تعالى، والله لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك لقرابتك من النبيّ صلى الله عليه وآله وأيّامك الصالحة، ولئن كان ما يُقال فيك من الخبر حقّاً ان في أمرك وأمر قريش لعجباً إذ أخّروك وقدّموا غيرك[2].

«فأبى بعد سمعه لها إلّا النكوص» أي: الرجوع إلى العقب.

«عن نصرتك والإبطاء» وهو ضد السرعة.

«عن إعزاز دينك» كسعد من عشرتهم وابن عمر من أجلتهم، وجمع آخر كانوا عثمانية كحسان بن ثابت وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وغيرهم.

وفي (الطبري): قيل لعبد الله بن الحسن كيف أبى هؤلاء بيعته عليه السلام؟ فقال: أما حسّان فكان شاعراً لا يُبالي ما يصنع. وأمّا زيد بن ثابت فولّاه عثمان

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) المصدر نفسه ١: ٥٨.

الديوان وبيت المال فلمّا حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين. فقال له أبو أيوب: ما تنصره إلّا أنّه أكثر لك من العضدان. وأمّا كعب بن مالك فاستعمله عثمان على صدقة مزينة وترك ما أخذ منهم له[1].

«فانا نستشهدك عليه بأكبر الشاهدين شهادة» هكذا في (المصرية): (بأكبر)[2] والصواب: (يا أكبر) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[3] و(الخطية)، ولأنّ الاستشهاد على الله بأكبر الشاهدين يقتضي أن يكون الأكبر شهادة غيره، مع أنّه تعالى أكبر شهادة ﴿قل أيّ شيء أكبر شهادة قل الله...﴾[4].

«ونستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسماواتك» أي: الملائكة والجنّ والإنس، بأنّه سمع وامتنع.

«ثم أنت بعده» هكذا في (المصرية)[5]، والصواب: (بعد) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[6] و(الخطيّة).

«المغني عن نصره» ﴿إلّا تنصروه فقد نصره الله...﴾[7].

«والآخذ له بذنبه» ﴿إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً...﴾[8].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): قال عليّ عليه السلام في خطبته: وقد فارقكم مصقلة بن

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٣٠، سنة ٣٥.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢١٩.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٠ ولكن في شرح ابن ميثم ٤ : ٢٧ «بأكبر» أيضاً.

(٤) الأنعام: ١٩.

(٥) نهج البلاغة ٢: ٢١٩.

(٦) في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٠، و شرح ابن ميثم ٤: ٢٧ «بعده» أيضاً.

(٧) التوبة : ٤٠.

٨) التوبة: ٣٩.

هبيرة فآثر الدّنيا على الآخرة وفارقكم بسر بن أرطاة فأصبح ثقيل الظهر من الدماء، مفتضح البطن من المال، وفارقكم زيد بن عدي بن حاتم فأصبح يسأل الرجعة[١].

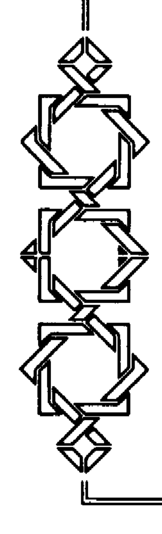
هذا ومر في (١٤) من فصل عثمان قوله عليه السلام: «وإنّ العامّة لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر...»[٢].

(١) الإمامة والسياسة ١: ١١٤.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٢٢ الكتاب ٥٤.

الفصل الواحد والثلاثون

في الجمل وهم الناكثون





يأتي في (١٠) فصل المارقين أخبار في أمر النبيّ صلى الله عليه وآله له عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي (إيضاح الفضل): ورويتم عن أبي الفضل، عن زيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث قال: سمعت أُمّ هاني بنت أبي طالب تقول: لقد علم من جرت عليه المواسي من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان النبيّ الأُمّي صلى الله عليه وآله وقد خاب من افترى[1].

١
الحكمة (١٠٧)

وقال عليه السلام :

رُبَّ عالِمٍ قد قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَعِلمُهُ مَعَهُ لا يَنْفَعُهُ.

أقول: قاله عليه السلام في طلحة والزبير فإنّهما كانا عالمين بأنّه عليه السلام على الحقّ، وأنّهما على الباطل ومع ذلك قاتلاه فقتلهما جهلهما الناشئ عن حبّ الدّنيا

---

(١) الايضاح : ٨٢ ـ ٨٤ .

والحرص على الإمارة ولم يغن علمهما ـ بكونه عليه السلام على الحقّ ـ عنهما شيئاً.

رواه أبو مخنف في (جمله) و رواه (الإرشاد) ـ وفي الأوّل: لمّا سار الزبير وطلحة من مكّة ومعهما عايشة يريدون البصرة خطب عليّ عليه السلام فقال: أيُّها النّاس إنّ عايشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير، وكلّ منهما يرى الأمر له دون صاحبه، أمّا طلحة فابن عمّها، وأمّا الزبير فختنها، والله لو ظفروا بما أرادوا ـ ولن ينالوا ذلك أبداً ـ ليضربنّ أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد ـ والله إنّ راكبة الجمل ما تقطع عقبة ولا تحلّ عقدة إلّا في معصية الله وسخطه، حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة. أي والله ليقتلن ثلثهم وليهربن ثلثهم وليتوبنّ ثلثهم، وإنّها التي تنبحها كلاب الحوأب، وإنّهما ليعلمان أنّهما مخطئان، وربّ عالم قتله جهله ومعه علمه لا ينفعه. حسبنا الله ونعم الوكيل، فقد قامت الفئة الباغية فأين المحتسبون[1]؟

ورواه الثاني مثله لكن فيه بدل قوله: (أما طلحة فابن عمّها، وأما الزبير فختنها: «لا يدّعي طلحة الخلافة إلّا أنّه ابن عمّ عايشة ولا يدّعيها الزبير إلّا أنّه صهر أبيها»[2]، وهو جزء الآتي كما يأتي.

ولم يتفطّن ابن أبي الحديد وابن ميثم للمراد؛ فتوهّم الأوّل أنّ المراد بالقتل القتل الظاهري فقال: جرى مثل ذلك لابن المقفّع وفضله مشهور، فقتله المنصور لمّا كتب كتاب أمان لعمّه عبد الله بن علي بأنّه إن غدر بعمّه، فنساؤه طوالق والنّاس في حل من بيعته[3].

وتوهّم الثاني أنّه عليه السلام أراد بالعلم علماً لا نفع فيه، كعلم السحر

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١: ٢٣٣.

(٢) الإرشاد ١: ٢٤٦ - ٢٤٧، بحار الأنوار ٣٢: ١١٢ ـ ١١٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٦٩.

والنيرنجات وعلوم صناعية، وبالجهل الجهل بالشرايع[١]؛ وكلّ منهما نفخ في غير ضرام.

ومن الغريب أنّ الأوّل نقل رواية (جمل أبي مخنف) عند قوله عليه السلام في الزبير: (يزعم انّه بايع بيده)[٢] بلا مناسبة وهنا غفل رأساً.

ثمّ إنّه عليه السلام وإن قال الكلام في الناكثين؛ إلّا أنّه يجري في القاسطين والمارقين وفي الثلاثة المتقدمين عليه، وقد عبّر بمعنى الكلام للجميع في الشقشقية، في قوله عليه السلام بعد ذكرهم: «كأنّهم لم يسمعوا الله حيث يقول ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[٣]، بلى والله لقد سمعوها ولكن حليت الدّنيا في أعينهم وراقهم زبرجها»[٤].

وقد قال عليه السلام قريباً من هذا الكلام في كعب بن سور قاضي البصرة، لمّا مر عليه السلام به قتيلاً في أهل الجمل، فروى أبو مخنف في (جمله) عن الأصبغ قال: لمّا انهزم أهل البصرة ركب عليّ عليه السلام بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله الشهباء ـ وكانت باقية عنده ـ وسار في القتلى يستعرضهم فمر بكعب بن سور قاضي البصرة وهو قتيل، فقال: أجلسوه فأجلس فقال: «ويل أُمّك كعب بن سور ـ لقد كان لك علم لو نفعك ولكن الشيطان أضلّك فأزلك فعجلك إلى النّار ـ أرسلوه»[٥].

هذا وعدّ (فهرست الشيخ) في مصنّفات حيدر بن محمّد بن نعيم تلميذ

(١) شرح ابن ميثم ٥: ٢٩٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٣٣ عند شرح الخطبة ٨.

(٣) القصص: ٨٣.

(٤) نهج البلاغة ١: ٣١ الخطبة ٣.

(٥) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١: ٢٤٨.

العياشي، كتاب تنبيه عالم قتله علمه الذي هو معه[١].

وفي (عيون القتيبي): كتب كسرى إلى بزرجمهر وهو في الحبس: كان ثمرة علمك أن صرت بها أهلاً للحبس والقتل. فكتب إليه بزرجمهر: أمّا ما كان مع الجدّ فقد كنت أنتفع بثمرة العلم، فالآن إذ لا جد صرت أنتفع بثمرة الصبر، مع أنّي إن كنت فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير الشرّ[٢].

وفي (الأغاني): كان لإبراهيم بن العبّاس الصولي الشاعر قينة كان يهواها، فغضبت عليه فقال فيها:

وعلّمتني كيف الهوى وجهلته   وعلّمكم صبري على ظلمكم ظلمي
وأعلم مالي عندكم فيردّني   هواي إلى جهل فأقصر عن علمي[٣]

ولبعضهم:

لا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة، يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم[٤].

٢
الخطبة (١٤٨)

ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة:

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يَمُتَّانِ إِلَى اللّهِ بِحَبْلٍ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ.

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ؛ وَعَمَّا قَلِيلٍ يَكْشِفُ قِنَاعَهُ بِهِ.

وَاللّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا؛ وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا

---

(١) الطوسي: الفهرست، ص ٦٤، رقم ٢٤٩ بمنشورات المكتبة المرتضوية، النجف.

(٢) عيون الأخبار ٢: ١٢٦.

(٣) الأغاني ١٠: ٦٠.

(٤) عيون الأخبار ٢: ١٢٥.

عَلَى هَذَا. قَدْ قَامَتْ ٱلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ المُحْتَسِبُونَ؟ فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ؛ وَقُدِّمَ لَهُمُ ٱلْخَبَرُ؛ وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ.

وَٱللّٰهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ، يَسْمَعُ النَّاعِيَ، وَيَحْضُرُ ٱلْبَاكِيَ، ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ.

أقول: قد عرفت في سابقة أنّ الأصل فيهما واحد رواهما أبو مخنف[١] والمفيد[٢]، وغفل ابن أبي الحديد هنا كما غفل ثمة، وإنّما نقل رواية أبي مخنف عند قوله عليه السلام: (يزعم أنّه بايع بيده)[٣]، وهي: أيّها النّاس إنّ عايشة سارت إلى البصرة معها طلحة والزبير وكلّ منهما يرى الأمر له دون صاحبه.

أمّا طلحة فابن عمّها، وأمّا الزبير فختنها والله لو ظفروا بما أرادوا ـ ولن ينالوا ذلك أبداً ـ ليضربنّ أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد، والله إنّ راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة إلّا في معصية الله وسخطه، حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة، أي والله ليقتلن ثلثهم وليهربن ثلثهم وليتوبن ثلثهم، وإنّها التي تنبحها كلاب الحوأب، وإنّهما ليعلمان أنّهما مخطئان، وربّ عالم قتله جهله ومعه علمه لا ينفعه، حسبنا الله ونعم الوكيل، فقد قامت الفتنة، فيها الفئة الباغية، أين المحتسبون أين المؤمنون، مالي ولقريش أما والله لقد قتلتهم كافرين ولأقتلنهم مفتونين، وما لنا إلى عايشة من ذنب إلّا أنّا أدخلناها في حيزنا، والله لأبقرن الباطل حتّى يظهر الحقّ من خاصرته، فقل لقريش فلتضج ضجيجها[٤].

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ٢٣٣.

(٢) الإرشاد ١: ٢٤٦ ـ ٢٤٧، بحار الأنوار ٣٢: ١١٢ ـ ١١٣.

(٣) نهج البلاغة ١: ٣٨، الخطبة ٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٣٣.

ومثله (الإرشاد) مع اختلاف يسير[١].

قول المصنف «ومن كلام له عليه السلام» هكذا في (المصرية)[٢] ومثله في (ابن ميثم)[٣] ولكن في (ابن أبي الحديد)[٤] و(الخطية): «ومن خطبة له عليه السلام».

«في ذكر أهل البصرة» كان عليه أن يقول (في طلحة والزبير لمّا سارا إلى البصرة) فإنّ المنصرف من أهل البصرة أهلها الأصليون وليس الكلام فيهم بل فيهما.

قوله عليه السلام «كلّ واحد منهما يرجو الأمر له ويعطفه عليه دون صاحبه» في (الطبري): أذن مروان حين فصل من مكّة، ثمّ جاء حتى وقف على طلحة والزبير فقال: أيّكما أسلّم عليه بالأمرة واوزنه بالصلاة، فقال عبد الله بن الزبير على أبي عبد الله، وقال محمّد بن طلحة على أبي محمّد، فأرسلت عايشة إلى مروان: مالك تريد أن تفرّق أمرنا ليصلِّ ابن أُختي، فكان يصلّي بهم ابن الزبير حتّى قدموا البصرة، فكان معاذ بن عبيد الله يقول: والله لو ظفرنا لأفتتنا ما خلى الزبير بين طلحة والأمر ولا خلّى طلحة بين الزبير والأمر[٥].

وفي (المروج): تشاحّ طلحة والزبير في الصلاة بالناس في البصرة، ثمّ اتّفقوا على أن يصلّي ابن الزبير يوماً وابن طلحة يوماً في خطب طويل كان بين طلحة والزبير، وجذب صاحبه حتّى فات وقت الصلاة، وصاح النّاس: الصلاة الصلاة يا أصحاب محمّد[٦].

---

(١) الإرشاد ١: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٤٤.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٥.

(٤) في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٩ «من كلام له عليه السلام» أيضاً.

(٥) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٥٤ ـ ٤٥٥، سنة ٣٦.

(٦) مروج الذهب ٢: ٣٦٧.

وفي (جمل أبي مخنف): لمّا صفت البصرة لطلحة والزبير بعد قتل حكيم بن جبلة وأصحابه، وطرد عثمان بن حنيف عنها، اختلفا في الصلاة وأراد كل منهما أن يؤمّ بالنّاس وخاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليماً ورضى بتقدمه، فأصلحت عايشة بينهما[١].

وفي (جمل المفيد) نقلاً عن ابن دأب وأبي مخنف والواقدي والمدائني: أنّ طلحة والزبير لمّا ظفرا في البصرة بعثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة، نزلا دار الإمارة فقدمت عايشة وحملت مالاً من بيت المال لتفرّقه على أنصارها، فدخل عليها طلحة والزبير في طائفة معهما واحتملا منه شيئاً كثيراً، فلمّا خرجا نصبا على أبوابه الأقفال ووكلا به من قبلهما قوماً، فأمرت عايشة بختمه فبدر طلحة ليختمه فمنعه الزبير، وأراد الزبير أن يختمه فتدافعا، فبلغ ذلك عايشة فقالت: يختمها عنّي ابن أُختي عبد الله فنختم يومئذ بثلاثة ختوم[٢].

«لا يمتّان» أي: لا يتوسلان.

«إلى الله بحبل ولا يمدّان إليه بسبب» أي: توصل.

في (الطبري) عن عوف الأعرابي قال: جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة فقال: نشدتكما بالله في مسيركما أعهد النبيّ صلى الله عليه وآله إليكما فيه شيئاً؟ فقام طلحة ولم يجبه، فناشد الزبير فقال: لا، ولكن بلغنا أنّ عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها[٣].

وعن الزهري: أنّ طلحة والزبير قاما خطيبين فقالا: يا أهل البصرة توبة بحوبة إنّما أردنا أن نستعتب عثمان ولم نرد قتله، فغلب سفهاء النّاس الحلماء

---

(١) قريب منه ما في الجمل للمفيد: ٢٨١ ـ ٢٨٢، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨١، تاريخ الطبريّ ٤: ٤٦٨، سنة ٣٦.

(٢) الجمل للمفيد: ٢٨٤.

(٣) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٧٥، سنة ٣٦.

حتّى قتلوه. فقال النّاس لطلحة: قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا. فقال لهم الزبير: فهل جاءكم منّي كتاب في شأنه؟ ثمّ ذكر قتل عثمان وما أتى إليه وأظهر عيب عليّ عليه السلام، فقام إليه رجل من عبد القيس فقال: أيّها الرجل انصت حتّى نتكلّم، فقال له ابن الزبير: مالك وللكلام. فقال الرجل: يا معشر المهاجرين أنتم أوّل من أجاب النبيّ صلى الله عليه وآله فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل النّاس في الإسلام كما دخلتم، فلمّا توفي النبيّ صلى الله عليه وآله بايعتم رجلاً منكم والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك فرضينا، ثم أنكرتم من عثمان فقتلتموه عن غير مشورة منّا، ثمّ بايعتم عليّاً عن غير مشورة، فما الذي نقمتم عليه فنقاتله، هل استأثر بفيء، أو عمل بغير الحق، أو عمل شيئاً تنكرونه فنكون معكم عليه؟ وإلّا فما هذا ـ فهمّوا بقتل ذلك الرجل، فقام من دونه عشيرته ـ فلمّا كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه فقتلوا سبعين رجلاً[1].

«كلّ واحد منهم حامل ضب» في (الأساس): (في قلبه ضبّ) أي: غل داخل كالضب الممعن في جحره.

قال سابق البربريّ:

ولا تك ذا وجهين يُبدي بشاشةً وفي صدره ضبّ من الغلّ كامنُ[2]

«لصاحبه وعمّا قليل يكشف قناعه به» أي: عنه، وأهل الدّنيا كلّهم كذلك، واصطلاحهم في الظاهر إنّما هو من حيث أنّ الدّنيا محبوبة جميعهم، في قِبال مبغضيها. وأمّا هم في أنفسهم وتزاحمهم عليها فيتهارشون كل مع الآخر حال الكلاب والجيفة.

«والله لئن أصابوا الذي يريدون» أي: من نيل الإمارة؛ وقد عرفت من رواية

(١) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٦٩ ـ ٤٧٠، سنة ٣٦.

(٢) أساس البلاغة: ٢٦٥، مادة: (ضبب).

أبي مخنف أنّه عليه السلام أخبر بعدم نيلهما ذلك، كما أخبر عليه السلام بقتل ثلث أهل الجمل وهرب ثلثهم وتوبة ثلثهم.

«لينزعن هذا نفس هذا وليأتين هذا على نفس هذا» قد عرفت أنّ رواية أبي مخنف بدله بقوله: (ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد).

وكذلك أهل الدّنيا في كل عصر، فانتزع عبد الملك بن مروان لمّا نال الأمر نفس عمرو بن سعيد الأشدق وذبحه بيده، وانتزع منصور الدوانيقي نفس أبي مسلم الخراساني، وقتل المأمون الأمين. قال هارون لرجل: ما عندك في ما كان من العهد الذي عهدت إلى ولاة العهد؟ فاستعفاه فلم يعفه. فقال: رأيتك قد أخذت ثلاثة أسياف مشحوذة فجعلتها في غمد واحد.

وروى (أمالي الشيخ) عن الصادق عليه السلام: أنّ إيتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا وإن لم يظهروا التودّد بألسنتهم كسرعة اختلاط قطر السماء على مياه الأنهار، وإنّ بُعد إيتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا وإن أظهروا التودّد بألسنتهم، كبُعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على مذود واحد[1].

«قد قامت الفئة الباغية» التي أخبر بها النبيّ صلى الله عليه وآله.

«فأين المحتسبون» في جهادهم.

«فقد» هكذا في (المصرية)[2]، ولكن في (ابن ميثم)[3]: (وقد) وفي (ابن أبي الحديد)[4] و(الخطية): (قد).

«سنّت لهم السنن» في حرب الناكثين.

«وقدم لهم الخبر» في (الطبري) عن أبي عمرة مولى الزبير قال: لمّا

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسيّ رحمه الله ٢: ٢٥ ـ ٢٦، بحار الأنوار ٧٤: ٢٨١.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٤٤.

(٣) في شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٥ «فقد» أيضاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٩.

بايعهما أهل البصرة قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ، فأمّا بيّته وأما صبّحته لعليّ أقتله قبل أن يصل إلينا. فلم يجبه أحد فقال: إنّ هذه لهي الفتنة التي كنّا نُحَدّث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتُقاتل فيها؟ قال: ويحك إنّا نبصر ولا نصبر[1].

وفي (جمل المفيد): روى عبد الله بن رباح مولى الأنصار عن عبد الله بن زياد مولى عثمان قال: خرج عمّار يوم الجمل إلينا فقال: يا هؤلاء على أي شيء تقاتلونا؟ فقلنا: على أنّ عثمان قُتل مؤمناً، فقال: نحن نقاتلكم على أنّه قُتل كافراً. وقال: والله لو ضربتمونا حتّى نبلغ سعفات هجر؛ إنّا على الحقّ وإنّكم على الباطل. وقال: ما نزل تأويل هذه الآية ﴿يا أيّها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبونه...﴾ الّا اليوم[2].

«ولكل ضلّة علة ولكل ناكث شبهة» يعني وأمّا طلحة والزبير فلا علّة لضلّتهم بقتالهم معه عليه السلام، ولا شبهة لهما في نكث بيعته عليه السلام، فعلّة ضلّتهم كانت طلب دم عثمان وهم كانوا قاتليه، وقد عرفت أنّ الرجل العبدي قال لطلحة: جاءت كتبك بقتل عثمان، وسبب نكثهم كان عدم توليتهم الولايات، وليس هو شبهة وإنّما تكون شبهة لو كان أمكنهم ادّعاء وقوع خلاف شرع منه عليه السلام.

وروى (أمالي المفيد): عن أبي عثمان مؤذن بني افصى أنّه سمع عليّاً عليه السلام حين خرج طلحة والزبير لقتاله تلا هذه الآية ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر انهم لا أيمان

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٧٥ ـ ٤٧٦، سنة ٣٦.

(٢) الجمل للمفيد: ٣٦٦، والآية ٥٤ من سورة المائدة.

لهم لعلهم ينتهون﴾[١].

«والله لا أكون كمستمع اللدم» في (الصحاح) لدمت المرأة وجهها أي: ضربته، والتدام النساء: ضربهن صدورهن في النياحة[٢].

«يسمع الناعي» وهو الذي يأتي بخبر الميّت.

«ويحضر الباكي» والمراد أنّي لا أُساهل في أمر طلحة والزبير، أُخليهما وإفساد البلاد.

وقال الشاعر:

ولست كمن يرضى بما غيره الرضا ويمسح رأس الذئب والذئب آكله

وقال ابن أبي الحديد في معنى قوله عليه السلام: (والله) ـ إلى ـ مستمع اللدم: كناية عن الضبع تسمع وقع الحجر بباب جحرها من يد الصائد، فتنخذل وتكف جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها؛ يعني لا أكون مقرّاً بالضيم أسمع الناعي المخبر عن قتل عسكر الجمل، حكيم بن جبلة وأتباعه، فلا يكون عندي من التغير والإنكار لذلك، إلّا أن أسمعه وأحضر الباكين على قتلاهم[٣].

وتبعه الخوئيّ[٤].

وقال ابن ميثم: أقسم عليه السلام أنّه لا يكون معهم كمن يسمع الضرب والبكاء، الذي هو مظنّة الخطر، ثم لا يصدق حتّى يجيء لمشاهدة الحال ويحضر الباكي، وقد كان الأولى أن يكتفي بذلك السماع ويأخذ في الاستعداد للعدوّ والهرب منه[٥].

---

(١) الأمالي للمفيد رحمه الله: ٧٣، والآية ١٢ من سورة التوبة.

(٢) الصحاح ٥: ٢٠٢٨ ـ ٢٠٢٩، مادة: (لدم).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٤) منهاج البراعة ٩: ١٠٩.

(٥) شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٧.

قلت: وهما كما ترى، أما قول ابن أبي الحديد: فلم يقل أحد ان مستمع اللدم كناية عن الضبع، وإنمّا قالوا: إنّ الضبع تسمع اللدم، أي: الصوت فتخرج فتصاد.

ففي (الصحاح) قال الأصمعي: اللدم صوت الحجر، أو الشيء يقع بالأرض وليس بالصوت الشديد.

وفي الحديث: والله لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم حتى تخرج فتصاد...[١]، وأين هو ممّا قال وإنمّا اللدم هنا ضرب المرأة وجهها وصدرها في النياحة كما مر، ويشهد له قوله: «يسمع الناعي ويحضر الباكي». وأيّ ربط لسماع الناعي وحضور الباكي بالضبع؟!

كما أنّ تفسيره (يسمع الناعي) بسماعه خبر قتل عسكر الجمل حكيم بن جبلة[٢] من أين قاله؟ مع أنّ الأصل في (الخطية) كما عرفت من رواية أبي مخنف والمفيد كان عند شخوص أصحاب الجمل من مكة قبل وصولهم إلى البصرة، وقتلهم لحكيم كان بعد وصولهم إلى البصرة، اللهمّ إلّا أن يُقال إنّ قوله عليه السلام «والله...» لم يكن من الروايتين، وإنّما أخذه الرضي من موضع آخر، حيث إنّ دأبه الجمع بين مختلفات موضوع من مواضع، ولعلّه لذا قال في عنوانه: «في ذكر أهل البصرة».

وأيضاً قوله: «يسمع الناعي ويحضر الباكي» على سياق واحد، فكيف فسّرهما بما قال من إنّه يسمع الناعي بقتل أصحابه، فلا يكون عنده إنكار إلّا أن يحضر الباكي[٣].

(١) الصحاح ٥: ٢٠٢٨، مادة: (لدم).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١١٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٩ ـ ١١٠، والنقل بتصرّف.

وأمّا ما ذكره ابن ميثم: فاللفظ أيضاً قاصر عن إفادته مع أنّه غير السياق أيضاً.

«ثم لا يعتبر» هكذا في (المصرية)[١]، وليس هذا الكلام في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢] رأساً، والظاهر أنّه كان حاشية أُخذت من قول ابن أبي الحديد في ما مرّ في تفسيره ما قبله: «فلا يكون عندي من التغير...» وخلطت بالمتن.

٣
الخطبة (٦)

ومن كلام له عليه السلام لمّا أُشير عليه بألّا يتبع طلحة والزبير ولا يُرْصد لهما القتال:

وَٱللّٰهِ لا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا، وَلٰكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ ٱلْمُطِيعِ العَاصِيَ ٱلْمُرِيبَ أَبَدًا، حَتَّى يأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي.

قول المصنف: «لمّا أُشير عليه عليه السلام بألّا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال» اختلف في المشير عليه بذلك، فروت العامّة كونه ابنه الحسن عليه السلام، وروت الخاصّة كونه أُسامة.

أما الأوّل، فقال ابن أبي الحديد: خرج طارق بن شهاب الأحمسي يستقبل عليّاً عليه السلام وقد صار بالربذة طالباً عايشة وأصحابها. قال طارق فقلت في نفسي: أفأُقاتل أُمّ المؤمنين وحواري النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ هذا لعظيم؟! ثم قلت: أدع عليّاً عليه السلام وهو أوّل المؤمنين إيماناً بالله وابن عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله ووصيّه هذا

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٤٤.

(٢) كذا في شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٥ ولكن في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٩ «ثمّ لا يعتبر» أيضاً.

عظيم! ثمّ أتيته فسلّمت عليه، ثم جلست إليه، فقص عليّ قصّة القوم وقصّته، فجاء الحسن ابنه فبكى بين يديه. قال: ما بالك؟ قال: أبكي لقتلك غداً بمضيعة ولا ناصر لك، أمّا إنّي أمرتك فعصيتني، ثمّ أمرتك فعصيتني. فقال له عليّ عليه السلام: لا تزال تحنّ حنين الأمة، ما الذي أمرتني به فعصيتك؟ قال: أمرتك حين أحاط النّاس بعثمان أن تعتزل، فإن النّاس إذا قتلوه طلبوك أينما كنت حتّى يبايعوك فلم تفعل، ثم أمرتك لمّا قتل عثمان ألّا توافقهم على البيعة حتّى يجتمع النّاس ويأتيك وفود العرب فلم تفعل، ثم خالفك هؤلاء القوم فأمرتك ألّا تخرج من المدينة وأن تدعهم وشأنهم، فإن اجتمعت عليك الأمّة فذاك وإلّا رضيت بقضائه.

فقال عليّ عليه السلام: والله لا أكون كالضبع تنام على اللدم حتى يدخل إليها طالبا فيعلق الحبل برجلها ويقول لها دباب دباب حتى يقطع عرقوبها ـ الى آخر الفصل ـ[1].

وكان طارق يبكي إذا ذكر هذا الحديث. ونسب إلى (أمالي المفيد) روايته عن طارق الخبر ولكن لم أتحققه[2].

ورواه سيف كما في (الطبري) عن طارق مثله، لكن فيه فقال عليّ: أي بني أما قولك لو خرجت من المدينة حين أُحيط بعثمان، فوالله لقد أُحيط بنا كما أُحيط به، وأما قولك لا تبايع حتّى يأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأمّا قولك حين خرج طلحة والزبير فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، ووالله ما زلت مقهوراً مذ ولّيت منقوصاً لا أصل إلى شيء ممّا ينبغي، وأما قولك اجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني،

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) ما وجدت هذا الحديث في الأمالي.

أو من تريدني؟ أتريد أن أكون مثل الضبع التي يُحاط بها ويقال دباب دباب ليست هاهنا حتّى يحلّ عرقوباها ثم تخرج. وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه[1]؟

وروى الطبري عن العرني صاحب جمل عايشة ـ بعد بيعة الجمل من أصحاب عايشة وسيره معهم إلى الحوأب ونبح كلابها عليها، وقولها: ردّوني أنا والله صاحبة كلاب الحوأب. ثم انصرافه عنهم ومجيئه معهعليه‌السلام إلى ذي قار ـ قال فقالعليه‌السلام: قد رأيتم ما صنع هؤلاء القوم وهذه المرأة، فقام إليه الحسن فبكى، فقال له عليّ: قد جئت تحن حنين الجارية. فقال: أجل أمرتك فعصيتني، فأنت اليوم تقتل بمضيعة لا ناصر لك. قال: حدّث القوم بما أمرتني به. قال: أمرتك حين سار النّاس إلى عثمان ألّا تبسط يدك ببيعة حتّى تجول جائلة العرب فإنّهم لن يقطعوا أمراً دونك فأبيت عليّ، وأمرتك ـ حين سارت هذه المرأة وصنع هؤلاء القوم ما صنعوا ـ أن تلزم المدينة وترسل إلى من استجاب لك من شيعتك. قال عليّ: صدق والله، ولكن والله يا بني ما كنت لأكون كالضبع وتستمع للدم، إنّ النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله قبض وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر مني، فبايع النّاس أبا بكر فبايعت كما بايعوا، ثمّ إنّه هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر مني فبايع النّاس عمر فبايعت كما بايعوا، ثمّ إنّ عمر هلك وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي، فجعلني سهماً من ستّة أسهم، فبايع النّاس عثمان فبايعت كما بايعوا، ثمّ سار النّاس إلى عثمان فقتلوه ثم أتوني فبايعوني طائعين غير مكرهين، فأنا مقاتل من خالفني بمن اتّبعني حتّى يحكم الله بيني وبينهم[2].

---

(١) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٥٥ ـ ٤٥٦، سنة ٣٦.

(٢) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٥٦ ـ ٤٥٨، سنة ٣٦.

وأما الثاني: فروى المفيد في (جمله): أنّه لمّا جاء كتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره بخبر طلحة والزبير وعايشة، دعا عليه السلام ابن عبّاس ومحمّد بن أبي بكر وعماراً وسهل بن حنيف، وأخبرهم بما عليه القوم من المسير، فقال محمّد بن أبي بكر: ما يريدون؟ فتبسّم عليه السلام وقال: يطلبون بدم عثمان. فقال محمّد: والله ما قتله غيرهم.

ثم قال عليه السلام: أشيروا عليّ بما أسمع منكم القول فيه. فقال عمّار: الرأي أن نسير إلى الكوفة فإن أهلها لنا شيعة وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة. وقال ابن عبّاس: الرأي عندي أن تقدم رجالاً إلى الكوفة فيبايعوا لك ـ إلى أن قال ـ: فبينا هم في ذلك إذ دخل أُسامة بن زيد وقال له عليه السلام: فداك أبي وأُمي لا تسر، وخلّف على المدينة رجلاً، وأقم بمالك، فإنّ العرب لهم جولة ثم يصيرون إليك.

فقال ابن عبّاس: يا أُسامة إنّ هذا القول منك، إن كان على غير دغل في صدرك، فقد أخطأت وجه الرأي، فبه نكون والله كهيئة الضبع في مغارتها. فقال له أُسامة: فما الرأي؟ قال: ما أشرت به وما رأى أمير المؤمنين لنفسه. ثم نادى عليه السلام في النّاس: تجهزوا[1].

والصواب هذا الذي يشهد له الاعتبار، وأمّا خبرا طارق والعرفي فخلاف العقل، فمع قطع النظر عن كون الحسن عليه السلام معصوماً لا يعترض على المعصوم، إتباع طلحة والزبير وعدمه لم يكن أمراً مشتبهاً مختلف الظاهر والباطن حتّى يشتبه على الحسن عليه السلام، فمع إتباعه عليه السلام لهما أفسدا تلك الإفسادات العظيمة، فكيف كان لو خلاهما.

وكذلك قبوله عليه السلام بيعة النّاس، وأي معنى لقوله للعرب جولة، فالعرب أين كانوا يوم السقيفة ويوم الدار؟ وكيف يعبّر الحسن عليه السلام مع أبيه بقوله:

---

(١) الجمل للمفيد: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

«أمرتك فعصيتني» ألم يدر يقول: «أشرت عليك فما قبلت رأيي»؟

والخبر الأوّل وإن كان دخيلاً كالثاني؛ إلاّ انّ سيفاً زاد في غشه ـ كما هو دأبه ـ إشارته على أبيه بخروجه من المدينة حين أُحيط بعثمان، وانّ أباه قال له: لقد أُحيط بنا كما أُحيط بعثمان، فإنّه كذب محض وافتراء واضح.

ولقد أغرب (خلفاء ابن قتيبة) وأتى بالمضحك من الكذب، والطبري وإن كان ينقل الروايات المتضادة هو يفتي بالمتناقض والمتضاد.

فقال: لمّا أتى كتاب معاوية ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب إلى علي دخل عليه ابنه الحسن فقال له: قد كنت أمرتك فعصيتني. فقال له عليّ: وما أمرتني به فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم عثمان أن تركب رواحلك فتلحق بمكة فلا تتهم به، وأمرتك حين دعيت إلى البيعة ألّا تبسط يدك إلّا على بيعة جماعة فعصيتني، وأمرتك حين خالف عليك طلحة والزبير ألّا تكرههما على البيعة وتخلي بينهما وبين وجههما وتدع النّاس يتشاورون عاماً كاملاً، فوالله لو تشاوروا عاماً ما زويت عنك، ولا وجدوا منك بدأ، وأنا آمرك اليوم أن تقيلهما بيعتهما وتردّ إلى النّاس أمرهم، فإن رفضوك رفضتهم وإن قبلوك قبلتهم، فإنّي قد رأيت الغدر في رؤوسهم، والكراهية في وجوههم. فقال له علي: أنا إذن مثلك يا بني، ولكن أُقاتل من عصاني بمن أطاعني، وايم الله ما زلت مبغيّاً عليّ منذ هلك جدّك.

فقال له الحسن: يا أبة ليظهرن عليك معاوية، لأنّه من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً.

فقال عليّ: يا بُني وما علينا، ما ظلمناه ولا أمرنا ولا نصرنا عليه، ولا كتبت فيه إلى أحد سواداً في بياض، وإنّك لتعلم إنّ أباك أبرأ النّاس من دمه.

فقال له الحسن: دع عنك هذا، انّي لا أظن، بل لا أشك أنّ ما في المدينة

عاتق ولا عذراء ولا صبيّ إلّا وعليه كفل من دمه. فقال: يا بني إنّك لتعلم أنّ أباك قد ردّ عنه النّاس مراراً، وقد أرسلتكما جميعاً بسيفيكما لتنصراه وتموتا دونه، فنهاكما عن القتال ونهى أهل الدار أجمعين، ولو أمرني بالقتال لقاتلت دونه أو أموت بين يديه. قال الحسن: دع عنك هذا حتّى يحكم الله بين عباده.

فهل أراد المخذول أن يصنع قصّة ويجعل معاوية الحسن، ولقد أراد المفتري أن يجعل قتل عثمان ظلماً، فأخزاه الله حتى جعل أمير المؤمنين عليه السلام وجميع أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأُنثاهم داخلين في دمه؛ فإن كان الأمر كما ذكر فهذا إجماع لا إجماع فوقه، ولن تجمع أُمّة النبيّ صلى الله عليه وآله على ضلال.

وبالجملة؛ الأصل في العنوان أحد تلك الأخبار، لكن عرفت أنّ الصحيح منها خبر (جمل المفيد) والمفهوم منه كون العنوان وإن لفظه أخصر لابن عبّاس لا له عليه السلام فإن كان المصنّف وقف على مستند آخر فلعل.

«والله لا اكون كالضّبع» سبع معروف؛ وقال الجوهري في قول الشاعر:

فانّ قومي لم تأكلهم الضبع

المراد بالضبع فيه: السنة المجدبة[١]، لكن إرادة السبع المعروف الذي يأكل الجيف وأشلاء القتلى والموتى غير بعيدة.

والمشهور أنّ الضبع الأُنثى والذكر ضبعان[٢]. وعن ابن الانباري يطلق على الذكر والأُنثى.

وفي كتاب الدميري: ومن أسماء الضبع جيل وجعار وجفصة، ومن كناها أُم خنور وأُم طريق وأُم عامر وأُم القبور وأُم نوفل، والذكر أبو عامر

---

(١) الصحاح ٣: ١٢٤٨، مادة: (ضبع).

(٢) المصدر نفسه.

وأبو كلدة وأبو الهنبر[١].

ومن عجيب أمرها أنّها كالأرنب، تكون سنة ذكراً وسنة أُنثى، فتلقح في حال الذكورة وتلد في حال الأُنوثة! نقله الجاحظ[٢].

«تنام على طول اللدم» قال الجوهريّ: قال الأصمعيّ: اللدم: صوت الحجر أو الشيء يقع بالأرض، وليس بالصوت الشديد[٣].

وقال ابن دريد: اللدم: ضربك الحجر بحجر أو غيره، وكل ضرب لدم، والنساء يلتدمن في المأتم. وفي حديث عليّ عليه السلام: «لا أكون كالضبع تسمع اللدم»[٤].

«حتى يصل إليها طالبها ويختلها» أي: يخدعها.

«راصدها» قال ابن أبي الحديد: قال أبو عبيدة: يأتي الصائد فيضرب بعقبه الأرض عند باب مغارها ضرباً خفيفاً، وذلك هو اللدم، ويقول: «خامري أُم عامر» ـ مراراً ـ بصوت ليس بشديد فينام على ذلك[٥].

وقال: تزعم العرب أنّ الصائد يدخل عليها وجارها فيقول لها: اطرقي أم طريق، خامري أم عامر. فتلجأ إلى أقصى مغارها وتنقبض. فيقول: أُم عامر ليست في وجارها، أُم عامر نائمة. فتمد يديها ورجليها وتستلقي، فيدخل عليها فيوثقها ويقول لها: أبشري أُم عامر بكمر الرجال، ابشري أُم عامر بشاة هزلى وجراد عظلى، فيشدّ عرَاقيبها ولا تتحرك، ولو شاءت أن تقتله لأمكنها.

قال الكميت:

---

(١) الدميري: حياة الحيوان ١: ٦٤١ منشورات الحلبي، مصر.

(٢) كتاب الحيوان ٧: ١٦٨.

(٣) الصحاح ٥: ٢٠٢٨، مادة: (لدم).

(٤) الجمهرة ٢: ٦٨١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٢٥.

فعل المُقرَّة للمقا لة خامري يا أُمّ عامر

وقال الشنفري:

لاَتقبُروني إنّ قبري محرّم عليكم ولكن خامري أُمّ عامرِ[١]

وفي كتاب الدميري: إنّ الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده، فتخرج لتأخذه فتصاد. ويقال لها وهي في جحرها: اطرقي أُم طريق خامري أم عامر أبشري بجراد عظلى وشاة هزلى. فلا يزال يُقال لها ذلك حتّى يدخل عليها الصائد فيربط يديها ورجليها ثم يجرها.

قال: والجاحظ يرى هذا من خرافات العرب[٢].

وفي رواية سيف المتقدمة: مثل الضبع التي يُحاط بها ويقال: «دباب دباب ليست هاهنا، حتّى يحل عرقوبها ثم تخرج». ومثل ذلك مثلهم: «اطرق كرا إنّ النعام في القرى». أو «اطرق كرا يحلب لك». أو «اطرق كرا إنّك لن ترى».

وقال الخليل ـكما في (أمثال الميداني): الكرا: الذكر من الكِرْوان، يصيدونه بهذه الكلمة، فإذا سمعها تلبد بالأرض، فيلقى عليه ثوب فيصاد. وهو معنى: «انّ النعام بالقرى» أي: يأتيك فيدوسك بأخفافها[٣].

«ولكني اضرب بالمقبل إلى الحقّ المدبر عنه» هكذا في (المصرية)[٤] ومثلها (ابن أبي الحديد)[٥]، ولكن في (ابن ميثم): «وجه المدبر عنه»[٦]. ولا يبعد

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٢٤.

(٢) الدميري حياة الحيوان ١: ٦٤٣ منشورات الحلبي، مصر.

(٣) مجمع الأمثال ٢: ٢٨٥ تحت الرقم ٢٢٧٢.

(٤) نهج البلاغة ١: ٣٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٢٣.

(٦) في شرح ابن ميثم المطبوع ١: ٢٨٠ «الحقّ المدبر عنه» أيضاً.

أصحيته حيث أنّ نسخته بخط مصنّفه.

«وبالسامع المطيع العاصي المريب أبداً حتّى يأتي عليّ يومي» حيث إنّ الجهاد واجب أبداً مع شرائطه.

هذا والعجب أنّ سيفاً الذي يضع في كلّ شيء قال: لمّا دخل طلحة والزبير البصرة واصطلحا مع عثمان بن حنيف عامل عليٍّ على أن يبعثوا كعب بن سور إلى المدينة يستخبرهم في بيعتهما، فإنْ أخبروه بأنّ عليّاً أكرههما فالأمر أمرهما، وإن بايعاه طوعاً فالأمر أمره. ولمّا جاء كعب وسألهم، سكت جميع النّاس خوفاً من سهل عامل عليّ إلّا أُسامة، فوثب سهل عليه، فأفلته صهيب وقال له: قد علمت أنّ أُم عامر حامقة، أما وسعك ما وسعنا من السكوت[1].

فإنّه وضعه في مقابل رواية (جمل المفيد)[2] المتقدّمة في أصل العنوان.

٤
الخطبة (٣١)

ومن كلام له عليه السلام لابن عباس لمّا أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل:

لَاتَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّك إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَه، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُول؛ وَلَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالحِجَازِ، وَأَنْكَرْتَنِي بِالعِرَاق؛ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا!

قال الشريف أقول: هو أوّل من سمعت منه هذه الكلمة، أعني «فما عدا ممّا بدا»[3].

---

(١) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٦٧ ـ ٤٦٨، سنة ٣٦.

(٢) الجمل للمفيد: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٣) نهج البلاغة ١: ٧٣.

قول المصنف «ومن كلام له عليه السلام لابن عبّاس لمّا أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل» هكذا في (المصرية)[١]، والصواب: ما في (ابن ميثم): «ومن كلام له عليه السلام لمّا أنفذ عبد الله بن العبّاس إلى الزبير قبل وقوع حرب الجمل يستفيئه إلى طاعته»[٢]، ومثله (ابن أبي الحديد) لكن فيه بدل «وقوع حرب الجمل»: «وقوع الحرب يوم الجمل»[٣].

وأما العنوان فقال ابن أبي الحديد: روى الزبير بن بكار في (موفقياته): انّ علياً عليه السلام لمّا سار إلى البصرة بعث ابن عبّاس فقال: ايت الزبير فاقرأ عليه السّلام وقل له: يا عبدالله كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة؟ فقال ابن عبّاس: أفلا آتي طلحة؟ قال: لا، إذن تجده عاقصاً قرنه في حزن يقول هذا سهل. قال: فأتيت الزبير فوجدته في بيت يتروح في يوم حار وعبدالله ابنه عنده، فقال: مرحباً بك يابن لبابة؛ أجئت زائراً أم سفيراً؟ قلت: كلّا، إنّ ابن خالك يقرأ عليك السلام ويقول لك يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة؟ فقال:

علقهم أني خُلِقت عصبه ... قتادةً تعلقت بنشبه

لن أدعهم حتّى آلف بينهم. فأردت منه جواباً غير ذلك، قال لي ابنه: «قل له بيننا وبينك دم خليفة ووصيّة خليفة واجتماع اثنين وانفراد واحد، وأُم مبرورة ومشاورة العشيرة». فعلمت انّه ليس وراء هذا الكلام إلّا الحرب، فرجعت إلى عليّ عليه السلام فأخبرته.

قال ابن بكار: هذا الحديث كان يرويه عمي مصعب ثم تركه، وقال: إنّي

---

(١) نهج البلاغة ١: ٧٢.

(٢) في شرح ابن ميثم ٢: ٥٩ ما في العنوان في نهج البلاغة.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦٢.

رأيت جدّي الزبير في المنام وهو يعتذر من يوم الجمل، فقلت له: كيف تعتذر منه وأنت القائل: «علقتهم ـ إلي ـ آلف بينهم»؟! فقال: لم أقله[١].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: وروى جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه عن جدّه قال: سألت ابن عبّاس عن ذلك فقال: إنّي أتيت الزبير فقلت له... فقال: قل له إنّي أريد ما تريد ـ كأنه يقول: الملك ـ لم يزد على ذلك. فرجعت إلى عليّ عليه السلام فأخبرته.

وروى محمّد بن إسحاق الكلبيّ عن ابن عبّاس قال: قلت الكلمة للزبير، فلم يزدني على ان قال: قل له:

إنّا مع الخوف الشديد لنطمع

وسئل ابن عبّاس عمّا يعني بقوله هذا، فقال: يقول: إنّا على الخوف لنطمع أن نلي من الأمر ما وليتم.

وقال قوم: أراد أنّا مع الخوف من الله لنطمع أن يغفر لنا هذا الذنب[٢].

قلت: ورواه الجاحظ في (بيانه) وابن قتيبة في (عيونه) وابن عبد ربه في (عقده)؛ قال الأوّل: قال عبد الله بن مصعب: أرسل عليّ كرم الله وجهه لمّا قدم البصرة ابن عبّاس وقال له: ايت الزبير ولا تأت طلحة، فإن الزبير ألين، وانّك تجد طلحة كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعوبة ويقول هي السهل، فأقرئه السلام وقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق؛ فما عدا ممّا بدا لك! قال: فأتيت الزبير، فقال: مرحباً بابن لبابة، أزائراً جئت أم سفيراً؟ قلت: كل ذلك. وأبلغته ما قال عليّ عليه السلام، فقال الزبير: أبلغه السلام وقل له: بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وأُم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦٦ ـ ١٦٧.

مبرورة ومشاورة العشيرة ونشر المصاحف، فنحلّ ما أحلّت ونحرّم ما حرّمت[١].

ومثله الثاني: والثاني بدون النسبة إلى ابن مصعب[٢].

قوله عليه السلام: «لا تلقين طلحة» عن مثالب هشام الكلبي ـ كما في (الطرائف) ـ: كانت لأُمّه صعبة راية بمكة واستبضعت بأبي سفيان فوقع عليها وتزوجها عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم، فجاءت بطلحة لستّة أشهر، فاختصم أبو سفيان وعبيد الله في طلحة، فجعل أمرهما إلى أُمه فألحقته بعبيد الله، فقيل لها: كيف تركت أبا سفيان؟ فقالت: يد عبيد الله طلقة ويد أبي سفيان كزّة.

فقال حسّان:

فيا عجباً من عبد شمس وتركها   أخاها زنا بابعد ريش القوادم

وكان أبوه يُلعب به ويتخنّث[٣].

«فإنّك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه» في (الجمهرة): شاة عقصاء إذا كانت منقلبة القرن[٤]. وفي (الأساس): (في قرن الشاة عقص) أي التواء، وهي عقصاء القرن[٥]. هذا وفي (ميزان الذهبي) في ثور بن يزيد الذي كان يرى القدر: حكي عن ابن أبي رواد أنّه كان يقول إذا أتاه من يريد الشام: «إنّ بها ثوراً فاحذر لا ينطحك بقرنيه». وسُئل سفيان عنه فقال: خذوا عنه واتقوا قرنيه[٦].

---

(١) العقد الفريد ٥: ٦٤.

(٢) عيون الأخبار ١: ١٩٥.

(٣) الطرائف ٢: ٤٩٥ ـ ٤٩٦.

(٤) جمهرة اللّغة ٢: ١١٧٢.

(٥) أساس البلاغة: ٣٠٩، مادة: (عقص).

(٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ١: ٣٧٤ دار المعرفة بيروت.

«يركب الصعب ويقول هو الذلول» قال ابن قتيبة: كلّم عليّ طلحة والزبير قبل القتال، فقال لهما: استحلفا عايشة بحقّ الله وبحقّ رسوله عليها أربع خصال أن تصدق فيها: هل تعلم رجلاً من قريش أولى منّي بالله ورسوله؟ وإسلامي قبل كافّة النّاس أجمعين، وكفايتي رسول الله كفّار العرب بسيفي ورمحي؟ وعلى أنّي لم استكره أحداً على بيعة؟ وعلى أنّي ألم أكن أحسن قولاً منكما في عثمان؟

فأجابه طلحة جواباً غليظاً، ورقّ له الزبير. ثم رجع عليّعليه السلام إلى أصحابه فقالوا: بِمَ كلمت الرجلين؟ فقالعليه السلام: إنّ شأنهما لمختلف، أما الزبير فقاده اللجاج ولن يقاتلكم، وأما طلحة فسألته عن الحقّ فأجابني بالباطل، ولقيته باليقين ولقيني بالشك، فوالله ما نفعه حقّي ولا ضرّني باطله، مقتول غداً في الرعيل الأوّل[١].

وقد وصفه عمر لمّا عينه للشورى مع عيبه فقال: أما إنّي أعرفك منذ أُصيبت إصبعك يوم أُحد بالبأو الذي حدث لك، ولقد بات النبيّصلى الله عليه وآله ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم أُنزلت آية الحجاب[٢].

قال الجاحظ: أشار عمر إلى أنّ طلحة لمّا أُنزلت آية الحجاب، قال بمحضر ممّن نقل إلى النبيّصلى الله عليه وآله: ما الذي يغنيه حجابهنّ اليوم وسيموت غداً فننكحهنّ[٣].

وفي (المروج): سار أهل الجمل في ستمائة راكب نحو البصرة، فانتهوا في الليل إلى ماء لبني كلاب يُعرف بالحوأب، فنبحت كلابهم على الركب، فقالت

---

(١) الامامة والسياسة ١: ٧١ ـ ٧٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٣) المصدر نفسه ١: ١٨٦.

عايشة: ما اسم هذا الموضع؟ فقال سائق جملها: الحوأب، فاسترجعت وذكرت ما قيل لها في ذلك، فقالت: ردّوني. فقال ابن الزبير: والله ما هذا بحوأب، ولقد غلط فيما أخبرك به. وكان طلحة في ساقة النّاس فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب، وشهد معهما خمسون، فكان ذلك أوّل شهادة زور أُقيمت في الإسلام(١).

«ولكن الق الزبير فانّه ألين عريكة» أي: طبيعة؛ في (الطبري): قال قتادة: سار عليّ عليه السلام من الزاوية يريد طلحة والزبير وعايشة، وساروا من الفرضة يريدون علياً عليه السلام، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة (٣٦)، فلمّا تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح، فقيل لعلي عليه السلام: هذا الزبير، أما إنّه أحرى الرجلين إن ذُكر بالله أن يذكر، وخرج طلحة فخرج إليهما عليّ عليه السلام فدنا منهم حتّى اختلفت أعناق دوابهم فقال عليّ عليه السلام لهما: لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً؛ إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتّقيا الله سبحانه ولا تكونا ﴿كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً﴾(٢)، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأُحرم دماءكما فهل من حدث أحل لكما دمي؟ قال طلحة: ألّبت النّاس على عثمان. فقال له عليّ عليه السلام: ﴿يومئذٍ يوفيهم الله دينهم الحقّ ويعلمون أنّ الله هو الحقّ المبين﴾(٣)؛ يا طلحة تطلب بدم عثمان؟ فلعن الله قتلة عثمان. يا زبير أتذكر يوم مررت مع النبيّ صلى الله عليه وآله في بني غنم فنظر إليّ النبيّ صلى الله عليه وآله وضحك وضحكت إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه. فقال لك النبيّ صلى الله عليه وآله: صه، إنّه ليس به زهو، ولتقاتلنّه

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٥٧.

(٢) النحل: ٩٢.

(٣) النور: ٢٥.

وأنت له ظالم؟ فقال: اللهمّ نعم؛ ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أُقاتلك أبداً.

فانصرف عليّ عليه السلام إلى أصحابه فقال: امّا الزبير فقد أعطى الله عهداً ألّا يقاتلكم، فرجع الزبير إلى عايشة فقال: ما كنت في موطن منذ عقلت إلّا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا. قالت: فما تريد أن تصنع؟ قال: أُريد أن أدعهم وأذهب. فقال له ابنه: جمعت بين هذين الغارين، حتّى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب؛ أحسست رايات ابن أبي طالب، وعلمت أنّها تحملها فتية أنجاد. قال: إنّي حلفت ألّا أُقاتله ـ وأحفظه ما قال ابنه له ـ فقال: كفِّر عن يمينك وقاتل. فدعا بغلام يُقال له مكحول فأعتقه.

فقال عبد الرحمن التميمي:

لم أر كاليوم أخا إخـوانِ أعجب من مكفِّر الأيـمانِ
بالعتق في معصية الرحمنِ[1]

قلت: قوله عليه السلام في الخبر: يا طلحة تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان أراد: (منّي ومنكم يا طلحة والزبير وعايشة) فلعنهم الله بما لا يستطعون إنكاراً ولا اعتراضاً، لا إنّه لعن جميع قتلته، كما لا يخفى.

وقد وصفه عمر يوم الشورى بقوله له: «أما أنت يا زبير فوعق لقس، مؤمن الرضا، كافر الغضب، يوماً إنسان، ويوماً شيطان، ولعلّها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير. أفرأيت إن أفضت إليك، فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً إماماً، ومن يكون للناس يوم تغضب إماماً[2]؟

---

(١) تاريخ الطبريّ ٤: ٥٠١ ـ ٥٠٢، سنة ٣٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٥.

«يقول لك ابن خالك» كان عليه السلام كالنبيّ صلى الله عليه وآله ابن خال الزبير لأبيه، فكانت صفيّة أم الزبير من أم حمزة دون أبي طالب وعبد الله، وكان الزبير يعدّ أوّلاً من الهاشميين من قبل أمّه ـ وإن كان أسدياً أباً ـ لكونه معه عليه السلام يوم السقيفة حتّى نشأ ابنه عبد الله المبغض له عليه السلام من قبل أمّه أسماء بنت أبي بكر.

وروى أبو مخنف: أنّ أبا الأسود أتى الزبير في الجمل فقال له: عهد النّاس بك يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب، وأين هذا المقام من ذاك؟ فذكر له الزبير دم عثمان، فقال له أبو الأسود: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا. فقال له: فاذهب إلى طلحة فاسمع ما يقول لك. فذهب إليه فوجدوه سادراً في غيّه مصرّاً على الحرب والفتنة[١].

عبّر عليه السلام بقوله: «ابن خالك» استعطافاً، فقالوا نظير قول هارون «يابن أمّ».

«عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق» حيث بايعه بالحجاز ونصب له الحرب بالعراق.

هذا وقال البحتري في عتاب ابن بسطام:

فكنّا بالشآم أخال خيراً ... لرعي الودّ منّا بالعراق

وهجا بعض الشعراء المازني فقال:

وفتى من مازنٍ ... ساد أهل البصره
أمّه معرفةٌ ... وأبوه نكره

وفي (الأغاني): استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مسعدة فحجب، فكتب إليه أبياتاً منها:

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٦: ٢٢٦.

قــد كــان وجــهي لديك مــعرفة   فاليوم أضحى حرفاً من النكـرة[١]

«فما عدا» أي: جاوز.

«ممّا بدا» أي: ابتدأت به ان كان الأصل فيه الهمز، أو ظهر لك أوّلاً إن كان معتلاً.

وروى (جمل المفيد): أنّهعليه‌السلام أرسل ابن عبّاس إلى عايشة وقال له قل لها: «إنّك كنتِ أشدّ النّاس على عثمان؛ فما عدا ممّا بدا»[٢].

وروى (عيون القتيبي): أنّ عرار بن أدهم الشامي لمّا دعا فـي صـفين العبّاس بن ربيعة الهاشمي إلى البراز، فبرز إليه وضربه ضربة خر لوجـهه وكبّر النّاس تكبيرة ارتجت لها الأرض، سألعليه‌السلام عن المبارز فقيل له: العبّاس بن ربيعة ابن أخيكم. فقالعليه‌السلام له: ألم أنهك وابن عبّاس أن تخلا بمركزكما أو تباشرا حرباً؟ فما عدا ممّا بدا. قال العبّاس: فأُدعى إلى البراز فما أُجيب[٣].

قول المصنّف: قال الشريف أقول: هو أوّل من سمعت منه هذه الكلمة، أعني «فما عدا ممّا بدا»، هكذا في (المصرية)[٤]، والصواب ما فـي (ابـن أبـي الحديد وابن ميثم)[٥]: «وقال الرضيرحمه‌الله: وهوعليه‌السلام أوّل من قالها». وقد عرفت أنّهعليه‌السلام قالها مراراً.

وعن (أوائل أبي هلال العسكري): أنّهعليه‌السلام أوّل من قال: «جعلت فداك». قاله للنبيصلى‌الله‌عليه‌وآله يوم عمرو بن عبد ود[٦].

---

(١) الأغاني ٤: ٢١ ـ ٢٢.

(٢) الجمل للمفيد: ٣١٦.

(٣) عيون الأخبار ١: ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٤) نهج البلاغة ١: ٧٣.

(٥) في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦٢ و شرح ابن ميثم ٢: ٥٩ «وهوعليه‌السلام أوّل من سمعت...» أيضاً.

(٦) الأوائل لأبي هلال العسكري: ٢٩٦ دار الكتب العلمية.

وفي (طبقات كاتب الواقدي): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان أوّل من قال: «لا ينتطح فيها عنزان». قاله صلى الله عليه وآله في قتل عمير بن عدي عصماء بنت مروان اليهودي التي كانت تؤذي النبيّ صلى الله عليه وآله[١].

٥
الخطبة (١٦٩)

ومن خطبة له عليه السلام عند مسير أهل الجمل إلى البصرة:

إِنَّ ٱللّٰهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكتابٍ نَاطقٍ، وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ. وَإِنَّ المُبْتَدَعَاتِ المُشَبَّهَاتِ من المُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ ٱللّٰهُ مِنْهَا وَإِنَّ في سُلْطانِ ٱللّٰهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ؛ فأعْطُوهُ طاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهةٍ بِهَا.

وَٱللّٰهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ ٱللّٰهُ عَنْكُمْ سُلْطانَ الإِسْلَامِ، ثمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً، حَتَّى يَأْرِزَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ.

إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تمَالَؤُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ. فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ، ٱنْقَطَعَ نِظَامُ المُسْلِمينَ.

أقول: العنوان كلّه مأخوذ من (الطبري)[٢] في رواية سيفه، التي إمّا مصنوعة كلاً وإمّا مدخولة منه، كما أخذ منه عنوان قبله «قيل له عليه السلام: لو عاقبت قوماً ممّن اجلب على عثمان» كما مر في فصل عثمان، ومر ثمة شرح مقدار من افتعالاته وتصرفاته، ومر بعضها في(٣) من هذا الفصل.

وروايته هنا هكذا: «استأذن طلحة والزبير علياً في العمرة فأذن لهما،

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٤، سنة ٣٦.

فلحقا بمكّة، وأحبّ أهل المدينة أن يعلموا ما رأي عليّ في معاوية وانتقاضه، ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة، أيجسر عليه أو ينكل عنه؟ وقد بلغهم أنّ الحسن دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك النّاس ـ إلى أن قال ـ ودعا عليّ ابن الحنفية فدفع إليه اللواء، وولّى ابن عبّاس ميمنته وعمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان ميسرته، وأبا ليلى ابن أخي ابن عبيدة مقدمته، واستخلف على المدينة قثم بن عبّاس، ولم يولّ ممّن خرج على عثمان أحداً، وكتب إلى قيس بن سعد وإلى عثمان بن حنيف وإلى أبي موسى أن يندبوا النّاس إلى الشام، ودعا أهل المدينة إلى قتال أهل الفرقة، وقال: «إنّ الله بعث رسولاً هادياً مهدياً، بكتاب ناطق، وأمر قائم واضح، لا يهلك عنه إلّا هالك. وإنّ المبتدعات والشبهات هنّ المهلكات إلاّ من حفظ الله، وإنّ في سلطان الله عصمة أمركم، فأعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها، والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام، ثم لا ينقله إليكم أبداً حتّى يأرز الأمر إليها. انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يفرّقون جماعتكم، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الافاق، وتقضون الذي عليكم».

فبينا هم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكّة بنحو آخر وتمام على خلاف، فقام فيهم بذلك، فقال: «إنّ الله جعل لظالم هذه الأُمّة العفو والمغفرة، وجعل لمن لزم الأمر واستقام الفوز والنجاة، فمن لم يسعه الحقّ أخذ بالباطل. ألا وإنّ طلحة والزبير وأُمّ المؤمنين قد تمالؤوا على سخط إمارتي، ودعوا النّاس إلى الاصلاح، وسأصبر مالم أخف على جماعتكم. وأكفّ إن كفّوا وأقتصر على ما بلغني منهم».

ثمّ أتاه أنّهم يريدون البصرة لمشاهدة النّاس والإصلاح، فتعبّى للخروج إليهم وقال: إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين، وما كان عليهم

في المقام فينا مؤنة ولا إكراه. فاشتدّ على أهل المدينة الأمر فتثاقلوا، فبعثت إلى عبد الله بن عمر كميلاً النخعي فجاء به ـإلى أن قال ـ: فرجع ابن عمر إلى المدينة وهم يقولون: لا والله ماندري كيف نصنع؛ فإنّ هذا الأمر مشتبه علينا، ونحن مقيمون حتّى يضيء لنا ويسفر. فخرج تحت ليلته وأخبر أُم كلثوم بنت علي بالذي سمع من أهل المدينة، وإنّه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة عليّ ما خلا النهوض؛ وكان صدوقاً، فاستقرّ عندها، وأصبح عليّ فقيل له: حدث البارحة حدث هو أشدّ عليك من طلحة والزبير وأُم المؤمنين ومعاوية. قال: وما ذلك؟ قال: خرج ابن عمر إلى الشام، فأتى على السوق ودعا بالظهر، فحمل الرجال وأعد لكل طريق طلاباً وماج أهل المدينة، وسمعت أُم كلثوم بالذي هو فيه فدعت ببغلتها فركبتها في رحل ثم أتت علياً وهو واقف في السوق يفرّق الرجال في طلبه، فقالت: مالك لا تزند من هذا الرجل؟ إنّ الأمر على خلاف ما بلغته وحدثته؛ أنا ضامنة له. فطابت نفسه وقال: انصرفوا، لا والله ما كذبت ولا كذب، وإنّه عندي ثقة[1].

فمن أكاذيبه: أنّه عليه السلام لم يولِّ أحداً ممّن خرج على عثمان، ألم يولِّ محمّد بن أبي بكر والأشتر وهما ممّن خرج عليه قطعاً.

ومنها قوله: إنّ الحسن دخل عليه ودعاه إلى القعود؛ فقد عرفت كون ما نُسب إليه عليه السلام خلاف العقل.

ومنها قوله: كتب إلى قيس وعثمان بن حنيف وأبي موسى أن يندبوا النّاس إلى الشام، وإنّ ابن حنيف كان مبتلى بطلحة والزبير؛ وأبو موسى إنّما كتب إليه بندب أهل الكوفة إلى البصرة، وكان عليه السلام يومئذ مشغولاً بالبصرة فما يكتب إلى قيس.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٤ ـ ٤٤٦، سنة ٣٦، والنقل بتصرّف وتلخيص.

ومنها: ما نسبه إليه عليه السلام «ان الله جعل لظالم هذه الأمّة العفو والمغفرة»، هل الله ابن عمّ ظلمة هذه الأمّة حتى يجعل لهم العفو والمغفرة؟! وسيجزي الله المفترين. إلا أن أئمته وأشياعهم لمّا كانوا ظلمة؛ لابد أن يقول ذلك حتّى يصحّ ايتمامه بهم.

ومنها: قوله ـ وهو مضحك ـ انّه عليه السلام قال: إنّ طلحة والزبير وأُمهم دعوا النّاس إلى الإصلاح. فيُقال له: الإصلاح بين مَنْ ومَنْ؟ وإذا كانوا أرادوا الاصلاح فلابد أنّه عليه السلام أراد الإفساد! قبّح الله هذا الرجل مايدري ما يقول - وكذلك قوله: «ثمّ أتاه أنّهم يريدون البصرة لمشاهدة النّاس والإصلاح». فهل كان أهل المدينة نسناساً فأرادوا أن يخرجوا إلى البصرة حتّى يروا النّاس؟!

ومنها قوله: «إنّ أهل المدينة قالوا إنّ الأمر مشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيء لنا». فإنّه إنّما تخلّف عنه ـ باتفاق السير ـ سعد وابن عمر ومحمّد بن مسلمة والمغيرة معتذرين أنّ الأمر مشتبه علينا، وأمّا باقي النّاس فبايعوه شوقاً وعاونوه طوعاً.

ومنها: قوله «قيل له عليه السلام حدث حادث أشدّ عليك من طلحة والزبير وعايشة ومعاوية» فأي سفيه كان يتوهم ذلك؟ فإنّ الرجل لم يكن له قابلية أصلاً؛ ولذا زجر عمر من قال له: لِمَ لا تجعله ولي عهدك؟ وإنّما قال عليه السلام لعمّار، لمّا دعاه واعتذر: «دعه فإنّه ضعيف».

وأين هو من طلحة والزبير وكانا يعدّان أنفسهما فوق عمر؟ وأين وجاهته عند النّاس من عايشة؟ وأين هو من معاوية الذي كان في الدهاء آية وكان ذا سلطان، كان بيده الشام وكانوا يعبدونه؟ ومن المضحك أنه بدل قوله عليه السلام في ابن عمر بكونه ضعيفاً بقوله ثقة.

ومنها: قوله إنّ أمّ كلثوم دعت ببغلتها، فوضع هذا في مقابل ركوب

عايشة بغلتها لمنع دفن الحسن عليه السلام عند جدّه. وحينئذٍ فأي عبرة تبقى بما فيه؟ والكذّاب لا يصدق، إلّا إذا كان شاهد على صدقه، والدخيل لا يروج إلّا أن يستخرج غشّه. والرضي رحمه الله فعل ذلك هنا فأسقط قوله: «إنّ الله جعل لظالم هذه الأمّة العفو والمغفرة». وأسقط قوله: «ودعوا النّاس إلى الإصلاح».

قوله: «وإنّ المبدعات المشبهات» أي: بالسنن.

«من المهلكات» لأنّ الإنسان يغتر بها.

«إلاّ ما حفظ الله منها» هكذا في (المصرية)[1]، ولفظة (منها) زائدة لعدم وجودها في (ابن ميثم)[2]، وكذا في (المستند)؛ ومنه يظهر أنّ وجودها في نسخة من (ابن أبي الحديد) غير صحيحة[3].

«وإن في سلطان الله عصمة» أي: حفظ.

«لأمركم فأعطوه طاعتكم غير ملوّمة» هكذا في (المصرية)[4]، وقال (ابن ميثم) وفي نسخة (ملوية)[5]، وهو الأنسب مع أنّه كذا في (المستند).

«والله لتفعلن أو لينقلن عنكم سلطان الإسلام، ثم لا ينقله إليكم أبداً حتّى يأرز الأمر» أي: يجتمع وينضمّ، يُقال: «أرزت الحيّة إلى حجرها».

وقال الشاعر:

وقد أرزت من بردهنّ الأنامل

«إلى غيركم» قال ابن أبي الحديد: فإن قيل: كيف لم يعد إليهم وقد عاد بالخلافة العباسية؟ قلت: لأن الشرط ـ وهو عدم الطاعة ـ لم يقع. وقال قوم:

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٩٩.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٤ عند شرح فقرات الخطبة.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٥.

(٤) نهج البلاغة ٢: ٩٩.

(٥) شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٥.

خاطب الشيعة الطالبيّة فقال: إن لم تعطوني الطاعة المحضة نقل الخلافة عن هذا البيت حتّى ينضمّ إلى بيت آخر البيت العباسي[١].

قلت: عنده عليه السلام العبّاسية مع الأُموية سواء كالتيميّة والعدوية، والظاهر من السياق نقل سلطان الإسلام إلى غير المسلمين لقوله: «أو لينقلنّ سلطان الإسلام عنكم ثم لا ينقله إليكم أبداً».

فالظاهر كونه إشارة إلى الدولة الهلاكوية استأصلت الخلافة العباسية، وختم اسم الخلافة من العامّة، فإنهم قبلها يدّعون كون سلطنتهم الخلافة الإسلاميّة.

كما أنّ الظاهر أنّ المراد من قوله عليه السلام: «حتّى يأرز الأمر إلى غيركم» قيام المهديّ عليه السلام ودولة أهل بيته، فإنّ أهل بيته عليهم السلام كانوا من غير المخاطبين لاختلاف عقيدتهم معهم بأنّهم لمّا كانوا أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله يجب أن يكونوا خلفاءه، كما هو مقتضى العقل وجرت عليه الشرايع ﴿ذريّة بعضها من بعض...﴾[٢].

هذا ومن روايات سيف المجعولة: أنّ عليّاً خرج من المدينة في تعبيته التي تعبّا بها إلى الشام، لمّا بلغه إرادة طلحة والزبير الخروج إلى البصرة، يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج، فلقيه عبدالله بن سلام فأخذ بعنانه وقال: لا تخرج منها فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً. فسبّوه، فقال: دعوا الرجل، فنعم الرجل من أصحاب محمّد[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) آل عمران: ٣٤.

(٣) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٥٥، سنة ٣٦.

٦
الخطبة (١٧٢)

منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ آللّهِ صلى الله عليه وآله كما تُجَرُّ الأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى آلْبَصْرَةِ. فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ آللّهِ صلى الله عليه وآله لَهُمَا وَلِغَيْرِهِما فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَقَدْ أَعْطاني الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ؛ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا، وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ المُسْلِمينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طائِفَةً صَبْراً، وَطائِفَةً غَدْراً.

فَوَ آللّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنْ المُسلِمينَ إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً مُتَعَمِّدِينَ لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ آلْجَيْشِ كُلِّهِ؛ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ، دَعْ مَا إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ آلْمُسلِمينَ مِثْلَ آلْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

والخطبة (٢١٨)

ومن كلام له عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام :

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي بها وَخُزَّانِ بَيْتِ مالِ الْمُسلِمينَ الَّذِي في يَدَيَّ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي، وَعَلَى بَيْعَتِي ؛ فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَ أَفْسَدُوا عَلَيَّ جمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي فَقَتَلُوا طائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً، وَطَائِفةً منهم عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا، حَتَّى لَقُوا آللّهَ صَادِقِينَ.

أقول: قد ترى أن الثاني تكرار جزء من الأوّل، وإنّما زيد فيه فقرات، والأصل فيهما كتاب كتبه عليه السلام للناس ليُقرأ عليهم لمّا سألوه عن الثلاثة بعد فتح معاوية لمصر، رواه (خلفاء ابن قتيبة) و(غارات إبراهيم الثقفي) و(رسائل

الكليني) و(مسترشد ابن رستم الطبري).

ففي الأوّل: «فأوّل من بايعني طلحة والزبير، ولو أبيا ما أكرهتهما كما لم أُكره غيرهما، فما لبثا إلّا يسيراً حتّى قيل لي قد خرجا متوجهين إلى البصرة في جيش، ما منهم رجل إلّا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة، فقدما على عمّالي وخزّان بيت مالي وعلى أهل مصر كلّهم في طاعتي وعلى بيعتي، فشتّتوا كلمتهم وأفسدوا جماعتهم، ثم وثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة صبراً وطائفة غدراً.

ومنهم طائفة غضبوا لله فشهروا سيوفهم وضربوا بها، حتّى لقوا الله عزّوجلّ صادقين، والله لو لم يصيبوا منهم إلّا رجلاً واحداً متعمّدين لقتله لحل لي بذلك قتل الجيش كلّه، مع أنّهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدّة التي دخلوا بها عليهم، وقد أدال الله منهم ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾[1]. ـ ومثله الثاني[2] ـ.

وفي الثالث: فأي خطيئة أعظم ممّا أتيا؟ إخراجهما زوجة رسول الله ﷺ من بيتها فكشفا عنها حجاباً ستره الله عليها، وصانا حلائلهما في بيوتهما ـ إلى أن قال ـ: ثمّ أتوا البصرة وأهلها مجتمعون على بيعتي وطاعتي، وبها شيعتي خزّان بيت مال الله ومال المسلمين ـ إلى أن قال ـ: وقتلوا شيعتي؛ طائفة صبراً وطائفة غدراً وطائفة عضوا بأسيافهم حتّى لقوا الله، فوالله لو لم يقتلوا إلّا رجلاً وأحداً لحلّ لي به دماؤهم ودماء ذلك الجيش لرضائهم بقتل من قتل، دع مع أنهم قد قتلوا أكثر من العدة التي قد دخلوا بها عليهم، وقد أدال الله منهم ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾.

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥٦ والآية ٤١ من سورة المؤمنون.

(٢) الغارات ١: ٣١١.

فأما طلحة فرماه مروان بسهم فقتله...[١] ومثله الرابع[٢].

قول المصنّف في الأوّل: «منها في ذكر أصحاب الجمل» قال ابن أبي الحديد: قال أبو مخنف: حدّثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس: أن الزبير وطلحة أغذّا السير بعايشة حتّى انتهوا إلى حفر أبي موسى ـ قريب البصرة ـ فكتبا إلى عثمان بن حنيف عامل عليّ عليه السلام أن أخل لنا دار الامارة. فلمّا وصل كتابهما إليه، بعث إلى الأحنف فقال له: إنّ هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة النّبيّ صلى الله عليه وآله والنّاس إليها سراع.

فقال الأحنف انّهم جاؤوك بها للطلب بدم عثمان، وهم الذين ألّبوا على عثمان النّاس وسفكوا دمه، وأراهم والله لا يزالونا حتّى يلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دماءنا. وأظنهم والله سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة، فإنّك اليوم الوالي عليها وأنت فيهم مطاع، فسر إليهم بالناس وبادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة، فيكون النّاس لهم أطوع منك لك. فقال عثمان بن حنيف: الرأي ما رأيت لكني أكره أن أبدأهم وأرجو العافية والسلامة، إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين عليه السلام ورأيه فأعمل به.

ثم أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة من بني عمرو بن وديعة فأقرأه كتاب طلحة والزبير، فقال له حكيم مثل قول الأحنف وأجابه بمثل جوابه للأحنف، فقال له حكيم: فائذن لي حتّى أسير إليهم بالناس، فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام وإلّا فأنابذهم على سواء. فقال له: لو كان ذلك رأيي لسرت إليهم بنفسي.

---

(١) رسائل الكيني.

(٢) مسترشد الطبريّ.

قال حكيم: أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لتنقلن قلوب كثير من النّاس إليهم، وليزيلنك عن مجلسك هذا وأنت أعلم. فأبى عليه عثمان، وكتب عليّ عليه السلام إلى عثمان لمّا بلغه مشارفة القوم البصرة: «إنّ البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا إلى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به، والله أشد بأساً وأشد تنكيلا؛ فان أقدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ماداموا عندك، وإن أبوا إلّا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم حتّى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين. وكتبت إليك كتابي هذا من الربذة وأنا معجل المسير إليك إن شاء الله.

فلمّا وصل الكتاب إلى عثمان أرسل إلى أبي الأسود وعمران بن حصين الخزاعي فأمرهما أن يسيرا حتّى يأتياه بعلم القوم، فانطلقا حتّى إذا أتيا حفر أبي موسى وبه معسكر القوم، فدخلا على عايشة فسألاها ووعظاها، فقالت لهما: القيا طلحة والزبير. فقاما من عندها ولقيا الزبير فكلّماه، فقال لهما: إنّا جئنا للطلب بدم عثمان، وندعو النّاس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى ليختار النّاس لأنفسهم. فقالا له: إنّ عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها، وأنت تعلم قتلة عثمان من هم وأين هم وإنّك وصاحبك وعايشة كنتم أشد النّاس عليه وأعظمهم إغراءً بدمه، فأقيدوا من أنفسكم.

وأمّا إعادة أمر الخلافة شورى؛ فكيف وقد بايعتم علياً عليه السلام طائعين غير مكرهين، وأنت لم تبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات النّبيّ صلى الله عليه وآله، وأنت آخذ قائم سيفك تقول: ما أحد أحقّ بالخلافة منه ولا أولى بها منه، امتنعت من بيعة أبي بكر، فأين ذلك الفعل من هذا القول؟! فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة، فقاما إلى طلحة فوجداه خشن اللمس شديد العريكة، قوي العزم

في إثارة الفتنة واضرام نار الحرب. فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه. وقال له أبو الأسود:

يابن حنيف قد أتيت فانفرِ وطاعنِ القوم واجلد واصبِرِ
وابرز لهم مستلئماً وَشَمِّرِ

فقال ابن حنيف: أي والحرمين لأفعلنّ. وأمر مناديه فنادى في النّاس: السلاحَ السلاحَ. فاجتمعوا إليه.

وقال أبو الأسود:

أتينا الزبير فداني الكلا م وطلحة كالنجم أو أبعدُ
وأحسنُ قوليهما فادحٌ يضيق به الخطب مستنكدُ
وقد أوعدونا بجهد الوعيـ ـدِ فأهون علينا بما أوَعدُوا
فقلنا ركضتم ولن تُرْمِلوا وأصدرتمُ قبل أن تُورِدُوا
وإن تلقحوا الحرب بين الرجا ل فملقحها حدّه الأنكَدُ
وإنّ عليّاً لكم مصحِرٌ ألا إنَّه الأسد الأسودُ
أما إنّه ثالث العابديـ ـنَ بمكّة والله لا يُعبدُ
فرخّوا الخناق ولا تعجلوا فإنّ غداً لكمُ موعدُ

وأقبل القوم، فلمّا انتهوا إلى المربد، قام رجل من بني جشم فقال: أيّها النّاس إن كان هؤلاء أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان الذي يأمن فيه الطير والوحش والسباع، وإن كانوا أتوكم بطلب دم عثمان فغير وليّ قتله فأطيعوني.

أيّها النّاس ردّوهم من حيث أقبلوا، فإنكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء التي لا تبقي ولا تذر. فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك، واجتمع أهل البصرة بالمربد حتّى ملؤوه مشاةً وركباناً،

فقام طلحة فأشار إلى النّاس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد، فقال: أما بعد، فإن عثمان كان من أهل السابقة والفضيلة، ومن المهاجرين الأوّلين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ونزل القرآن ناطقاً بفضلهم، وأحد أئمّة المسلمين الوالين عليكم بعد أبي بكر وعمر صاحبي النّبيّ، وقد كان أحدث أحداثاً نقمناها عليه، فأتيناه فاستعتبناه فأعتبنا، فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأمّة أمرها غصباً بغير رضى منها ولا مشورة، فقتله وساعده على ذلك قوم غير أتقياء ولا أبراء؛ فقتل محرماً بريئاً تائباً. وقد جئناكم أيّها النّاس نطلب بدم عثمان، وندعوكم إلى الطلب بدمه، فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به وجعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين، وكانت خلافة رحمة للأمّة جميعاً، فإن كلّ من أخذ الأمر من غير رضى من العامة ولا مشورة منها ابتز. كان ملكه ملكاً عضوضاً وحدثاً كبيراً.

ثمّ قام الزبير فتكلّم بمثل كلام طلحة، فقام إليهما ناس من أهل البصرة، فقالوا لهما: ألم تبايعا عليّاً فيمن بايعه، ففيم بايعتما ثم نكثتما؟! فقالا: ما بايعناه ولا لأحد في أعناقنا بيعة، وإنّما استكرهنا على بيعته. فقال ناس: قد صدقا وأحسنا القول وقطعا بالصواب.

وقال ناس: ما صدقا ولا أصابا. حتّى ارتفعت الأصوات، ثم أقبلت عايشة على جملها فنادت بصوت مرتفع: أيّها النّاس أقلّوا الكلام واسكتوا. فأسكت النّاس لها، فقالت: إن أمير المؤمنين عثمان غيّر وبدّل، ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتّى قُتل مظلوماً تائباً، وإنّما نقموا عليه ضربه بالسوط وتأميره الشبّان وحمايته موضع الغمامة فقتلوه محرماً، في حرمة الشهر وحرمة البلد ذبحاً كما يذبح الجمل. ألا وإن قريشاً رمت غرضها بنبالها وأدمت أفواهها بأيديهما، وما نالت بقتلها إيّاه شيئاً، ولا سلك به سبيلاً قاصداً.

أما والله ليرونها بلايا عقيمة تنبه النائم وتقيم الجالس، وليسلّطنّ عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب.

أيّها النّاس ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحلّ به دمه مصصتموه كما يماص الثوب الرخيص، ثم عدوتم عليه قتلتموه بعد توبة وخروجه من ذنبه، وبايعتم ابن أبي طالب بغير مشورة من الجماعة، ابتزازاً وغصباً؛ أتراني أغضب لكم من سوط عثمان ولسانه ولا أغضب لعثمان من سيوفكم، ألا إنّ عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر، ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان.

فماج النّاس واختلطوا، فمن قائل يقول: القول ما قالت. ومن قائل يقول: وما هي وهذا الأمر؟ إنّما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها. وارتفعت الأصوات وكثر اللغط حتّى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصباء.

ثمّ إن النّاس تمايزوا فصاروا فريقين؛ فريق مع عثمان بن حنيف، وفريق مع عايشة وأصحابها. فلمّا أقبل طلحة والزبير من المربد يريدان ابن حنيف وجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضوا حتّى انتهوا إلى موضع الدبّاغين، فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف، فشجرهم طلحة والزبير وأصحابهما بالرماح، فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل وأصحابه يقاتلونهم حتّى أخرجوهم من جميع السكك، ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة، فأخذوا إلى مقبرة بني مازن فوقفوا بها مليّاً حتّى ثابت إليهم خيلهم، ثم أخذوا على مسناة البصرة حتّى انتهوا إلى الرابوقة، ثم أتو سبخة دار الرزق فنزلوها، وأتاهما عبدالله بن حكيم التهمي لمّا نزلا السبخة بكتب كانا كتباها إليه، فقال لطلحة: أما هذه كتبك إلينا؟ قال بلى. قال: فكتبت أمس

تدعونا إلى خلع عثمان وقتله، حتّى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه؛ فلعمري ما هذا رأيك؛ لا تريد إلّا هذه الدّنيا، مهلاً إذا كان هذا رأيك فلِمَ قبلت من عليّ عليه‌السلام ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعاً راضياً ثم نكثت بيعته، ثم جئت لتدخلنا في فتنتك؟!

فقال: إن عليّاً دعاني إلى بيعته بعدما بايعه النّاس، فعلمت أنّي لو لم أقبل ما عرضه عليَّ لم يتم لي، ثم يغرى بي من معه.

ثم أصبحا من غد فصفّا للحرب، وخرج ابن حنيف إليهما فناشدهما الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما عليّاً عليه‌السلام، فقالا: نحن نطلب بدم عثمان. فقال لهما: وما أنتما وذاك، أين بنو عمّه الذين هم أحقّ به منكم؟ كلا والله ولكنّكما حسدتماه حيث اجتمع النّاس عليه، وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له، وهل كان أحد أشد على عثمان قولاً منكما؟ فشتماه شتماً قبيحاً وذكرا أُمّه.

فقال للزبير: أما والله لولا صفية ومكانها من النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فانّها أدنتك إلى الظل، وإن الأمر بيني وبينك يا بن صعبة ـ يعني طلحة ـ أعظم من القول، لأعلمنكما من أمركما ما يسوؤكما، اللهمّ إني قد أعذرت إلى هذين الرجلين. ثم حمل عليهم واقتتل النّاس قتالاً شديداً، ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب: هذا ما اصطلح عليه ابن حنيف ومن معه من شيعة أميرالمؤمنين عليّ عليه‌السلام وطلحة والزبير ومن معهما من المسلمين من شيعتهما، إن لابن حنيف دار الامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر، وإن لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاؤوا من البصرة، لا يضار بعضهم بعضاً في طريق ولا فرضة ولا سوق ولا شريعة ولا مرفق حتّى يقدم أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام، فإن أحبوا دخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة، وإن أحبوا لحق كل قوم بهواهم من قتال وسلم وخروج وإقامة. وعلى الفريقين بما كتبوا

عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على نبي من أنبيائه من عهد وذمة.

وختم الكتاب، ورجع ابن حنيف حتّى دخل دار الامارة وقال لأصحابه: الحقوا رحمكم الله بأهلكم وضعوا سلاحكم وداووا جرحاكم. فمكثوا كذلك أيّاماً.

ثم انّ طلحة والزبير قالا: إن قدم عليّ ونحن على هذه الحال من القلّة والضعف بأعناقنا. فأجمعا على مراسلة القبائل واستمالة العرب، فأرسلا إلى وجوه النّاس وأهل الرياسة والشرف يدعونهم إلى الطلب بدم عثمان وخلع عليّ عليه السلام وإخراج ابن حنيف من البصرة، فبايعهم على ذلك الأزد وضبة وقيس عيلان كلّها، إلّا الرجل والرجلين في القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم. وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم، فجاءه طلحة والزبير إلى داره فتوارى عنهما، فقالت له أمّه: ما رأيت مثلك، أتاك شيخا قريش فتواريت عنهما! فلم تزل به حتّى ظهر لهما وبايعهما، ومعه بنو عمرو بن تميم كلّهم وبنو حنظلة، إلّا بني يربوع فإنّ عامّتهم كانوا شيعة لعليّ عليه السلام، وبايعهم بنو دارم كلّهم إلّا نفراً من بني مجاشع ذوي دين وفضل. فلمّا استوسق لطلحة والزبير أمرهما، خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب، فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر وقد سبقهم ابن حنيف وأُقيمت الصلاة، فتقدّم ابن حنيف ليصلّي بهم فأخّره أصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير، فجاءت السبابجة، وهم الشرط حرس بين المال فأخّروا الزبير وقدموا ابن حنيف، فغلبهم أصحاب الزبير فقدّموه.

-إلى أن قال-: فلمّا انصرف الزبير من صلاته صاح بأصحابه المتسلحين أن خذوا ابن حنيف. فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بسيفيهما، فلمّا أُسر ضُرب ضَرب الموت، ونتف حاجباه وأشفار عينيه وكل

شعره في رأسه ووجهه وأخذوا السبابجة ـ وهم سبعون رجلاً ـ فانطلقوا بهم وبابن حنيف إلى عايشة؛ فقالت لأبان بن عثمان: اخرج إليه فاضرب عنقه، فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله. فنادى عثمان: يا عايشة ويا طلحة ويا زبير إنّ أخي سهل بن حنيف خليفة عليّ بن أبي طالب على المدينة، وأُقسم بالله إن قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم فلا يُبقي منكم أحداً. فكفّوا عنه وخافوا أن يوقع سهل بعيالاتهم وأهاليهم بالمدينة، فتركوه. وأرسلت عايشة إلى الزبير أن اقتل السبابجة، فإنّه قد بلغني الذي صنعوا بك، فذبحهم الزبير ـ والله ـ كما يذبح الغنم، ولي ذلك ابنه عبدالله ـ وهم سبعون رجلاً ـ وبقيت منهم طائفة متمسكين ببيت المال، وقالوا: لا ندفعه إليكم حتّى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام، فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً فأوقع بهم، وأخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً.

وحدّثنا الصقعب قال: كانت السبابجة القتلى يومئذ أربعمائة رجل، فكان غدر طلحة والزبير بابن حنيف أوّل غدر كان في الإسلام. وكان السبابجة أوّل قوم ضُربت أعناقهم من المسلمين صبراً، وخيّروا ابن حنيف بين أن يُقيم أو يلحق بعليّ، فاختار الرحيل، فخلوا سبيله فلحق بعلي عليه السلام، فلمّا رآه بكى وقال له: فارقتك شيخاً وجئتك أمرد. فقال عليّ عليه السلام: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ـ ثلاثاً ـ.

فلمّا بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف، خرج في ثلاثمائة من عبد القيس مخالفاً لهم ومنابذاً، فخرجوا إليه وحملوا عايشة على جمل، فسمّي ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر، ويوم عليّ عليه السلام يوم الجمل الأكبر، وتجالد الفريقان بالسيوف، فشدّ رجل من الأزد من عسكر عايشة على حكيم بن جبلة فضرب رجله فقطعها، ووقع الأزدي عن فرسه فجثا حكيم

فأخذ رجله فرمى بها الأزدي فصرعه، ثم دب إليه فقتله متكئاً عليه حتّى زهقت نفسه، فمر رجل بحكيم وهو يجود بنفسه فقال: من فعل بك كذا، قال: وسادي، فنظر فإذا الأزدي تحته.

وكان حكيم شجاعاً مذكوراً، وقتل مع حكيم إخوة له ثلاثة، وقتل أصحابه كلّهم وهم ثلاثمائة من عبد القيس والقليل منهم من بكر بن وائل، فلمّا صفت البصرة لطلحة والزبير بعد قتل حكيم وأصحابه وطرد ابن حنيف، اختلفا في الصلاة وأراد كلّ واحد منهما أن يؤم بالناس، وخاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليماً أو رضى بتقدمه، فأصلحت بينهما عايشة بأن جعلت عبدالله بن الزبير ومحمّد بن طلحة يصلّيان بالنّاس هذا يوماً وهذا يوماً. ثم دخلا بيت مال البصرة، فلمّا رأوا ما فيه من الأموال قال الزبير: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه...﴾[1]، فنحن أحقّ بها من أهل البصرة. فأخذوا ذلك المال، فلمّا غلب عليّ عليه السلام رد تلك الأموال إلى بيت المال وقسّمها في المسلمين[2].

قلت: وروى قريباً منه مع زيادة ونقصان المفيد في (جملة) عن أبي مخنف وابن دأب والواقدي والمدائني[3].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: كان القسم بن محمّد بن يحيى بن طلحة الملقّب أبا بعرة ولى شرطة الكوفة لعيسى بن موسى العبّاسي، وكان كلّم إسماعيل بن جعفر الصادق بكلام خرجا فيه إلى المنافرة، فقال القسم: لم يزل فضلنا وإحساننا سابغاً عليكم يا بني هاشم خاصّة وعلى بني عبد مناف كافّة.

---

(١) الفتح : ٢٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣١١ ـ ٣٢٣، والنقل بتصرّف وتلخيص.

(٣) الجمل للمفيد: ٢٧٣ ـ ٢٨٦.

فقال إسماعيل: أي فضل وإحسان أسديتموه إلى بني عبدمناف؟ أغضب أبوك جدّي بقوله: «ليموتن محمّد ولنجولن بين خلاخيل نسائه كما جال بين خلاخيل نسائنا» فأنزل الله تعالى مراغمة لأبيك: ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾[1]، ومنع ابن عمّك أُمّي حقّها من فدك وغيرها من ميراث أبيها، وأجلب أبوك على عثمان وحصره حتّى قتل، ونكث بيعة عليّ عليه السلام وشام السيف في وجهه، وأفسد قلوب المسلمين عليه، فإن كان لبني عبدمناف قوم غير هؤلاء أسديتم إليهم إحساناً فعرّفني مَن هم جعلت فداك[2].

قلت: وفي (تاريخ بغداد): دخل أبو بكر بن عيّاش على موسى بن عيسى وهو على الكوفة وعنده عبدالله بن مصعب الزبيري، فأدناه ودعا له بتكاء فاتكأ وبسط رجله، فقال عبدالله بن مصعب لموسى: مَن هذا الذي دخل ولم نستأذن له ثم اتكأته وبسطته؟ قال: هذا فقيه الفقهاء، والرأس عند أهل البصرة، أبو بكر بن عيّاش. فقال: فلا كثير ولا طيب ولا مستحق لكل ما فعلته به.

فقال ابن عيّاش: أيّها الأمير من هذا الذي سأل عنّي بجهل ثم تتابع في جهله بسوء قول وفعل؟ فنسبه له، فقال له ابن عيّاش: اسكت مسكتاً؛ فبأبيك غدر ببيعتنا، وبقول الزور خرجت أُمّنا، وبابنه هدّمت كعبتنا، وبك أحرى ان يخرج الدجال فينا.

فضحك موسى حتّى فحص برجله، وقال للزبيري: أنا والله أعلم أنّه يحوط أهلك وأباك ويتولّاه ولكنّك مشؤوم على آبائك[3].

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٣) تاريخ بغداد ١٤: ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

قوله عليه السلام في الأوّل: «فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تجرّ الأمة عند شرائها، متوجهين بها إلى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما» في (الطبري): أقبل جارية بن قدامة السعدي إلى عايشة يوم الجمل فقال لها: لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنّه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك، إنّه من رأى قتالك يرى قتلك، إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس.

وخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير وقال: أمّا أنت يا زبير فحواري النّبيّ صلى الله عليه وآله، وأما أنت يا طلحة فوقيت النّبيّ بيدك، وأرى أُمّكما معكما فهل جئتما بنسائكما؟ قالا: لا، قال: فما أنا منكما في شيءٍ، واعتزل وقال:

صنتم حلائلكم وقدتم امّكم ... هذا لعمرك قلّة الإنصاف

أمرت بجر ذيولها في بيتها ... فهوت تشق البيد بالايجاف

غرضاً يقاتل دونها أبناؤها ... بالنبل والخطّيّ والأسياف

هتكت بطلحة والزبير ستورها ... هذا المخبر عنهم والكافي[1]

هذا، وفي (الأغاني): كانت بالمدينة قينة لآل نفيس يُقال لها بصيص، وكان مولاها صاحب قصر نفيس الذي يقول فيه الشاعر:

شاقني الزائرات قصر نفيس ... مثقلاتِ الأعجاز قُبّ البطون

وكان تأتيها فتيان من قريش فيستمعون منها، ويأتيها عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير، وحجّ المنصور ومر بالمدينة في منصرفه، فقال عبدالله بن مصعب:

أراحل أنت أبا جعفرٍ ... من قبل أن تسمع مِن بَصبصا

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٦٥، سنة ٣٦.

هيهات أن تسمع منها إذا جاوزت العيشُ بك الأعوصا
فخذ عليها مجلسي لذّةٍ ومجلساً من قبل أن تشخصا
أحلف بالله يميناً وَمن يحلف بالله فقد أخلصا
لو أنّها تدعو إلى بيعة بايعتها ثمّ شققت العصا

فبلغ ذلك المنصور فغضب، ودعا به وقال له: أمّا إنكم يا آل الزبير قديماً قادتكم النساء وشققتم معهنّ العصا حتّى صرت أنت آخر الحمقى تبايع المغنّيات، فدونكم آل الزبير وهذا المرتع الوخيم[1].

«في جيش ما منهم رجل إلّا وقد أعطاني الطاعة وسمح» أي: جاد.

«لي بالبيعة طائعاً غير مكره» حتّى مروان بن الحكم، وجيشهما وإن كان مقدار منهم من مكّة ومقدار منهم من البصرة، وهم لم يحضروا بيعته عليه السلام، إلّا أنّ عمّاله عليه السلام كانوا أخذوا منهم البيعة.

قوله عليه السلام في الأوّل: «فقدموا على عاملي بها وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها» وفي الثاني: «فقدموا على عمّالي وخزّان بيت مال المسلمين الذي في يدي وعلى أهل مصر كلّهم في طاعتي وعلى بيعتي» في (فتوح البلاذري): كانت جماعة من السبابجة موكلين بيت مال البصرة، يقال إنّهم أربعون، ويُقال أربعمائة، فلمّا قدم طلحة والزبير البصرة وعليها من قبل عليّ عليه السلام عثمان بن حنيف، فأبوا أن يسلموا بيت المال إلى قدوم عليّ عليه السلام، فأتوهم في السحر فقتلوهم، وكان عبدالله بن الزبير المتولّي لأمرهم في جماعة تسرعوا إليهم معه، وكان على السبابجة يومئذ أبو سالمة الزطي وكان رجلاً صالحاً[2].

---

(١) الأغاني ١٥: ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) فتوح البلدان: ٣٦٩ في ذكر أمر الأساوة والزط.

وقد عرفت من رواية أبي مخنف أنّ قتل ابن الزبير كان بطلب أمّ مؤمنيهم ذلك.

هذا، وفي (الصحاح): السبابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحرّاس السجن[1].

وهو كما ترى فإنهم كانوا خزّان بيت المال لا حرّاس السجن.

قوله عليه السلام فيه: «فشتّتوا كلمتهم وأفسدوا عليّ جماعتهم، ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً» وفي الأوّل: «فقتلوا طائفة صبراً وطائفة غدراً» أمّا الذين قتلوا غدراً فهم على رواية أبي مخنف المتقدّمة السبعون من السبابجة، كانوا نصروا ابن حنيف فغدروا بهم في غدرهم بابن حنيف، فذبحهم ابن الزبير من قبل أبيه بطلب أمّهم كما يذبح الغنم، وأمّا الذين قتلوهم صبراً فهم الذين أبوا تسليم بيت المال وهم خمسون في قول وأربعمائة في آخر.

ومرّ خبر أبي مخنف في أن غدر طلحة والزبير كان أوّل غدر في الإسلام، وقتل أولئك صبراً أول قتل في الإسلام صبراً.

قلت: وغدرهم كان مترتباً على أوّل غدر في الإسلام، وهو غدرهم بصاحب الغدير، وقد أخبره النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك في قوله: إنّ الأمّة ستغدر بك بعدي.

قول المصنّف في الثاني: «ومن كلام له» هكذا في (المصرية)[2] و(ابن أبي الحديد)[3]، ولكن في (ابن ميثم): «ومن هذا الكلام»[4] وفي (الخطيّة): «ومنه».

---

(١) الصحاح ١: ٣٢١، مادة: (سبج).

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢٢٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢١.

(٤) في شرح ابن ميثم ٤: ٥٠: ومن كلام له عليه السلام أيضاً.

قوله عليه السلام في الثاني: «وطائفة منهم» هكذا في (المصرية)[١]، وكلمة (منهم) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٢].

«عضوا على أسيافهم فضاربوا بها حتّى لقوا الله صادقين» المراد بهم من قتل يوم الجمل الأصغر، خروج حكيم بن جبلة مع ثلاثة إخوة له وثلاثمائة أكثرهم من عشيرته عبد القيس وجهادهم معهم حتّى قتلوا عن آخرهم.

قوله عليه السلام في الأوّل: «فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلّا رجلاً واحداً معتمّدين» أي: قاصدين لقتله.

«بلا جرم جرّه لحل لي قتل ذلك الجيش كله» فإنّ جميع النّاس لو اشتركوا في قتل واحد جاز قتل الجميع، والجيش وإن لم يشترك جميعهم في قتل من قتل، بل ابن الزبير وعدّة أو هو وحده، إلّا انّه لمّا كان ذلك بقوّة باقي الجيش مع عدم إنكارهم ودفاعهم كما قال عليه السلام:

«إذ حضروه فلم ينكروه ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد» هكذا في (المصرية)[٣]، والصواب: «ولا يد» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٤] كان كاشتراكهم.

«دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم» يعني إذا كان قتل جميع الجيش حلالاً لقتل واحد عمداً، كيف لا يحل قتلهم لمثل تلك العدّة التي قتلوها؛ خزّان بيت المال كانوا أربعمائة على رواية أبي مخنف عن الصقعب، وأصحاب حكيم بن جبلة كانوا ثلاثمائة.

وفي رواية (رسائل الكليني): فدعوا النّاس إلى معصيتي ونقض بيعتي،

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٢٢٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢١، ولكن في شرح ابن ميثم ٤: ٥٠: طائفة منهم أيضاً.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٠٤.

(٤) في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٠٩ وشرح ابن ميثم ٣: ٣٣١: ولا بيدٍ أيضاً.

فمن أطاعهم أكفروه ومن عصاهم قتلوه، فناجزهم حكيم بن جبلة فقتلوه في سبعين رجلاً من عبّاد أهل البصرة ومخبتيهم يسمّون المثفنين، كأنّ راح أكفّهم ثفنات الإبل. وأبى أن يبايعهم يزيد بن حارث اليشكري فقال: اتقيا الله، إن أوّلكم قادنا إلى الجنّة، فلا يقودنا آخركم إلى النار، فلا تكلفونا أن نصدق المدعي ونقضي على الغائب. أما يميني فشغلها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهذه شمالي فارغة فخذاها إن شئتما. فخنق حتّى مات.

وقام عبدالله بن حكيم التميمي فقال: يا طلحة هل تعرف هذا الكتاب، ألك؟ قال: نعم ـ فإذا فيه عيب عثمان والدعاء إلى قتله ـ فسيّره من البصرة، وأخذوا عاملي عثمان بن حنيف الأنصاري غدراً فمثلوا به كل مثلة ونتفوا كلّ شعرة في رأسه ووجه...[1].

وأمّا عدّة طلحة والزبير وعايشة التي دخلوا بها البصرة، ففي (الطبري): في اسناد عن الزهري أنّهم خرجوا من مكّة في سبعمائة رجل من أهل المدينة ومكة، ثمّ لحقهم النّاس حتّى كانوا ثلاثة آلاف[2].

هذا وفي (صفين نصر): أنّه عليه السلام لمّا ورد الكوفة بعد فتح البصرة قام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي ـ وكان ممّن تخلّف عنه عليه السلام ـ فقال: أرأيت القتلى حول عايشة وطلحة والزبير بِمَ قتلوا؟ فقال عليه السلام: قتلوا شيعتي وعمّالي، وقتلوا أخا ربيعة العبدي رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين، قالوا لهم لا ننكث كما نكثتم ولا نغدر كما غدرتم، فوثبوا عليهم فقتلوهم، فسألتهم أن يدفعوا إليَّ قتلة إخواني أقتلهم بهم، ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم، فأبوا عليَّ فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي، ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي فقتلتهم

(١) رسائل الكليني.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٥٢، سنة ٣٦.

بهم. أفي شكّ أنت من ذلك؟ فقال: قد كنت في شك، فأمّا الآن فقد استبان لي خطؤهم، وإنّك أنت المهدي المصيب[١].

٧
الكتاب (٥٧)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذَا إِمَّا ظَالِماً وَإِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا بَاغِياً وَإِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ، وَإِنِي أُذَكِّرُ اللّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي.

أقول: روى هذا الكتاب أبو مخنف في (جمله)، وقد نقله (ابن أبي الحديد) في شرح كتابه الأوّل، روى: أنّه عليه السلام لمّا نزل الربذة بعث هاشم بن عتبة إلى أبي موسى، فتوعده أبو موسى، فكتب هاشم إليه عليه السلام بذلك، فبعث عليه السلام ابن عبّاس ومحمّد بن أبي بكر إلى أبي موسى فأبطآ عنه عليه السلام، فرحل عن الربذة إلى ذي قار وبعث منها الحسن عليه السلام وعمّاراً وزيد بن صوحان وقيس بن سعد بن عبادة، وكتب معهم هذا الكتاب. ولقد حكى مضمونه الحسن عليه السلام وعمّار لأهل الكوفة[٢].

ففي (الطبري): أنّه عليه السلام كتب مع الحسن وعمّار إلى أبي موسى باعتزاله، وولاية قرظة بن كعب مكانه، ولمّا دخل الحسن عليه السلام وعمّار مسجد الكوفة قالا: أيّها النّاس إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّي خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، وإنّي أذكّر الله رجلاً دعي لله حقاً إلّا نفر، فإن كنت مظلوماً

---

(١) وقعة صفّين: ٤ ـ ٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٩ ـ ١١.

أعانني، وإن كنت ظالماً أخذ منّي. والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني وأوّل من غدر، فهل استأثرت بمال أو بدلت حكماً؟ فانفروا، فمروا بمعروف، وانهوا عن منكر[١].

وإنّما كتب عليه السلام إلى أهل الكوفة هذا الكتاب لأن أبا موسى كان يأمرهم بالتقاعد، ويقول لهم: «هذه فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب. اغمدوا سيوفكم وانصلوا أسنّتكم، واقطعوا أوتار قسيّكم حتّى يلتئم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة. وإنّي سمعت ذلك من النّبيّ»[٢].

قول المصنّف: «ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة» قد عرفت من خبر أبي مخنف أنّه كان من ذي قار.

قوله: «أمّا بعد فإنّي خرجت من حيي هذا» هكذا في (المصرية)[٣] وفي (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤]: «عن حيي هذا». ثم «حيي» في كل النسخ، قال ابن أبي الحديد: معناه منزلي[٥]. وقال ابن ميثم: قبيلتي[٦].

وأقول: «من حيي» أو «عن حيي» تصحيف من الرضي رحمه الله، والأصل (مخرجي). فمستنده، وهو كتاب أبي مخنف «فاني خرجت مخرجي هذا»[٧].

ومرّ أيضاً: نقل الحسن عليه السلام وعمّار رضي الله عنه كلامه عليه السلام لأهل الكوفة بلفظ

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٤٨٦ ـ ٤٨٧، سنة ٣٦.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٢٥.

(٤) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٠، ولكن في شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣ : من حيّي أيضاً.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٠.

(٦) شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ١١.

(مخرجي) ولا يخفى قربهما خطأ فاشتبه عليه.

«امّا ظالماً وامّا مظلوماً، وامّا باغياً وامّا مبغياً عليه» فإن من خرج لقتال لابد أن يكون من أحدهما.

«وإنّي» هكذا في (المصرية)[1]، والصواب: (وانا)، كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[2] والخطية).

«أُذكِّر الله» الله مفعول ثان قدّم للأهميّة.

«من» مفعول أوّل.

«بلغه كتابي هذا لما» قال ابن أبي الحديد: «لمّا» بمعنى إلّا كقوله تعالى: ﴿إن كل نفس لمّا عليها حافظ﴾[3]، وقال[4] ابن ميثم: لمّا مشددة بمعنى إلّا ومخففة، و(ما) زائدة دخل عليها لام التأكيد أي: لينفرن إليَّ[5].

قلت: كون لمّا بمعنى إلّا إن ثبت، شرطه تقدّم (ان) نفي وليس في كلامه عليه السلام فتعيّن الثاني.

«نفر» أي: شخص.

«إليَّ فإن كنت محسناً أعانني» وروى الطبري عن محمّد بن الحنفية قال: أقبلنا من المدينة بسبعمائة رجل، وخرج إلينا من الكوفة سبعة آلاف، وانضمّ إلينا من حولنا ألفان، أكثرهم بكر بن وائل ـ ويُقال ستة آلاف[6].

وعن أبي الطفيل قال عليّ عليه السلام: يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٢٥.

(٢) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٠، ولكن في شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣ : وإنّي أيضاً.

(٣) الطارق: ٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٠.

(٥) شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٦، سنة ٣٦.

ورجل، فقعدت على نجفة ذي قار، فأحصيتهم فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً[١].

«وإن كنت مسيئاً استعتبني» أي: طلب رجوعي.

في (خلفاء ابن قتيبة): قال عمّار لأهل الكوفة: أيّها النّاس إنّ أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين، وما صدق فيما قال وما رضي الله عن عباده بما قال، قال عزّ وجل: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله فإن فاءَت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إنّ الله يحب المقسطين﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله...﴾[٣]، فلم يرض من عباده بما ذكره أبو موسى، من أن يجلسوا في بيوتهم ويخلّوا النّاس فيسفك بعضهم دماء بعض، فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم وانظروا من أولى بالنصر فاتّبعوه، فإن أصلح الله أمرهم رجعتم مأجورين، وقد قضيتم حق الله، وإن بغى بعضهم على بعض، نظرتم إلى الفئة الباغية فقاتلتموها حتّى تفيء إلى أمر الله كما أمركم الله وافترض عليكم[٤].

وروى (جمل أبي مخنف): أنّ عمّاراً قال لأبي موسى: أما إنّي أشهد أنّ رسول الله ﷺ أمر علياً بقتال النّاس، وسمّى له فيهم من سمّى، وأمرهم بقتال القاسطين وإن شئت لأقيمن لك شهوداً يشهدون أنّ النّبيّ ﷺ إنّما نهاك

(١) المصدر نفسه ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦.

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) الأنفال: ٣٩.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٦٦.

وحدك وحذّرك من الدخول في الفتنة[١].

قلت: ونهي النبيّ ﷺ لأبي موسى وحده، كما نقله عمّار من آيات نبوّته، فأبو موسى صار منشأ لفتنتين، الأولى فتنة تثبيطه النّاس عن أمير المؤمنين عليه السلام، فهو كان متفرّداً في ذلك، فعبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمّد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة اعتزلوه عليه السلام واعتزلوا غيره ولم يثبطوا النّاس مثل أبي موسى عنه عليه السلام.

وقد أشار إلى ذلك زيد بن صوحان ـ وكان من الجلال بمكان اعترفت به عايشة مع كونها مبغضة لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام مثله[٢] ـ.

ففي (الطبري): لمّا أمر أبو موسى النّاس بالتثبيط، قام إليه زيد بن صوحان وشال يده المقطوعة وأومى إلى أبي موسى وتلا: ﴿ألم * أحسبَ النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون * ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾[٣] ثم نادى: سيروا إلى أمير المؤمنين صراط سيّد المرسلين، وانفروا إليه أجمعين[٤].

والثانية: فتنة حكميته وخبطه في ذلك أيضاً واضح لا يحتاج إلى بيان.

وقد رد على أبي موسى غير عمّار وزيد عبد خير الخيواني، ففي (الطبري): أنّه قال لأبي موسى: أخبرني عن هذين الرجلين ألم يبايعا علياً عليه السلام؟ قال: بلى. قال: أفأحدث عليّ عليه السلام حدثاً يحل به نقض بيعته؟ قال: لا أدري، قال: لا دريت ولا أتيت، إذا كنت لا تدري فنحن تاركوك حتّى تدري، أخبرني هل تعلم أحداً خارجاً عن هذه الفرق الأربع عليّ بظهر الكوفة وطلحة

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٤: ١٥.

(٢) انظر الجمل للمفيد: ٥١، ٢٤٨، ٢٥١، ٤٣١، وأماليه: ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٣) العنكبوت: ١ ـ ٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٤، سنة ٣٦.

والزبير. البصرة ومعاوية بالشام وفرقة رابعة بالحجاز قعود لا يجبى بهم فيء ولا يقاتل بهم عدوّ؟ قال أبو موسى: أولئك خير النّاس، فقال له عبد خير: اسكت يا أبا موسى فقد غلب عليك غشّك[1].

٨
الكتاب (٦٣)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعريّ -وهو عامله على الكوفة- وقد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل:

مِنْ عَبْدِ اللّهِ عَلِيّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِاللهِ بْنِ قَيْسٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ، وَاشْدُدْ مِئْزَرَكَ، وَاخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ، وَانْدُبْ مَنْ مَعَكَ، فَإِنْ تَحَقَّقْتَ فَانْفُذْ، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ، وَايْمُ اللّهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ، وَلَا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ، وَذَائِبُك بِجَامِدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ، وَتَحْذَرَ مَنْ أَمَامَكَ، كَحَذَرِكَ مَنْ خَلْفَكَ، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى الَّتِي تَرْجُو، وَلَكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى، يُرْكَبُ جَمَلُهَا، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا. فَاعْقِلْ عَقْلَكَ، وَامْلِكْ أَمْرَكَ، وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ، وَلاَ فِي نَجَاةٍ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لَايُقَالُ: أَيْنَ فُلَانٌ! وَاللّهِ إِنَّه لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ وَمَا أُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ وَالسَّلَامُ.

قول المصنّف «ومن كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة» في (تاريخ اليعقوبي): عزل عليّ عليه السلام عمّال عثمان عن البلدان خلا

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٦، سنة ٣٦.

أبي موسى وهو الأشعريّ كلّمه الأشتر، فأقرّه[١].

«وقد بلغه عنه تثبيطه» أي: توقيفه.

«النّاس عن» وفي (المصرية): (على)[٢] غلط.

«والخروج إليه لمّا ندبهم لحرب الجمل» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[٣] ولكن ليس في (ابن ميثم): جملة (لمّا ندبهم)[٤] ولعلّه سقط من النسخة.

وكيف كان ففي (المروج): لمّا كاتب عليّ عليه السلام أبا موسى ـ فثبّطهم وقال: إنّما هي فتنة، فنمى ذلك إليه عليه السلام ـ ولّى على الكوفة قرظة بن كعب الأنصاري وكتب إلى أبي موسى: «اعتزل عملنا يابن الحائك مذؤوماً مدحوراً، فما هذا أوّل يومنا منك، وإن لك فيها لهنات وهنيات»[٥].

وعن محمّد بن إسحاق: قدم محمّد بن جعفر ومحمّد بن أبي بكر الكوفة لاستنفار النّاس، فدخل قوم منهم على أبي موسى ليلاً فقالوا له: أشر علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين إلى عليّ، فقال لهم: أمّا سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم، وأمّا سبيل الدّنيا فاشخصوا معهما. فمنع بذلك أهل الكوفة من الخروج، وبلغهما ذلك فأغلظا له، فقال لهما: إنّ بيعة عثمان لفي عنق عليّ وعنقي وأعناقكما...[٦].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٩.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٣٣.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٣٣؛ شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦.

(٤) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤: لمّا ندبهم لحرب أصحاب الجمل أيضاً.

(٥) مروج الذهب ٢: ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٩.

ومثله (خلفاء ابن قتيبة) إلّا أنّه قال: بعث عمّاراً ومحمّد بن أبي بكر[١].

وعن أبي مخنف: أنّ علياً عليه السلام بعث من الربذة هاشم بن عتبة إلى أبي موسى، وكتب إليه: أنّي قد بعثت إليك هاشماً لتشخص إلى من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي وأحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم، فاشخص بالناس إليّ معه حين يقدم إليك، فاني لم أولك المصر الذي أنت فيه، ولم أُقرّك عليه إلّا لتكون من أعواني على الحقّ، وأنصاري على هذا الأمر[٢].

ورواه الطبريّ مع اختصار[٣].

وعن أبي مخنف: فبعث هاشم بن عتبة من الكوفة المحل بن خليفة إلى عليّ عليه السلام بالربذة، وكتب معه إليه عليه السلام: «إنّي قدمت بكتابك على امرئ مشاق بعيد الود، ظاهر الغل والشنآن، فتهددني بالسجن وخوفني بالقتل.

فبعث عليه السلام ابن عبّاس ومحمّد بن أبي بكر إليه وكتب معهما إليه: أما بعد يا بن الحائك يا عاضّ اير أبيه، فوالله إنّي كنت لأرى أنّ بُعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً، ولا جعل لك فيه نصيباً، سيمنعك من ردّ أمري والابتزاز عليّ، وقد بعثت إليك ابن عبّاس وابن أبي بكر فخلّهما والمصر وأهله، واعتزل عملنا مذؤوماً مدحوراً، فإن فعلت وإلّا فإنّي قد أمرتهما على أن ينابذاك على سواء، ﴿...إنّ الله لا يهدي كيد الخائنين﴾[٤]، فإذا ظهرا عليك قطعاك إرباً إرباً، والسلام على من شكر النعمة ووفى بالبيعة وعمل برجاء العاقبة[٥].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) نقله عنه المفيد في الجمل: ٢٤٢ وابن أبي الحديد في شرح النهج ١٤: ٩.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٩٩، سنة ٣٦.

(٤) يوسف: ٥٢.

(٥) نقله عنه المفيد في الجمل: ٢٤٢ ـ ٢٤٣ وابن أبي الحديد في شرح النهج ١٤: ٩ ـ ١٠.

ورواه الطبري إلّا أنّه قال: بعث الحسن عليه السلام وعمّاراً يستنفران النّاس، وبعث قرظة أميراً وكتب معه إلى أبي موسى: فقد كنت أرى أنّ عزوبك عن هذا الأمر الذي لم يجعل الله تعالى لك منه نصيباً، سيمنعك من ردّ أمري، وقد بعثت الحسن وعمّاراً يستنفران النّاس، وبعثت قرظة والياً على المصر، فاعتزل عملنا مذؤوماً مدحوراً، فإن لم تفعل فإنّي قد أمرته أن ينابذك فإن نابذته فظفر بك ان يقطعك آراباً[1].

قوله عليه السلام «من عبدالله عليّ أمير المؤمنين» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[2] ولكن ليس في (ابن ميثم): كلمة (عليّ)[3].

«إلى عبدالله بن قيس» وهو أبو موسى الأشعريّ.

«اما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك».

قال ابن أبي الحديد: أراد به أنّ أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة: إنّ عليّاً إمام هدى وبيعته صحيحة، إلّا أنّه لا يجوز القتال معه مع أهل القبلة، وهذا القول بعضه حقّ وبعضه باطل[4].

قلت: كون المراد ما ذكر غير معلوم، فلم يعلم أوّلاً أنّ أبا موسى قال ما نسب إليه، وإنّما روى المفيد في (جمله): أنّ ابن عبّاس خدعه بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقرّه على حكومته، فأخذ البيعة له من النّاس.

فروى أنّ ابن عبّاس قال له عليه السلام: ابعث إلى الكوفة ابنك الحسن عليه السلام وعمّاراً وأنا أخرج معهما، فلمّا وصلوا قال لهما: إنّ أبا موسى عاق، فإذا رفقنا به أدركنا حاجتنا، فقالا له: افعل ما شئت.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٩٩ ـ ٥٠٠، سنة ٣٦.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٣٣؛ شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦.

(٣) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤: عليّ أمير المؤمنين أيضاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦.

فقال لأبي موسى: إنّ علياً عليه السلام أرسلنا إليك لما يظن من سرعتك إلى طاعة الله ورسوله، ومصيرك إلى ما أحبنا أهل البيت، وقد علمت فضله وسابقته في الإسلام ويقول لك: أن تبايع النّاس يقرّك على عملك ويرضى عنك. فانخدع وصعد المنبر فبايع له عليه السلام ثم نزل[1].

وثانياً: إنّه لو ثبت ما نسب إليه، لم يعلم صحّة التعبير عنه بأنه (قول لك وعليك)، ولعل في الرواية تحريفاً، وأنّ الأصل: (قول هو عليك لا لك).

فروى ابن قتيبة وأبو مخنف: إنّ أبا موسى قال لرسوليه عليه السلام محمّد بن أبي بكر وعمّاراً ومحمّد بن جعفر: بأنّا لو أردنا قتالاً ما كنّا نبدأ بأحد من قتلة عثمان[2].

ولازمه نصره له عليه السلام في حربه مع طلحة والزبير وعايشة لاعترافه بدخالتهم في قتل عثمان، واعتزاله عليه السلام عنه فيكون قوله عليه لا له.

ويمكن أيضاً بأن يقال: بأنّ قوله ذاك عليه لا له، بأن قوله يستلزم حلية قتل عمّار، مع ان من المتواتر قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «عمّار تقتله الفئة الباغية»، فضلاً عن كونه مجمعاً على جلاله.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): انّ عمّاراً قال: يا أهل الكوفة إن كان غابت عنكم أُمورنا فقد انتهت إليكم أنباؤنا، إن قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله إلى النّاس، ولا ينكرون ذلك، وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجّيهم، فبه أحيى الله من أحيى وأمات من أمات، وإنّ طلحة والزبير كانا أوّل من طعن وآخر من أمر، وكانا أوّل من بايع علياً عليه السلام، فلمّا أخطأهما ما أمّلاه

---

(١) الجمل للمفيد: ٢٦١.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٦٦؛ شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٩.

نكثا بيعتهما من غير حدث[١].

وأي قول كان من أبي موسى له وقد بيّن عمّار كون قوله كلّه عليه.

ففي (خلفاء ابن قتيبة): لمّا صعد أبو موسى المنبر وقال: أيّها النّاس إنّ أصحاب محمّد الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله ورسوله ممّن لم يصحبه، وإنّ لكم حقّاً عليّ أن أؤديه إليكم؛ إنّ هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان، والقاعد خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي، والساعي خير من الراكب، فاغمدوا سيوفكم حتّى تنجلي هذه الفتنة، قام عمّار وقال: أيّها النّاس إنّ أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين ـ وما صدق فيما قال ولا رضي الله من عباده بما قال ـ قال عزّ وجل: ﴿ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا... ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله... ﴾[٣]، فلم يرض من عباده بما ذكر أبو موسى من أن يجلسوا في بيوتهم ويخلوا النّاس فيسفك بعضهم دماء بعض ـ فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم، وانظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه، فإن أصلح الله أمرهم رجعتم مأجورين وقد قضيتم حق الله تعالى، وإن بغى بعضهم على بعض نظرتم إلى الفئة الباغية، فقاتلوهم حتّى تفيء إلى أمر الله كما أُمرتم وافتُرض عليكم[٤].

وكذلك ردّ على أبي موسى قوله كلّه عبد خير الخيواني كما مر في العنوان السابق.

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٦٧.

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) الأنفال: ٣٩.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٦٦.

ولو صحّت رواية المصنّف: (قول هو لك وعليك)، فمحمول على أنّ ما نقله أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال له: إنّ هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان، قاله له خاصة لعلمه صلى الله عليه وآله باتحرافه عنه، فقال صلى الله عليه وآله له: من كان في فتنة الناكثين نائماً كسعد وابن عمرو لم يخذلا النّاس عنه عليه السلام كما لم ينصراه، خير من أبي موسى الذي كان قائماً بخذل النّاس عنه عليه السلام.

ويشهد له رواية أبي مخنف: (لمّا صعد أبو موسى المنبر وقال: كأني أسمع النّبيّ صلى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفتن فيقول: أنت فيها نائماً خير منك قاعداً -إلى أن قال- قام عمّار وقال له: إن كنت صادقاً فإنّما عناك بذلك وحدك واتخذ عليك الحجّة، فالزم بيتك ولا تدخلن في الفتنة، أما إنّي أشهد أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أمر عليّاً بقتال الناكثين -وسمّى له فيهم من سمّى- وأمره بقتال القاسطين، وإن شئت لأقيمن لك شهوداً أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّما نهاك وحدك وحذّرك من الدخول في الفتنة -ثم قال له: أعطني يدك على ما سمعت- فمد يده إليه- فقال له عمّار: غلب الله من غالبه وجاحده ثم جذبه فنزل[1].

ورواه الطبريّ مختصراً[2].

«فلنا قدم رسولي» ولعل المراد به قرظة بن كعب الأنصاري كما مر عن (المروج)[3].

«عليك فارفع ذيلك» (ارفع ذيلك) كقولك شمّر ذيلك.

«واشدد مئزرك» كقولك: (اشدد حيازيمك).

«واخرج من جحرك» قال ابن أبي الحديد: كناية غض عن أبي موسى

---

(١) نقله عنه المفيد في الجمل: ٢٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٦ـ ٤٨٧، سنة ٣٦.

(٣) مروج الذهب ٢: ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

جعله ثعلباً أو ضباً[١].

قلت: فيه أوّلاً: أنّ الجحر لم يأت للثعلب بل للضب والحيّة، وإنّما يأتي للثعلب كالأرنب المكو كما صرح به الثعالبي في (فقه لغته)[٢].

وقال الشاعر:

ولا ترى الضب بها ينجحر

وفي كلامه عليه السلام: أو انجحر انجحار الضبة في جحرها[٣]

وثانياً: من أين أنّه كناية غض وليس من قبيل قولهم: «دخلوا في مجاحرهم» أي: في مكامنهم، ويشهد له كونه في سياق (ارفع ذيلك واشدد مئزرك)، فيكون الكل في معنى الأمر بالجد في الأمر وإنّ بعده.

«فاندب» أي: إلى حرب أهل البصرة.

«من معك» أي: من أهل الكوفة.

«فان تحققت» هكذا في (المصرية)[٤]، والصواب: (فان حققت) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٥].

«فانفذ» أي: إذا تبيّن لك ان حرب الناكثين حق فأجر الندب إليهم.

«وإن تفشلت» أي: خفت وجبنت من أن يكون حقّاً.

«فابعد» من امرنا وعملنا.

«وايم الله لتؤتين من حيث» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[٦]، ولكن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٧.

(٢) فقه اللغة للثعالبي : ٤٣٦ المكتبة التجارية، مصر، ١٩٣٨م. وفي نسخة (كموء) بدل (مكو) وهو قلب مكاني.

(٣) نهج البلاغة ١: ١١٣، الخطبة ٦٩.

(٤) في نهج البلاغة ٣: ١٣٣: فإن حقّقت.

(٥) في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦: فإن تحقّقت، وفي شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤: فان حقّقت.

(٦) نهج البلاغة ٣: ١٣٣، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦.

في (ابن ميثم): (حيث)[١].

«أنت ولا تترك حتّى يخلط زبدك» والزبد: خلاصة اللبن التي تحصل مخضه.

«بخاثرك» والخاثر: بقيّة اللبن الدون؛ في (الصحاح) في المثل: «اخلط الخاثر بالزباد» وزباد اللبن بالضم والتشديد ما لا خير فيه[٢].

وهو كما ترى فإنّ الظاهر أنّ الزباد بمعنى الزبد وأنّه أحسن اللبن، والخاثر أدونه.

«وذائبك بجامدك» في (الصحاح): في المثل: «ما يدري أيخثر أم يذيب»[٣].

«وحتّى تعجل عن» وفي (المصرية): (في)[٤] غلط.

«قعدتك» اي: لا تمهل حتّى تقعد، فبعث عليه السلام إليه الأشتر وكان على المنبر فلم يمهله يتم كلامه.

ففي الطبري: إنّ الأشتر استأذن علياً عليه السلام في إتيان الكوفة بعد الحسن عليه السلام وعمّار، فأذن له فأقبل حتّى دخل الكوفة، وقد اجتمع النّاس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلّا دعاهم ويقول: اتبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر في جماعة من النّاس فاقتحم القصر وأبو موسى قائم في المسجد يخطب النّاس ويثبطهم -إلى أن قال- قال أبو مريم الثقفي: والله إنّي لفي المسجد وعمّار يخاطب النّاس إذ خرج علينا غلمان أبي موسى يشتدون ينادون يا أبا موسى هذا الأشتر دخل القصر وضربنا وأخرجنا -فنزل أبو موسى فدخل القصر وصاح به الأشتر: اخرج

(١) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤: «من حيث» أيضاً.

(٢) الصحاح ٢: ٤٨٠، مادة: (زبد).

(٣) الصحاح ١: ١٢٩، مادة: (ذوب).

(٤) نهج البلاغة ٣: ١٣٣.

من قصرنا، أخرج الله نفسك، فوالله إنّك لمن المنافقين قديماً ـ ودخل النّاس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر وقال: إنّي قد أخرجته فكفّ النّاس عنه[١].

«وتحذّر من أمامك كحذرك من خلفك» وهو كناية عن كمال توجّه أسباب الخطر، فإنّ الإنسان غالباً يحذر من خلفه الذي لا يراه، لا من أمامه الذي نصب عينيه.

ثمّ الظاهر كونه إشارة إلى أنّه إن أدام برأيه في الخذلان عنه، لم ينحصر خوفه بمن يأتيه من عنده، بل يحصل له الخوف من بلد هو فيه، فقد عرفت أنّه لمّا جاءه الأشتر وهدّده نهب النّاس متاعه.

«وماهي» أي: خصلته التي تخلق بها من خذلان النّاس عنه عليه السلام.

«بالهوينا» تصغير الهون؛ ومن الغريب عدم تعرّض كتب اللغة حتّى (القاموس) له.

«الّتي ترجو» رجا أبو موسى لما هوّن عمر أمره عليه السلام بتفويض الأمر إلى بني أُميّة بنصب عثمان أن يكون أمره عليه السلام هيّناً حتّى يقدر هو على مخالفته عليه السلام.

«ولكنّها الداهية الكبرى» أي: أمر عظيم وشدّة شديدة.

«يركب جملها» فيهزم الناكثين وأهل الجمل.

«ويذلّ صعبها ويسهل جبلها» في القاسطين، فيقتل عليه السلام منهم حتّى أرادوا الفرار.

هذا وقال ابن أبي الحديد: معنى قوله عليه السلام: «وايم الله لتؤتين من حيث أنت» إن أقمت على تثبيط أهل الكوفة، ليأتينكم وأنتم في منازلكم أهل البصرة

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٦ ـ ٤٨٧، سنة ٣٦.

مع طلحة، ونأتينكم نحن بأهل المدينة فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم وخلفكم.

قال: ومعنى قوله عليه السلام: «وتحذّر من أمامك كحذرك من خلفك» إن أقمت على منع النّاس عن الحرب معنا ومعهم، يأتيك أهل البصرة وأهل المدينة فتكون كما قال تعالى: ﴿ إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم... ﴾[1].

قال: ومعنى قوله عليه السلام: «يركب جملها ويذل صعبها ويسهل جبلها» لا تقل إنّ هذا أي قصد الجيوش من الجانبين الكوفة أمر صعب فإنّه إن دام الأمر على ما أشرت إلى أهل الكوفة من التخاذل، ليرتكبن أهل المدينة وأهل البصرة هذا المستصعب فنطلب نحن وأهل البصرة ان نملك الكوفة فيجتمع عليها الفريقان[2].

قلت: وكلامه كما ترى بمراحل فأي وجه لأن يوعد عليه السلام أهل الكوفة فلم يكونوا كأهل البصرة منابذين له عليه السلام؟ وإنّما كان أبو موسى شخصه منابذاً له عليه السلام، ولم يكن سلطان الكوفة حتّى يحتاج إلى جمع جيشه عليه السلام وجيش طلحة والزبير عليه، فقد عرفت أنّه عليه السلام لمّا بعث الأشتر وحده إليه فر، وإمارته إنّما كانت من قبله عليه السلام بطلب الأشتر أوّلاً ذلك منه، وبعزله كان يصير نفراً من عرض النّاس، ومن ولّاه بدله كان يقدر على عقوبته كل العقوبة.

فمرّ رواية أبي مخنف في بعثه عليه السلام ابن عبّاس ومحمّد بن أبي بكر إليه وكتابه عليه السلام إليه: فإذا ظهرا عليك قطعاك ارباً[3].

ومرّ رواية الطبري في بعثه عليه السلام قرظة إليه، وكتابه إليه: فإذا نابذته

---

(١) الأحزاب: ١٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٣) نقله ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٤: ٩ ـ ١٠.

فظفر أمرته أن يقطّعك آراباً[١].

مع أنّ أبا موسى انّما كان يثبّط النّاس عنه عليه السلام، لأنّه كان يعلم أنّه عليه السلام لا يستعمل مثله منافقاً، وأما طلحة والزبير فإن كانا غلبا لم يخش منهما عدم توليته لكونهم جميعاً على رأي واحد، وإنّما أمر أهل الكوفة بملازمة بيوتهم لأنّه لم يتوقع منهم مساعدة طلحة والزبير، فإنّ ميلهم كان معه عليه السلام لا معهما، وكان يقول لأهل الكوفة ـ كما روى أبو مخنف ـ: أنّ علياً إنّما يستنفركم لجهاد أمّكم عايشة وطلحة والزبير حواري النّبيّ. وكان يقول لأهل الكوفة ـ كما روى الواقدي ـ: إنّ عايشة كتبت إليَّ أن اكفني من قبلك، وهذا عليّ قادم إليكم يريد أن يسفك بكم دماء المسلمين[٢]. وبالجملة تفسيره في غاية السقوط.

«فاعقل عقلك» أي: احبس عقلك عن الخطأ.

«واملك أمرك» بأن لا تتبع هواك.

«وخذ نصيبك وحظّك» أي: من أمري.

«فإن كرهت» أمري.

«فتنحّ» أي: ابعد.

«إلى غير رحب» أي: سعة.

«ولا في نجاة» من بأس الله.

«فبالحري» أي: فبالجدير.

«لتكفين وأنت نائم حتّى لا يقال أين فلان» أي: يأخذ البيعة من أهل الكوفة رجال كثيرون، ولا يحتاج ذلك إليك حتّى يُسأل عنك ولا أثر لوجودك.

«والله إنّه لحق مع محق» قال ابن أبي الحديد: إشارة إلى قول النّبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦.

(٢) الجمل للمفيد: ٢٥٧.

فيه عليه السلام اللهمّ أدر الحق معه حيثما دار[١].

قلت: وروى أبو مخنف: إنّ رجلاً قام إليه عليه السلام فقال: أي: فتنة أعظم من هذه؟ إنّ البدرية تمشي بعضها إلى بعض بالسيف! فقال عليه السلام: ويحك أتكون فتنة أنا أميرها وقائدها، والذي بعث محمّداً بالحق وكرّم وجهه ما كذبت ولا كذبت، ولا ظللت ولا ضلّ بي، ولا زللت ولا زلّ بي، وإنّي لعلى بيّنة من ربي بيّنها الله لرسوله وبيّنها رسوله لي[٢].

وروى ابن ديزيل عن يحيى بن سليمان، عن يحيى بن عبدالملك، عن إسماعيل بن رجاء، عن محمّد بن فضيل، عن الأعمش عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا مع النّبيّ صلى الله عليه وآله فانقطع شسع نعله فألقاها إلى عليّ عليه السلام يصلحها ـ ثم قال: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فقال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا ـ فقال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكنّه خاصف النعل ـ ويد عليّ عليه السلام على نعل النّبيّ صلى الله عليه وآله يصلحها ـ. قال أبو سعيد: فأتيت عليّاً عليه السلام فبشّرته بذلك، فلم يحفل به كأنّه شيء كان علمه من قبل[٣].

وروى محمّد بن يعقوب عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمّد عليه السلام: أنّ رجلاً سأل أباه عن حروب جدّه عليّ عليه السلام فقال له: بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة وسيف مكفوف ـ إلى أن قال ـ وأمّا السيف المكفوف فسيف على أهل البغي والتأويل؛ قال تعالى: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ـ إلى ـ فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله... ﴾[٤]. فلمّا نزلت هذه الآية قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ منكم من يقاتل بعدي على التأويل، كما

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٩.

(٢) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ٢٦٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٧.

(٤) الحجرات: ٩.

قاتلت على التنزيل، فسُئل مَن هو؟ قال: خاصف النعل ـ وكان عليّ عليه السلام يخصف نعله...[١].

وروى ابن ديزيل عن يحيى بن سليمان عن أبي فضيل عن إبراهيم الهجري عن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق، فأهدت له الأزد جزراً بعثوها معي، فدخلت عليه وقلت له: يا أبا أيّوب قد كرّمك الله بصحبة نبيّه ونزوله عليك، فمالي أراك تستقبل النّاس بسيفك تقاتل هؤلاء مرّة وهؤلاء مرّة؟ فقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ عليه السلام الناكثين ـ فقد قاتلناهم ـ وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين ـ فهذا وجهنا إليهم ـ يعني معاوية وأصحابه ـ وعهد إلينا نقاتل معه المارقين ـ ولم أرهم بعد[٢].

«وما أُبالي» هكذا في (المصرية)[٣]، والصواب: (وما يبالي) بالياء، والفاعل ضمير (محق)، كما يشهد له (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٤].

«ما صنع الملحدون» كأبي موسى ومن تخلّف عنه؛ ومر قول الأشتر لأبي موسى: فوالله إنّك لمن المنافقين قديماً.

وفي (الاستيعاب): ولم يزل أبو موسى واجداً على عليّ عليه السلام بعد عزله عن الكوفة حتّى جاء منه ما قال حذيفة، فقد روى فيه حذيفة كلاماً كرهت ذكره[٥].

ونقل ذلك ابن أبي الحديد عن (الاستيعاب) في موضع آخر من الكتاب. وقال: مراده بكلام حذيفة الذي كره ذكره، أنّ أبا موسى ذكر عند حذيفة

---

(١) الكافي ٥: ١٠ ـ ١٢، والنقل بتصرّف وتلخيص.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٧.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٣٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦، شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٦.

(٥) الاستيعاب بهامش الإصابة ٢: ٣٧٢.

بالدين فقال: أمّا أنتم فتقولون ذلك، وأمّا أنا فأشهد أنّه عدوّ لله ولرسوله وحرب لهما في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم سوء الدار، وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين أسرّ إليه النبيّ صلى الله عليه وآله أمرهم وأعلمه أسماءهم[١].

وقال أيضاً: وروي أنّ عمّاراً سُئل عن أبي موسى، فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً يقول: «هو صاحب البُرنس الأسود» - ثم كلح منه كلوحاً علمت منه انّه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط[٢].

وروى الطبريّ في (ذيله): أنّ أبا موسى لقي أبا ذرّ فجعل يلزمه، ويقول له أبو ذرّ: إليك عنّي. ويقول له أبو موسى: مرحباً بأخي. ويقول له أبو ذرّ: لست بأخيك[٣].

وروى (أمالي المفيد): أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: تفترق أُمّتي ثلاث فرق -إلى أن قال- وفرقة مدهدهة على ملّة السامري -لا يقول لا مساس- ولكنّهم يقولون: لا قتال، إمامهم أبو موسى[٤].

ومرّ قوله عليه السلام في سابقه في أبي موسى -لمّا صار حكماً-: وإنّما عهدكم بأبي موسى بالأمس يقول: إنّها فتنة، فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكره، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة.

ومر خبر سويد بن غفلة أنّ أبا موسى قال أيّام عثمان: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّ بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتّى بعثوا حكمين ضالّين ضلّا وأضلّا من اتّبعهما ولا ينفك أمر أُمتي حتّى يبعثوا حكمين يضلّان

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٤ - ٣١٥.
(٢) المصدر نفسه ١٣: ٣١٥.
(٣) ذيل تاريخ الطبري ١١: ٥٣٣.
(٤) الأمالي للمفيد: ٣٠.

ويُضلّان من تبعهما ـ فقال له سويد: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما. فخلع قميصه وقال: أبرأ إلى الله من ذلك كما من قميصي هذا...[١].

وكان عليه السلام يقنت عليه في صلاته، كما يقنت على معاوية وعمرو بن العاص، ويقول: اللهمّ العن معاوية أوّلاً، وعمراً ثانياً، وأبا الأعور ثالثاً، وأبا موسى رابعاً[٢].

وكطلحة والزبير وغيرهما من المخالفين له عليه السلام. روى الحميري في (قرب إسناده) عن محمّد بن عبدالحميد وعبدالصمد بن محمّد بن حنان بن سدير عن الصادق عليه السلام قال: دخل عليَّ أُناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزبير ـ فقلت لهم: كانا من أئمّة الكفر، إنّ عليّاً عليه السلام يوم البصرة لمّا صفّت الخيل قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتّى أعذر في ما بيني وبين الله تعالى، فقام إليهم فقال: يا أهل البصرة هل تجدون عليَّ جوراً في حكم؟ قالوا: لا، قال: فحيفاً في قسم؟ قالوا: لا، قال: فرغبةً في دنيا أخذتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم عليَّ؟ قالوا: لا، قال: فأقمت فيكم الحدود وعطّلتها عن غيركم؟ قالوا: لا، قال: فما لبيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث؟ إنّي ضربت الأمر أنفه وعينه، فلم أجد إلّا الكفر أو السيف؛ إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون﴾[٣]، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة واصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة إنّهم لأصحاب هذه الآية وما قوتلوا منذ نزلت[٤].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٥.

(٢) نقله العلّامة المجلسي في البحار، ط الكمباني ٨: ٥٦٥ ـ ٥٦٦.

(٣) التوبة: ١٢.

(٤) قرب الإسناد: ٩٦ ـ ٩٧ ح٣٢٧، تفسير العياشي ٢: ٧٧.

«والسلام» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[١]، وليس في (ابن ميثم)[٢].

٩
الخطبة (١٧٠)

ومن كلام له عليه السلام كلّم به بعضَ العرب، وقد أرسله قومٌ من أهلِ البصرة؛ لما قرب عليه السلام منها، ليعلَمَ لهم منه حقيقة حالِهِ مع أصحاب الجملِ لتزُولَ الشبهة من نفوسهم؛ فبيّن له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنَّهُ عَلَى الحقِّ، ثمَّ قال له: بايع، فقالَ: إنّي رسول قوم، ولا أُحْدِث حدثاً حتى أرْجع إليهم. فقال عليه السلام:

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ ٱلَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً، تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ ٱلْغَيْثِ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ ٱلْكَلأِ وَالمَاءِ، فَخَالَفُوا إِلَى المَعَاطِشِ وَالَمجَادِبِ ما كُنْتَ صَانِعاً؟

قَالَ: كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى ٱلْكَلأِ وَالمَاءِ.

فقال عليه السلام: فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ.

فقالَ الرَّجل: فَوَاللّهِ مَا ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قيامِ ٱلحُجَّةِ عليَّ فبَايَعْتُهُ عليه السلام.

والرَّجل يُعْرَفُ بكُلَيْبٍ ٱلجَرْمِيّ.

أقول: الأصل فيه رواية الطبريّ ورواية الواقدي ـ ففي الأولّ: أخرج زياد بن أيّوب إليّ كتاباً فيه أحاديث عن شيوخ ـ منها: حدّثنا مصعب بن سلام التميميّ، عن محمّد بن سوقة، عن عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه ـ قال:

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٣٤، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦.

(٢) شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤.

رأيت فيما يرى النّائم أنّ رجلاً يلي أُمور النّاس مريضاً على فراشه وعند رأسه امرأة، والنّاس يريدونه ويبهشون إليه، فلو نهتهم المرأة لانتهوا، ولكنّها لم تفعل فأخذوه فقتلوه، فكنت أقص رؤياي على النّاس في السفر والحضر فيعجبون ولا يدرون ما تأويلها، فلمّا قُتل عثمان وأتانا الخبر ونحن راجعون من غزاتنا، فقال أصحابنا: رؤياك يا كليب. فانتهينا إلى البصرة فلم نلبث إلّا قليلاً حتّى قيل هذا طلحة والزبير معهما أُمّ المؤمنين فراع النّاس وتعجبوا، فإذا هم يزعمون للناس أنّهم خرجوا غضباً لعثمان وتوبة مما صنعوا من خذلانه.

وإنّ أُمّ المؤمنين تقول: غضبنا لكم على عثمان في ثلاث: امارة الفتى وموقع الغمامة وضربة السوط والعصا، فما أنصفْنا إن لم نغضب له عليكم في ثلاث جررتموها إليه حرمة الشهر والبلد والدم.

فقال النّاس: أفلم تبايعوا عليّاً وتدخلوا في أمره؟ فقالوا: دخلنا واللج على أعناقنا ـ إذ قيل هذا عليّ عليه السلام قد أظلّكم ـ فقال قومنا لي ولرجلين معي: انطلقوا حتّى تأتوا عليّاً عليه السلام وأصحابه فسلوهم عن هذا الأمر الذي قد اختلط علينا. فخرجنا حتّى إذا دنونا من العسكر طلع علينا رجل جميل على بغلة، فقلت لصاحبيّ: أرأيتم المرأة التي كنت أُحدثكم عنها؟ إنّها كانت عند رأس الوالي، فإنّها أشبه النّاس بهذا. ففطن أنّا نخوض فيه، فلمّا انتهى قال: قفوا ما الذي قلتم حين رأيتموني؟ فأبينا عليه، وقال: والله لا تبرحون حتّى تخبروني. فدخلتنا منه هيبة، فأخبرناه فجاوزنا وهو يقول: والله رأيت عجباً. فقلنا لأدنى أهل العسكر إلينا: مَن هذا؟ فقال: محمّد بن أبي بكر. فعرفنا أنّ تلك المرأة عايشة، فازددنا لأمرها كراهية وانتهينا إلى عليّ عليه السلام فسلّمنا عليه ثم سألناه عن هذا الأمر، فقال: عدا النّاس على هذا الرجل وأنا معتزل فقتلوه، ثم ولّوني وأنا كاره، ولولا خشية على الدين لم أجبهم، ثمّ طفق هذان في النكث فأخذت

عليهما وأخذت عهودهما عند ذلك وأذنت لهما في العمرة، فقدما على أمّهما فرضيا لهما ما رغبا لنسائهما عنه، وعرضاها لما لا يحل ولا يصلح، فاتبعتهما لكيلا يفتقوا في الإسلام فتقاً ولا يفرّقوا جماعة. فصاح بنا أصحاب عليّ عليه السلام: «بايعوا بايعوا» فبايع صاحباي، وأمّا أنا فأمسكت وقلت: بعثني قومي لأمر ولا أُحدث شيئاً حتّى أرجع إليهم. فقال عليّ عليه السلام: فإن لم يفعلوا؟ فقلت: لم أفعل، فقال: أرأيت لو أنّهم بعثوك رائداً فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلأ والماء فمالوا إلى المعاطش والجدوبة ما كنت صانعاً؟ قلت: كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلأ والماء ـ قال: «فمدّ يدك»، فوالله ما استطعت أن امتنع فبسطت يدي فبايعت. وكان يقول: عليّ عليه السلام من أدهى العرب(١).

وفي الثاني ـ كما في (جمل المفيد) ـ شيبان بن عبدالرحمن عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: لمّا قتل عثمان ما لبثنا إلّا قليلاً، حتّى قدم طلحة والزبير البصرة، ثم ما لبثنا إلّا يسيراً حتّى أقبل عليّ عليه السلام بذي قار، فقال شيخان من الحي: اذهب بنا إلى هذا الرجل ننظر ما يدعو إليه، فلمّا أتينا بذي قار قدمنا إلى أذكى العرب ـ فوالله لدخل علي نسب قومي فجعلت أقول: هو أعلم به منّي وأطوع فيهم، إلى أن قال: فقال: أفلا تبايعوني؟ فبايعه الشيخان اللذان كانا معي وتوقفت عن بيعته، فجعل رجال عنده قد أكل السجود وجوههم يقولون: بايع بايع.

فقال عليه السلام: دعوا الرجل. فقلت: إنّما بعثني قومي رائداً وسأنهي إليهم ما رأيت، فإن بايعوا بايعت. فقال: أرأيت لو أنّ قومك بعثوك رائداً فرأيت روضة وغديراً فقلت يا قومي النجعة النجعة فأبوا ما كنت بمستنجع بنفسك، فأخذت بإصبع من أصابعه، فقلت: أُبايع على أن أُطيعك ما أطعت الله، فإذا عصيته فلا

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٩٠ ـ ٤٩١، سنة ٣٦.

طاعة لك عليّ، فقال: نعم. وطوّل صوته...[١].

قول المصنّف «ومن كلام له عليه السلام كلّم به بعض العرب» هو كليب بن شهاب الجرمي.

«وقد أرسله قوم من أهل البصرة» قد عرفت من رواية الطبري أنّ أولئك القوم قومه (جرم).

«لمّا قرب عليه السلام منها» قد عرفت من رواية الواقدي أنّه عليه السلام كان نزل ذاقار.

«ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل» لأنّهم كانوا قالوا لهم: خرجنا غضباً لعثمان وكانت بيعتنا لعليّ مكرها.

«لتزول الشبهة من نفوسهم فبيّن له عليه السلام» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[٢]، وهو وإن كان صحيحاً، إلاّ أنّ الأوضح أن يُقال: «فبيّن عليه السلام له» كما لا يخفى.

«من أمره معهم ما علم به أنّه على الحق» وهو أنّه عليه السلام كان معتزلاً عن أمر عثمان، ولم يجبر أحداً على البيعة، وإنّما أكرهه النّاس على قبوله البيعة.

«ثم قال له بايع» قد عرفت من رواية الطبري أنّ أصحابه عليه السلام بعد مشاهدة إتمام الحجّة عليه قالوا له ولصاحبيه: بايعوا.

«فقال إنّي رسول قوم ولا أُحدث حدثاً حتّى أرجع إليهم» قد عرفت من رواية الطبري: أنّه عليه السلام قال له: فإن لم يفعلوا؟ فأجاب: إنّي أيضاً لا أفعل. فرد عليه السلام عليه بالعنوان.

«فقال عليه السلام» هو تأكيد وإلاّ فهو زائد بعد قوله: (ومن كلام له عليه السلام).

---

(١) الجمل للمفيد: ٢٩٠ ـ ٢٩٢.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٠٠؛ شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٩.

ثم إنّ ما نقلنا من قول المصنّف هو في (المصرية وابن أبي الحديد)(١)، وأمّا (ابن ميثم) فبدّله بقوله: (ومن كلام له عليه السلام) لمّا قال لكليب الجرمي قبل وقعة الجمل: بايع. فقال: إنّي رسول قوم ولا أُحدث حدثاً دونهم حتّى أرجع إليهم فقال ـ(٢)، ونسخة (ابن ميثم) بخط المصنّف، فمن المحتمل ان المصنّف استنسخه ثانياً فزاد ونقص وغيّر فطول واختصر.

قوله عليه السلام «أرأيت» في (الصحاح): قد يحذف همز رأيت قال: صاح هل ريت أو سمعت براع ردّ في الضرع ما قرى في الحلاب(٣).

«لو أنّ الذين من ورائك» وهم قومه جرم.

«بعثوك رائداً» في (الصحاح): الرائد الذي يرسل في طلب الكلاء (راد الكلاء يروده روداً ورياداً وارتاده ارتياداً) بمعنى؛ أي: طلبه(٤).

«تبتغي» أي: تطلب.

«لهم مساقط الغيث» مواضع نزول المطر فاخضرت وحصل كلاء.

«فرجعت إليهم وأخبرتهم عن الكلاء» أي: العشب.

«والماء فخالفوا» من الكلاء والماء.

«إلى المعاطش» مواضع العطش التي لا ماء فيها.

«والمجاذب» أي: محال المحل والقحط.

«ما كنت صانعاً» توافقهم أو تخالفهم.

«قال كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلاء والماء» فان كل عاقل يفعل ذلك.

«فقال عليه السلام فامدد إذن يدك» يعني كما يحكم العقل ثمة بوجوب مخالفتهم

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٠٠؛ شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٩.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٦.

(٣) الصحاح ٦: ٢٣٤٨، مادة: (رأى) والبيت لإسماعيل بن بشّار.

(٤) المصدر نفسه ٢: ٤٧٨، مادة: (رود).

كذلك هنا بل هنا أولى، لأن ثمة يحصل إلّا من الهلكة موقتاً وهنا أبدا.

ثم (إذن يدك) في (المصرية وابن أبي الحديد)[١]، ولكن في (ابن ميثم): (يدك إذن)[٢].

«فقال الرجل: فوالله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجّة عليّ فبايعته»

ونظير بعث جرم رجلاً منهم إليه عليه السلام فرآه على الحق فأقرّ به عليه السلام، بعث طلحة والزبير وبعث عايشة رجلاً فاهتدى به.

روى الكافي في (باب ما يفصل به بين دعوى المحقّ والمبطل في أمر الإمامة): أنّ طلحة والزبير بعثا رجلاً من عبدالقيس يقال له (خداش) إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقالا له: إنّا نبعثك إلى رجل طال ما نعرفه وأهل بيته بالسحر والكهانة، وأنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا أن تحاجّه لنا، واعلم أنّه أعظم النّاس دعوى فلا يكسرنك ذلك عنه ومن الأبواب التي يخدع بها النّاس الطعام والشراب والعسل والدهن، فلا تأكل له طعاماً ولا تشرب له شراباً، ولا تمس له عسلاً ولا دهناً ولا تخل معه. واحذر هذا كلّه منه فإذا رأيته فاقرأ آية السخرة، وتعوّذ بالله من كيده وكيد الشيطان، فإذا جلست إليه فلا تمكّنه من بصرك كلّه ولا تستأنس به. ثم قل له: إنّ أخويك في الدين وابني عمّك في القرابة يناشدانك القطيعة، ويقولان لك: أما تعلم انّا تركنا النّاس لك وخالفنا عشائرنا فيك منذ قبض الله محمّداً صلى الله عليه وآله، فلمّا نلت أدنى مُناك؛ ضيَّعْت حرمتنا وقطعت رجاءنا، ثم قد رأيت أفعالنا فيك وقدرتنا على النّاس، وإنّ من كان يصرفك عنّا وعن صلتنا كان أقل نفعاً لك وأضعف دفعاً منا، وقد وضح الصبح لذي عينين وقد بلغنا انتهاك منك لنا ودعاء علينا، فما الذي يحملك على ذلك؟ فقد كنّا نرى

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٠١؛ شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٩.

(٢) في شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٦: إذاً يدك أيضاً.

أنّك أشجع فرسان العرب، أتتخذ اللعن ديناً وترى أنّ ذلك يكسرنا عنك؟. فلما أتى خداش إليه عليه السلام صنع ما أمراه به، فلمّا نظر عليه السلام إليه وهو يناجي نفسه ضحك، وأشار له إلى مجلس قريب منه: ادن هاهنا. فقال: ما أوسع المكان، أُريد أن أؤدي إليك رسالة. فقال عليه السلام له: بل تطعم وتشرب وتحل ثيابك وتدهن ثم تؤدي رسالتك. قم يا قنبر فأنزله.

قال: مالي إلى شيء ممّا ذكرت حاجة.

قال: فأخلو بك.

قال: كل سر لي علانية.

فقال عليه السلام له: هل علماك كلاماً تقوله إذا أتيتني؟ قال: اللهمّ نعم. قال عليه السلام: آية السخرة؟ قال: نعم. قال: فاقرأها. وجعل عليه السلام يكرّرها ويردّدها ويصحّح عليه إذا أخطأ، حتّى قرأها سبعين مرّة. فقال الرجل: ما يرى أمير المؤمنين يرددها سبعين مرّة. قال: أتجد قلبك اطمأن؟ قال: أي والذي نفسي بيده. قال: فما قالا لك؟ فأخبره وقال: قل لهما كفى بنطقكما حجّة عليكما، ولكن الله لا يهدي القوم الظالمين، زعمتم أنكم أخواي في الدين وأبناء عمّي في النسب، أمّا النسب فلا أُنكره وإن كان النسب مقطوعاً، إلّا ما وصله الله، وأمّا قولكما إنّكما أخواي في الدين، فإن كنتما صادقين فقد فارقتما كتاب الله وعصيتما أمره، بأفعالكما في أخيكما في الدين، وإلّا فقد كذبتما وافتريتما بادعائكما أنكما أخواي في الدين. وأما مفارقتكما النّاس منذ قبض الله محمّداً صلى الله عليه وآله، فإن كنتما فارقتما النّاس بحق فقد نقضتما ذلك الحق بفراقكما إيّاي أخيراً، وإن فارقتماهم بباطل فقد وقع إثم ذلك الباطل عليكما مع الحدث الذي أحدثتما، مع أنّ صفتكما بمفارقتكما النّاس لم يكن إلّا لطمع الدّنيا، زعمتما وذلك قولكما فقطعت رجاءنا وأنتما لا تعيبان بحمد الله من ديني شيئاً، وأمّا الذي صرفني

عن صلتكما فالذي صرفكما عن الحق وحملكما على خلعه من رقابكما، كخلع الحرون لجامه هو الله ربي لا أُشرك به شيئاً فلا تقولا أقل نفعاً وأضعف دفعاً، فتستحقا اسم الشرك مع النفاق.

وأما قولكما إنّي أُشجّع فرسان العرب وهربكما من لعني ودعائي، فإن لكل موقف عملاً، فاذا اختلفت الأسنة وماجت لبود الخيل وملأ سحراكما أجوافكما فثم يكفيني الله بكمال القلب.

وأما إذ أبيتما بأنّي أدعو الله فلا تجرعا من أن يدعو عليكما رجل ساحر من قوم سحرة زعمتما، اللهم اقعص الزبير بشرّ قتلة واسفك دمه على ضلاله، وعرف طلحة المذلّة، وادخر لهما في الآخرة شرّاً من ذلك إن كانا ظلماني وافتريا عليّ وكتما شهادتهما وعصياك وعصيا رسولك فيَّ ـ قل آمين ـ قال خداش: آمين.

ثم قال خداش لنفسه: والله ما رأيت لحية قط أبين خطأ منك، حامل حجّة ينقض بعضها بعضاً لم يجعل الله لهما مساكاً، أنا بريء إلى الله منهما ـ وقال عليه السلام له: ارجع إليهما وأعلمهما ما قلت. قال: لا والله حتّى تسأل الله أن يردّني إليك عاجلاً، وأن يوفقني لرضاه فيك. ففعل فلم يلبث أن انصرف وقتل معه عليه السلام يوم الجمل[1].

وروى (بصائر الصفار) في (باب أنّهم عليهم السلام يخبرون شيعتهم بأفعالهم وأفعال غيرهم وهم غيب): أنّ عايشة قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل، حتّى أبعثه إليه. فأتيت به، فمثل بين يديها، فرفعت إليه رأسها فقالت له: ما بلغت من عداوتك لهذا الرجل؟

فقال: كثيراً ما أتمنى على ربّي أنّه وأصحابه في وسطي فضربته

---

(١) الكافي ١: ٣٤٣ ـ ٣٤٥ بتصرّف وتلخيص من الشارح.

ضربة بالسيف يسبق السيف الدم. قالت: فأنت له اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه، ظاعناً رأيته أو مقيماً، أما إنّك إن رأيته ظاعناً رأيته راكباً على بلغة النّبيّ ﷺ متنكباً قوسه، معلقاً كنانته على قربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنّهم طير صواف فتعطيه كتابي هذا، وإن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولن منه شيئاً فإن فيه السحر.

قال: فاستقبلت علياً عليه السلام فناولته الكتاب، ففضّ خاتمه ثم قرأه فقال: تبلغ إلى منازلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا، فنكتب جواب كتابك. فقال: هذا ما لا يكون. فسار خلفه وأحدق به أصحابه.

ثم قال له: أسألك؟ قال: نعم. قال: وتجيبني؟ قال: نعم. قال: نشدتك الله هل قالت عايشة: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل؟ فأُتي بك، فقالت لك: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقلت: كثيراً ما أتمنى على ربّي أنّه وأصحابه في وسطي، وأنا ضربته ضربة سبق السيف الدم؟ قال: اللهمّ نعم.

قال: فنشدتك الله أقالت لك: اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً كان أو مقيماً أما إنّك إن رأيته على بلغة النّبيّ ﷺ، متنكباً قوسه، معلقاً كنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنّهم طير صواف؟ قال: اللهم نعم.

قال عليه السلام: فنشدتك الله هل قالت لك: إن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولن منه شيئاً فإنّ فيه السحر؟ قال: اللهمّ نعم. قال: فتبلغ أنت عني؟ فقال: اللهمّ نعم، فاني قد أتيتك وما في الأرض خلق أبغض إليّ منك، وأنا الساعة ما في الأرض خلق أحبُّ إليّ منك، فمرني بما شئت.

قال عليه السلام: ارجع إليها بكتابي هذا، وقل لها: ما أطعتِ الله حيث أمرك بلزوم بيتك فخرجت ترددين في العسكر.

وقل لهما: ما أنصفتما الله ورسوله حيث خلفتم حلائلكم في بيوتكم

وأخرجتم حليلة النّبيّ ﷺ ـ فجاء بكتابه فطرحه إليها وأبلغها مقالته، ثم رجع إليه فأصيب بصفّين، فقالت: ما نبعث إليه بأحد إلّا أفسده علينا[١].

قول المصنّف:

«والرجل يعرف بكليب الجرمي».

هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[٢]، وليس في (ابن ميثم)[٣]، وكيف كان فكليب الجرمي عنونه (الاستيعاب). وروى أنّه قال: خرجت مع أبي إلى جنازة شهدها النّبيّ ﷺ وأنا غلام أفهم وأعقل، فقال ﷺ: إنّ الله تعالى يحب من العاقل إذا عمل عملاً أن يحسن[٤].

قلت: الأصل في خبره كما روى (الكافي): أنّ النّبيّ ﷺ رأى في قبر عثمان بن مظعون خللاً فقال ذلك.

والرجل وإن كان قال أنا في حال كوني غلاماً أفهم وأعقل، إلّا أنّه بعد صيرورته شيخاً ما كان يعقل، فتوهم أنّه يجوز له تقليده قومه في أمر الدين كأمر الدّنيا، حتّى ضرب عليه السلام له المثل مع أن مثله فطري ولذا بايع صاحباه.

ثم إنّه بعدما رأى منه عليه السلام الآيات لم يعرف أنّه لا محل للشرط معه عليه السلام، كما عرفته من خبر الواقدي.

هذا و(جرم) بالفتح والسكون ينصرف إلى جرم قضاعة، وإن قالوا: إنّ في بجيلة وعامله وطي أيضاً جرم.

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٠١؛ شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٩.

(٣) والعبارة موجودة في شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٦ أيضاً.

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣١٣.

١٠
الخطبة (١٥٦)

ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم:

فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى ٱللّهِ فَلْيَفْعَلْ؛ فَإِنْ أَطَعْتُمُوني؛ فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللّهُ عَلَى سَبِيلِ ٱلْجَنَّةِ؛ وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ. وَأَمَّا فُلاَنَةٌ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ ٱلْقَيْنِ، وَلَو دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ. وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا ٱلأُولَى، وَٱلْحِسَابُ عَلَى ٱللّهِ!

قول المصنّف «ومن كلام له عليه السلام خاطب به» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[1]، ولكن في (ابن ميثم): (ومن خطبة له عليه السلام خاطب بها)[2].

«أهل البصرة» بعد فتحها.

«وعلى جهة اقتصاص الملاحم» جمع الملحمة: الوقعة العظيمة في الفتن، ويمكن أن يريد عليه السلام ملاحم عصره من معاوية وأتباعه وملاحم بعده.

قوله عليه السلام:

«فمن استطاع عند ذلك» أي: وقوع ملحمة اقتصها عليه السلام لهم.

«أن يعتقل» أي: يحبس.

«نفسه على الله فليفعل» فقد قال تعالى: ﴿...ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب...﴾[3].

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٦٢؛ شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٨٩.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ٢٥٨.

(٣) الطلاق: ٢ ـ ٣.

«فإن أطعمتوني فإنّي حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنّة» سبيلها: العمل بالحق، ومعلوم من حاله عليه السلام أيّام النّبيّ صلى الله عليه وآله وأيّام المتقدمين عليه وأيّامه التزامه بالعمل بالحق وحمل النّاس عليه ـ.

وقد كان أعداؤه معترفين بذلك؛ ففي (الخلفاء): قال عمر يوم الشورى له عليه السلام وإنّك أحرى القوم، إن وليتها تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم.

وفي (الطبريّ): لمّا بلغ عمرو بن العاص وهو بوادي السباع قتل عثمان، قال: وإن يل الأمر بعده ابن أبي طالب فلا أراه إلّا سيستنظف الحقّ، وهو أكره من يليه إليّ[1].

«وإن كان» أي: سبيل الجنّة.

«ذا مشقّة شديدة ومذاقة مريرة» أي: مرّة «لأنّ الجنّة حفّت بالمكاره، كما أنّ النار حفّت بالشهوات»[2]. ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى * فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[3].

«وأمّا فلانة» هي بنت فلان الذي قال عليه السلام فيه: «أما والله لقد تقمصها فلان وإنّه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرحى»[4].

«فأدركها رأي النساء» وفي (ابن أبي الحديد)[5]: ضعف رأي النساء.

في (الخلفاء): أنكر عليّ عليه السلام على طلحة إخراجه بعائشة، فقال طلحة: إنّها إنّما جاءت للإصلاح. فقال عليّ عليه السلام: هي لعمر الله إلى من يصلح

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٦٠، سنة ٣٦.

(٢) مأخوذ من نهج البلاغة ٢: ١١٠، الخطبة ١٧٦.

(٣) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٤) نهج البلاغة ١: ٢٥ الخطبة ٣.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٩٢.

لها أمرها أحوج[١].

وفي (جمل المفيد): روى الواقدي عن الحسن البصريّ قال: أقبل أبو بكرة يريد أن يدخل مع طلحة والزبير في أمرهما، فلمّا رأى أنّ عايشة تدبرهما رجع عنهما فقيل له: مالك لم تدخل؟ قال: رأيت امرأة تلي أمرهما، وقد سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله -وقد ذكر ملكة سبأ- يقول: «لا أفلح قوم تدبر أمرهم امرأة» فكرهت الدخول معهما[٢].

وقال ابن أبي الحديد في شرح (ومن كلام له عليه السلام عند ذكر السائرين إلى البصرة): في (غريب حديث ابن قتيبة): في حديث حذيفة ذكر خروج عائشة قال النبيّ صلى الله عليه وآله: تقاتل معها مضر مضرها الله في النار وأزر عمان سلت الله أقدامها، وإنّ قيساً لا تنفك تبغي دين الله شرّاً حتّى يركبها الله بالملائكة فلا يمحو ذنب تلعة.

وهذا الحديث من أعلام نبوّة النّبيّ صلى الله عليه وآله، لأنّه إخبار عن غيب تلقاه حذيفة قبل الجمل، وهذا الحديث يؤكد مذهب أصحابنا في فسق أهل الجمل، إلّا من ثبت توبته وهم الثلاثة[٣].

قلت: لو كان قال بثبوت عدم توبتهم كان أقرب إلى الحقّ والواقع.

وفي (العقد): دخلت أمّ أوفى العبدية بعد الجمل على عائشة فقالت: يا أُمّ المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟ قالت: وجبت لها النار. قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد. قالت: خذوا بيد عدوّة الله. وماتت عايشة في أيّام معاوية، وقد قاربت

(١) الإمامة والسياسة ١: ٧٥.

(٢) الجمل للمفيد: ٢٩٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢١ ـ ١٢٢.

السبعين وقيل لها تدفنين مع النّبيّ، فقالت: إنّي أحدثت بعده حدثاً فادفنوني مع إخوتي بالبقيع.

وقد كان النّبيّ ﷺ قال لها: يا حميرا كأنّي بك تنبحك كلاب الحوأب، تقاتلين عليّاً وأنت له ظالمة.

والحوأب: قرية في طريق المدينة إلى البصرة، وبعض النّاس يسمّونها الحوب، وقد زعموا أنّ الحوأب ماء في طريق البصرة؛ قال في ذلك بعض الشيعة:

إنّي أُدين بحبّ آل محمّدٍ وبني الوصيّ شهودهم والغيّبِ
وأنا البريء من الزبير وطلحةٍ ومن التي نبحتْ كلاب الحوأبِ[1]

وفي (فصول المرتضى) المنتخبة من (محاسن المفيد): مر فضّال بن الحسن بن فضّال الكوفي بأبي حنيفة ـ وهو في جمع كثير يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه ـ فقال فضّال لصاحب كان معه: والله لا أبرح أو أُخجل أبا حنيفة.

فقال صاحبه: إنّ أبا حنيفة ممّن قد علت حاله وظهرت حجّته. فقال: مه هل رأيت حجّة كافر علت على مؤمن. ثم دنا منه فسلّم عليه وقال له: إنّ لي أخاً يقول خير النّاس بعد النّبيّ ﷺ عليّ، وأنا أقول: أبو بكر ثم عمر، فما تقول أنت؟ فأطرق ملياً، ثمّ رفع رأسه وقال: كفى بمكانهما من النّبيّ كرماً وفخراً، أما علمت انّهما ضجيعاه في قبره، فأي حجّة أوضح لك من هذا؟ فقال فضال: قد قلت ذلك لأخي، فقال: والله إن كان الموضع للنبي ﷺ دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حقّ، وإن كان الموضع لهما فوهباه للنبي ﷺ لقد أساءا وما أحسنا إذ رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما ـ فأطرق

ـــــــــ

(١) العقد الفريد ٥: ٧٩.

أبو حنيفة ساعة. ثم قال: قل له لم يكن لهما ولا له خاصّة، ولكنّهما نظرا في حق عايشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما.

فقال له فضال: قد قلت ذلك له، فقال: أنت تعلم أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله مات عن تسع حشايا فإذا لكل واحدة منهن تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك؟ وبعد فما بال عايشة وحفصة ترثان النّبيّ صلى الله عليه وآله وفاطمة ابنته عليها السلام تمنع الميراث؟ فقال أبو حنيفة: يا قوم نحّوه فإنّه رافضيّ خبيث[1].

قلت: والغريب «أنّ عمر لمّا طعن بعث إلى عايشة يستأذن منها في دفنه مع النّبيّ صلى الله عليه وآله»[2]، فلِمَ لم يستأذن ابنته حفصة كما قال أبو حنيفة؟ لكنّه أراد أن يجرئها ويعرّفها مالكة للبيت، حتّى تمنع دفن بني هاشم فيه، كما منعت من دفن الحسن عليه السلام فيه.

ففي (مقاتل أبي الفرج): قال يحيى بن الحسن: سمعت عليّ بن طاهر بن زيد يقول لمّا أرادوا دفن الحسن بن عليّ عليه السلام: ركبت عايشة بغلاً واستعونت بني أُميّة ومروان ومن كان هناك منهم ومن حشمهم، وهو قول القائل:

فيوماً على بغل ويوماً على جمل[3]

وفي (تاريخ اليعقوبي): ـ في دفن الحسن عليه السلام ـ قيل: أنّ عايشة ركبت بغلة شهباء وقالت: بيتي لا آذن فيه لأحد، فأتاها القاسم بن محمّد بن أبي بكر فقال لها: يا عمّة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدين أن يُقال يوم البغلة الشهباء[4].

---

(١) فصول المرتضى: ٧٤؛ الاحتجاج ٢: ٣٨٢.

(٢) نقله ابن سعد في الطبقات ٣: ٣٦٣.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٩.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥.

وفي (الكافي) بأسانيد عن أبي جعفر عليه السلام: لمّا احتضر الحسن عليه السلام قال لأخيه عليه السلام: أُوصيك بوصيّة فأحفظها، إذا مت هيئني ثم وجّهني إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله لأُحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى أُمّي، ثم ردني فادفنّي بالبقيع، واعلم أنّه سيصيبني من الحمراء ما يعلم النّاس من ضغنها وعداوتها لله ورسوله وعداوتها لنا أهل البيت.

فلمّا قبض الحسن عليه السلام وضع على سريره، وانطلقوا به إلى مصلّى النّبيّ صلى الله عليه وآله الذي كان يصلّي فيه على الجنائز، فصلّوا على الحسن عليه السلام، ثمّ حمل فلمّا أوقف على قبر النّبيّ صلى الله عليه وآله بلغ عايشة الخبر، وقيل لها: إنّهم أقبلوا به ليُدفن مع النّبيّ صلى الله عليه وآله فخرجت مبادرة على بغل بسرج. فكانت أوّل امرأة ركبت في الإسلام سرجاً، فوقفت وقالت: نحّوا ابنكم عن بيتي، فإنّه لا يُدفن فيه ولا يهتك على النّبيّ حجابه. فقال لها الحسين عليه السلام: قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب النّبيّ صلى الله عليه وآله، وأدخلت بيته من لا يحبّ قربه وإنّ الله يسألك عن ذلك، يا عائشة إنّ أخي أمرني أن أُقرِّبه من أبيه رسول الله صلى الله عليه وآله ليحدث به عهداً، واعلمي أنّ أخي أعلم النّاس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على النّبيّ سرّه وإنّ الله تعالى يقول:

﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النّبيّ إلّا أن يؤذن لكم...﴾[1]، وقد أدخلت أنت بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله الرجال بغير إذنه، وقد قال تعالى: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النّبيّ...﴾[2]، ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند أُذن النّبيّ صلى الله عليه وآله المعاول. وقال تعالى: ﴿ إنّ الذين يغضون

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) الحجرات: ٢.

أصواتهم عند رسول الله أُولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى...﴾[١] ولعمري لقد أدخل أبوكِ وفاروقه على النّبيّ ﷺ بقربهما منه الأذى وما رعيا من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسوله ان الله حرّم من المؤمنين امواتاً، ما حرّم منهم أحياء. وتالله يا عايشة لو كان هذا الذي كرهته من دفن الحسن عليه السلام عند أبيه جائزاً فيما بيننا وبين الله تعالى، لعلمت أنّه سيدفن وإن رغم معطسك.

ثم تكلم محمّد بن الحنفية وقال: يا عايشة يوماً على بغل ويوماً على جمل، فما تملكين نفسك عداوة لبني هاشم...[٢].

وفي (أمالي الشيخ) بأسانيد عن ابن عبّاس في وصية الحسن عليه السلام ودفنه -إلى أن قال- قال ابن عبّاس: فإذا أنا بعايشة في أربعين راكباً على بغل مرحل تقدمهم وتأمرهم بالقتال، فلمّا رأتني قالت: إليّ إليّ يا بن عبّاس، لقد اجترأتم عليّ في الدّنيا تؤذونني مرّة بعد أُخرى، تريدون أن تُدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أُحبّ. فقلت: واسوأتاه يوم على بغل ويوم على جمل، تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله، وتحولي بين رسول الله ﷺ وبين حبيبه أن يدفن معه ارجعي فقد كفى الله المؤونة، ودفن الحسن إلى جنب أُمّه، فلم يزدد من الله إلّا قرباً وما ازددتم منه والله إلّا بُعداً. يا سوأتاه انصرفي فقد رأيت ما سرّك.

فقطبت في وجهي ونادت بأعلى صوتها: ما نسيتم الجمل يا بن عبّاس إنكم لذووا أحقاد -فقلت: أمَ والله ما نسيه أهل السماء فكيف ينساه أهل الأرض.

فانصرفت وهي تقول:

---

(١) الحجرات: ٣.

(٢) الكافي ١: ٣٠٢ ـ ٣٠٣؛ الإرشاد ٢: ١٧ ـ ١٩؛ شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٤٩.

فألقتْ عصاها واستقرّتْ بها النوى   كما قرّ عيناً بالإياب المسافر[١]

وفي (المروج): رئي بالبصرة رجل مصطلم الأذن، فسُئل عن قصّته، فذكر أنّه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول:

لقد أوردتْنا حَوْمةَ الموت أُمّنا   فلم تنصرف إلّا ونحن رواء

أطعنا بني تيمٍ لشقوة جدنا   وما تيم إلّا أعبد وإماء

فقلت: سبحان الله لو تتشهد بدل ذلك كان خيراً لك. فصاح بي: ادن منّي لقنّي الشهادة. فصرت إليه، فلمّا قربت منه استدناني ثم التقم أُذني فذهب بها، فجعلت ألعنه فقال: إذا صرت إلى أُمك فقالت: من فعل بك هذا؟ فقل: عمير بن الأهلب الضبي مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أميرة المؤمنين[٢].

وإخواننا افتعلوا لأُمّهم روايات وما تغني عنها، وقد تحقّق أنّه نزل في ذمّها آيات. قال بعض الشيعة مشيراً إلى ما ذكرت العامّة لها، أنّها حفظت أربعين ألف حديث، ولكن نست قوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهليّة الأُولى...﴾[٣].

حفظت أربعين ألف حديثاً   ومن الذكر آية تنساها

ومن الآيات التي قلنا قوله تعالى: ﴿...ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن...﴾[٤].

روى الثعلبي ـ كما في (غبن العترة) ـ أنّها نزلت في عايشة وحفصة، سخرتا من أُم سلمة، وذلك أنّ أُم سلمة ربطت حقويها بسبيبة ـ وهي ثوب

---

(١) أمالي الطوسي ١: ١٥٩ ـ ١٦٢؛ بحار الأنوار ٤٤: ١٥١ ـ ١٥٣.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٧٩.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) الحجرات: ١١.

أبيض -وكان سللت طرفها خلفها فكانت تجرّه. فقالت عايشة لحفصة: انظري ما تجر خلفها كأنّه لسان كلب. إلّا انّهما كانتا تسخران النّبيّ كما يأتي فكيف تباليان من مسخرة أُمّ سلمة[١].

الثانية: قوله تعالى: ﴿...لِمَ تُحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك...﴾[٢].

ففي (الكشاف): روى أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله شرب عسلاً في بيت زينب بنت جحش، فتواطأت عايشة وحفصة فقالتا له: إنّا نشم منك ريح المغافير فحرّم العسل، فنزلت الآية[٣].

وروى الحميدي في (الجمع بين الصحيحين): عن عائشة قالت: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً، فآليت أنا وحفصة أن أيّتنا دخل النّبيّ عليها تقول له: انّي أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير -إلى أن قال- فقال صلى الله عليه وآله لها: بل شربت عسلاً عند زينب ولن أعود، فنزلت: ﴿ لِمَ تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك﴾[٤].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[٥].

قال في (الكشاف): خطاب لحفصة وعايشة على طريقة الالتفات ليكون

---

(١) مجمع البيان للطبري ٩: ١٣٥ وكذلك بحار الأنوار للمجلسي ٢٢: ٢٢٨ باب ٤.

(٢) التحريم: ١.

(٣) الكشّاف

(٤) صحيح البخاري ٦: ١٦٧ وفي صحيح مسلم حديث رقم ٢٦٩٤. والآية ١ من سورة التحريم.

(٥) التحريم: ٤.

أبلغ في معاتبتهما[١].

قال: وعن ابن عبّاس: لم أزل حريصاً على أن أسأل عنهما عمر، حتّى حجّ وحججت معه، فلمّا كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه، فسكبت الماء على يده فتوضأ ـ فقلت من هما؟ ـ فقال: عجباً يا بن عبّاس ـ كأنّه كره ما سألته عنه ـ ثم قال: هما حفصة وعايشة[٢].

وتدبّر في قوله تعالى: ﴿...وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[٣]، حيث جعل في مقابل مظاهرة عايشة وحفصة على عداوة نبيّه صلى الله عليه وآله، معاونته تعالى له، ثم معاونة جبرئيل وصالح المؤمنين ـ وهو أمير المؤمنين عليه السلام ـ له، ثم مظاهرة ملائكته له.

قال الزمخشري: فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه[٤].

وفي (ذيل الطبريّ): قال أبو أسيد الساعديّ: تزوّج النبيّ صلى الله عليه وآله أسماء ابنة النعمان الجونيّة، وأرسلني فجئت بها، فقالت حفصة لعائشة ـ أو عائشة لحفصة ـ: اخضبيها أنت، وأنا أُمشطها، ففعلتها، ثم قالت إحداهما لها: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يعجبه من المرأة إذا أُدخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك. فلمّا أُدخلت عليه وأغلق الباب وأرخى الستر ومدّ يده إليها قالت: أعوذ بالله منك، فجعل كمّه على وجهه وقال: عذت معاذاً ـ ثلاث مرّات ـ وخرج، وقال لأبي أسيد: الحقها بأهلها، فقالت: ادعوني الشقيّة وماتت كمداً[٥].

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤ : ٥٦٦، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) المصدر نفسه ٤ : ٥٦٦.

(٣) التحريم: ٤.

(٤) الكشاف للزمخشري ٤ : ٥٦٦ ـ ٥٦٧.

(٥) ذيل المذيل من تاريخ الطبري ١١: ٦١٤.

فتظاهرتا على النّبيّ صلى الله عليه وآله في منعه عمّا أحل الله له، وتسببتا لهلاك مؤمنة.

وروى أبو مخنف والواقدي والمدائني -كما نقل ابن أبي الحديد في شرح (ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة)[١] -أنّ عايشة كتبت إلى حفصة: أمّا بعد فإنّي أُخبرك أنّ علياً قد نزل ذاقار وأقام بها مرعوباً خائفاً لمّا بلغه من عدتنا وجماعتنا، فهو بمنزلة الأشقر إن تقدّم عقر، وإن تأخّر نحر. فدعت حفصة جواري لها يتغنين ويضربن بالدفوف، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن: (ما الخبر، عليّ في السفر، كالفرس الأشقر، إن تقدّم عقر، وإن تأخّر نحر)، وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء. فبلغ ذلك أُمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام، فلبست جلابيبها ودخلت عليهنّ في نسوة منكرات، ثم أسفرت عن وجهها، فلمّا عرفتها حفصة خجلت واسترجعت، فقالت لها أُمّ كلثوم: لئن تظاهرتما على أبي منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه النّبيّ صلى الله عليه وآله فأنزل تعالى فيكما ما أنزل[٢].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾[٣].

روى إبراهيم الثقفيّ في (تاريخه) -كما في (تقريب الحلبيّ) -: أنّ عثمان صعد المنبر فنادته عايشة -ورفعت قميص النّبيّ صلى الله عليه وآله -: لقد خالفت صاحب هذا القميص. فقال عثمان: إنّ هذه الزعراء عدوّة الله، ضرب الله مثلها ومثل

(١) نهج البلاغة ٣: ٢ الكتاب ١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ١٣.

(٣) التحريم: ١٠.

صاحبتها حفصة في الكتاب بامرأة نوح وامرأة لوط[١].

وقال الزمخشريّ في (الكشّاف) مشيراً إلى هذه الآية وإلى الآية التي بعدها: ﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون... ﴾[٢]، في طيّ هذين التمثيلين تعريض بأمّي المؤمنين المذكورتين في أوّل السورة، وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله بما كرهه، وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده، لما في التمثيل من ذكر الكفر، وأشار إلى أنّ من حقّهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين، وألّا تتّكلا على أنّهما زوجا النّبيّ، فإنّ ذلك الفضل لا ينفعهما، إلّا مع كونهما مخلصتين. والتعريض بحفصة أرجح، لأن امراة لوط أفشت عليه، كما أفشت حفصة على النّبيّ ﷺ. وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة في اللطف والخفاء حدّاً يدق عن تفطّن العالم ويزل عن تبصره[٣].

قلت: نعم أسرار التنزيل كما ذكر، إلّا ان آيات أُمّي المؤمنين لهم من اعلانها لا أسرارها، ومن محكماتها لا متشابهاتها، إلّا أنّ المكابر لا علاج له ﴿ ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قُبلاً ما كانوا ليؤمنوا... ﴾[٤].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿ يا نساء النّبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً ﴾[٥]، وهل فاحشة أبين ممّا أتت به في الجمل؟

---

(١) تقريب المعارف، مخطوط. ونقل مثله العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار ط الكمباني، ٨/ نقلاً عن كشف الغمّة.

(٢) الزمخشري: الكشاف ٤ / ٥٧١، والآية ١١ من سورة التحريم.

(٣) الكشاف

(٤) الأنعام: ١١١.

(٥) الأحزاب: ٣٠.

وفي (الطبريّ) عن عمّار الدّهني: أخذ عليّ عليه السلام مصحفاً يوم الجمل فطاف به في أصحابه، وقال: من يأخذ هذا المصحف ويدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشوّ، فقال: أنا، فأعرض عنه. ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقال الفتى: أنا. فأعرض عنه. ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقال الفتى: أنا. فدفعه إليه فدعاهم، فقطعوا يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى، فدعاهم فقطعوا يده اليسرى فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه، فقتل. فقالت أُمّ الفتى:

لا همّ إنّ مسلماً دعاهمُ ... يتلو كتاب الله لا يخشاهمُ

وأُمّهم قائمة تراهمُ ... يأتمرون الغيّ لا تنهاهمُ[1]

وعن الزهريّ، قال: قال عليّ عليه السلام لأصحابه: أيّكم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه، فإن قطعت يده أخذه بيده الأُخرى، وإن قطعت أخذه بأسنانه؟ قال فتى شاب أنا...[2].

ومرّ خبر أبي مخنف ـ بعد ذكر غدر عائشة وطلحة والزبير بعثمان بن حنيف وأسره ـ فلمّا ضرب ضرب الموت ونتف حاجباه وأشفار عينيه وكل شعرة في رأسه ووجهه وأخذوا السبابجة وهم سبعون رجلاً فانطلقوا بهم وبابن حنيف إلى عائشة فقالت لأبان بن عثمان: اخرج إليه فاضرب عنقه، فإنّ الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله. فنادى ابن حنيف: يا عائشة ويا طلحة ويا زبير، إنّ أخي سهل بن حنيف خليفة عليّ بن أبي طالب على المدينة، وأُقسم بالله أن لو قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم ورهطكم. فكفّوا عنه

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥١١ ـ ٥١٢، سنة ٣٦.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٥٠٩، سنة ٣٦.

وخافوا أن يوقع سهل بأهليهم بالمدينة.

وأرسلت عائشة إلى الزبير أن اقتُل السبابجة، فإنّه قد بلغني الذي صنعوا بك ـ تعني تأخير السبابجة الزبير عن أمام الصفوف حتّى يصلّي بهم ابن حنيف ـ فذبحهم والله كما يذبح الغنم؛ ولّي ذلك منهم ابن الزبير وهم سبعون رجلاً.

والله تعالى يقول: ﴿ ...من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾[1]، واخواننا يقولون: إنّ عايشة وإن أتت بما أتت من الفواحش المبيّنات إلّا انّ عذابها عندنا عسير.

فقال الجرزي بعد نقل رجز ربيعة العقيلي من أصحابه عليه السلام:

يا أمّنا أعقّ أُمٍّ نعلمُ والأُمّ تغذو ولداً وترحم

ألا ترين كم شجاع يكلم وتختلى منه يد ومعصم

كذب ربيعة؛ هي أبرُّ أمّ نعلم.

السادسة: قوله تعالى: ﴿ وقرن في بيوتكنّ ولا تبرجن تبرج الجاهليّة الأولى...﴾[2].

وفي (الطبريّ): أقبل زيد بن صوحان ومعه كتاب من عائشة إليه خاصّة، وكتاب منها إلى أهل الكوفة عامة، تثبطهم عن نصرة عليّ عليه السلام وتأمرهم بلزوم الأرض.

فقال زيد: أيُّها النّاس انظروا إلى هذه أُمرت أن تقرّ في بيتها، وأُمرنا نحن أن نقاتل حتّى لا تكون فتنة، فأمرتنا بما أُمرت به وركبت ما أُمرنا به. ثم قرأ: ﴿ ألم * أحسب النّاس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا

---

(١) الأحزاب: ٣٠.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[١].

وفي (طبقات ابن سعد) كاتب الواقدي: كانت عايشة تكشف قناعها حيث دفن أبوها مع النّبيّ، فلمّا دفن عمر تقنعت فلم تطرح القناع[٢].

قلت: إذا كانت بذاك الحياء وتلك العفّة حتّى تتقنّع من ميت عمر تحت التراب، فلِمَ تبرجت لآلاف من أخلاط النّاس والجنود؟ ومعلوم من حالهم ان أغلبهم فسقة وطالبوا الفجور، وكيف لم تلاحظ طلحة يلازمها ركوباً ونزولاً، وقد كان له فيها نظر في حياة النّبيّ ﷺ حتّى قال: إن مات محمّد أنكح عائشة كما ينكح هو امرأة كلّ من مات منّا[٣].

وقالوا: قال ابن الجوزيّ يوماً على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، فسألته امرأة عمّا روي أنّ عليّاً عليه السلام سار في ليلة إلى سلمان فجهّزه ورجع، فقال: روي ذلك. فقالت: فعثمان طرح ثلاثة أيّام منبوذاً إلى المزابل وعليّ حاضر؟ قال: نعم. فقالت: فقد الزم الخطأ لأحدهما، فقال لها: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنة الله وإلّا فعليه. فقالت له: فعائشة خرجت إلى حرب عليّ بإذن النبيّ أو بغير إذنه؟ فانقطع ولم يحر جواباً[٤].

السابعة: قوله تعالى: ﴿إنّ الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدّنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾[٥].

روى كتاب الواقدي في (طبقاته): عن الواقدي عن محمّد بن عبدالله عن

---

(١) تايخ الطبري ٤: ٤٨٣ ـ ٤٨٤، سنة ٣٦، والآيات ١ ـ ٣ من سورة العنكبوت.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢: ٢٩٤.

(٣) الطرائف ٢: ٤٩٢ ـ ٤٩٣ وعنه البحراني في تفسير البرهان ٣: ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٤) نقله العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ١٨٣، ط الكمباني.

(٥) النور: ٢٣ ـ ٢٤.

الزهري عن عروة عن عايشة ـ قالت: لمّا ولد إبراهيم جاء به النّبيّ صلى الله عليه وآله إليَّ، فقال: انظري إلى شبهه بي ـ فقلت: ما أرى شبهاً ـ فقال: ألا ترين إلى بياضه ولحمه؟ فقلت: من قصر عليه اللقاح ابيضّ وسمن[1].

وعنه عن ابن حزم عن عروة عن عائشة مثله ـ إلّا أنّه قال: قالت عايشة من سقى ألبان سمن وابيض. قال الواقدي: كانت للنّبيّ صلى الله عليه وآله قطعة غنم تروح عليه ولبن لقاح له ...[2] وسيأتي زيادة كلام في نقل كلام ابن أبي الحديد.

وروى ابن حمدان الحضيني ـ كما في (تفسير البحرانيّ) ـ عن الرضا عليه السلام: أنّ مارية لمّا أهداها المقوقس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان معها خادم ممسوح يقال له جريح، وحسن إسلامهما وإيمانهما، ثمّ مُلكت مارية النّبيّ صلى الله عليه وآله فحسدها بعض أزواجه، فأقبلت حفصة وعايشة تشكيان إلى أبويهما ميل النبيّ إلى مارية وإيثاره إيّاها عليهما، حتّى سوّلت لهما ولأبويهما أنفسهم بأن يقذفوا مارية بأنّها حملت بإبراهيم من جريح، وهم لا يظنّون أنّ جريحاً خادم ممسوح فأقبل أبواهما وقالا للنبيّ صلى الله عليه وآله ـ وهو جالس في مسجده ـ أنّ جريحاً لا يحلّ لنا أن نكتمك من أمره وما يظهر من خيانته شيئاً، فقال: ما تقولان؟ قالا: يأتي من مارية الفاحشة العظمى، وإنّ حملها من جريح وليس هو بخادم. فأربد وجهه وتلوّن، ثمّ قال: ويحكما ما تقولان؟ قالا: إنّا خلفنا جريحاً ومارية في مشربتها ـ يعنيان حجرتها ـ وهو يفاكهها ويروم منها ما يروم الرجل من النساء، فابعث إلى جريح فإنّك تجده على هذه الحال، فانفذ فيه حكم الله. فانثنى النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام وقال: قم يا أخي، ومعك ذوالفقار حتّى تمضي إلى مشربة مارية، فإن صادفتها وجريحاً يصنعان

---

(١) الطبقات لابن سعد ١: ١٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

فأخمدهما بسيفك، فقام واتّشح بسيفه واتّخذه تحت ثيابه، فلمّا ولّى قال: يا رسول الله أكون في ما أمرتني به كالسكة المحماة في العهن، أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فأقبل عليه السلام سيفه في يده حتى تسوّر من فوق مشربة مارية -وهي في جوف المشربة جالسة ويقول لها: عظمي النبيّ صلى الله عليه وآله وكرميه ونحو هذا الكلام- حتّى التفت إليه عليه السلام وسيفه مشهور في يده ففزع إلى نخلة في المشربة، فصعد إلى رأسها، فنزل عليه السلام إلى المشربة وكشفت الريح عن أثواب جريح فاذا خادم ممسوح. فقال له: انزل. فقال: آمناً على نفسي؟ فقال: امناً على نفسك. فنزل فأخذ بيده وجاء به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: إنّ جريحاً خادم ممسوح -إلى أن قال- فأنزل تعالى: ﴿ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات...﴾[1].

وفي (تفسير القمي): قال ابن بكير لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك أمر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقتل القبطي، وقد علم أنّها كذبت أو لم يعلم، وإنّما دفع الله تعالى القتل عن القبطي بتثبيت عليّ عليه السلام... فقال: بل كان والله يعلم ولو كان عزيمة من النّبيّ صلى الله عليه وآله ما انصرف عليّ عليه السلام حتّى يقتله، ولكن إنّما فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لترجع عن ذنبها، فما رجعت ولا اشتدّ عليها قتل رجل مسلم[2].

الثامنة: قوله تعالى: ﴿والّذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأُولئك هم الفاسقون﴾[3].

روى (العلل) مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام قال: أما لو قد قام قائمنا لقد

(١) البرهان في تفسير القرآن ٣: ١٢٧ ـ ١٢٨، وقريب منه ما في تفسير القمّي ٢: ٩٩ ـ ١٠٠ والآية ٢٣ من سورة النور.

(٢) تفسير القمّي ٢: ٣١٩.

(٣) النور: ٤.

ردت إليه الحميراء حتّى يجلدها الحدّ، وحتّى ينتقم الله لابنة محمّد صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام. قلت له: جعلت فداك ولِمَ يجلدها الحدّ؟ قال: لفريتها على أُمّ إبراهيم[1].

قلت: ولا يستنكر ما في الخبر، فلا ريب أنّ عائشة رمت مارية باتّفاق الخاصّة والعامّة، وأنّها استحقت الحدّ، ولم يقل أحد أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أجرى عليها الحد، ولم يكن النّبيّ ليعطّل حداً من حدود الله على قريب ولا بعيد. فلابد أنّ الحكمة اقتضت تأخير إجرائه على يد المهدي من ولده عليه السلام.

ورجعة جمع في أيّام المهديّ عليه السلام عند الإمامية قطعية.

ويناسب أن ننقل كلام شيخ ابن أبي الحديد، يوسف بن إسماعيل اللمعانيّ، الذي نقله عنه بعد التحقيق، ما في الخبر من رمي عائشة لمارية وإيذائها لسيّدة نساء العالمين. وكلامه وإن كان مشتملاً على الغثّ والسمين، لكن نشير بعد إلى ما في غثّه.

فقال: أوّل بدء الضغن كان بين عائشة وبين فاطمة، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تزوّجها عقيب خديجة، ومعلوم أنّ ابنة الرجل إذا ماتت أُمّها وتزوّج أبوها أُخرى كان بينهما كدر وشنآن، ثم اتفق أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مال إليها فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله. وأكرم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة إكراماً عظيماً، أكثر ممّا كان النّاس يظنّونه وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم، حتّى خرج بها عن حد حبّ الآباء للأولاد، فقال بمحضر الخاص والعام مراراً لا مرّة واحدة، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد: إنّها سيّدة نساء العالمين، وإنّها عديلة مريم بنت عمران، وإنّها إذا مرّت في الموقف نادى مناد من جهة العرش: يا أهل الموقف غضّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، وهذا من الأحاديث الصحيحة

---

[1] علل الشرايع ٢: ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

وليس من الأخبار المستضعفة.

وإنّ إنكاحه عليّاً إيّاها ما كان إلّا بعد أن أنكحه الله تعالى إيّاها في السماء بشهادة الملائكة ـ.

وكم قال لا مرّة: «يؤذيني ما يؤذيها، ويغضبني ما يغضبها، وإنّها بضعة منّي يريبني ما رابها».

فكان هذا وأمثاله زيادة الضغن عند الزوجة، حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل، والنفوس البشرية تغيظ على ما دون هذا، فكيف هذا؟ ثم حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها، أعني عليّاً فإنّ النساء كثيراً ما يحصلن الاحقاد في قلوب الرجال، لا سيّما وهنّ محدّثات الليل كما قيل في المثل.

وكانت تكثر الشكوى من عائشة، ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عائشة ثم يذهبن إلى بيت عائشة فينقلن إليها كلمات عن فاطمة، وكما كانت فاطمة تشكو إلى بعلها كذلك كانت عايشة تشكو إلى أبيها، لعلمها أنّ بعلها لا يشكيها على ابنته فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثر ما. ثم تزايد تقريظ النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام وتقريبه واختصاصه، فأحدث ذلك حسداً له وغبطة في نفس أبي بكر عنه وهو أبوها، وفي نفس طلحة وهو ابن عمّها وهي تجلس إليهما وتسمع كلامهما وهما يجلسان إليها ويحادثانها، فأعدى إليها منهما كما أعدى إليهما.

ولست أبرّئ عليّاً عليه السلام من مثل ذلك، فإنّه كان ينفس على أبي بكر سكون النبيّ عليه السلام إليه وثناءه عليه، ويحب أن ينفرد هو بهذه المزايا والخصائص دونه ودون النّاس أجمعين، ومن انحرف عن إنسان انحرف عن أهله وأولاده، فتأكدت البغضة بين الفريقين. ثم كان من أمر القذف ما كان، ولم يكن عليّ عليه السلام من القاذفين، ولكنّه كان من المشيرين على النبيّ صلى الله عليه وآله

بطلاقها، تنزيهاً لعرض النبيّ عليه السلام عن أقوال الشنأة والمنافقين.

وقال له لمّا استشاره: إن هي إلّا شسع نعلك، وقال له: سل الخادم وخوّفها وإن أقامت على الجحود فاضربها، وبلغ عائشة هذا الكلام وسمعت أضعافه ممّا جرت عادة النّاس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة.

ونقل النساء إليها كلاماً كثيراً عن عليّ وفاطمة، وأنّهما قد أظهرا الشماتة بها جهاراً وسرّاً بوقوع هذه الحادثة لها، فتفاقم الأمر وغلظ. ثم إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله صالحها ورجع إليها ونزل القرآن ببراءتها، فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر بعد أن قهر، ويستظهر بعد أن غلب، ويبرأ بعد أن اتّهم، من بسط اللسان وفلتات القول، وبلغ ذلك كلّه علياً وفاطمة، فاشتدت الحال وغلظ وطوى كل من الفريقين قلبه على الشنآن لصاحبه.

ثمّ كان بين عائشة وعليّ عليه السلام في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله أحوال وأقوال، كلّها تهيج ما في النفوس نحو قولها له ـ وقد استدناه النّبيّ صلى الله عليه وآله فجاء حتّى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان: أما وجدت مقعداً لكذا ـ لا تكني عنه ـ إلّا فخذي!

ونحو ما روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ساير علياً عليه السلام يوماً وأطال مناجاته، وهي سائرة خلفهما حتّى دخلت بينهما وقالت: فيم أنتما فقد أطلتما. فيقال إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله غضب ذلك اليوم.

وما روي من حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها، ونحو ذلك ممّا يكون بين الأهل وبين المرأة وأحمائها.

ثمّ اتّفق أنّ فاطمة ولدت كثيراً بنين وبنات ولم تلد هي ولداً، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقيم بني فاطمة مقام بنيه ويسمّي الواحد منهما ابني ويقول: دعو إليّ ابني ولا ترزموا على ابني وما فعل ابني. فما ظنّك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل، ثم رأت البعل تبنّى بني ابنته من غيرها، ويحنو عليهم حنوّ

الولد المشفق، هل تكون محبّة لأولئك البنين ولأُمّهم ولأبيهم أم مبغضة! وهل تودّ دوام ذلك واستمراره أم زواله وانقضاءه؟!

ثمّ اتفق أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله سدّ بابِ أبيها إلى المسجد وفتح باب صهره، ثم بعث أباها ببراءة إلى مكة ثمّ عزله عنها بصهره، فقدح ذلك أيضاً في نفسها. وولد للنبي صلى الله عليه وآله إبراهيم من مارية فأظهر عليّ عليه السلام بذلك سروراً كثيراً، وكان يتعصّب لمارية، ويقوم بأمرها عند النّبيّ صلى الله عليه وآله ميلاً على غيرها، وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة فبرّأها عليّ عليه السلام منها وكشف بطلانها، أو كشفه الله تعالى على يده، وكان ذلك كشفاً محساً بالبصر لا يتهيّأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل ببراءة عائشة، وكلّ ذلك ممّا كان يوغر صدر عائشة عليه، ويؤكّد ما في نفسها منه، ثمّ مات إبراهيم فأبطنت شماتة وإن أظهرت كآبة، ووجم عليّ عليه السلام من ذلك وكذلك فاطمة، وكانا يؤثران ويريدان أن تتميّز مارية عليها بالولد، فلم يقدر لهما ولا لمارية ذلك وبقيت الأمور على ما هي عليه وفي النفوس ما فيها حتّى مرض النبيّ صلى الله عليه وآله المرض الذي توفي فيه فكانت فاطمة وعليّ عليهما السلام يريدان أن يمرّضاه، وكذلك كان أزواجه، فمال إلى بيت عائشة بمقتضى المحبّة القلبيّة التي كانت لها دون نسائه، وكره أن يزاحم فاطمة وبعلها في بيتهما، فلا يكون عنده من الانبساط لوجودهما، ما يكون إذا خلا بنفسه في بيت من يميل إليه بطبعه. وعلم أنّ المريض يحتاج إلى فضل مداواة ونوم ويقظة وانكشاف وخروج حدث، فكانت نفسه إلى بيتها أسكن منها إلى بيت صهره وبنته، فإنّه إذا تصوّر حياءهما منه استحيى هو أيضاً منهما، وكلّ أحد يجب أن تخلو بنفسه ويحتشم الصهر والبنت، ولم يكن له الميل إلى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل إليها، فمرض في بيتها فغبطت على ذلك، ولم يمرُض النبيّ صلى الله عليه وآله منذ قدم

المدينة مثل هذا المرض، وإنّما كان مرضه الشقيقة يوماً أو بعض يوم ثم يبرأ، فتطاول هذا المرض، وكان عليّ عليه السلام لا يشكّ أنّ الأمر له، وأنّه لا ينازعه فيه أحد من النّاس. ولقد قال له عمّه وقد مات النبيّ صلى الله عليه وآله : امدد يدك أُبايعك، فيقول النّاس عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يتخلّف عليك اثنان، قال: يا عم وهل يطمع فيها طامع غيري؟ قال: ستعلم. قال: فإنّي لا أُحب هذا الأمر من وراء رتاج، وأُحبّ أن أصحر به. فسكت عنه. فلمّا ثقل النبيّ صلى الله عليه وآله في مرضه أنفذ جيش أُسامة وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار. فكان عليّ بوصوله إلى الأمر إن حدث بالنبيّ صلى الله عليه وآله حدث أوثق. وغلب على ظنّه أنّ المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكليّة فيأخذه صفواً عفواً ويتمّ له البيعة، فلا يتهيّأ فسخها لو رام ضدّ منازعته عليها. فكان من عود أبي بكر من جيش أُسامة بإرسال عائشة إليه، وإعلامه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يموت ما كان، ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف فنسب عليّ عليه السلام عائشة إلى أنّها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمر أباها فليصلّ بالنّاس، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كما روي قال: يصلّي بالناس أحدهم ولم يعيّن ـ وكانت صلاة الصبح فخرج النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو في آخر رمق يتهادى بين عليّ عليه السلام والفضل بن عبّاس، حتّى قام في المحراب كما ورد في الخبر، ثمّ دخل فمات ارتفاع الضحى. فجعل عمر صلاته حجّة في صرف الأمر إليه، وقال: أيّكم يطيب نفساً أن يتقدّم قدمين قدمهما النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة. ولم يحملوا خروج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن، فبويع على هذه النكتة التي اتّهمها عليّ عليه السلام انّها ابتدئت منها، وكان عليّ عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً، ويقول: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل: (إنكن لصويحبات يوسف) إلّا إنكاراً لهذه الحال وغضباً منها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وأنّه استدركهما

بخروجه وصرفه عن المحراب، فلم يجد ذلك ولا أثر مع قوّة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر ويمهّد له قاعدة الأمر، وتقرّر حاله في نفوس النّاس ومن اتّبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار، ولمّا ساعد على ذلك من الحظّ الفلكيّ، الأمر السمائيّ الذي جمع عليه القلوب والأهواء، فكانت هذه الحال عند عليّ عليه السلام أعظم من كلّ عظيم وهي الطامّة الكبرى والمصيبة العظمى، ولم ينسبها إلّا إلى عائشة وحدها، ولا علّق الأمر الواقع إلّا بها، فدعا عليها في خلواته وبين خواصّه، وتظلّم إلى الله منها، وجرى له في تخلّفه عن البيعة ما هو مشهور حتّى بايع، وكان يبلُغه وفاطمة عنها كلّ ما يكرهانه منذ مات النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن توفيت فاطمة عليها السلام، وهما صابران على مضض ورمض، واستظهرت بولاية أبيها واستطالت وعظم شأنها وانخذل عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام وقهرا، وأخذت فدك، وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مراراً، فلم تظفر بشيء، وفي كلّ ذلك تبلغها النساء الداخلات والخارجات عن عائشة كلّ كلام يسؤوها، ويبلغن عائشة عنها وعن بعلها مثل ذلك، إلّا أنّ شتّان ما بين الحالين، وبعدما بين الفريقين هذه غالبة وهذه مغلوبة، وهذه آمرة وهذه مأمورة، وظهر التشفّي والشماتة، ولا شيء أعظم مرارة ومشقّة من شماتة العدوّ[1].

قال ابن أبي الحديد قلت له: أفتقول إنّ عائشة عيّنت أباها للصلاة والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يعيّنه؟ فقال: أمّا أنا فلا أقول ذلك، ولكنّ عليّاً كان يقول وتكليفي غير تكليفه، كان حاضراً ولم أكن حاضراً، فأنا محجوج بالأخبار التي اتّصلت بي، وهي تتضمّن تعيين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر في الصلاة، وهو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنّه من الحال التي كان حضرها؛ قال:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٩٢ ـ ١٩٨.

ثم ماتت فاطمة فجاءت نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كلّهن إلى بني هاشم في العزاء إلّا عائشة، فإنّها لم تأت أظهرتْ مرضاً، ونقل إلى عليّ عليه السلام عنها كلام يدلّ على السرور، ثم بايع عليّ أباها فسرّت بذلك وأظهرت من الاستبشار بتمام البيعة واستقرار الخلافة وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا، واستمرت الأُمور على هذه مدّة خلافة أبيها، وخلافة عمر وعثمان، والقلوب تغلي، والأحقاد تذيب الحجارة، وكلّما طال الزمان على عليّ عليه السلام تضاعفت همومه وغمومه، وباح بما في نفسه إلى أن قتل عثمان ـ وقد كانت عائشة أشدّ النّاس عليه تأليباً وتحريضاً ـ فقالت: أبعده الله، لمّا سمعت قتله وأملت أن تكون الخلافة في طلحة فيعود الأمر تيميّة، كما كانت أوّلاً، فعدل النّاس عنه إلى عليّ عليه السلام، فلمّا سمعت ذلك صرخت: واعثماناه! قتل عثمان مظلوماً! فثار ما في الأنفس حتّى تولّد من ذلك يوم الجمل وما بعده. قال ابن أبي الحديد: وهذه خلاصة كلام اللمعاني وكان شديداً في الاعتزال[1].

وأقول: أمّا قول: (إنّ ابنة الرجل إذا ماتت أُمّها... ففيه أنّ فاطمة التي قال أبوها أنّها سيدة نساء العالمين وعديلة مريم وينادي المنادي في مرورها بالموقف: غضّوا أبصاركم حتّى تمرّ، وإنّ إنكاحها علياً عليه السلام كان بعد إنكاح الله تعالى بشهادة ملائكته ـ ويؤذيه ما يؤذيها ـ وما ينطق أبوها عن الهوى ـ أجلّ من ذلك، ولِمَ لم يحدث بينها وبين باقي نساء أبيها من أُم سلمة وغيرها كدر وشنآن، وكلّهن كنّ كالضرائر لأُمّها؟

وفي (الطبريّ): لا خلاف بين جميع أهل العلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنى بسودة قبل عائشة[2]. فيعلم أنّ شنآنها لتلك المرأة ولصاحبتها لكونهما

---

(١) المصدر نفسه ٩: ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ١٦١، سنة ١٠.

عدوتي الله بتصريح الكتاب، في قوله تعالى: ﴿...وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين...﴾[١].

ولو كانت هذه العلل أعذاراً لكان أبو جهل معذوراً في عداوته للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقد قال: كنّا بني مخزوم وبني هاشم كفرسي رهان، ولقد أراد محمّد السبق علينا، ولكان يزيد معذوراً في قتل الحسين عليه السلام، فقال للسجّاد: إنّ أباك كان يبغي الغوائل لسلطاني.

ومن المضحك قوله: «ولست أبرئ عليّاً عليه السلام من مثل ذلك فإنّه كان ينفس على أبي بكر سكون النّبيّ إليه وثناءه عليه». هل سكن إليه يوم الغار وهو يكثر الجزع، حتّى قال له لا تحزن؟ وهل أثنى عليه يوم فرّ في خيبر حتّى قال فيه تعريضاً: إنّه فرّار غير كرّار، لا يحبّ الله ورسوله ولا يحبّه الله ورسوله؟ وهل حسد عليّ عليه السلام أبي بكر عزله عن (براءة)؟. وأي مزايا كانت له حتّى يحب أن يتفرّد بها؟ وإنّما كانت مزاياه أمران ذكرهما عمر يوم السقيفة.

الأوّل: كونه صاحب الغار، وهو عوار حيث إنّ إمامهم أحمد بن حنبل قال: إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله خرج منفرداً، وإنّما ذهب أبو بكر خلفه من قبل نفسه، ولمّا سمع النّبيّ صلّى الله عليه وآله حسّ أبي بكر ظنّه من قريش الذين أرادوا أخذه، فسعى في المشي حتّى أدمى رجله، وان جزعه ثمّة صار سبباً لسلب السكون عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، حتّى أنزل تعالى سكينته عليه منفرداً. فيفهم من صاحبيته في الغار عدم إيمانه، وإلّا لأنزل تعالى عليه السكينة كما أنزلها في موضع آخر على رسوله وعلى المؤمنين[٢].

والثاني: كونه قدّمه للصلاة، وهو قد شرح علنه وخافيه، ولمّا خرج

(١) التحريم: ٤.

(٢) كما في سورة الفتح: ٢٦.

النّبيّ صلى الله عليه وآله في تلك الحال اضطراراً يجر رجليه معتمداً على نفرين ـ وأخّره وعزله عن الصلاة كما عن (براءة)، لم يبق له مجال أن يبقى في ذاك المحلّ فاضطرّ إلى خروجه إلى منزله بسنح مع قوة داعية إلى أن يبقى مراقباً لساعة موت النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فاضطرّ عمر لغيبته إلى أن يهدّد النّاس ويقول: «إنّ النّبيّ لم يمت وإنّما غاب كغيبة موسى»، حتّى يصل أبو بكر ويفعلا بتظاهرهما على الوصيّ كتظاهر ابنتيهما على النّبيّ صلى الله عليه وآله.

وكيف يقول كان عليّ ينفس على أبي بكر؟ وقد كتب معاوية إلى محمّد بن أبي بكر: قد كنّا وأبوك معنا في حياة من نبيّنا نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً وفضله مبرزاً علينا، فلمّا اختار الله تعالى لنبيّه ماعنده، وأتمّ له ما وعده، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه وخالفه على ذلك اتّفقا واتسعا[1].

وأمّا قوله: ولم يكن عليّ من القاذفين ولكنّه كان من المشيرين على النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بطلاقها، فالله تعالى أيضاً كان من المشيرين فقال تعالى بعد قوله ﴿وإن تظاهرا عليه... والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[2]: ﴿عسى ربّه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيّبات وأبكاراً﴾[3].

وفيه إشارة إلى خلوّ المرأتين من صفات الإسلام والإيمان وغيرهما، وقوله: (ثيّبات) إشارة إلى حفصة و (أبكاراً) إلى عائشة.

وأمّا قوله إنّ عليّاً عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله خوّف الخادم وإن أقامت على الجحود فاضربها، فبهتان من عايشة. وامّا قوله: فنزل القرآن ببراءتها فشيء

---

(١) نقله العلاّمة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ٦٤٩، ط الكمباني.

(٢) التحريم: ٤.

(٣) التحريم: ٥.

تفرّدوا به، ورواياتهم تنتهي إليها انّها ادعت أنّهم قذفوها، ونزلت الآية فيها. وممّا يوضح افك عايشة في روايتها[١] أنّها قالت في خبرها: فدعا النبيّ بريرة يسألها، فقام إليها عليّ فضربها ضرباً شديداً، وهو يقول: اصدقي رسول الله فتقول: والله ما أعلم إلّا خيراً. فلا ريب في عصمة أمير المؤمنين عليه السلام من أوّله إلى آخره، بإقرار مخالفيه وشهادة القرآن له، وفي خبرها قالت عائشة: وايم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأناً من أن ينزل فيّ قرآناً يقرأ به في المساجد ويصلّى به، ولكنّي قد كنت أرجو أن يرى النبيّ في نومه شيئاً يكذب الله به عنّي لما يعلم من برائتي، أو يخبر خبراً، فأمّا قرآن ينزل فيَّ فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك.

فيُقال لها: فلِمَ كنت أحقر من أن ينزل فيك قرآن، ولقد جعلك الله أشدّ من جميع جبابرة قريش ومشركي مكة؟ حيث قال في أُولئك: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[٢]، وقال فيك وفي صاحبتك: ﴿...وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[٣].

وأمّا الإماميّة فعلى أنّ آية الإفك نزلت في مارية، فإنّ إفك عائشة مع ذويها لها محقّق، كما أنّ طهارة ساحتها عن إفكها محققّة بعد كون من رميت به خصياً، كما أقرّ به، فكيف نزلت آية الإفك في عائشة دون مارية؟ هل كانت لكونها بنت أبي بكر أكرم على الله، كما هي أكرم عند إخواننا؟، وقد قال تعالى: ﴿...إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم...﴾[٤]، ولا ريب في كونها أتقى، كما لا ريب في

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦١٥، سنة ٦.

(٢) الأنفال: ٣٠.

(٣) التحريم: ٤.

(٤) الحجرات: ١٣.

عتوّ عائشة وطغيانها، بتصريح الله تعالى في قوله: ﴿...وإن تظاهرا عليه...﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ وقرن في بيوتكن...﴾[٢]، بل وفوقهما ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط...﴾[٣].

وأمّا قوله: (فكان منهما ما يكون من الانسان ينتصر بعد أن قهر من بسط اللسان وفلتات القول). فيه أنّه على رواياتهم لم ينحصر بسط لسانها بأمير المؤمنين عليه السلام فقط، بل بسطت لسانها على النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً ـ ففي خبرها كما في (الطبريّ) ـ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: يا عائشة إنّه قد كان ما بلغك من قول الله، فاتّقي الله وإن كنت قارفت سوءاً فتوبي إلى الله ـ إلى أن قالت ـ: فجعل النبيّ يمسح العرق عن جبينه وهو يقول: ابشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك، فقلت: بحمد الله وذمّكم[٤]. والكاذب يفضحه الله فادعت أنّ القرآن الذي يقرأ به في المساجد ويصلي به نزل فيها وجعلت النبيّ صلى الله عليه وآله من المذمومين.

فان كان كل ما قالت أمّهم حقّاً لم ينحصر الأمر في كون النبيّ صلى الله عليه وآله من المذمومين، بل يكون الله تعالى أيضاً من الملومين، ففي (عقد ابن عبد ربه): قالت عائشة يوم الجمل في خطبتها: «بي ميز بين منافقكم ومؤمنكم»[٥].

فعلى قولها يكون الله تعالى من المنافقين، حيث قال فيها وفي صاحبتها: ﴿...وإن تظاهرا عليه...﴾[٦] ﴿ وضرب الله مثلاً للذين كفروا

(١) التحريم: ٤.
(٢) الأحزاب: ٣٣.
(٣) التحريم: ١٠.
(٤) تاريخ الطبري ٢: ٦١٥ ـ ٦١٦، سنة ٦.
(٥) العقد الفريد ٥: ٦٥.
(٦) التحريم : ٤.

امرأة نوح وامرأة لوط...﴾[1].

وأمّا قوله: فكانت فاطمة وعليّ يريدان أن يمرّضانه في بيتهما، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مال إلى بيت عائشة بمقتضى المحبّة القلبيّة. فليس كما قال، بل بمقتضى تظاهرها مع صاحبتها وأبويهما عليه صلى الله عليه وآله وقد منعوه عن الوصيّة، وتخلّفوا عمّا أمرهم به من الخروج في جيش أُسامة، وطعنوا في جعل أُسامة أميراً عليهم، حتّى قال صلى الله عليه وآله: إن قلتم فيه فقد قلتم في أبيه من قبل[2]؛ وفي (الطبري): عن أسامة، لمّا ثقل النّبيّ صلى الله عليه وآله هبطت وهبط النّاس معي إلى المدينة فدخلنا عليه، وقد أصمت فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليَّ فعرفت أنه يدعو لي[3] ـ وهو مضحك فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان أشار عليه بحركته وإخراج الرجلين معه، كما يفصح عنه أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان كلّما أفاق يقول جهّزوا جيش أُسامة لعن الله من تخلّف عنه ـ وتفسيره إشارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كتفسير أُمّ خالد بن يزيد كلام مروان لمّا سمّته، فدخل عليه ابنه عبدالملك وقد اعتقل لسانه فأشار إليها أنّها قتلته. فقالت: جعلت فداه حتّى في احتضاره يوصيكم بي.

وروى العيّاشيّ الذي كان عامّياً ثم صار إمامياً في تفسير قوله تعالى: ﴿...أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...﴾[4]: إنّ عائشة وحفصة سمّتاه فقتلتاه[5].

ولدّوه أيضاً، ففي (الطبري): قالت عائشة: لدّدنا النبيّ صلى الله عليه وآله في مرضه،

---

(١) التحريم: ١٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ١٨٦، سنة ١١.

(٣) المصدر نفسه ٣: ١٩٦، سنة ١١.

(٤) آل عمران: ١٤٤.

(٥) تفسير العياشي ١: ٢٠٠.

فقال: لا تلدّوني!! فقلنا: كراهية المريض الدواء. فلما أفاق قال: لا يبقى منكم أحد إلّا لدّ غير العبّاس فإنّه لم يشهدكم[١].

وهل كان متولي النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى قبض ومتصدي تجهيزه غير أمير المؤمنين عليه السلام؟ والباكي عليه غير بنته الصديقة؟ والقوم كانوا في شورى الخلافة وطلب الرياسة؛ وفي (الطبريّ): قالت عائشة: ما علمنا بدفن النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى سمعنا صوت المَساحي في جوف الليل ليلة الأربعاء[٢].

وفي (طبقات كاتب الواقديّ): قال النّبيّ صلى الله عليه وآله في مرضه: ادعوا لي أخي فدعي له عليّ عليه السلام فقال: ادن منّي. فدنوت منه فاستند اليّ، فلم يزل مستنداً إليَّ وإنّه ليكلّمني حتّى أنّ بعض ريق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليصيبني، ثم نزل بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وثقل في حجري[٣].

وقوله: (لم يجد استدراك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بخروجه، مع قوّة داعي أبي بكر ومن تبعه من أعيان المهاجرين والأنصار) غير صحيح، فإنّما تبعه الطلقاء وأبناء الطلقاء، وبهم صار داعية قوياً ، وأمّا عمر وأبو عبيدة فإنّما كانا متواطئين معه وكلّهم كنفس واحدة.

وإنّما كان القول بالمحبّة القلبية شيء تدعيه لنفسها، ويدّعيه لها عمر ففضّلها في العطاء على باقي نساء النبيّ صلى الله عليه وآله، بأن النبيّ كان يحبّها أكثر من باقيهن. فعل ذلك بها شكراً لها لتأسيس سلطنتهم، وهي إن فعلت ذلك لأبيها، إلّا أنّ سلطنة أبيها كانت سلطنته، بل كان حظّه أكثر، لأنّه كان شريك أبيها في حياته، ومستقلاً بعد وفاته ولذا كان جده في ذلك أكثر؛ مع أنّ عمر فضل ـ على

(١) تاريخ الطبري ٣: ١٩٥، سنة ١١.

(٢) المصدر نفسه ٣: ٢١٣، سنة ١١.

(٣) طبقات الواقدي ٢: ٢٦٣.

خلاف الكتاب والسّنة ـ مطلق الأشراف، فكيف لا يفضل عايشة؟

مع أنّ مثل عايشة لو لم يفضّلها لأخلّت في سلطنته، كما أخلّت في أمر عثمان، وكانت من الأسباب القويّة لقتله، لأنّه لم يفضّلها، ولقد تفطّن لذلك معاوية، ففضّلها ولمّا قالت له: ما خفت الله في قتل حجر العابد الزاهد، قال لها: كيف أمر عطائك؟ قالت: حسن، قال: فخليني وإيّاه للقيامة.

وقوله: «وكره النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يزاحم علياً وفاطمة في بيتهما» أيضاً غير صحيح، فهل كان رأسه في غير حجر عليّ عليه السلام حتّى مات؟ وهل كان اتكاؤه لمّا خرج إلى المسجد لتأخير أبي بكر إلّا عليه عليه السلام؟

وأمّا قوله: «وساعد على ذلك الحظ الفلكي والأمر السمائي»، ففي غير موضعه، فلم تقل الكلمة في هذا الموضع، وإنّما تقال تلك في التصادفات الدنيويّة، وأمّا مثلها فيقال: إنّها كانت امتحاناً من الله تعالى للناس. ولمّا قتل أمير المؤمنين عليه السلام واضطرّ الحسن عليه السلام إلى مصالحة معاوية، خطب وقال: ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[1].

وقوله: «ولم ينسب عليّ عليه السلام الحال إلّا إلى عايشة، ولا علق الأمر إلّا بها، فدعا عليها في خلواته وبين خواصّه، وتظلّم إلى الله منها» صحيح، وكان عليه أن يزيد فيه كما كانت امرأته فاطمة تدعو على أبيها في أدبار صلواتها؛ ففي (خلفاء ابن قتيبة): إنّ أبا بكر وعمر لمّا دخلا عليها ولّت وجهها عنهما، ولم تردّ عليهما السلام لمّا سلّما، وإنّها قالت لهما بعد قول أبي بكر لها: «يا حبيبة رسول الله، إنّك لأحبّ إليّ من ابنتي عايشة» نشدتكما الله ألم تسمعا النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «رضى فاطمة من رضاي وسخطها من سخطي، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني»؟ فقالا: نعم. فقالت: فإنّي

(١) الأنبياء: ١١١.

أُشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النّبيّ صلى الله عليه وآله لأشكونكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله من سخطه وسخطك. ثم انتحب يبكي، وهي تقول: والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أُصلّيها[1].

وقوله: «وأنا محجوج بالأخبار التي اتصلت بي» كما ترى، فإنّها أخبار تتناقض صدراً وذيلاً، وهي أخبار أمر بوضعها معاوية، ويكفيها اعتقاد أمير المؤمنين عليه السلام فيها.

وقوله: «ولم تأت عايشة في وفاة فاطمة لتعزية بني هاشم» صحيح لكنها أرادت ان تحضر غسلها شماتة، فمنعتها أسماء بنت عميس مع كونها زوجة أبيها بوصيّة فاطمة عليها السلام بمنعها؛ ففي (الاستيعاب): لمّا توفيّت فاطمة جاءت عائشة، فقالت أسماء: لا تدخلي، فشكتها إلى أبي بكر، فقال لها أبو بكر: ما حملك على منع أزواج النبيّ؟ فقالت: أمرتني ألّا يدخل عليها أحد[2].

ومن أكاذيبها: ادّعاؤها أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله توفي بين سحرها ونحرها؛ ففي (طبقات كاتب الواقدي): عن أبي عطفان قال: سألت ابن عبّاس؛ أرأيت النّبيّ صلى الله عليه وآله توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي ورأسه مستند إلى صدر عليّ عليه السلام، قلت: فإنّ عروة حدّثني عن عايشة أنّها قالت: توفي النّبيّ بين سحري ونحري. فقال ابن عبّاس: أتعقل؟ والله لتوفي النبيّ صلى الله عليه وآله وإنّه لمستند إلى صدر عليّ وهو الذي غسّله...[3].

ومرّ قول عمر فيها أنّها التي نزلت فيها وفي صاحبتها ﴿...وإن تظاهرا عليه...﴾[4]، ولعثمان فيها أقوال؛ روى الجوهريّ في (سقيفته) خبراً في تكلّم

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٣ ـ ١٤.

(٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٤: ٣٧٩.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٢٦٣.

(٤) التحريم: ٤.

عائشة وحفصة في عثمان؛ فقال عثمان وقد أقبل على النّاس بعد صلاته: إنّ هاتين لفتّانتان، يحلّ لي سبّهما وأنا بأصلهما عالم[1].

وعن (تاريخ الثقفي): إنّ عثمان صعد المنبر، فرفعت عايشة قميص النّبيّ ونادت: لقد خالفت يا عثمان صاحب هذا القميص. فقال عثمان: إنّ هذه الزعراء عدوّة الله ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها في الكتاب ﴿...امرأة نوح وامرأة لوط...﴾[2].

وعنه: جاءت عائشة إلى عثمان فقالت: اعطني ما كان يعطيني أبي وعمر، قال: لا أجد له موضعاً في الكتاب ولا في السّنة، ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما، وأنا لا أفعل. قالت: فأعطني ميراثي من النبيّ ﷺ. قال: أو لم تجيء فاطمة تطلب ميراثها من النبيّ، فشهدت أنت ومالك بن أوس البصري أنّ النبيّ لا يورث، وأبطلتِ حقّ فاطمة وجئت تطلبينه، لا أفعل...[3].

ومن منكراتها خلافاً على الله تعالى ورسوله: تقريرها فعل معاوية في إلحاق زياد؛ ففي (فتوح البلاذري): نهر مرة منسوب إلى مرة مولى عبدالرحمن بن أبي بكر. سأل عايشة أن تكتب له إلى زياد وتبدأ به في عنوان كتابها، فكتبت إليه بالوصاية وعنونته (إلى زياد بن أبي سفيان من عايشة أُمّ المؤمنين) فلمّا رأى زياد أنّها قد كاتبته ونسبته إلى أبي سفيان سرّ بذلك وأكرم مرة وألطفه، وقال: هذا كتاب أُمّ المؤمنين إليّ فيه، وعرضه عليهم ليقرؤوا عنوانه، ثم أقطعه مائة جريب على نهر الأبلة، وأمره فحفر لها نهراً[4].

---

(١) السقيفة وفدك: ٨٠؛ شرح ابن أبي الحديد ٩: ٥.

(٢) الأمالي للمفيد: ١٢٥، والآية ١٠ من سورة التحريم.

(٣) الأمالي للمفيد : ١٢٥.

(٤) فتوح البلدان للبلاذري: ٥٠٢ ـ ٥٠٣ مؤسسة المعارف، بيروت.

ومن أكاذيبها مع النّبيّ ﷺ: ما رواه الخطيب في محمّد بن أحمد المؤدّب: أنّ النّبيّ ﷺ أرسل عائشة إلى امرأة فقالت: ما رأيت طائلاً، فقال: لقد رأيت خالاً بخدّها اقشعرّت منه ذؤابتك. فقالت: ما دونك ستر ومن يستطع أن يكتمك؟[1]

ومن شهادة النبيّ ﷺ في حقّها ما رواه الحميديّ في (الجمع بين الصحيحين) عن أبي عمر، قال: قام النبيّ ﷺ خطيباً ـ وأشار نحو مسكن عائشة ـ وقال: هاهنا ـ الفتنة ـ ثلاثاً ـ منه يطلع قرن الشيطان[2].

«وضغن» أي: حقد.

«غلا في صدرها كمرجل» في (الصحاح): المرجل قدر من نحاس[3].

«القين» أي: الحداد، في (الطبريّ): عن عايشة قالت رجع النّبيّ ﷺ من البقيع في مرضه، فوجدني وأنا أقول واراسأه، فقال: بل أنا واراسأه ـ ثم قال لي: ما ضرّك لو مت قبلي، فقمت عليك وكفنتك وصلّيت عليك ودفنتك، فقلت: والله لكأنّي بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فعرست ببعض نسائك. فتبسم وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه، حتّى استعز به وهو في بيت ميمونة، فدعا نسائه فاستأذنهنّ أن يمرض في بيتي، فأذِنَّ له فخرج بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن عبّاس ورجل آخر تخطّ قدماه إلى الأرض، عاصباً رأسه حتّى دخل بيتي. قال عبيدالله بن عبدالله بن عتبة: فحدّثت هذا الحديث عن عايشة ابن عبّاس فقال: هل تدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا. قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولكن عايشة لا تقدر أن تذكره بخير[4].

---

(١) تاريخ بغداد ١: ٣٠١.

(٢) صحيح البخاري ٨: ٩٥ وصحيح مسلم ٨: ١٨١.

(٣) الصحاح ٤: ١٧٠٥، مادة: (رجل).

(٤) تاريخ الطبري ٣: ١٨٨ ـ ١٨٩، سنة ١١.

وفي (الطبري): أنّ عايشة لمّا انتهت إلى (سرف) راجعة في طريقها إلى مكّة، لقيت عبد بن أُم كلاب ـ وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أُمه ـ قالت له: مهيم، قال: قتلوا عثمان فمكثوا ثمانياً. قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأُمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على عليّ بن أبي طالب. فقالت: والله ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ردّوني ردّوني. فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل عثمان والله مظلوماً، والله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن أُم كلاب: فوالله إنّ أوّل من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر. قالت: إنّهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأوّل.

فقال لها ابن أُمّ كلاب:

فمنكِ البداء ومنك الغِيَرْ ومنكِ الرياحُ ومنكِ المطرْ
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام وقلتِ لنا إنّه قد كفرْ
فهبنا أطعناكِ في قتله وقاتلُه عندنا مَن أمرْ
ولم يَسقُط السقفُ مِن فوقِنا ولمْ ينكسفْ شمسنا والقمرْ
وقد بايع الناسُ ذا تدرء يُزيل الشبا ويقيم الصَعَرْ
ويَلْبسُ للحربِ أثوابَها وما مَن وَفى مثل مَن قد غَدَرْ

فانصرفت إلى مكّة، فنزلت على باب المسجد، فقصدت للحجر واجتمع إليها النّاس، فقالت: أيّها النّاس، إنّ عثمان قتل مظلوماً، والله لأطلبن بدمه[1].

ورواه محمّد بن نعمان هكذا، قال: لمّا جاء ناعي عثمان إلى مكّة، بكى لقتله قوم، فأمرت عائشة منادياً ينادي: ما بكاؤكم على نعثل، أراد ان يطفئ نور الله فأطفأه الله، وأنّ يضيّع سنّة رسوله فقتله.

(١) المصدر نفسه ٤: ٤٥٨ ـ ٤٥٩، سنة ٣٦.

ثمّ أُرجف بمكّة أنّ طلحة بويع، فركبت مبادرة بغلتها وتوجهت نحو المدينة وهي مسرورة، حتّى انتهت إلى سرف، استقبلها عبد بن أبي سلمة فقالت له: ما عندك من الخبر؟ قال: قتل عثمان. قالت: فمن ولّوه؟ قال عليّ ابن عمّ الرسول، فقالت: والله لوددت أن هذه تطامن على هذه إن تمّت لصاحبك. فقال: ولِمَ؟ فوالله ما على هذه الغبراء نسمة أكرم منه على الله[1].

وفي (العقد): عن ابن عبّاس: لمّا انقضى أمر الجمل قال لي عليّ عليه السلام: إيت هذه المرأة فلترجع إلى بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقرّ فيه. فجئت فاستأذنت عليها، فلم تأذن لي، فدخلت بلا إذن، فمددت يدي إلى وسادة في البيت فجلست عليها. فقالت: تالله يا بن عبّاس ما رأيت مثلك تدخل بيتنا بلا إذن، وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا. فقلت: والله ما هو بيتك ولا بيتك إلّا الذي أمرك الله أن تقرّي فيه فلم تفعلي، إنّ أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعي إلى بلدك الذي خرجت منه، قالت: رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب. قلت: نعم، وهذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب. قالت: أبيت أبيت، قلت: ما كان إباؤك إلا فواق ناقة، ثم صرت ما تحلين ولا تمرين ولا تأمرين ولا تنهين - فبكت حتّى علا نشيجها، ثم قالت: نعم أرجع، فإنّ أبغض البلدان إليّ بلد أنتم فيه. قلت: أما والله ما كان ذلك جزاؤنا منك، اذ جعلناك للمؤمنين أمّاً، وجعلنا أباك صديّقاً. قالت: أتمنّ عليّ بالنّبيّ يا بن عبّاس؟ قلت: نعم نمنّ عليك بمن لو كان منك بمنزلته منّا لمننت به علينا.

فأتيت عليّاً فأخبرته فقبّل بين عيني، وقال: ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾[2].

---

(١) حرب الجمل للمفيد: ص٤٢٩.

(٢) العقد الفريد ٥: ٧٦ ـ ٧٧، والآية ٣٤ من سورة آل عمران.

ورواه أعثم الكوفي مع زيادة، وفي روايته قالت عايشة لابن عبّاس: أخطأت السنّة، فقال لها: نحن علمناك وأباك السّنة، وانّما بيتك الذي خلفك فيه النّبيّ ﷺ فخرجت منه ظالمة لنفسك، غاشة لدينك، عاتبة على ربك، عاصية لرسوله[١].

وفي روايته قالت: رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب، فقال ابن عبّاس: هذا والله أمير المؤمنين وإن تربدت فيه وجوه ورغمت فيه معاطس، أما والله لهو أمير المؤمنين أمسّ برسول الله رحماً، وأقرب قرابة وأقدم سبقاً وأكثر علماً وأعلى مناراً وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر.

وفي روايته: إنّا جعلناك للمؤمنين أُماً، وأنت بنت أم رومان وأبوك ابن أبي قحافة. وفي روايته: ولِمَ لا نمنّ عليك بمن لو كانت شعرة وقلامة منه منك لمننت به علينا؟ وما أنت إلّا حشية من تسع حشايا خلفهن بعده، لست بأبيضهن لوناً ولا أحسنهن وجهاً، ولا بأرشحهن عرقاً، ولا بأنضرهن ورقاً، ولا بأطراهن أصلاً، فصرت تأمرين فتطاعين، وتدعين فتجابين، ونحن لحم النّبيّ ودمه ومنه وإليه.

فقالت: إنّ علياً لا يقرّ لك بذلك. فقال: أنا لا أُنازعه في هذا الباب، فإنّه أقرب إلى النّبيّ مني وأولى بعلمه وميراثه، فإنّه أخوه، وابن عمّه، وزوج ابنته فاطمة، وأبو ابنيه الحسن والحسين، ووصيّه وباب مدينة علمه، وفارسه في غزواته، وما أنت وهذا؟ والله ما فعلنا لك ولأبيك لا تقدرون على شكره، ولو كنتم تقدرون لا تفعلون، كما فعلتم ما فعلتم، ثم خرج من عندها[٢].

---

(١) كتاب الفتوح ٢: ٤٨٦.

(٢) ليس في كتاب الفتوح المطبوع بلبنان، سنة ١٤١١هـ ٢: ٤٨٦ ـ ٤٨٧ بعض هذه الفقرات؛ وبعض مواضع الكلام في مروج الذهب ٢: ٣٧٧ وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٣.

وروى الإسكافي عن الزهري: أنّه كان عنده حديثان عن عروة عن عائشة في عليّ عليه السلام. قال معمر: فسألت الزهري عنهما يوماً فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما، الله أعلم بهما، إنّي لأتهمهما في بني هاشم[١].

وفي (جمل المفيد)[٢] عن عمر بن أبان قال: لمّا ظهر عليّ عليه السلام على أهل البصرة جاءه رجال منهم فقالوا: ما السبب الذي دعا عايشة إلى المظاهرة عليك، حتّى بلغت من خلافك وشقاقك ما بلغت، وهي امرأة من النساء، لم يكتب عليها القتال، ولا رخص لها في الخروج من بيتها، ولا التبرج بين الرجال؟ فقال عليّ عليه السلام: سأذكر أشياء حقدتها عليّ، ليس في واحد منها ذنب عليّ، ولكنها تجرّمت بها عليّ.

أحدها: تفضيل النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لي على أبيها وتقديمه إيّاي في مواطن الخير عليه، فكانت تضطغن ذلك ويصعب عليها.

وثانيها: إنّه لمّا آخى بين أصحابه آخى بين أبيها وبين عمر واختصّني بأُخوته، فغلظ ذلك عليها[٣].

وثالثها: أوصى النبيّ بسدّ أبواب كانت في المسجد لجميع أصحابه إلّا بابي، فلما سد باب أبيها وصاحبه، وترك بابي مفتوحاً في المسجد، تكلّم في ذلك بعض أهله فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب عليّ، بل الله عزّوجلّ سد أبوابكم وفتح بابه»[٤]، فغضب لذلك أبو بكر وعظم عليه، وتكلّم في أهله بشيء سمعته منه ابنته فاضطغنته عليَّ.

وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله أعطى أباها الراية يوم خيبر، وأمره ألا يرجع حتّى

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦٤.

(٢) الجمل: ٤٠٩ ـ ٤١٢.

(٣) السيرة لابن هشام ٢: ١٥٠؛ الطبقات لابن سعد ٣: ٢٢؛ مناقب آل أبي طالب ٢: ١٨٤ ـ ١٨٩.

(٤) مسند أحمد ٤: ٣٦٩؛ خصائص النسائي: ٧٣؛ شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٧٣؛ كفاية الطالب: ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

يفتح أو يقتل، فلم يلبث لذلك وانهزم، فأعطاها في الغد عمر، وأمره بمثل ما أمر صاحبه، فانهزم، فساء النّبيّ ﷺ ذلك وقال لهم -ظاهراً معلناً-: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار لا يرجع حتّى يفتح الله على يده»[١]، فأعطاني الراية فصبرت حتّى فتح الله على يدي، فغم ذلك أباها، فاضطغنه عليّ فحقدت لحقد أبيها.

وبعث النّبيّ أباها ليؤدي سورة (براءة)، وأمره أن ينبذ العهد للمشركين، فمضى حتّى انحرف، فأوحى الله تعالى إلى نبيّه أن يردّه ويأخذ الآيات منه، ويسلّمها إليَّ فعزل أباها بإذن الله تعالى، وكان فيما أوحى الله تعالى إليه: لا يؤدّي عنك إلّا رجل منك[٢]، وكنت من النّبيّ ﷺ وكان مني، فاضطغن لذلك عليّ أيضاً واتبعته عايشة في رأيه.

وكانت عايشة تمقت خديجة بنت خويلد وتشنؤها شنآن الضرائر، وكانت تعرف مكانها من النّبيّ ﷺ فيثقل ذلك عليها، وتعدى مقتها إلى ابنتها فاطمة، فتمقتني وتمقت فاطمة وتمقت خديجة وهذا معروف في الضرائر.

ولقد دخلتُ على النّبيّ ﷺ ذات يوم قبل أن يضرب الحجاب على أزواجه وكانت عايشة بقرب النّبيّ ﷺ، فلمّا رآني النبيّ ﷺ رحّب بي وقال: ادن مني يا عليّ. ولم يزل يدنيني حتّى أجلسني بينه وبينها، فغلظ ذلك عليها فأقبلت عليّ وقالت -بسوء رأي النساء وتسرعهن إلى الخطاب-: ما وجدت لاستك يا عليّ موضعاً غير فخذي، فزبرها النّبيّ ﷺ وقال لها: «ألعليّ تقولين هذا؟! إنّه والله أوّل من آمن بي وصدّقني، وأوّل خلق وروداً بي على الحوض،

---

(١) صحيح البخاري ٣: ١٠٨٦ ح ٢٨١٢؛ خصائص النسائي: ٤٩ ـ ٦٠.

(٢) خصائص النسائي: ٩١ ـ ٩٣؛ المستدرك ٣: ٥١.

وهو أحق النّاس عهداً إليّ، لا يبغضه أحد إلّا أكبّه الله على منخره في النار»[١]، فازدادت بذلك غيضاً عليّ. ولمّا رُميت بما رُميت اشتدّ ذلك على النّبيّ ﷺ، فاستشارني في أمرها، فقلت له: سل جاريتها بريرة واستبرئ الحال منها، فإن وجدت عليها شيئاً فخل سبيلها فالنساء كثيرة. فأمرني أن أتولّى مسألة بريرة، ففعلت ذلك فحقدت عليّ، ووالله ما أردت بها سوءاً ولكني نصحت لله ولرسوله ـ وأمثال ما ذكرت ـ فإن شئتم فاسألوها ما الذي نقمت عليّ؟ حتّى خرجت مع الناكثين لبيعتي وسفك دماء شيعتي، والتظاهر بين المسلمين بعداوتي، إلّا البغي والشقاق والمقت لي بغير سبب يوجب ذلك في الدين.

فقال القوم: القول والله ما قلت يا أمير المؤمنين، ولقد كشفت الغمّة، ولقد نشهد أنّك أولى بالله ورسوله ممّن دعاك، فقام الحجاج بن غزية الأنصاري وقال أبياتاً[٢].

«ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إلي لم تفعل» روى الخطيب في (تاريخ بغداد): أنّ عليّاً عليه السلام لمّا فرغ من قتال أهل النهروان، قفل أبو قتادة الانصاري ومعه ستون أو سبعون من الأنصار، فبدأ بعايشة فقالت له: ما وراءك؟ فشرح لها قتالهم وقتل ذي الثدية. فقالت عايشة: ما يمنعني ما بيني وبين عليّ أن أقول الحق، سمعت النّبيّ ﷺ يقول: تفترق أُمّتي على فرقتين، تمرق بينهم فرقة محلقون رؤوسهم، محفون شواربهم، أُزرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرؤون القرآن، لا يتجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبّهم إليَّ وأحبّهم الى الله تعالى.

قال أبو قتادة: فقلت يا أم المؤمنين فأنت تعلمين هذا، فلِمَ كان الذي

---

(١) الأمالي للطوسي ٢: ٢١٥؛ كشف الغمّة ١: ٣٤٢؛ كشف اليقين: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٢) الجمل للمفيد: ٤٠٩ ـ ٤١٢.

منك؟ قالت: يا أبا قتادة وكان أمر الله قدراً مقدوراً وللقدر أسباب[١].

وفي (الطبري): قال عمّار لعايشة حين فرغ القوم: ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك؟ قالت: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قالت: والله إنّك ما علمت قوال بالحق. قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك[٢].

ولقد أجاد الحميري في قصيدته مشيراً إلى أنّ شجاعة عايشة وقوّة قلبها في قتال أمير المؤمنين عليه السلام، كانت أكثر من شجاعة أبيها يوم خيبر، فإنّه فرَّ وهي ثبتت فقال:

يا للرجال لرأي أُم قادها	ذئبان يكتنفانها في أذؤب
ذئبان قادهما الشقاء وقادها	للحين فاقتحما بها في منشب
في ورطة لحجابها فتحملت	منها على قتب بإثمٍ محقب
أُم تدبّ إلى ابنها ووليها	بالمؤذيات له دبيب العقرب
لو أنّ والدها بقوّة قلبها	لاقى اليهود بخيبر لم يهرب

ونقل المرتضى في شرحه للقصيدة، عن كتاب (جمل نصر بن مزاحم) عن السري بن إسماعيل، عن الشعبي عن عبدالرحمن بن مسعود العبدي، قال: كنت بمكة -إلى أن قال- فأقبلت عايشة حتّى دخلت على أُم سلمة فقالت أُم سلمة لها: مرحباً بعايشة، ما كنت لي بزائرة فما بدا لك؟ قالت: قدم طلحة والزبير فخبّرا أنّ أمير المؤمنين عثمان قُتل مظلوماً. فصرخت أُم سلمة صرخة أسمعت من في الدار. فقالت: يا عايشة أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر، وهو اليوم أمير المؤمنين قُتل مظلوماً فما تريدين؟ قالت: تخرجين معي، فلعل الله أن يصلح بخروجنا أمر أُمّة محمّد، فقالت: يا عايشة أخرج وقد سمعت من النّبيّ صلى الله عليه وآله ما سمعت، نشدتك يا عايشة بالله الذي يعلم صدقك إن

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١ : ١٦٠، دار الفكر بيروت.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٤٥ ـ ٥٤٦، سنة ٣٦.

صدقت، أتذكرين يومك من النّبيّ ﷺ فصنعت حريرة في بيتي فأتيته بها وهو يقول: «والله لا تذهب الليالي والأيام حتّى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له الحوأب امرأة من نسائي في فئة باغية» فسقط الإناء من يدي، فرفع رأسه إليّ فقال: مالك يا أم سلمة؟ قلت: ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول، ما يؤمنني أن أكون أنا هي؟ فضحكت أنت يا عايشة فالتفت إليكِ فقال: ما يضحكك ياحمراء الساقين، اني لأحسبك هي، وأنشدتك بالله يا عائشة أتذكرين ليلة أسرى بنا النّبيّ ﷺ من مكان كذا وكذا، وهو بيني وبين عليّ بن أبي طالب يحدّثنا فأدخلت جملك فحال بينه وبين عليّ، فرفع مرفقة كانت معه فضرب بها وجه جملك، وقال: أما والله ما يومه منك بواحد ولا بليته منك بواحدة، وأما إنّه لا يبغضه إلّا منافق أو كذّاب، وأنشدك الله يا عايشة أتذكرين مرض النّبيّ ﷺ الذي قبض فيه فأتاه أبوك يعوده ومعه عمر وقد كان عليّ يتعاهد ثوب النبيّ ﷺ ونعله وخفه ويصلح ما وهى منها، وكان دخل قبل ذلك وأخذ نعل النّبيّ ﷺ يخصفها خلف البيت، فاستأذنا عليه فأذن لهما فقالا له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله. قالا: ما بد من الموت؟ قال: لا بد منه، قالا: فهل استخلفت أحداً؟ فقال: ما خليفتي فيكم إلّا خاصف النعل. فخرجا فمرّا على عليّ عليه السلام وهو يخصف النعل. كل ذلك تعرفينه يا عايشة وتشهدين عليه لأنّك سمعته من النبيّ ﷺ . يا عايشة أنا أخرج على عليّ عليه السلام بعد هذا الذي سمعته من النّبيّ ﷺ .

فرجعت عايشة إلى منزلها وقالت: يا بن الزبير أبلغ طلحة والزبير أنّي لست بخارجة بعد الذي سمعته من أمّ سلمة. فرجع فبلغهما.

قال عبد الرحمن: فما انتصف الليل حتّى سمعنا رغاء إبلها ترتحل...

قال المرتضى: ومن العجائب أن يكون مثل هذا الخبر الذي يتضمن

النص بالخلافة، وكل فضيلة غريبة موجوداً في كتب المخالفين وفيما يصححونه من رواياتهم ويصنفونه من سيرتهم ولا يتبعونه[١].

هذا وقال ابن أبي الحديد: معنى كلامه عليه السلام: «ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل»، أنّ عمر لو ولّي الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذي قتل، والوجه الذي أنا وليت الخلافة عليه، ونسبت عمر إلى أنّه كان يؤثر قتله، ودعيت إلى ان تخرج عليه في عصابة من المسلمين إلى بعض بلاد الإسلام تثير فتنة وتنقض البيعة لم تفعل[٢].

قلت: ما قاله في غاية الركاكة، فإنّها وعمر وأبوها كنفس واحدة، أسسوا ما أسسوا معاً، فتفسيره نظير أن يفسر الكلام أنّ عايشه لو دعيت إلى قتال أبيها أبي بكر ما فعلت، وإنّما المراد بغيره عليه السلام عثمان، فإنّ عثمان لمّا قطع عنها ما كان أبوها وعمر يعطيانها وكان لم يراع غير بني أُميّة بني أبيه، قالت: اقتلوا نعثلاً فقد كفر، وحرّضت النّاس على الخروج عليه، وكانت كلماتها وحركاتها فيه دخيلة في قتله، ولمّا سُئل محمّد بن طلحة عن دم عثمان قال مع كونه من أتباع عايشة: ثلثه على عايشة وثلثه على أبيه، كانت عايشة تقنع في عثمان بأن تقول أبلى عثمان دين النّبيّ ولم يبل نعلاه، وأما أن تخرج على عثمان كما خرجت عليه عليه السلام، فلا، مع أنّ أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة الذين جاؤوا لقتل عثمان كانوا حاضرين لدعوتها إلى قتاله، فكانت ملجأهم حتّى لا يأخذ عثمان رؤساءهم، لأنّه لم يكن لها مع عثمان ضغن شديد كما كان لها معه عليه السلام، وكيف تخرج عليه وهو فرع أبيها؟ وإنّما أسخطها عليه قطع زيادة كان من قبله يعطيها فلو كانوا دعوها لم تجبهم.

---

(١) أورده المجلسي في بحار الأنوار ٣٢: ١٥١، رواية ١٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٩٩.

«ولها بعد حرمتها الأُولى» في (العقد الفريد): أوّل ما تكلّمت به الخوارج يوم الجمل قالوا: ما أحلّ له دماءهم وحرّم علينا أموالهم؟ فقال عليّ عليه السلام: هي السّنة في أهل القبله. قالوا: ما ندري ما هذا. قال: فهذه عايشة رأس القوم، أتتساهمون عليها؟ قالوا: سبحان الله أمّنا. قال: فهي حرام؟ قالوا: نعم. قال: فإنّه يحرم من أبنائها ما يحرم منها[1].

وفي (جمل المفيد): لمّا عزم عليه السلام على المسير إلى الكوفة أنفذ إلى عايشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، فتهيأت لذلك وأنفذ معها أربعين امرأة ألبسهن العمائم والقلانس وقلدهن السيوف، وأمرهن أن يحففنها ويكن عن يمينها وشمالها ومن ورائها، فجعلت تقول في الطريق: اللهمّ افعل بعليّ وافعل، بعث معي الرجال ولم يحفظ فيّ حرمة النّبيّ. فلمّا قدمن المدينة ألقين العمائم والسيوف ودخلن معها، فلمّا رأتهن ندمت على ذمّه عليه السلام وقالت: جزى الله ابن أبي طالب خيراً، فلقد حفظ فيّ حرمة النّبيّ صلى الله عليه وآله[2].

وقد روى محمّد بن عليّ المعروف بأعثم الكوفي في (فتوحه) المؤلف في سنة (٢٠٤) وترجمة أحمد بن محمّد المتوفى في سنة (٥٩٦) ـ وهما من رجالهم، وقد ذكرهما صاحب (كشف الظنون) ـ ما معناه: أنّ عايشة لم ترد الشخوص من البصرة فخوّفها عليه السلام بطلاقها من النّبيّ صلى الله عليه وآله المفوّض إليه عليه السلام، فقال بعد ذكر إرساله عليه السلام ابن عبّاس إليها ثم دخوله بنفسه عليها، وتبكيتها بما فعلت وأمرها بشخوصها إلى المدينة. وبعث في غده ابنه الحسن إليها، فقال لها: يحلف أمير المؤمنين لئن لم تشخصي الساعة أقول كلاماً أنت تعلمينه في حقّك ـ وكانت تسرح رأسها في تلك الساعة، وكانت نسجت إحدى

(١) العقد الفريد ٥: ٧٩.

(٢) الجمل للمفيد: ٤١٥؛ مروج الذهب ٢: ٣٧٩؛ تذكرة الخواص: ٨٠.

ذؤابتيها ويقيت الأُخرى ـ فلمّا سمعت ذلك من الحسن عليه السلام، تركت الأُخرى بحالها وقامت وقالت: عجّلوا براحلتي أرجع إلى المدينة. وكانت امرأة من المهالبة عندها، فقالت لها: يا أُمّ المؤمنين جاءك ابن عباس وكلمك بكلمات واجبتيه بجوابات غليظة حتى رجع مغضباً وجاءك عليّ بنفسه وقد ردّت بينكما كلمات، وجاءك هذا الغلام وكلّمك بكلمات اضطربت منها، فما سببه؟ فقالت: قلقت من كلامه لأنّه ابن النّبيّ وإنسان عينه، فمن أراد أن يرى انسان عين النّبيّ صلى الله عليه وآله فلينظر في إنسان عين الحسن. وكانت كلمة أُخرى متعلقة بلسان علي فأرسل الحسن إلي منها برمز، فلابد من استماعها وشخوصي إلى المدينة.

فقالت المرأة: أنشدك بالذي أرسل محمّداً بالحق إلّا تخبريني ما تلك الكلمة. فقالت عايشة: لمّا أحلفتني أُخبرك؛ إنّه كان أُتي في غزوة بغنائم كثيرة، وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله يقسمها على أصحابه، فطلبت أنا وبعض نسائه الأُخرى منها شيئاً وألححنا عليه حتّى ضاق صدره منّا ـ وكان علي حاضراً ـ فلامنا على إلحاحنا وقال: لا تكثرنّ الكلام واسكتن فقد آذيتن النّبيّ صلى الله عليه وآله، فأجبناه بكلمات غليظة فتلا علينا قوله تعالى: ﴿عسى ربّه إن طلّقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ...﴾[1]، فألححنا مرّة أُخرى وقلنا لعلي كلمات شديدة، فغضب النّبيّ مما كلمنا عليّاً فقال: جعلت طلاق هؤلاء النسوة بيدك فمن شئت أن تطلق منهن بعد وفاتي فافعل، فخفت إن لم أشخص هذه الساعة أن يطلقني علي ويقطع سببي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله[2].

ومن الغريب أن النصّاب وضعوا لها في مقابل هذه الرواية، مع كونها

---

(١) التحريم: ٥.

(٢) كتاب الفتوح ٢: ٤٨٣ ـ ٤٨٤.

من طريقهم: (أنا زوجته في الدّنيا والآخرة وزوجته في الجنّة) وكيف هي استحيت من مجاورة جسدها لجسد النّبيّ ﷺ، فأوصت ألّا تدفن معه ﷺ لإحداثها. والرواية وإن لم تتضمن وقوع الطلاق منه عليه السلام، إلّا أنّ نساء الأنبياء كأبنائهم لسن وليسوا كنساء باقي النّاس وأبنائهم، فنسبتهن ونسبتهم إنّما تكون باقية ما داموا سالكين على منهاج النبوّة من الإيمان بالله تعالى حقيقة، والإتيان بالعمل الصالح صدقاً وإلّا فلا.

قال تعالى لنوح في ابنه: ﴿...إنّه ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح...﴾[1].

وقال سبحانه لنبيّه ﷺ مخاطباً نساءه: ﴿ يا نساء النّبيّ لستن كأحد من النساء...﴾[2] و ﴿... من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾[3].

«والحساب على الله» في (جمل المفيد): روى محمّد بن عبدالله بن عمر بن دينار ـ بعد ذكر هزيمة أهل الجمل ـ: وقال عليّ عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: سلها هل وصل إليها شيء؟ فسألها، قالت: نعم، وصل إليّ سهم خدش رأسي، الله بيني وبينكم. فقال لها محمّد: والله ليحكمنّ عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين، حتّى تخرجين عليه وتؤلّبين النّاس على قتاله، وتنبذي كتاب الله وراء ظهرك. فقالت: دعنا يا محمّد، وقل لصاحبك يحرسني ـ والهودج كالقنفذ من النبل ـ فرجع محمّد إليه عليه السلام وأخبره بما جرى بينهما. فقال عليه السلام: هي امرأة والنساء ضعاف العقول، فتولّ أمرها واحملها إلى دار ابن

---

(١) هود: ٤٦.

(٢) الأحزاب: ٣٢.

(٣) الأحزاب: ٣٠.

خلف. فحملها، وإنّ لسانها لا يفتر من السّب له ولعلي عليه السلام[١].

وقال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام: «والحساب على الله» يدل على توقفه في أمرها، ويجوز أن يكون قاله قبل أن يتواتر عنده توبتها، وقالت أصحابنا إنّها تابت بعد قتله عليه السلام وندمت وقالت: لوددت أنّ لي من النّبيّ عشرة بنين كلّهم ماتوا ولم يكن يوم الجمل، وإنّها كانت بعد قتله عليه السلام تثني عليه وتنشر مناقبه، وقد أكّد وقوع التوبة منها ما روي في الأخبار المشهورة أنّها زوجة النّبيّ في الآخرة أيضاً[٢].

قلت: أمّا ما ذكره من توبتها بعد قتله عليه السلام، فإن أراد به ما قاله أبو الفرج في مقالته إنّ عايشة لمّا جاءها قتل أمير المؤمنين عليه السلام سجدت وتمثلت:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عيناً بالإياب المسافر

ثم قالت: من قتله؟ فقيل رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائياً فلقد بغاه ... غلام ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أُم سلمة: ألعلي عليه السلام تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني، ثم تمثّلت:

ما زالت اهداء القصائد بيننا ... شتم الصديق وكثرة الألقاب

حتّى تركت كأنّ قولك فيهم ... في كل مجتمع طنين ذباب[٣]

ولمّا أرادوا دفن الحسن عليه السلام ركبت عايشة بغلاً واستعونت بني أُميّة وبني مروان ومن كان هناك منهم ومن حشمهم؛ وهو قول القائل: «فيوماً على

---

(١) الجمل للمفيد: ٣٦٨ ـ ٣٧١؛ أنساب الأشراف ٢: ٢٤٨ ـ ٢٥٠؛ الأخبار الطوال: ١٥١؛ تاريخ الطبري ٤: ٥٠٩، سنة ٣٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٢٦.

بغل ويوماً على جمل»[١]، فلعل وإلّا فلم نقف على توبة لها بعده عليه السلام.

وأمّا ما ذكره من نشرها مناقبه عليه السلام وثنائها عليه، فإنّما كان من باب إجراء الحق على لسانها، إتماماً للحجة عليها وعلى أتباعها، كما جرى على لسان أبيها وفاروقه وباقي ستتهم وعشرتهم وساير أعوانهم، ولم ينحصر ذلك منها بكونه بعد قتله عليه السلام، بل كان ذلك طول عمرها وفي أيّام خلافته عليه السلام التي تمنّت وقوع السماء على الأرض وعدم وصول الخلافة إليه عليه السلام، فقد عرفت أنّها قالت لأبي قتادة بعد فراغه من قتل الخوارج: سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: يقتلهم أحبُّ الخلق إلى الله وإليّ.

مع أنّه لو أراد بأخبارهم المشهورة أخبار مثل سيف الذي يضع في مقابل كل أمر أمراً، فقال: إنّ عايشة سئلت عن عدّة من كان معها ومن كان عليها، فكلّما نعي لها منهم واحد قالت: يرحمه الله. فقال لها رجل من أصحابها: كيف ذلك؟ قالت: كذلك قال النّبيّ صلى الله عليه وآله فلان في الجنّة وفلان في الجنّة، وقال عليّ يومئذ: إنّي لأرجو أن لا يكون أحد من هؤلاء نقى قلبه إلّا أدخله الله الجنّة[٢].

وقال سيف أيضاً: إنّ عايشة لمّا أرادت الارتحال من البصرة ودّعت النّاس وقالت: يا بنيّ يعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنّه ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلّا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنّه عندي ـ على معتبتي ـ من الأخيار. وقال عليّ: أيّها النّاس صدقت وبرّت، ما كان بيني وبينها إلّا ذلك، وإنّها لزوجة نبيّكم

---

(١) المصدر نفسه: ٤٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٣٧، سنة ٣٦.

في الدّنيا والآخرة[١].

وقال أيضاً: إنّ عليّاً لمّا انتهى إلى عايشة قال لها: يغفر الله. قالت: ولك[٢]، بل روى أن عليّاً أيضاً تاب كعايشة؛ فقال: دخل القعقاع بن عمرو على عايشة في أوّل من دخل، فقالت له: إنّي رأيت بالأمس رجلين اجتلدا بين يدي وارتجزا بكذا، فهل تعرف كوفيك منها؟ قال: نعم ذلك الذي قال: «أعقّ أُمّ نعلم» وكذب إنّك لأبرّ أُمّ نعلم، ولكن لم تطاعي. فقالت: والله لوددت أنّي مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. وخرج فأتى عليّاً فأخبره أن عايشة سألته، فقال: ويحك من الرجلان؟ قال: ذاك أبو هالة الذي يقول: «كيما أرى صاحبه عليّاً». فقال: والله لوددت أنّي مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. فكان قولهما واحد[٣].

كما انّه بدّل خبر نبح كلاب الحوأب لعايشة مع تواتره واتفاق السير عليه، بنبحها لأُم زمل، وقال: هي عتيقة عايشة.

ففي (الطبري) في سنة (١١) عن سيف: اجتمعت فلال غطفان إلى ظفر، وبها أُم زمل وهي تشبه بأُمها أُمّ قرفة، وفي مثل عزّها وعندها جملها ـ وكانت قد سبيت أيّام أُم قرفة، فوقعت لعايشة فأعتقها، فكانت تكون عندها ثم رجعت إلى قومها. وكان النّبيّ دخل عليهن يوماً فقال: إنّ إحداكن تستنبح كلاب الحوأب، ففعلت أُم زمل سلمى ذلك حين ارتدت، فسيرت في ما بين ظفر والحوأب ليجمع إليها كل فل[٤].

ومن أخبار سيف: أنّه قيل لعليّ: إنّه قام رجلان على الباب فقال أحدهما: «جزيت عنّا عقوقاً»، وقال الآخر: «يا أُمّنا توبي فقد خطأت»، فبعث القعقاع بن

(١) المصدر نفسه ٤: ٥٤٤، سنة ٣٦.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٥٣٤، سنة ٣٦.

(٣) المصدر نفسه ٤: ٥٣٧، سنة ٣٦.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٢٦٣ ـ ٢٦٤، سنة ١١.

عمرو إلى الباب فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين فقال: اضرب أعناقهما، ثم قال: لأنهكنهما عقوبة فضربهما مائة مائة وأخرجهما من ثيابهما[١].

سبحان الله من هؤلاء يعبدون هذه المرأة من دون الله؟ ﴿...وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾[٢] ولا غرو فكانوا يأخذون بعر جملها ويقولون ريح بعر جمل أُمّنا ريح المسك، وقد صرّحوا بعبادتهم لها من دون الله.

فقال الواقدي والمدائني وغيرهما: إنّه خرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه، نبيل عليه جبّة وشيء يحض النّاس على الحرب ويقول:

يا معشر النّاس عليكم أُمّكم ... فإنّها صلاتكم وصومكم[٣]

وأرادوا قتل أمير المؤمنين الذي هو نفس النّبيّ ﷺ بنص القرآن، وابنيه سيدي شباب أهل الجنّة وريحانتي النّبيّ ﷺ، وهم الذين شهد الله بعصمتهم وطهارتهم، لامرأة تبرّجت تبرّج الجاهليّة الأولى، وضربها الله مثلاً للذين كفروا كامرأة نوح ولوط، فقال أبو مخنف: خرج عوف بن قطن الضبي وهو ينادي: ليس لعثمان ثار إلّا عليّ وولده، وقال:

يا أُم يا أُم خلا مني الوطن ... لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن

من هاهنا معشر عوف بن قطن ... إن فاتنا اليوم عليّ فالغبن

أو فاتنا ابناه حسين وحسن ... إذن أمت بطول همٍّ وحزن

ومن المصيبة العظمى وما يضحك الثكلى أنّها تجعل نفسها كالنبيّ ﷺ ويصدّقونها، فأخذت كفّاً من حصى وحصبت بها أصحاب أمير

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٥٤٠، سنة ٣٦.

(٢) آل عمران: ٢٤.

(٣) هو كعب بن سور الأزدي، راجع بحار الأنوار ٣٢: ١٧٩ ح ١٣٢.

المؤمنين عليه السلام وصاحت بأعلى صوتها: شاهت الوجوه، وقد كان النّبيّ صلى الله عليه وآله فعل ذلك يوم حنين، فقال لها قائل: ﴿...وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى...﴾[1].

ولقد كان الواجب أن يُقال لها: (وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى)، ولكن لاغرو إذا كانت إلهتهم أن تكون نبيتهم، فإن كان أصحاب سجاح يقولون: «أضحت نبيتنا انثى نطيف بها»، وهؤلاء ليقولوا: أضحت إلهتنا أُنثى نطيف بها.

ولأجل أخبارهم المتناقضة ومذهبهم المتضاد ذهب جمع من أئمتهم كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وأبي هذيل العلاف وأبى بكر الملقب بجريال، بأنّ أحد الفريقين فاسق إمّا علي وإمّا طلحة والزبير وعايشة؛ أحد الفريقين فاسق لا بعينه كالمتلاعنين.

وقال هشام القوطي وعباد بن سليمان الصيمري: إنّ الجميع كانوا على حق، وانّهم لم يريدوا القتال أصلاً، وإنّما أنشب القتال غوغاء الفريقين وهو مذهب سيف بن عمر.

١١
الخطبة (٢١٩)

ومن كلام له عليه السلام لما مرّ بطلحة وعبدالرحمن بن عِتابِ بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل:

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا المَكَانَ غَرِيباً! أَمَا وَٱللّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ! أَدْرَكْتُ وِتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَفْلَتَنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحٍ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا

---

(١) الأنفال: ١٧.

أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ!

أقول: الذي وقفت عليه من كلامه عليه السلام في قتلى الجمل طلحة وابن عتاب وغيرهما، من الزبير وكعب بن سور القاضي ومحمد بن زهير وعبدالله بن خلف وعبدالله بن ربيعة بن رواح وسفيان بن حويطب وعبدالله بن حكيم بن حزام وعبدالله بن المغيرة بن الأخنس وعبدالله بن الأخنس بن شريق، ما رواه المبرد في (كامله) عن التوزي عن محمّد بن عباد بن حبيب ـ أحسبه عن أبيه ـ قال: لمّا انقضى يوم الجمل خرج عليّ عليه السلام في ليلة ذلك اليوم ومعه قنبر وفي يده مشعلة من نار يتصفّح القتلى حتّى وقف على رجل ـ قال التوزي: فقلت: أهو طلحة؟ قال: نعم. فلمّا وقف عليه قال: اعزز عليّ أبا محمّد أن أراك معفّراً تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية، شفيت نفسي وقتلت معشري إلى الله أشكو عجري وبجري[1].

وما في المدائني في (تاريخه): ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ إنّ علياً عليه السلام مر بطلحة وهو ملبّد بنفسه، فوقف عليه وقال: أما والله إن كنت لأبغض أن أراكم مصرّعين في البلاد، ولكن ما حمّ واقع؛ ثم تمثّل:

وما تدري إذا أزمعت أمراً ... بأيِّ الأرض يدركك المقيل

وما يدري الفقير متى غناه ... ولا يدري الغني متى يعيل

وما تدري إذا أنتجت شولا ... أتنتج بعد ذلك أم تحيل[2].

وما رواه زيد بن فراس عن غزال بن مالك ـ كما في (جمل المفيد) ـ قال: لمّا قتل الزبير وجيء برأسه إلى عليّ عليه السلام، قال: أما والله لولا ما كان من أمر حاطب بن أبي بلتعة، ما اجترأ طلحة والزبير على قتالي، وانّ الزبير كان أقرب

---

(١) الكامل للمبرّد.

(٢) شرح ابن أبي الحديد.

إليّ من طلحة، ومازال منّا أهل البيت حتّى بلغ ابنه فقطع ما بيننا[١].

وما رواه المفضل بن فضالة عن شداد بن الهاد عن محمّد بن إبراهيم قال: هرب الزبير على فرس له يدعى ذا الخمار -إلى أن قال- بعد مجيء ابن جرموز برأسه وسيفه -استلّ عليّ عليه السلام سيفه وقال: سيفه أعرفه، أما والله لقد قاتل بين يدي النّبيّ صلى الله عليه وآله، ولكنّه الحين ومصارع السوء[٢].

وعن عبدالله بن جعفر عن ابن أبي عون مثله وزاد: ثم تفرّس في وجه الزبير وقال: لقد كان لك بالنبي صلى الله عليه وآله صحبة ومنه قرابة، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد[٣].

وروى (جمل المفيد) أيضاً: أنّه لمّا انجلت الحرب وقُتل طلحة والزبير وحملت عايشة إلى قصر بني خلف، ركب عليّ عليه السلام وتبعه أصحابه وعمّار يمشي مع ركابه، حتّى خرج إلى القتلى يطوف عليهم، فمرّ بعبدالله بن خلف الخزاعي وعليه ثياب حسان مشهرة، فقال النّاس: هذا والله رأس النّاس. فقال عليه السلام: ليس برأس النّاس، ولكنّه شريف منيع النفس.

ثمّ مرّ بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فقال: هذا يعسوب القوم ورأسهم كما تروه. ثم جعل يستعرض القتلى رجلاً رجلاً، فلمّا رأى أشراف قريش صرعى في جملة القتلى قال: جدعت أنفي! أما والله إن كان مصرعكم لبغيضاً اليَّ ولقد قدّمت إليكم وحذّرتكم عضّ السيوف، وكنتم أحداثاً لا علم لكم بما ترون، ولكن الحين ومصرع السوء! نعوذ بالله من سوء المصرع.

ثمّ سار حتّى وقف على كعب بن سور القاضي وهو مجدّل بين القتلى

---

(١) الجمل للمفيد: ٣٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى ٣: ١١١ ـ ١١٢؛ تلخيص الشافي ٤: ١٣٧؛ الاحتجاج ١: ١٦٣.

(٣) الجمل للمفيد: ٣٩٠.

وفي عنقه المصحف، فقال: نحّوا المصحف وضعوه في مواضع الطهارة، ثم قال: أجلسوا لي كعباً، فأُجلس ـ فقال: يا كعب بن سور قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقاً؟!

ثم قال: اضجعوا كعباً. فتجاوزه، فمر فرأى طلحة صريعاً، فقال: أجلسوا طلحة، فأُجلس، فقال عليه السلام: يا طلحة بن عبيدالله قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟ ثم قال: اضجعوه. فوقف رجل من القرّاء أمامه فقال: يا أمير المؤمنين ما كلامك هذه الهام قد صديت لا تسمع لك كلاماً ولا تردّ جواباً! فقال عليه السلام: انّهما ليسمعان كلامي كما تسمع أصحاب القليب كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله، ولو أُذن لهما في الجواب لرأيت عجباً.

ومرّ بمعبد بن مقداد وهو في الصَرْعى فقال عليه السلام: رحم الله أبا هذا، إنّما كان رأيه فينا أحسن من رأي هذا. فقال عمّار: الحمد لله الذي أوقعه وجعل خدّه الأسفل، إنّا والله يا أمير المؤمنين لا نبالي من عن الحق عند من والد وولد. فقال عليه السلام: رحمك الله يا عمّار وجزاك الله عن الحق خيراً.

ومرّ بعبدالله بن ربيعة بن رواح وهو في القتلى، فقال عليه السلام: هذا البائس ما كان أخرجه نصر لعثمان، والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن.

ومرّ عليه السلام بمعبد بن زهير بن أُميّة فقال: لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام، والله ما كان فيها بذي نخيرة، ولقد أخبرني من أدركه إنّه يلوذ خوفاً من السيف حتّى قتل البائس ضياعاً.

ومرّ بمسلم بن قرطبة فقال عليه السلام: ألبر خرج هذا! ولقد سألني أن أُكلّم عثمان في شيء يدعيه عليه بمكّة، فلم أزل به حتّى أعطاه وقال لي: لولا أنت ما أعطيته، إنّ هذا ما علمت بئس أخو العشيرة، ثمّ جاء المشوم لحينه ينصر عثمان.

ثمّ مرّ بعبدالله بن عمير بن زهير وقال: هذا أيضاً ممّن أوضع في قتالنا، يطلب بزعمه دم عثمان، ولقد كتب إليّ كتاباً يؤدّي عثمان فأعطاه شيئاً فرضي عنه.

ومرّ بعبدالله بن حكيم بن حزام فقال عليه السلام: هذا خالف أباه في الخروج عليّ، وإنّ أباه حيث لم ينصرنا بايع وجلس في بيته، ما ألوم اليوم أحداً إذا كف عنّا وعن غيرنا، ولكن الملوم الذي يقاتلنا.

ومرّ بعبدالله بن المغيرة بن الأخنس فقال: أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار، فخرج غضباً لقتل أبيه وهو غلام لا علم له بعواقب الأمور.

ومرّ بعبدالله بن الأخنس بن شريق فقال عليه السلام: أمّا هذا فإنّي أنظر إليه وقد أخذ القوم السيوف وإنّه لهارب يعدو من الصف، فنهنهت عنه فلم يسمع من نهنهته، وكان هذا مما خفي على فتيان قريش، أغمار لا علم لهم بالحرب، خدعوا واستزلوا فلمّا وقعوا لحجوا فقتلوا[1].

ورواه (الإرشاد) مختصراً وفيه: في كعب - هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنّه ناصر أمّه، يدعو النّاس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه، ثم استفتح فخاب كل جبّار عنيد، أما إنّه دعا الله أن يقتلني فقتله الله اجلسوا كعباً...

وفي طلحة قال عليه السلام: هذا الناكث بيعتي والمنشئ الفتنة والمجلب عليّ والداعي إلى قتلي وقتل عترتي، أجلسوا طلحة...[2].

وفي (كافية المفيد) - على نقل البحار ونقله (الخوئي) أيضاً: عن خالد بن مخلد عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر عليه السلام: مرّ عليّ عليه السلام على طلحة وهو

---

(١) الجمل للمفيد: ٣٩١ - ٣٩٤؛ الشافي ٤: ٣٤٤؛ الاحتجاج ١: ١٦٣ - ١٦٤؛ بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٧ - ٢٠٩.

(٢) الإرشاد ١: ٢٥٤ - ٢٥٧؛ بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٩.

صريع فقال: أجلسوه فقال: أم والله لقد كان لك صحبة، ولقد شهدت وسمعت ورأيت، ولكن الشيطان أزاغك وأمالك فأوردك جهنم[١].

وروى أبو مخنف عن الأصبغ ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ قال: لمّا انهزم أهل البصرة ركب عليّ عليه السلام بغلة النّبيّ صلى الله عليه وآله الشهباء ـ وكانت باقية عنده ـ وسار في القتلى يستعرضهم، فمر بكعب بن سور قاضي البصرة وهو قتيل فقال: أجلسوه فأُجلس. فقال: ويل امّك كعب بن سور، لقد كان لك علم لو نفعك، ولكن الشيطان أضلّك فأذلّك فعجلك إلى النار، أرسِلوه.

ثم مر بطلحة قتيلاً فقال: أجلسوه، فأُجلس فقال له: ويل امّك طلحة، لقد كان لك قدم لو نفعك، ولكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار.

ثم مر بعبدالله بن خلف الخزاعي ـ وكان قتيلاً بيده مبارزة، وكان رئيس أهل البصرة ـ فقال: أجلسوه، فأُجلس، فقال: الويل لك يا بن خلف لقد عانيت أمراً عظيماً[٢].

وفي (جمل المفيد): روى إبراهيم بن نافع عن سعيد بن أبي هند قال: أخبرنا أصحابنا ممّن حضر القتال يوم البصرة أنّ علياً عليه السلام قاتل يومئذ أشد القتال وسمعوه وهو يقول: تبارك الله الذي اذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع.

ونظر عليه السلام يومئذ إلى سفيان بن حويطب بن عبدالعزى وهو يسترجع من الخوف وما التحم من الشر، فقال عليه السلام له: انحز إلى أصحابي لا تُقتل. فانحاز إليهم إلى أن حمل أصحاب الجمل جملة، فإذا هو قد صار في حيزهم، فحمل عليه رجل من همدان وعليّ عليه السلام يصيح: «كف عنه»، والهمداني لا يفهم

---

(١) كافية المفيد: ٢٥ ـ ٢٦؛ بحار الأنوار ٣٢: ٢٠١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

حتّى قطعه ارباً إرباً. فقال عليه السلام: يا ويحه لفّته السيوف وقد كان مقتله إليَّ بغضياً[١].

وفي (ذيل الطبري): مر عليّ عليه السلام بعبدالله بن مقداد، وأُمّه صباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب ـ وكان قتل مع عايشة ـ فقال: بئس ابن الأُخت[٢].

قول المصنّف «ومن كلام له عليه السلام لما مرّ بطلحة» في (جمل المفيد): وفي رواية عليّ بن زيد بن جُدْعان: لمّا بلغ طلحة أنّ الزبير اندفع، ذهب في طلبه فمر بمروان فرآه، فقال: لا أطلب بثأري بدم بعد اليوم، ثم رماه بسهم فقتله[٣].

«وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل» في (جمل أبي مخنف): خرج عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد بن العاص بن أميّة بن عبدالشمس ـ وهو من أشراف قريش وكان اسم سيفه ولول ـ فارتجز وقال:

أنا ابن عتّاب وسيفي ولول والموت عند الجمل المجلل

فحمل عليه الأشتر فقتله[٤].

وفي (جمل المفيد): روى محمّد بن عبيدالله عن عمرو بن دينار عن صفوان قال: لمّا تصاف النّاس يوم الجمل، أقبل الأشتر النخعي وجندب بن زهير العامري قبال الجمل يرفلان في السلاح، حتّى قتلا عبدالرحمن بن عتاب ومعبد بن زهير بن خلف بن أُميّة[٥].

وروى محمّد بن عبد الله قال: قطعت يوم الجمل يد عبدالرحمن وفيها الخاتم، فأخذه نسر فطرحه باليمامة فأخذه أهل اليمامة واقتلعوا حجره،

---

(١) الجمل للمفيد: ٣٦١.

(٢) ذيل تاريخ الطبري ١١: ٦٢٠.

(٣) الجمل للمفيد: ٣٨٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٥) الجمل للمفيد : ٣٦٤.

وكان ياقوتاً فابتاعه رجل منهم بخمسمائة دينار، فقدم به مكّة فباعه بربح عظيم[1].

وفي (المروج): أُصيب كفّه بعد يوم الجمل بثلاثة أيّام وفي خاتمه (عبدالرحمن بن عتاب)[2].

هذا وقال ابن أبي الحديد: وعبدالرحمن هو الذي قال عليه السلام فيه وقد مر عليه: لهفي عليك يعسوب قريش، هذا فتى الفتيان، هذا اللباب المحض من بني عبدمناف، شفيت نفسي وقتلت معشري، إلى الله أشكو عجري وبجري. فقال له قائل: لشد ما أطريت الفتى منذ اليوم، فقال: إنّه قام عنّي وعنه نسوة لم يقمن عنك[3].

قلت: الأصل فيه (بيان الجاحظ) فعبّر بمثله. وزاد بعد قوله (وبجري): قتلت الصناديد من بني عبدمناف وأفلتني الأعيار من بني جمح. فقال الخ...

وكذا (مروج المسعودي) فقال: مر عليّ عليه السلام على عبدالرحمن فقال: لهفي عليك يعسوب قريش، قتلت الغطاريف من بني عبدمناف، شفيت نفسي وجدعت أنفي. فقال له الأشتر: ما أشدّ جزعك عليهم وقد أرادوا بك ما نزل بهم. فقال: إنّه قامت عني وعنهم... وهو من أخبارهم الموضوعة، فأمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يثني على المنافقين، فإنّهم وإن كانوا من حيث الجسم ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم...﴾[4]، لكنّهم من حيث الروح ﴿...كأنّهم خشب مسندة...﴾[5].

---

(١) الجمل للمفيد: ٣٦٤؛ تجارب الأمم ١: ٣٣١؛ شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢٤.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٨٠، والآية ٤ من سورة المنافقين.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٩.

(٤) سورة المنافقين: ٤.

(٥) مروج الذهب ٢: ٣٨٠.

قوله عليه السلام على نقل المصنّف «لقد أصبح أبو محمّد» يعني طلحة، فكان مكنياً باسم ابنه محمّد بن طلحة الذي كان يوم الجمل كلّما حمل عليه رجل قال: نشدتك بـ«حم» فينصرف عنه، حتّى شد عليه رجل من بني أسد بن خزيمة فنشده فلم يثنه ذلك وطعنه فقتله وقال:

وأشعث سجاد بآيات ربه قليل الأذى في ما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه فخر صريعاً لليدين وللفم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً عليّاً ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم

ثم قد عرفت رواية أبي مخنف وروايات (جمل المفيد) و(إرشاده) و(كافيته) فيه، وأنّه عليه السلام لمّا مر عليه قال: أجلسوه، فأُجلس فقال له: ـ واللفظ للاول ـ لقد كان لك قدم لو نفعك، ولكن الشيطان أضلّك فأزلّك فعجّلك إلى النار.

وأما قول (المروج): نادى عليّ رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير: يا أبا محمّد ماالذي أخرجك؟ قال: الطلب بدم عثمان. فقال له: أما سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأنت أوّل من بايعني ثم نكثت، وقد قال عزّوجلّ ﴿... فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه...﴾[1] فقال: أستغفر الله. ثم رجع. فقال مروان: رجع الزبير ورجع طلحة ما أُبالي رميت هاهنا أم هاهنا فرماه في اكحله فقتله.

فمر به عليّ عليه السلام بعد الوقعة في موضع في قنطرة قرة، فوقف عليه فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله لقد كنت كارهاً، أنت والله كما قال القائل:

---

(١) سورة الفتح: ١٠.

فتى كان يدنيه الفتى من صديقه
إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
كأنّ الثريا عُلقت في يمينه
وفي خده الشعرى وفي الآخر البدر[١]

فمن الأخبار الموضوعة، فلم يقل أحد أن مروان رماه لمّا أراد الرجوع، بل لكونه أوّل محرّض على عثمان حتّى قتل ومنع من دفنه.

وكيف يتكلّم أمير المؤمنين بالمزخرفات الشعرية والتّرهات الباطلة، من كون الثريا في يمين رجل والشعرى في خدّه والبدر في يساره. وإنّما دعاهم إلى وضع هذا الخبر أنّ قول النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام: «اللهم وال من والاه وعاد من عاده» متواتراً، فيلزم أن يكون عدوّ الله وقد جعلوه من العشرة المبشّرة فافتروا بهذه الفرية.

وكيف تاب طلحة أم مدحه عليه السلام وقد روى الواقدي ـ كما في (جمل المفيد) ـ أنّ عليّاً عليه السلام قام خطيباً بعد الفتح وقال: إنّي أحمد الله على نعمه، قتل طلحة والزبير وهربت عايشة، وما ازداد عدوّكم بما صنع الله إلّا حقداً وما زادهم الشيطان إلّا طغياناً، ولقد جاؤوا مبطلين وأدبروا ظالمين، وإنّنا لعلى الحق وإنّهم لعلى الباطل، ويجمعنا الله وإيّاهم يوم الفصل[٢].

وروى أيضاً: أنّه عليه السلام كتب بعد الفتح إلى أهل الكوفة: أمّا بعد فإنّا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا، المفرّقين لجماعتنا، الباغين علينا من أُمّتنا، فحاججناهم إلى الله، فنصرنا الله عليهم وقتل طلحة والزبير، وقد تقدمتُ إليهما بالنذر، وأشهدتُ عليهما صلحاء الأمّة، فما أطاعا المرشدين

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٢) الجمل للمفيد: ٤٠٢.

ولا أجابا الناصحين[١].

ومن أخبارهم الموضوعة ما في (خلفاء ابن قتيبة): إنّ موسى بن طلحة دخل على عليّ عليه السلام بعد انهزامهم، فقال له علي: إنّي لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممّن قال تعالى فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾[٢] ـ وقال له ابن الكوا: أمسيت بالبصرة، فقال: كان عندي ابن أخي. قال: ومن هو؟ قال: موسى بن طلحة. فقال ابن الكوا: لقد شقينا إن كان ابن أخيك. فقال عليّ: ويحك إنّ الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد كان غفر لكم. ثم قال ابن الكوا لعليّ: من أخبرك بمسيرك هذا الذي سرت فيه، تضرب النّاس بعضهم ببعض وتستولي بالأمر عليهم أرأي رأيته حين تفرّقت الأمة واختلفت الدعوة، فرأيت أنّك أحق بهذا الأمر منهم لقرابتك. فإن كان رأياً رأيته أجبناك فيه، وإن كان عهداً عهده إليك النّبيّ صلى الله عليه وآله، فأنت المأمون على النّبيّ في ما حدّثت عنه. فقال: أنا أوّل من صدقه، فلا أكون أوّل من كذب عليه، أمّا أن يكون عندي عهد منه فلا والله، ولكن لمّا قتل النّاس عثمان نظرت في أمري فإذا الخليفتان اللذان أخذاها من النّبيّ قد هلكا ولا عهد لهما، وإذا الخليفة الذي أخذها بمشورة المسلمين قد قتل، وخرجت ربقته من عنقي لأنّه قتل ولا عهد له[٣].

فيقال لهم في الآية: إنّه تعالى قال في المتقين: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل...﴾[٤] لا للمفسدين في الأرض، وأي مفسد في الأرض أفسد من طلحة الذي قتل عثمان ثم قتل آلافاً من المسلمين باسم الطلب بدمه،

(١) الجمل للمفيد: ٤٠٣؛ الشافي ٤: ٣٣٠.

(٢) الحجر: ٤٧.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٧٨ ـ ٧٩.

(٤) الحجر: ٤٧.

وموسى ابنه لم يكن بدونه فهو الذي شهد على حجر بإباحة دمه لكونه شيعته عليه السلام.

ويُقال لهم في حديثهم: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ـ ﴿اعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير﴾[1].

ويُقال لهم في مسيره عليه السلام إلى أهل الجمل: إنّه من المتواتر عن النّبيّ صلى الله عليه وآله حديث الناكثين كالقاسطين والمارقين. وكيف لم يكن عنده عليه السلام عهد منه صلى الله عليه وآله، وقد علم رواية ودراية قول النّبيّ صلى الله عليه وآله للزبير: إنّك ستقاتل عليّاً ظالماً؟ وقد أقر الزبير به واحتمل عاره في توليته الدبر عنه، وقد قال ابنه له: إنّه لا يغسل عاره عنهم إلى آخر الدهر.

ويُقال في قوله: «الخليفتان اللذان أخذاها من النّبيّ» ان الأوّل أخذها بإحراق أهل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله، والثاني بمعاهدة الأوّل له ومعاضدته له، كما أن الثالث أخذها باختيار ابن عوف له بتدبير الثاني له، لكتابته له استخلاف الأوّل له في غشوته، وإن أمضاه بعد إفاقته.

كما أنّ قوله: «إنّ الثالث قتل ولا عهد له» أيضاً كذب، فعهد إلى معاوية فجعله ولي دمه في متواتر رواياتهم، وكان لم ير في مروان لياقة ولا كان مالكاً لنفسه، وإلّا لكان لجعله ولي عهده، وكيف لا وقد رضي بقتل نفسه، ولم يرض أن يصل إليه مكروه بفساداته في الدين، وقد حكم بأنّه أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام، أُفٍّ لهم ولما يعبدون من دون الله.

ومن أخبارهم الموضوعة ما في (تذكرة سبط ابن الجوزي): دخل بعض أصحاب عليّ عليه السلام على طلحة وهو يجود بنفسه، فقال له: اشهد على أنّي بايعت أمير المؤمنين عليّاً ـ ثم مات فاخبر الرجل عليّاً ـ فقال: رحمه الله.

---

(١) فصلت: ٤٠.

وتأسف عليه، وقال: الحمد لله الذي لم يخرجه من الدّنيا إلّا وبيعتي في عنقه[١].

وما فيه ذكر الميداني: أنّ عليّاً لمّا وقف على القتلى قال: أشكو إليك عجري وبجري، ومعشراً اغشوني على بصري، قتلت مضري بمضري شفيت نفسي وقتلت معشري[٢].

وما قاله ابن أبي الحديد، بعد نقل خبر أبي مخنف المتقدّم: روت المعتزلة أنّ عليّاً قال: اعزز عليّ أبا محمّد أن أراك معفّراً تحت نجوم السماء، أبعد جهادك في الله وذبك عن نبيّه. فجاء إليه إنسان فقال: أشهد لقد مررت عليه بعد أن أصابه السهم وهو صريع، فصاح بي: اشهد أنّي بايعت عليّاً[٣].

وما قاله الجزري: قال الشعبي: لمّا قتل طلحة ورآه عليّ مقتولاً جعل يمسح التراب عن وجهه وقال: عزيز أبا محمّد أن أراك مجدلاً تحت نجوم السماء. ثم قال: إلى الله أشكو عجري وبجري. وترحم عليه، وقال: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. وبكى هو وأصحابه عليه، وسمع رجلاً ينشد:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

فقال: ذاك أبو محمّد طلحة بن عبيدالله[٤] ـ فإنّها خلاف العقل والنقل والدراية.

ولم ينحصر جعلهم الأخبار بطلحة، وقد وضعوا لكعب بن سور القاضي وغيره من أهل الجمل، فقال سيف الوضّاع: لمّا أُتي عليّ بكعب قال: زعمتم إنّما خرج معهم السفهاء وهذا الحبر قد ترون. وجعل عليّ كلّما مر برجل فيه خير قال: زعم من زعم إنّه لم يخرج إلينا إلّا الغوغاء هذا العابد

(١) تذكرة ابن الجوزي: ٧٧.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٧٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٨.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ٣: ٢٥٥.

المجتهد ـ وصلّى على قتلى أهل البصرة...![1] ـ وكل ما قاله بهتان.

«بهذا المكان غريباً» لكونه من أهل المدينة، وقد قتل في البصرة.

وفي رواية سفيان بن عنبسة ـ كما في (جمل المفيد) ـ عن أبي موسى عن الحسن البصري قال: رأيت طلحة حين أصابه السهم، قال: ما رأيت كاليوم مصرع شيخ أضيع من مصرعي.

قال الحسن: وقد كان قبل ذلك جاهد جهاداً مع النّبيّ صلى الله عليه وآله ووقاه بيده، فضيّع أمر نفسه، ولقد رأيت قبره مأوى الشقاء يضع عنده غريبة، ثم يقضي عنده حاجته، فما رأيت أعجب من هؤلاء[2].

«أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب» في خبر الحسن البصري المتقدم: وأما الزبير فانّه أتى حيّاً من أحياء العرب فقال: أجيروني ـ وقد كان قبل ذلك يجير ولا يجار عليه ـ قال: وما الذي أخافك والله ما أخافك إلّا ابنك. فأتبعه ابن جرموز ـ ثؤلول من أثاليل العرب ـ فضاع دمه، وهذا قبره بوادي السباع مخراة للثعالب، وعز عليّ هذه الشقوة التي كتبت عليه وعلى صاحبه[3].

وفي (جمل المفيد): روى محمّد بن عبدالله عن عمر بن دينار عن صفوان قال: لمّا تصاف النّاس يوم الجمل صاح صائح من أصحاب عليّ عليه السلام: يا معشر شباب قريش أراكم قد لححتم وغلبتم على أمركم هذا، وإنّي أُنشدكم الله أن تحقنوا دماءكم ولا تقتلوا أنفسكم[4].

وروى محمّد بن موسى عن محمّد بن إبراهيم عن أبيه، قال: سمعت

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٣٨، سنة ٣٦.

(٢) الجمل للمفيد: ٣٨٥؛ وقريب منه ما في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١١٣ ـ ١١٤.

(٣) الجمل للمفيد: ٣٨٥.

(٤) المصدر نفسه: ٣٦٤.

معاذ بن عبيدالله التميمي ـ وكان قد حضر الجمل ـ يقول: لمّا التقينا واصطففنا نادى منادي عليّ: يا معشر قريش أبقوا على أنفسكم، فإنّي أعلم إنكم قد خرجتم وظننتم أنّ الأمر لا يبلغ إلى هذا، فالله الله في أنفسكم، فإنّ السيف ليس له بقيا، فإن أحببتم فانصرفوا، حتّى نحاكم هؤلاء القوم، وإن أحببتم فإليّ، فإنكم آمنون بأمان الله. فاستحيينا أشدّ الحياء وأبصرنا ما نحن فيه، ولكن الحفاظ حملنا على الصبر مع عايشة، حتّى قتل من قتل منّا[١].

هذا ومن أمثالهم: (ذهب القوم تحت كلّ كوكب)[٢] أي: تفرّقوا.

«أدركت وتري» في (الصحاح): (الوتر) بالكسر (الفرد) وبالفتح الذحل. هذه لغة أهل العالية. وأمّا أهل الحجاز فبالضد منهم. وأمّا تميم فبالكسر فيهما. والموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه[٣].

قلت: والأصل في الثاني الأوّل. ففي (الأساس): وترت الرجل قتلت حميمه فأفردته منه[٤].

وأهل العالية أي: أهل نجد.

«من بني عبدمناف» كانوا أربعة: بنو عبدشمس وبنو نوفل وبنو المطلب وبنو هاشم، والمراد الأولان لأنّه عليه السلام من بني هاشم، وبنو المطلب كانوا معهم في الجاهلية والإسلام، كما أنّ الأولين كانوا عليهما فيهما ولا سيما الأوّل مع الاخير، وقد فسّر قوله تعالى: ﴿هذا خصمان اختصموا في ربّهم...﴾[٥] ببني عبدشمس مع بني هاشم، فالأولون نفوه والأخيرون أثبتوه.

---

(١) المصدر نفسه: ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(٢) مجمع الأمثال للميداني؛ تحت الرقم ١٤٨٨.

(٣) الصحاح ٢: ٨٤٢ ـ ٨٤٣، مادة: (وتر).

(٤) أساس البلاغة : ٤٩١، مادة: (وتر).

(٥) الحج: ١٩.

في تفسير محمّد بن العباس عن الصادق عليه السلام في قوله عزّوجلّ: ﴿ فإمّا نذهبن بك فإنّا منهم منتقمون﴾[١] الله انتقم بعليّ عليه السلام يوم البصرة، وهو الذي وعد الله رسوله[٢].

وعن يوسف الأزرق قال: قرأت على الأعمش في (الزخرف) حتّى انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿ فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون﴾ فقال: أتدري في من نزلت الآية؟ قلت: الله أعلم. قال: نزلت في عليّ عليه السلام[٣].

وفي (تفسير الطبري): قال جابر الأنصاري: إنّي لأدناهم من النّبيّ صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع فقال: لألفينكم ترجعون بعدي كفّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، وايم الله لئن فعلتموها لتعرفني في الكتيبة التي تضاربكم ـ ثم التفت إلى خلفه فقال (أو عليّ) ـ ثلاث مرات ـ فرأينا أنّ جبرئيل غمزه. فأنزل تعالى إثر ذلك: ﴿ فإمّا نذهبن بك فإنّا منهم منتقمون﴾ بعليّ بن أبي طالب[٤].

وروى السمعاني منهم في (فضائله)، وابن المغازلي منهم في (مناقبه) نزول الآية فيه عليه السلام[٥].

وفي (الطبري): عن ابن أبي يعقوب: قتل عليّ بن أبي طالب يوم الجمل ألفين وخمسمائة ـ من الأزد ألف وثلاثمائة وخمسون ـ ومن بني ضبة ثمانمائة ـ ومن ساير النّاس ثلاثمائة وخمسون.

وقيل لأبي لبيد الأزدي: لِمَ تسب عليّاً؟ فقال: ألا أسبُّ رجلاً قتل منّا ألفين

---

(١) الزخرف: ٤١.

(٢) البرهان في تفسير القرآن ٤: ١٤٤؛ وقريب منه ما في تفسير القمّي ٢: ٢٨٤.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ٤٠٣، الآية ٤١ من سورة الزخرف.

(٤) لا وجود له في تفسير الطبري راجع ٢٥: ٤٥ في تفسير الآية ٤١ من سورة الزخرف، دار المعرفة، بيروت، ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦: ١٦ والطبرسي في المجمع ٩: ٤٩.

(٥) المناقب لابن المغازلي: ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

وخمسمائة، والشمس هاهنا[١].

وفي (المروج): وقتل من النّاس حتّى لم يكن أحد يعزي أحداً، واشتغل أهل كل بيت بمن لهم، وقطع على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة، معهم كعب بن سور القاضي متقلّداً مصحفاً، كلّما قطعت يد واحد منهم قام آخر فأخذ الخطام وقال: أنا الغلام الضبي[٢].

وقتل من أصحابه عليه السلام في ذلك اليوم خمسة آلاف ـ ومن أصحاب الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً. وقيل غير ذلك[٣].

وفي (جمل المفيد): فأمّا الأخبار عن عدد من قطعت يده يومئذ ورجله ثم قتل بعد ذلك فهي مشهورة بأنّهم كانوا نحواً من أربعة عشر ألف رجل[٤].

هذا وقال ابن أبي الحديد: قال الراوندي: (يعني عليه السلام ببني عبد مناف طلحة والزبير)، وهو غلط قبيح لأن طلحة من تيم بن مرّة، والزبير من أسد بن عبدالعزى بن قصي[٥].

قلت: يقال لابن أبي الحديد: اعتراضك على الراوندي صحيح، في أنّ طلحة والزبير ليسا من بني عبدمناف، إلّا إنّك لِم لَم تفسر المراد منهم؟ فلم يعلم قتل معروف من بني عبدمناف ذاك اليوم سوى عبدالرحمن بن عتاب المتقدّم، وأمّا مروان وولد عثمان فإنّهم وإن شهدوا الجمل إلّا أنّهم لم يقتلوا، فلابد أن يحمل لفظ المصنّف: (أدركت وتري من بني عبدمناف) ولفظ الجاحظ: (قتلت الصناديد من بني عبدمناف) ولفظ المسعودي: (قتلت

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٥٤، سنة ٣٦.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٧٥.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٣٨٠.

(٤) الجمل للمفيد: ٤١٩.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢٤.

الغطاريف من بني عبد مناف) إن صحّت روايتهم على أنّ مراده ليس قتلهم في ذاك اليوم فقط، بل في ذلك اليوم وفي أيّام النّبيّ ﷺ في بدر وغيرها.

هذا وأراد ابن ميثم أن يصحح كلام الراوندي فأتى بأغلط فقال: «كان طلحة والزبير من بني عبدمناف من قبل الأُم»[١] ـ فواضح أنّه لا يقال بنو فلان إلّا لمن كان منسوباً إلى ذاك الفلان بالأب دون الأُم، مع أنّ طلحة لم تكن أُمّه من بني عبدمناف أصلاً، بل يمنية من حضرموت اليمن، وهي صعبة الحضرمية، وكيف تكون من عبدمناف وقد وصفها أبو سفيان بعدم نسب ثاقب لها، فإنّها كانت قبل عبيدالله أبي طلحة تحت أبي سفيان فطلقها ثم تبعتها نفسه فقال:

إنّي وصعبة فيما يرى بعيدان ... والود دان قريب
فإن لم يكن نسب ثاقب ... فعند الفتاة جمال وطيب

وأمّا الزبير وإن كانت أُمّه صفيّة بنت عبدالمطلب، إلّا أنّه عرفت أنّ المراد من بني عبدمناف غير بني هاشم، كما أنّ المراد بقريش في قوله: «لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب» باقي طوائف قريش غيرهم. ثم إنّ الخوئيّ توهم أنّ كلام ابن ميثم تحته شيء، فقال: رد ابن ميثم ابن أبي الحديد بكونهما من بني عبدمناف من قبل الأُم[٢].

«وأفلتني» هكذا في (المصرية)[٣]، والصواب: (أفلتتني) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤] و(الخطيّة) أي: فاتتني من: أفلت الطائر.

هذا وفي (الأغاني): كان الحرث بن خالد المخزومي الشاعر والياً على مكة من قبل عبدالملك، وكان أبان بن عثمان ربما جاءه كتاب عبدالملك أن

(١) شرح ابن ميثم ٤: ٥٢.
(٢) منهاج البراعة (شرح الخوئي) ١٤: ١٨٧.
(٣) نهج البلاغة ٢: ٢٢٩.
(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢٤ ولكن في شرح ابن ميثم ٤: ٥١: وأفلتني أيضاً.

يصلّي بالناس ويقيم لهم حجّه، فتأخر كتابه عنه في سنة حرب ابن الأشعث ولم يأت الحرث كتاب، فلما حضر الموسم شخص أبان من المدينة فصلّى بالناس، وعاونته بنو أُميّة ومواليهم فغلب الحرث على الصلاة فقال الحرث:

فإن تنج منها يا أبان مسلما فقد أفلت الحجّاج خيل شبيب

فبلغ ذلك الحجّاج فقال: ومالي وللحرث، أيغلبه أبان على الصلاة ويهتف بي، ما ذكره إياي[١].

«أعيان» هكذا في (المصرية)[٢]، والصواب: (أعيار) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣] و(الخطيّة).

في (الصحاح): العير: الحمار الوحشي والأهلي أيضاً، والأنثى: عيرة والجمع: أعيار.

قال أبو عمرو بن العلا: ذهب من كان يعرف معنى بيت الحارث بن حلزة «زعموا ان كل من ضرب العير موال لنا وأنا الولاّء».

ومعنى قولهم: «ما أدري من أيّ ضرب العير هو» أيّ النّاس هو. وعير القوم: سيدهم ـ وقولهم: «عير بعير وزيادة عشرة»، كان الخليفة من بني أُميّة إذا مات وقام آخر زاد في أرزاقهم عشرة دراهم[٤].

وفي (الأساس) قولهم: (هو كجوف العير) العير: الحمار، لأنّه ليس في جوفه ما ينتفع به، وقيل رجل خرّب الله واديه، قال:

لقد كان جوف العير للعين منظراً أنيقاً وفيه للمجاور مَنْفَسُ

---

(١) الأغاني ٣: ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢٢٩.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢٣، ولكن في شرح ابن ميثم ٤: ٥١ أعيان أيضاً.

(٤) الصحاح ٢: ٧٦٢ ـ ٧٦٣، مادة: (عير).

وقد كان ذا نخلٍ وزرعٍ وجاملٍ فأمسى وما فيه لباغٍ معرّسُ[١]

هذا وفي (لحن العيون): قال فيل مولى زياد لزياد: اهدوا لنا همار وحش أي: حمار وحش ـ فقال: ويلك ما تقول فقال: (اهدوا لنا ايراً) أي: عيراً، فقال زياد: الأوّل خير.

بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي أحد بطون قريش.

قال ابن أبي الحديد: قال الراوندي: (مروان من بني جمح). كان هذا الفقيه بعيداً من الأنساب، فمروان من بني أُميّة، وجمح تميم بن عمرو أخو سهم بن عمرو رهط عمرو بن العاص، وقد كان جمع منهم مع عايشة، هربوا ولم يقتل منهم إلّا اثنان، هرب منهم عبدالله بن صفوان ويحيى بن حكيم وعامر بن مسعود ـ المسمّى دحروجة الجعل لقصره وسواده ـ وأيوب بن حبيب، وقتل منهم عبدالرحمن بن وهب وعبدالله بن ربيعة[٢].

قلت: مع أنّ مروان لم يفلته بل شفع له الحسنان عليهما السلام فأطلقه.

ففي (المروج): جهّز عليّ عليه السلام عايشة لرجوعها إلى المدينة، ثم أتاها مع أهل بيته وشيعته، فلمّا بصرت به النسوان صحن في وجهه وقلن: يا قاتل الأحبّة. فقال عليه السلام: لو كانت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت ـ وأشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان وابن الزبير وعبدالله بن عامر وغيرهم. فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لمّا علموا من في البيت، مخافة أن يخرجوا فيغتالوهم، فسألته عايشة أن يؤمن ابن أُختها عبدالله بن الزبير فآمنه، وتكلّم الحسنان عليهما السلام في مروان فآمنه وآمن الوليد بن

---

(١) أساس البلاغة : ٣١٨، مادة: (عير).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢٤ ـ ١٢٥.

عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أُميّة[١].

ثم العجب ان ابن ميثم قال هنا أيضاً: «وقيل كان مروان من جمح»[٢].

«لقد اتلعوا» أي: مدّوا.

«أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا» أي: كسروا أعناقاً من (وقص يقص) بمعنى الكسر للعنق لا (وقص يوقص) بمعنى قصره.

دونه أي: دون ذلك الأمر. قال ابن أبي الحديد: إن قلت: طلحة والزبير لم يكونا أهلاً تركت مذهب أصحابك، وإن لم تقله خالفت قوله عليه السلام. ثم قال: هما أهل ما لم يطلبها عليه السلام، فإذا طلبها لم يكونا هما وغيرهما أهلاً، ولولا طاعته لمن تقدّم لم نحكم بصحة خلافتهم[٣].

قلت: أي أثر لطاعة عن كره؟ وهو عليه السلام لم يقل إنّهما لم يكونا أهلاً في مقابلي، بل أصلاً مع أنّ فاروقهم أيضاً قال بعدم أهليتهما، وإنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله مات وهو ساخط على طلحة، وإنّ الزبير يوماً إنسان ويوماً شيطان.

هذا ويمكن ألّا يكون المراد بقوله عليه السلام بالأمر في قوله: «لقد اتلعوا إلى أمر» أمر الخلافة، بل أمر الحرب، ويكون الفاعل في (أتلعوا) مطلق قريش، فمر في رواية (جمل المفيد): أنّه عليه السلام لمّا رأى أشراف قريش صرعى في جملة القتلى قال عليه السلام: ولقد تقدمت إليكم وحذّرتكم عض السيوف، وكنتم أحداثاً لا علم لكم بما ترون، ولكن الحين ومصرع السوء. ومرت روايات أُخرى في ذلك.

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٥٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٢٦.

١٢
الخطبة (١٢)

ومن كلام له عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك اللّه به على أعدائك، فقال له عليه السلام:

أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أقْوامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَيَقْوَى بِهِمُ الإِيمَانُ.

أقول: وروي نظيره عنه عليه السلام في أهل النهروان، لمّا أظفره الله بهم، روى البرقي في (محاسنه) عن ابن شمون عن عبدالله بن عمرو بن الأشعث عن عبدالله بن حماد الأنصاري عن الصباح المزني عن الحرث بن الحضيرة عن الحكم بن عيينه قال: لمّا قتل أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج يوم النهروان قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف وقتلنا معك هؤلاء الخوارج. فقال عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد شهدَنا في هذا الموقف أُناس لم يخلق الله آباءهم ولا أجدادهم بعد. فقال الرجل: وكيف يشهدنا قوم لم يخلقوا؟ قال: بلى قوم يكونون في آخر الزمان يشركوننا في ما نحن فيه، ويسلّمون لنا فأُولئك شركاؤنا في ما كنّا فيه حقاً حقّاً[١].

قول المصنّف: «لمّا أظفره الله بأصحاب الجمل»، هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[٢]، ولكن في (ابن ميثم): «لمّا ظفر بأصحاب الجمل»[٣]،

---

(١) المحاسن للبرقي ١: ٢٦٢.

(٢) نهج البلاغة ١: ٣٩، شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٧.

(٣) في شرح ابن ميثم ١: ٢٨٨: لمّا أظفره الله بأصحاب الجمل أيضاً.

وكيف كان فروى النعماني في (غيبته) عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال: لمّا التقى أمير المؤمنين وأهل البصرة نشر عليه السلام راية النبيّ صلى الله عليه وآله فزلزلت أقدامهم فما اصفرت الشمس حتّى قالوا: آمنا يا بن أبي طالب. فعند ذلك قال: لا تقتلوا الأسراء، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مولياً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ولمّا كان يوم صفين سألوه نشر الراية فأبى عليهم، فتحملوا عليه بالحسنين عليهما السلام وعمّار. فقال: إنّ للقوم مدة يبلغونها، وإنّ هذه راية لا ينشرها بعدي إلّا القائم عليه السلام[1].

وروى ابن عبد ربه في (عقده) عن سعيد عن قتادة قال: قتل يوم الجمل مع عايشة عشرون ألفاً معهم ثمانمائة من بني ضبة، وقتل من أصحاب عليّ عليه السلام خمسمائة رجل لم يعرف منهم إلّا عمّار بن الحرث السدوسي وهند الجملي...[2].

وفي (المروج): كانت الوقعة في الموضع المعروف بالحربية، يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة (٣٦)[3].

وفي (تاريخ اليعقوبي): كانت الحرب أربع ساعات من النهار، فروى بعضهم أنّه قتل في ذلك اليوم نيف وثلاثون ألفاً، ثم نادى مناديه عليه السلام: ألا لا يجهز على جريح ...[4].

وفي (جمل المفيد): روى الواقدي عن عبدالرحمن بن الحرث بن هشام قال: كنت أنا والأسود بن أبي البختري والزبير قد تواعدنا وتعاهدنا بالبصرة لئن لقينا القوم لنموتن أو لنقتلنّ علياً ـ إلى أن قال ـ فانظر إلى عليّ وقد انتهى

---

(١) الغيبة: ٢٠٨.

(٢) العقد الفريد ٥: ٧٤ ـ ٧٥.

(٣) مروج الذهب ٢: ٣٧٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٣.

إلى الجمل، وسيفه يرعف دماً وهو واضعه على عاتقه، وهو يصيح بمحمّد بن أبي بكر اقطع البطان. فكانت الهزيمة[١].

«وقد قال له بعض أصحابه: وددت أنّ أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك. فقال عليه السلام له» هكذا في (المصرية)[٢] وكلمة (له) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣] و(الخطيّة).

«أهوى أخيك معنا؟ فقال: نعم، فقال: فقد شهدنا» في (خصائص النسائي): أنّه عليه السلام قال بعد ظفره بأهل النهروان: ولقد شهدنا أُناس باليمن، قالوا: كيف؟ فقال عليه السلام: هواهم معنا[٤].

وقال ابن أبي الحديد: قال حبة العرني: قسّم عليّ عليه السلام بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ عليه السلام خمسمائة كواحد منهم فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة، فقال: يا أمير المؤمنين كنت شاهداً معك بقلبي وإن غاب عنك جسمي، فأعطني من الفيء شيئاً، فدفع إليه الذي أخذه لنفسه[٥].

قلت: ورواه (المروج) هكذا: دخل عليّ عليه السلام بيت مال البصرة في جماعة من المهاجرين والأنصار، فنظر إلى ما فيه من العين والورق فجعل يقول: «يا صفراء غري غيري» وأدام النظر إلى المال مفكّراً، ثم قال: اقسموه بين أصحابي ومن معي خمسمائة خمسمائة. ففعلوا فما نقص درهم واحد وعدد الرجال اثنا عشر ألفاً. وقبض ما كان في عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك، فباعه وقسّمه بين أصحابه، وأخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممّن

---

(١) الجمل للمفيد: ٣٧٥.

(٢) نهج البلاغة ١: ٣٩.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٧ ولكن في شرح ابن ميثم ١: ٢٨٨: قال له أيضاً.

(٤) خصائص أمير المؤمنين: ٣١٩ ح ١٨٤.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٥٠.

معه خمسمائة درهم، فأتاه رجل من أصحابه فقال: إنّي لم آخذ شيئاً وخلّفني عن الحضور كذا ـ وأدلى بعذر ـ فأعطاه الخمسمائة التي له[١].

وفي (عقد ابن عبد ربه): قال غندر: حدّثنا شعبة عن عمرو بن مرّة قال: سمعت عبدالله بن سلمة ـ وكان مع عليّ عليه السلام يوم الجمل ـ والحرث بن سويد ـ وكان مع طلحة والزبير ـ وتذاكرا وقعة الجمل، فقال الحرث: والله ما رأيت مثل يوم الجمل، لقد أشرعوا رماحهم في صدورنا وأشرعنا رماحنا في صدورهم، ولو شاءت الرجال أن تمشي عليها لمشت، فوالله لوددت أنّي لم أشهد ذلك اليوم، وإنّي أعمى مقطوع اليدين والرجلين. فقال عبدالله بن سلمة: والله ما يسرني أنّي غبت عن ذلك اليوم ولا عن مشهد شهده عليّ عليه السلام بحمر النعم[٢].

وفي (غارات الثقفي): في كتابه عليه السلام إلى أهل مصر وإلى محمّد بن أبي بكر: إنّ الله عزّوجلّ يُعطي العبد على قدر نيّته، وإذا أحبّ الخير وأهله ولم يعمله كان كمن عمله، فإن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال حين رجع من تبوك: إنّ بالمدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا هبطتم من واد إلّا كانوا معكم، ما حبسهم إلّا المرض؛ يقول: كانت لهم نيّة[٣].

هذا وفي (بلاغات البغدادي) و(عقد ابن عبد ربه): قال معاوية لزرقاء الهمدانية ـ بعد أن كتب إلى عامله بإيفادها وذكره لها حضّها في صفين عليه وخطبها في ذلك ـ: والله يا زرقاء لقد شركت علياً في كل دم سفكه. فقالت: أحسن الله بشارتك مثلك من بشر بخير وسر جليسه. فقال لها معاويه: وقد

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٨٠.

(٢) العقد الفريد ٥: ٧٥.

(٣) الغارات ١: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

سرّك ذلك؟ قالت: نعم والله لقد سرّني قولك، فإنّي بتصديق الفعل. فقال لها معاوية: والله لوفاؤكم لعليّ بعد موته أعجب إليّ من حبكم له في حياته[١].

ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام؛ هكذا في (المصرية)[٢]، والصواب: (قوم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣].

«في أصلاب الرجال وأرحام النساء» منهم السيّد الحميري حيث يقول:

إنّي أُدين بما دان الوصيّ به وشاركتْ كفّه كفي بصفينا
في سفك ما سفك منها إذا احتضروا وأبرز الله للقسط الموازينا
تلك الدماء يا ربّ في عنقي ثم اسقني مثلها آمين آمينا

وفي (العقد): كانت الشيعة من تعظيمهم له يلقون له وسارا بمسجد الكوفة فينشدهم[٤].

قال بعض الشيعة:

إنّي أُدين بحب آل محمّد وبني الوصيّ شهودهم والغيب
وأنا البريء من الزبير وطلحة ومن التي نبحت كلام الحوب[٥]

«سيرعف» الرعاف: خروج الدم من الأنف، «بهم الزمان ويقوى بهم الايمان»

قال ابن أبي الحديد: قال الشاعر:

وما رعف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضريبا[٦]

قلت: وقيل لاعرأبي كيف ابنك؟ ـ وكان عاقّاً ـ فقال: عذاب رعف به الدهر

---

(١) العقد الفريد ١: ٣٤٦ ـ ٣٤٩.

(٢) نهج البلاغة ١: ٣٩.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٧؛ ولكن في شرح ابن ميثم ١: ٢٨٨ : أقوام أيضاً.

(٤) العقد الفريد ٥: ٩١.

(٥) العقد الفريد ٥: ٧٩.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٧.

فليتني قد أودعته القبر، فإنّه بلاء ولا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب فيها الشكر. ولبعضهم في شعر كتبه بالقلم:

وبيت على ظهر المطي بنيته   بأسمر مشقوق الخياشيم مرعف

ووجه قوله عليه السلام: إنّ كل من رضي بعمل آخر من خير أو شر فكأنّه عمله، ولذا نسب الله تعالى عقر ناقة صالح إلى جميع قومه، فقال سبحانه: ﴿... فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها * ولا يخاف عقباها﴾[1]، مع أنّ العاقر كان واحداً وهو قيدار، لرضى باقيهم بعمله.

وحينئذ فكما أنّ من كان هواه معه عليه السلام، كان كمن شهده في عسكره، كان من كان هواه مع مخالفيه كأنه شهد حربه في عسكر عايشة، وإخواننا السنّة لا يستوحشون من ذلك ففي سنة (٣٦٣) كما في (الجزري): حملوا امرأة على جمل وسمّوها عايشة وسمّى بعضهم نفسه طلحة وبعضهم الزبير، وقاتلوا شيعة بغداد وجعلوا يقولون: نقاتل أصحاب عليّ بن أبي طالب[2].

وفي عصرنا كان المصريون يأتون في كل سنة بمحمل باسمها إلى مكّة، حتّى منعتهم الوهابية بعد غلبتهم على الحجاز ـ ونرضى لهم ما رضوا لأنفسهم.

هذا وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): أنشدنا أبو عبدالله محمّد بن عبدالله البندنيجي البغدادي، قال: أنشدنا بعض مشائخنا أنّ ابن الهبارية الشاعر اجتاز بكربلاء فجعل يبكي على الحسين عليه السلام وقال:

أحسين والمبعوث جدّك بالهدى   قسماً يكون الحق عند مسائلي

---

(١) الشمس: ١٤ ـ ١٥.

(٢) الكامل ٧: ٥١، سنة ٣٦٣.

لو كنت شاهد كربلا لبذلت في | تنفس كربك جهد الباذل
وسقيت حد السيف من أعدائكم | عللاً وحد السمهري الذابل
لكنني أُخرت عنك لشقوتي | فبلا بلى بين الغري وبابل
هبني حرمت النصر من أعدائكم | فأقل من حزن ودمع سائل

ثم نام في مكانه فرأى النّبيّ ﷺ في المنام فقال له: يا فلان جزاك الله عنّي خيراً، أبشر فإن الله قد كتبك ممّن جاهد بين يدي الحسين[١].

هذا وعن (المناقب): كان بالمدينة رجل ناصبي فتشيع، فسئل عن السبب؟ فقال: رأيت في منامي علياًعليه السلام، فقال لي: لو حضرت صفّين مع من كنت تقاتل؟ فأطرقت أُفكّر. فقال: يا خسيس هذه مسألة تحتاج إلى هذا الفكر العظيم، اعطوا قفاه. فصفقت حتّى انتبهت وقد ورم قفاي فرجعت إليه[٢].

وفي (المناقب): عن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ قال: «ليرعفن جبار من جبارة بني أُميّة على منبري هذا» فرئي عمرو بن سعيد بن العاص سال رعافه على المنبر[٣].

وفي (الخلفاء): ولّى يزيد عثمان بن محمّد بن أبي سفيان الثقفي على المدينة ومكة وعلى الموسم، فلمّا استولى على المنبر رعف فقال رجل مستقبله: جئت والله بالدم، فتلقاه رجل آخر بعمامته فقال: مه والله عم النّاس، ثم قام يخطب فتناول عصا لها شعبتان ـ فقال: مه شعب والله أمر النّاس[٤].

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٧٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢: ١٦٨.

(٣) المصدر نفسه ١: ٩٦.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٢٠٥.

١٣
الخطبة (٩)

ومن كلام له عليه السلام:

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا، ومَعَ هَذَيْن الأَمْرَيْنِ الفَشَلُ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتى نُوقِعَ، وَلَا نُسِيلُ حَتى نُمْطِرَ.

أقول: ورواه المفيد في (جمله) أبسط مع اختلاف، فقال: وبلغ أمير المؤمنين عليه السلام لغط القوم واجتماعهم على حربه فقام خطيباً، ثم قال: إنّ طلحة والزبير قدما البصرة وقد اجتمع أهلها على طاعة الله وبيعتي، فدعواهم إلى معصية الله وخلافي، فمن أطاعهما منهم فتنوه، ومن عصاهما قتلوه، وقد كان من قتلهما حكيم بن جبلة ما بلغكم وقتلهما السبابجة، وفعلهما بعثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم، وقد كشفوا الآن القناع وآذنوا بالحرب. وقام طلحة بالشتم والقدح في أديانكم وقد أرعد (هو) وصاحبه وأبرقا، وهذان أمران معهما الفشل ـ إلى أن قال ـ ولسنا نرعد حتّى نوقع ولا نسيل حتّى نمطر، وقد خرجوا من هدى إلى ضلال ودعوناهم إلى الرضى ودعونا إلى السخط، فحلّ لنا ولكم ردّهم إلى الحق بالقتال وحل لهم بقصاصهم القتل، وقد والله مشوا إليكم ضراراً، وأذاقوكم أمس من الجمر، فإذا لقيتم القوم غداً فاعذروا في الدعاء وأحسنوا في التقية، واستعينوا الله، واصبروا إنّ الله مع الصّابرين.

فقام إليه حكيم بن مناف حتّى وقف بين يديه وقال:

أبا حسن أيقظت من كان نائماً　　وما كل من يدعى إلى الحق يسمع[1]

وروى (الكافي): عن الحسن بن محبوب: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب يوم الجمل وقال: وقد كنت وما أُهدَّد بالحرب ولا أُرهَّب بالضرب أنصف

---

(١) الجمل للمفيد: ٣٣١ ـ ٣٣٢.

القارة من راماها، فلغيري فليبرقوا وليرعدوا، فأنا أبو الحسن الذي فللت حدّهم وفرّقت جماعتهم[١].

«وقد أرعدوا وأبرقوا» في (كامل المبرد): زعم الأصمعي أنّ أرعد خطأ، وأنّ الكميت أخطأ في قوله:

أرعدوا برق يا يزيد   فما وعيدك لي بضائر[٢]

وزعم أنّ البيت الذي يروى لمهلهل:

انبضوا معجس القسي وأبرقنا   كما ترعد الفحول الفحولا

مصنوع محدث. وروى غير الأصمعي أرعد وأبرق[٣].

وفي (الجمهرة): قال أبو حاتم للأصمعي لا تقول في التهدّد: أرعد وأبرق، وقد قاله الكميت، فقال: هو جرمقاني من أهل الموصل. وقال: وقف علينا أعرابي محرم فقلت: أتقول: أرعد وأبرق؟ فقال: نعم. فأخبرت بذلك الأصمعي فلم يلتفت إليه وأنشدني:

إذا ما جاوزت من ذات عرق ثنية   فقل لأبي قابوس ما شئت فارعد[٤]

قلت: والصواب خطأ الأصمعي، فاستعمال رعد وبرق لا يدل على عدم جواز استعمال أرعد وأبرق. فقال ابن السكيت: حكى ابو عبيدة وأبو عمرو اللغتين عن العرب وجوّزه أبو زيد والفراء وغيرهما، ويدل على بطلان قوله مضافاً إلى كلامه عليه السلام وبيت الكميت وقول الأعرابي وبيت مهلهل ـ وادعاؤه أنّه مصنوع بلا شاهد ـ كلامه عليه السلام في كتابه إلى محمّد بن أبي بكر، ففي الطبري أنّه عليه السلام كتب إليه مشيراً إلى معاوية وعمرو بن العاص (فلا يَهُلْك

---

(١) الكافي ٥: ٥٣.

(٢) جمهرة اللغة ٢: ٦٣٢.

(٣) الكامل في الأدب للمبرد: ١٠٥٧ مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط ١.

(٤) جمهرة اللغة ٢: ٦٣٢.

إرعادهما وإبراقهما)[١]، وبيت معاوية بن الضحاك صاحب راية بني سليم مع معاوية في صفين:

فلا أرى إلّا تركنا الشام جهرة   وإن أبرق الفجفاج فيها وأرعدا[٢]

وبيت معاوية بن أبي سفيان مشيراً إلى ابن عبّاس:

فأبرق وأرعد ما استطعت فإنّني   إليك بما يشجيك سبط الأنامل[٣]

ذكر كليهما (صفين نصر). وبيت شاعر تميمي في وقعة الخوارج بالأهواز أيّام ابن الزبير كما في كامل المبرد:

فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر   وأبرق والبرق اليماني خوّان

وبيت أعشى همدان في هزيمتهم من الحجاج يوم ابن الأشعث:

ولمّا زحفنا لابن يوسف غدوة   وأبرق منا العارضان وأرعدا

وبيت عثمان بن ربيعة كما في (الطبري) في عنوان خبر المرتدين باليمن أيام أبي بكر:

وأبرق بارق لمّا التقينا   فعادت خلّبا تلك البروق[٤]

وبيت ابن نبهان في مسلمة كما في (تاريخ ابن أعثم):

وأرعد كتاب اليمامة جهرة   وأكلب فيها باللسان وباليد

وبيت عمرو بن معد يكرب في الأشعث بن قيس وقومه كما في (أمالي القالي):

حبست سراتهم بالضحّ حتّى   أنابوا بعد إبراق ورعد

وبيت عبدالله بن الحرث السهمي الذياشتهر بالمبرق له كما في

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣: ١٣٠ حوادث، سنة ٣٨.

(٢) وقعة صفّين: ٤٦٩.

(٣) وقعة صفين: ٤١٦.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٣٢٠، سنة ١١.

(الاستيعاب) و(سيرة ابن هشام):

إذا أنا لم أبرق فلا يسعنني ... من الأرض برّ وفضاء ولا بحر[1]

وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة:

من المرعدات الطرف تنفذ عينها ... إلى نحو حيزوم المجرب ذي العقل

ويدلّ على بطلان قوله حديث المغيرة كما في (نهاية الجرزي): «بليلة الإرعاد» بليلة: ريح فيها ندى أي: لا يزال يرعده ويهدّده[2].

وقول المختار؛ ففي (الطبري): قال ابن العرق: رأيت المختار أشتر العين فسألته، فقال: شترها ابن زياد، يابن العرق إنّ الفتنة أرعدت وأبرقت وكان قد أينعت[3].

وقول الحجاج في كتابه إلى عبدالملك لمّا أرسل عروة الزبير إليه ليستخرج منه الأموال ـ كما في (العقد) ـ: كالعارض المبرق لاعدائه[4].

ومما ورد بلفظ أرعد وأبرق من المتأخرين وإن لم يكن فيه حجية قول أبي العتاهية:

مالي أرى النّاس قد أبرقوا ... بلؤم الفعال وقد أرعدوا

وقول إبراهيم بن العباس الصولي كما في (ديوان العسكري):

فكن كيف شئت وقل ما تشأ ... وأبرق يميناً وأرعد شمالا

وقول السري الموصلي كما في (يتيمة الثعالبي):

ومن عجب أنّ الغبيين أبرقا ... مغيرين في أقطار شعري وأرعدا

وقول آخر كما في (مناقب السروي):

---

(١) سيرة ابن هشام ١: ٣٥٥.

(٢) النهاية ١: ١٥٤، مادة: (بلل).

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٥٧٢، سنة ٦٤.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٥ : ٤٤ ـ ٤٥ دار الكتاب العربي، بيروت.

سألنا ملحداً إثبات دين فعاندنا ومجمج في دليله وأرعد ثم أبرق ثم ولّى...

وقال حسين بن عبدالله العباسي لعبدالله بن معاوية الجعفري كما في (كتاب الزبيري):

أبرق لمن يخشى وأرعد غير قومك بالسلاح

وبالجملة لا ريب في جواز (أرعد وأبرق) بل أحسنيته من رعد وبرق لكثرة الأوّل وقلة الثاني فلم نقف إلّا على ذاك البيت وما نسب إلى المتلمس:

فاذا حللت ودون بيتي غادة فأبرق بأرضك ما بدا لك وارعد

وما نسب إلى ابن أحمر:

بأجل ما بعدت عليك بلادنا فأبرق بأرضك ما بدا لك وارعد

مع أنّ الأصل في البيتين واحد فكأنّ قول: «فأبرق بأرضك ما بدا لك وارعد» مثل لوقوعه في البيتين. وأما بيت عبيد بن الأبرص لمّا خيّره المنذر بن ماء السماء في أنحاء قتله لما لقاه يوم بؤسه كما في (تنبيه البكري):

وخيّر في ذو البؤس فى يوم بؤسه خلالاً أرى في كلها الموت قد رعد

فليس (رعد) فيه للتهديد بل للرعد الحقيقي استعارة.

هذا وقريب من قوله عليه السلام قول البحتري:

خطروا خطرة الجهام وساروا في نواحي الظنون سير السراب

وقول الكميت في أزد شنؤه ـ وسمّوا بارقاً كما في (السيرة) لأنهم تبعوا البرق ـ وأزد شنؤه اندرؤا علينا:

بجمّ يحسبون لها قروناً وما قلنا لبارق اعتبونا

«ومع هذين الفشل» أي: الجبن؛ روى الواقدي عن عبدالله بن عمر بن عليّ عن أبيه قال: لمّا سمع أبي أصوات النّاس يوم الجمل وقد ارتفعت قال لابنه

محمّد: ما يقولون؟ قال: يقولون يا ثارات عثمان. فشدّ عليهم وأصحابه يهشّون في وجهه يقولون: ارتفعت الشمس، وهو يقول: الصبر أبلغ حجة ثم قام خطيباً يتوكأ على قوس عربية وقال: أمّا بعد فإنّ الموت طالب حثيث لا يفوته الهارب فأقدموا ولا تنكلوا وهذه الأصوات التي تسمعونها من عدوكم فشل واختلاف(١).

وكما أنّ الإرعاد والإبراق والصياح والجلبة علامة الفشل، كذلك السكوت والصمت علامة الاطمينان بالغلبة. ولمّا بعث قريش يوم بدر عمرو بن وهب الجمحي ليرى عسكر النّبيّ ﷺ صعّد وصوّب ثم رجع إليهم وقال: نواضح يثرب قد حملت السمّ الناقع، أما ترونهم خرسى لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعي ما لهم ملجأ إلّا سيوفهم.

وكان أبو مسلم يقول لقواده إذا أخرجهم: لا تكلموا النّاس إلّا رمزاً ولا تلحظوهم إلّا شزراً لتمتلي صدورهم من هيبتكم.

«ولسنا نرعد حتّى نوقع ولا نسيل حتّى نمطر» في (جمل المفيد): قال معاذ بن عبدالله التميمي: لمّا قدمنا البصرة مع عايشة وأقمنا ندعو النّاس إلى نصرتنا ـ إلى أن قال ـ وتقدم عليّ والراية بين كتفيه وجرّد سيفه وضرب رجلاً فأبان كفه ثم انتهى إلى الجمل وقد اجتمع النّاس حوله واختلطوا وأحدقوا به من كل جانب واستجن النّاس تحت بطان الجمل، فأنظر والله إلى عليّ يصيح بمحمد بن أبي بكر: «اقطع البطان» وأرى عليّاً قد قَتل ـ ممن أخذ بخطام الجمل ـ عشرة بيده وكلما قتل رجلاً مسح سيفه في ثيابه حتّى صرنا في أيديهم كأننا غنم نساق فانصرفنا وتلاومنا وندمنا(٢).

---

(١) الجمل للمفيد: ٣٥٨.

(٢) الجمل للمفيد: ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): شقّ عليّ عليه السلام في عسكر القوم يطعن ويقتل ثم خرج وهو يقول: الماء الماء فأتاه رجل بإداوة فيها عسل وقال: الماء لا يصلح لك في هذا المقام فحسا عليه السلام منه حسوة ثم قال إنّ عسلك هذا لطائفي. قال الرجل: لعجباً منك، والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفي من غيره في هذا اليوم وقد بلغت القلوب الحناجر! فقال له عليّ عليه السلام: والله يا بن اخي ما ملأ صدر عمك شيء قط ولا أهابه شيء. ثم اعطى الراية لابنه محمّد وقال: هكذا فاصنع[١].

هذا ومن أمثالهم (رعداً وبرقاً والجهام جافر) (وبارقة تروق ولا تريق).

١٤
الخطبة (١١٨)

ومن كلام له عليه السلام:

أَنْتُمُ ٱلْأَنْصَارُ عَلَى ٱلْحَقِّ، وَٱلْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَٱلْجُنَنُ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ، وَٱلْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ؛ بِكُمْ أَضْرِبُ المُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ المُقْبِلِ؛ فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ ٱلْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ؛ فَوَاللّٰهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ!

قال ابن أبي الحديد: ذكر المدائني والواقدي في كتابيهما أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل[٢].

«أنتم الانصار على الحق» لمّا أحسّ عليه السلام من قريش وأتباع معاوية اتّباع الباطل قال عليه السلام ذلك لأنصاره، كما حكى تعالى عن عيسى عليه السلام في قوله: ﴿فلما أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٧٦ طبع البابي الحلبي، سنة ١٩٦٩ القاهرة.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٨٤.

الحواريّون نحن أنصار الله...﴾[١].

«والإخوان في الدين» فكانوا مؤمنين وقد قال تعالى: ﴿إنّما المؤمنون إخوة...﴾[٢].

«والجنن يوم البأس» أي: كما أنّ الترس يحفظ صاحبه في الحرب كذلك أنتم.

«والبطانة دون النّاس» كناية عن كونهم خواصه عليه السلام.

«بكم أضرب المدبر» أهل صفين كما ضرب بهم أهل الجمل.

«وأرجو طاعة المقبل» فلحق به عليه السلام جمع كثير لما كان له أولئك الأنصار وأطاعوه ولولاهم لما كان ذلك.

«فأعينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب» روى (أمالي المفيد) عن أبي مخنف: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا قدم من البصرة إلى الكوفة قال قعد عن نصري رجال منكم وأنا عليهم عاتب فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتّى يعتبوا أو نرى منهم ما نرضى. فقام إليه أبو بردة الأزدي ـ وكان عثمانياً تخلف عنه يوم الجمل وحضر معه يوم صفين نيّة في نصرته ـ فقال له عليه السلام: أرأيت القتلى حول عايشه وطلحة والزبير بم قتلوا؟ فقال عليه السلام بما قتلوا شيعتي وعمّالي وبقتلهم أخا ربيعة العبدي رحمه الله في عصابة من المسلمين قالوا لا ننكث البيعة ولا نغدر كما غدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم ظلماً وعدواناً فسألتهم أن يدفعوا إليَّ قتلة اخواني لنقتلهم بهم، ثم كتاب الله بيني وبينهم فأبوا عليَّ وقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ودماء نحو ألف من شيعتي فقتلتهم بذلك. أفي شك أنت من ذلك؟ قال: كنت في شكّ، وأمّا

(١) آل عمران: ٥٢.

(٢) الحجرات: ١٠.

الآن فقد عرفت واستبان خطأ القوم وإنّك المهتدي المصيب ـ وكان مع حضوره صفين ينافق ويكاتب معاوية سراً، فلما ظهر معاوية اقطعه قطيعة بالفلوجة(١).

وفي (صفين نصر) عن محمّد بن مخنف قال: دخلت مع أبي على عليّ عليه السلام حين قدم من البصرة فإذا بين يديه رجال يؤنّبهم ويقول لهم: ما بطّا بكم عني وأنتم أشراف قومكم والله لئن كان من ضعف النية وتقصير البصيرة إنكم لبود ووالله لئن كان من شك في فضلي ومظاهرة عليّ إنكم لعدو! قالوا: حاش لله نحن سلمك وحرب عدوّك. ثم اعتذر القوم. فنظرت إليهم فعرفتهم فإذا عبدالله بن معتمر العبسي وإذا حنظلة التميمي وأبو بردة الأزدي وغريب الهمداني. ونظر عليّ إلى أبي فقال: لكن مخنف بن سليم وقومه لم يتخلّفوا ولم يكن مثلهم مثل القوم الذين قال تعالى فيهم: ﴿وإنّ منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم اللّه عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً * ولئن أصابكم فضل من الله ليقولنّ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾(٢).

«والله إنّي لأولى النّاس بالناس» روى ابراهيم الثقفي ـ كما في (أمالي المفيد) ـ أنّ عبدالرحمان بن أبي ليلى قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال إنّي سائلك لآخذ عنك وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدّثنا عن أمرك أكان بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيء رأيته، فإنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل وأوثقه عندنا ما سمعناه من فيك إنّا كنا نقول لو رجعت إليكم بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سئلت ما أقول: أزعم أنّ

---

(١) أمالي المفيد: ١٢٧ ـ ١٢٩.

(٢) وقعة صفين: ٧ ـ ٨ والآيات ٧٢ ـ ٧٣ من سورة النساء.

القوم كانوا أولى بما كانوا فيه فعلامَ نصبك النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد حجة الوداع: فقال «أيّها النّاس من كنت مولاه فعلي مولاه» وإن كنت أولى منهم بما كانوا فيه فعلامَ نتولاهم؟ فقال يا عبدالرحمان إنّ الله تعالى قبض نبيه يوم قبضه وأنا يوم قبضه أولى النّاس مني بقميصي هذا، وقد كان من النّبيّ عليه وآله السلام اليّ عهد لو خزموني بأنفي لأقررت سمعاً وطاعة وإنّ أوّل ما انتقصناه بعد إبطال حقّنا في الخمس فلما رقّ امرنا طمعت رعيان البهم من قريش فينا. فقال عبدالرحمان: أنت يا أمير المؤمنين لعمرك كما قال الأوّل:

لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أُذنان[1]

١٥
الكتاب (٢٩)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة:

وَقَدْ كَانَ مِنِ ٱنْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ ٱلسَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ، فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ ٱلْأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ، وَسَفَهُ ٱلآرَاءِ ٱلْجَائِرَةِ، إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي، فَهَاأَنَاذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي، وَرَحَلْتُ رِكَابِي.

وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى ٱلْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لَا يَكُونُ يَوْمُ ٱلْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لَاعِقٍ؛ مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي ٱلطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيءٍ، وَلَا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ.

أقول: الأصل في هذا الكتاب ما رواه ابراهيم الثقفي في (غاراته)[2]ـ:

---

(١) أمالي المفيد: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٢) الغارات ٢: ٣٧٣ ـ ٤٠٨؛ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٤ ـ ٥٣.

كتبه عليه السلام إليهم لمّا بعث معاوية إليهم ابن الحضرمي لأخذ البصرة وحثّ أهلها على نقض بيعته. فروى عن محمّد بن يوسف عن الحسن بن عليّ الزعفراني عن محمّد بن عبدالله بن عثمان عن ابن أبي سيف عن يزيد بن حارثة الأزدي عن عمرو بن محصن أنّ معاوية لمّا أصاب محمّد بن أبي بكر بمصر وظهر عليها دعا عبدالله بن عامر الحضرمي فقال له: سر إلى البصرة فإن جلّ أهلها يرون رأينا في عثمان ويعظّمون قتله وقد قتلوا في الطلب بدمه فهم موتورون حنقون لما أصابهم وودّوا لو يجدون من يدعوهم ويجمعهم وينهض بهم في الطلب بدم عثمان، واحذر ربيعة، وانزل في مضر، وتودّد الأزد فإنّ الأزد كلّهم معك إلّا قليلاً منهم وإنّهم غير مخالفيك.

فقال له ابن الحضرمي: أنا سهم في كنانتك وأنا من قد جرّبت وعدو أهل حربك وظهيرك على قتلة عثمان فوجّهني إليهم متى شئت. فقال: اخرج غداً. فلما كان الليل جلس معاوية وأصحابه فقال لهم: في أي منزل ينزل القمر الليلة؟ قالوا: في سعد الذابح. فأرسل إليه: لا تبرح حتّى يأتيك أمري -إلى أن قال بعد ذكر كتابه إلى عمرو بن العاص مستشيراً به وتصويبه له وأمر معاوية له بالشخوص ـ:

قال عمرو بن محصن: فكنت معه حين خرج فسنح لنا ظبي أعفر مارّاً عن شمائلنا، فنظرت إليه فوالله لرأيت الكراهية في وجهه ثم مضينا حتّى نزلنا البصرة في بني تميم فسمع بقدومنا أهل البصرة فجاءنا كل من يرى رأي عثمان، فاجتمع الينا رؤوس أهلها، وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد استخلفه ابن عبّاس وقدم على عليّ عليه السلام يعزّيه عن محمّد بن أبي بكر. وأقبل النّاس إلى ابن الحضرمي وكثر تبعه ففزع لذلك زياد وهو في دار الإمارة فبعث إلى الحصين بن منذر ومالك بن مسمع وقال: إنّكم أنصار أمير المؤمنين وشيعته

وثقته، وقد جاءكم هذا الرجل بما قد بلغكم فأجيروني حتّى يأتيني أمر أمير المؤمنين، فأما مالك بن مسمع فقال: هذا أمر فيه نظر ارجع إلى من ورائي واستشير.

وأما الحصين فقال: نعم نحن فاعلون ولن نخذلك. فلم ير زياد ما يطمئن إليه.

فبعث إلى صبرة بن سليمان الأزدي فقال له: أنت سيّد قومك وأحد عظماء هذا المصر، فإن يكن فيه أحد هو أعظم أهله فأنت ذاك، أفلا تجيروني وتمنعني وتمنع بيت مال المسلمين فإنّما أنا أمين عليه. فقال: بلى إن تحملت حتّى تنزل داري لمنعتك. قال: إنّي فاعل. فارتحل ليلاً حتّى نزل دار صبرة وكتب إلى ابن عبّاس -ولم يكن معاوية ادّعى زياداً بعد إنّما ادّعاه بعد وفاة عليّ عليه السلام -للأمين عبدالله بن العباس من زياد بن عبيد، سلام عليك أمّا بعدُ فإنّ عبدالله بن عامر الحضرمي أقبل من قبل معاوية حتّى نزل في بني تميم ونعى ابن عفان ودعا إلى الحرب فبايعه جلّ أهل البصرة فلما رأيت ذلك استجرت بالأزد بصبرة بن سليمان وقومه لنفسي ولبيت مال المسلمين ورحلت من قصر الإمارة فنزلت فيهم، فارفع ذلك إلى أمير المؤمنين ليرى فيه رأيه.

فرفع ذلك ابن عبّاس إليه فدعا عليه السلام جارية بن قدامة وقال له: تمنع الأزد عاملي وبيت مالي وتشاقني مضر وتنابذني وبنا ابتداها الله بالكرامة وعرفها الهدى وتدعو إلى المعشر الذين حادّوا الله ورسوله وأرادوا إطفاء نور الله حتّى علت كلمة الله وهلك الكافرون. فقال: ابعثني إليهم واستعن بالله عليهم. قال: قد بعثك واستعنت به.

قال كعب بن قعين: خرجت مع جارية من الكوفة إلى البصرة في خمسين رجلاً من بني تميم ما كان فيهم يماني غيري، وكنت شديد التشيع،

فقلت لجارية: إن شئت كنت معك وإن شئت ملت إلى قومي؟ فقال: بل معي فوالله لوددت أنّ الطير والبهائم تنصرني عليهم فضلاً عن الإنس.

قال كعب: إنّ علياً عليه السلام كتب مع جارية -وقال اقرأه على أصحابك-:

من عبد الله أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم أما بعدُ فإنّ الله حليم ذو أناة، لا يعجل بالعقوبة قبل البينة، ولا يأخذ المذنب عند أوّل وهلة ولكنه يقبل التوبة ويستديم الإنابة ويرضى بالانابة ليكون أعظم للحجة وأبلغ في المعذرة، وقد كان من شقاق جلّكم، أيّها النّاس ما استحققتم أن تعاقبوا عليه فعفوت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم وأخذت بيعتكم فإن تفوا ببيعتي وتقبلوا نصيحتي وتستقيموا على طاعتي أعمل فيكم بالكتاب وقصد الحق، وأقيم فيكم سبيل الهدى، فو اللّه ما أعلم أنّ والياً بعد محمّد صلى الله عليه وآله أعلم بذلك مني ولا أعلم بقوله مني، أقول قولي هذا صادقاً غير ذام لمن مضى ولا منتقصاً لأعمالهم وإن حطّت بكم الأمور المردية وسفه الرأي الجائر إلى منابذتي تريدون خلافي فها أنا ذا قرّبت جيادي ورحلت ركابي، وايم اللّه لئن ألجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعنّ بكم وقعة لا يكون يوم الجمل عندها إلّا كلعقة لاعق، وإنّي لظانّ ألّا تجعلوا إن شاء اللّه على أنفسكم سبيلاً، وقد قدّمت هذا الكتاب إليكم حجة عليكم ولن أكتب إليكم من بعده كتاباً إن استغششتم نصيحتي ونابذتم رسولي حتّى أكون أنا الشاخص نحوكم والسلام. فلمّا قرأ الكتاب على النّاس قام صبرة بن سليمان فقال: سمعنا وأطعنا ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، ولمن سالم سلم، إن كفيت يا جارية قومك بقومك فذاك وإن أحببت أن ننصرك نصرناك. وقام وجوه النّاس فتكلّموا بمثل ذلك ونحوه فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه ومضى نحو بني تميم.

فقام زياد في الأزد فقال: يا معشر الأزد إنّ هؤلاء كانوا أمس سلماً فأصبحوا اليوم حرباً وإنكم كنتم حرباً فأصبحتم سلماً وإنّي والله ما اخترتكم إلّا على التجربة ولا أقمت فيكم إلا على الأمل فما رضيتم أن آجرتموني حتّى نصبتم منبراً وسريراً وجعلتم لي شرطاً وأعواناً ومنادياً وجمعة وما فقدت بحضرتكم شيئاً إلّا هذا الدرهم لا أُجيبه اليوم فإن لم أُجبه اليوم اجبه غداً إن شاء الله.

فأما جارية فإنه لمّا كلّم قومه فلم يجيبوه وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه وأسمعوه فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ويأمرهم أن يسيروا إليه، فسارت الأزد بزياد وخرج إليهم ابن الحضرمي وعلى خيله عبدالله بن خازم السلمي فاقتتلوا ساعة وأقبل شريك بن الأعور الحارثي ـ وكان من شيعة عليّ عليه السلام وصديقاً لجارية ـ فقال: ألا نقاتل معك عدوك؟ فقال: بلى. فما لبثوا بني تميم أن هزموهم واضطروهم إلى دار سنبل السعدي وحصروا مائتي رجل من بني تميم ومعهم عبدالله بن خازم السلمي فجاءت أُمّه وهي سوداء حبشية، فنادته فأشرف عليها فقالت: يا بني انزل إليّ. فأبى. فكشفت رأسها وألقت قناعها وسألته النزول فأبى. فقالت. واللّه لتنزلنّ أو لأتعرَّين ـ وأهوت بيدها إلى ساقها ـ فلما رأى ذلك نزل فذهبت به. وأحاط جارية وزياد بالدار وقال جارية: عليّ بالنار. فقالت الأزد: لسنا من الحريق بالنار في شيء فهم قومك وأنت أعلم. فحرّق جارية الدار فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً أحدهم عبدالرحمان بن عمير بن عثمان القرشي ثم التميمي وسمّي جارية منذ ذلك اليوم محرّقاً. وسارت الأزد بزياد حتّى أوطؤوه قصر الإمارة ومعه بيت المال وكتب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أما بعد فإنّ جارية بن قدامة ـ العبد الصالح ـ قدم من عندك فناهض جمع بن الحضرمي

بمن نصره وأعانه من الأزد ففضّه واضطرّه إلى دار من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتّى حكم الله تعالى بينهما فقتل ابن الحضرمي وأصحابه منهم من أُحرق بالنّار ومنهم من أُلقي عليه جدار ومنهم من هدم عليه البيت من أعلاه ومنهم من قتل منهم بالسيف وسلم منهم نفر أنابوا[١].

ومن الغريب أن ابن أبي الحديد غفل عنه هنا ونقله في موضع آخر بلا ربط[٢] ولم يتفطن له ابن ميثم أيضاً[٣].

«وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه» في (الصحاح): (غبيت عن الشيء وغبيته أيضاً إذا لم يفطن له)[٤] والمراد يوم الجمل.

«فعفوت عن مجرمكم» بنكث البيعة ونصب الحرب.

«ورفعت السيف عن مدبركم» فأمر عليه السلام ذاك اليوم أن ينادى: لايتبعنّ مولّ ولا يجهز على جريح.

«وقبلت من مقبلكم» فأمر عليه السلام أن ينادى: من ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن.

«فإن خطت بكم» أي: جاوزتكم من الخطوة ما بين القدمين.

«الأمور المردية» أي: المهلكة.

«وسفه الآراء الجائرة» أي: العادلة عن الحقّ.

«إلى منابذتي» أي: مكاشفتي بالحرب.

«وخلافي» أي: مخالفتي.

«فها أنا ذا قد قربت جيادي» جمع الجواد، أي: الفرس الرائع.

---

(١) الغارات ٢: ٣٧٣ ـ ٤٠٨؛ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٤ ـ ٥٣.

(٢) نقله ابن أبي الحديد في شرح النهج ٤: ٣٤ ـ ٥٣.

(٣) انظر شرح ابن ميثم على النهج ٤: ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

(٤) الصحاح ٦: ٢٤٤٣، مادة: (غبا).

«ورحلت» من رحلت البعير إذا شددت على ظهره الرحل.

قال الأعشى:

رحلت سمية غدوة أجمالها		غضبى عليك فما تقول بدالها

وقال المثقب العبدي:

إذا ما قمت أرحلها بليل		تأوه آهة الرجل الحزين

«ركابي» في (الصحاح): الركاب الإبل التي يسار عليها، الواحدة راحلة ولا واحد لها من لفظها[١].

هذا وفي (المعجم): كتب إبراهيم بن العباس الصولي من قبل المتوكل إلى أهل حمص رسالة عجب المتوكل من حسنها وهي: أمّا بعد فإنّ الخليفة يرى من حق الله عليه بما قوّم به من أود وعدل به من زيغ ولمّ به من منتشر استعمال ثلاث يقدم بعضهن أمام بعض، أُولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف، ثم التي لا يقع حسم الداء بغيرها:

أناة فإن لم تغن عقّب بعدها		وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمه[٢]

«ولئن ألجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلّا كلعقة لاعق» أي: لحس لاحس بالنسبة إلى أكل كامل.

في (الأغاني): عن الشعبي أنّه أتى البصرة أيّام ابن الزبير فجلس في المسجد إلى قوم من تميم فيهم الأحنف بن قيس فتذاكروا أهل البصرة وأهل الكوفة وفاخروا بينهم، فقال بصري: وهل أهل الكوفة إلّا خَولنا؟ استنقذناهم من عبيدهم ـ يعني الخوارج ـ قال الشعبي: فهجس في صدري

---

(١) الصحاح ١: ١٣٨، مادة: (ركب).

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١ : ١٨٦ ترجمة رقم ١٦، دار الفكر بيروت.

أن تمثلت قول أعشى همدان:

أفخرتم أن قتلتم أعبداً   وهزمتم مرة آل عزلْ
نحن سقناهم إليكم عَنْوةً   وجمعنا أمركم بعد شملْ
فإذا فاخرتمونا فاذكروا   ما فعلنا بكمُ يوم الجملْ
بين شيخ خاضب عثنونه   وفتى أبيض وضاح رِفَلْ
جاءنا يرفل في سابغةٍ   فذبحناه ضحىً ذبح الحملْ
وعفونا فنسيتم عفونا   وكفرتم نعمة الله الأجلْ

فضحك الأحنف، ثمّ قال: يا أهل البصرة! قد فخر عليكم الشعبيّ وصدق وانتصف فأحسنوا مجالسته[١].

«مع أنّي عارف لذي الطاعة منكم فضله ولذي النصيحة حقه». قد عرفت أنّ في هذه المرّة كانت الأزد ذووا طاعة ورئيسهم صبرة بن سليمان الأزدي ذا نصيحة.

«غير متجاوز متّهماً إلى بريء ولا ناكثاً إلى وفّي» فإنّ التجاوز عمل الجبابرة، فكان زياد وابن زياد والحجّاج يأخذون البريء بالسقيم ولا يراعون قوله تعالى: ﴿ ولا تزروا وازرة وزر أُخرى... ﴾[٢].

وكان الحجاج أمر النّاس باللّحوق بالمهلب فقام اليشكري وقال: بي فتق رآه بشر بن مروان فعذرني. فأمر بقتله.

ومرّ في (١١) من الفصل التاسع في الملاحم قوله عليه السلام «كنتم جند المرأة...».

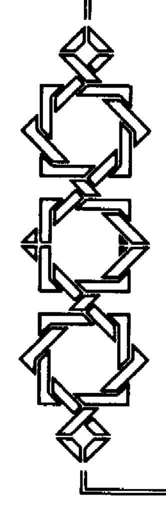
---

(١) الأغاني ٦: ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) فاطر: ١٨.

الفصل الثاني والثلاثون

في القاسطين وما يتعلق بصفين



١
الكتاب (٨)

ومن كتاب له عليه السلام إلى جَرير بن عبدالله البَجَليّ لمّا أرسَلَه إلى معاوية:

أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِل مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ، وَخُذْهُ بِالأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ، فإن اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَالسَّلاَمُ.

أقول: رواه (صفين نصر)[1] و(عقد ابن عبد ربه)[2]، وفي الثاني: «وخيره بين حرب معضلة» في (العقد): «مجلبه» رواه في عنوان اخبار على ومعاوية.

قول المصنّف: «ومن كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبدالله البجلي» عدوه في الطوال، ففي (معارف ابن قتيبة) يتفل في ذروة البعير من طوله، وكانت

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٥ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٣: ٨٠ .

نعله ذراعا، وقال: اعتزل علياً عليه السلام ومعاوية وأقام بالجزيرة ونواحيها حتى توفي بالشراة سنة (٥٤).

«لمّا ارسله إلى معاوية» عن (موفقيات ابن بكار): لمّا أرسله عليه السلام أقام عند معاوية أربعة أشهر.

وفي (تاريخ اليعقوبي)[1] أنّ الأشتر منع علياً عليه السلام من ارسال جرير إلى معاوية، وقال: هواه هواهم ونيّته نيّتهم. فقال عليه السلام: دعه يتوجه فإن نصح كان ممّن أدّى أمانته، وإن داهن كان عليه وزر من اؤتمن ولم يؤدّ الأمانة. وياويحهم مع مَن يميلون ويدعونني! فوالله ما أردتهم إلّا على إقامة الحقّ، ولم يردهم غيري إلّا على باطل.

هذا، وفي (الأغاني)[2]: قال علي بن زيد: قال لي الحسن البصري: قول الشاعر:

لولا جرير هلكت بجيلهْ نعم الفتى وبئست القبيلهْ

أهجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه وهجا قومه. فقال: ما مُدح من هُجي قومه.

قوله عليه السلام: «أما بعد، فإذا اتاك كتابي، فاحمل معاوية على الفصل وخذه بالأمر الجزم ـ إلى قوله ـ «فخذ بيعته» روى هذا الكتاب نصر بن مزاحم في (صفينه)[3]، فقال: وفي حديث محمد وصالح بن صدقة قالا: وكتب علي عليه السلام الى جرير بعد ذلك: أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا، فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيّره بين حرب مجلية أو سلم محظية. فلمّا انتهى الكتاب إلى جرير، أتى معاوية فأقرأه الكتاب، وقال له: إنّه لا يطبع على قلب إلّا بذنب، ولا ينشرح

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٤.

(٢) الأغاني ٢١: ٣٠٥.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٥.

إلّا بتوبة، ولا أظنّ قلبك إلّا مطبوعاً، أراك قد وقفت بين الحق والباطل كأنك تنتظر شيئاً في يدي غيرك. فقال معاوية: ألقاك بالفيصل أول مجلس. فلما بايعه أهل الشام، قال: الحق بصاحبك. وكتب إليه بالحرب.

وقال نصر[١] أيضاً: قال الشعبي إنّ علياً عليه السلام حين قدم من البصرة، نزع جريراً عن همدان، فأراد علي عليه السلام أن يبعث إلى معاوية رسولاً، فقال له جرير: ابعثني، فإن معاوية لم يزل لي مستنصحاً ووداً ـ الى أن قال ـ قال عليه السلام له: إيت معاوية بكتابي فإن دخل في ما دخل فيه المسلمون، وإلّا فانبذ إليه، واعلم أنّي لا أرضى به أميراً وأنّ العامة لا ترضى به خليفة. فانطلق حتى أتى الشام، وقال: يا معاوية إنّه قد اجتمع لابن عمّك أهل الحرمين، وأهل المصرين، وأهل الحجاز، وأهل اليمن، وأهل مصر، وأهل العروض، وعمان، وأهل البحرين، واليمامة، ولم يبق إلّا هذه الحصون التي أنت فيها لو سال عليها سيل من أوديته غرقها ـ إلى أن قال ـ خطب معاوية وقال: أيها الناس قد علمتم أنّي خليفة عمر، وأنّي خليفة عثمان، وأنّي وليه وقد قتل مظلوماً والله يقول: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً﴾[٢] وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان. فقاموا بأجمعهم، وأجابوا إلى الطلب بدمه، وبايعوه على ذلك.

وفي (خلفاء ابن قتيبة)[٣]: ذكروا أنّ معاوية قال لجرير: رأيت رأياً، أكتب إلى علي أن يجعل لي الشام ومصر، فإن حضرته الوفاة لم يجعل لأحد من بعده في عنقي بيعة، وأسلّم إليه هذا الأمر، وأكتب إليه بالخلافة. قال جرير:

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٧.

(٢) الاسراء: ٣٣.

(٣) الخلفاء لابن قتيبة ١: ٩٥.

اكتب ما شئت. فكتب معاوية إليه عليه السلام يسأله ذلك. وذكروا أنّ علياً عليه السلام كتب إلى جرير. أما بعد، فإن معاوية إنما أراد بما طلب ألا يكون لي في عنقه بيعة، وأن يختار من أمره ما أحب، وقد كان المغيرة أشار عليّ -وأنا بالمدينة- أن أستعمله على الشام. فأبيت ذلك عليه، ولم يكن الله ليراني أن أتخذ المضلّين عضداً، فإن بايعك الرجل، وإلّا فأقبِل.

ثمّ يظهر ممّا نقلنا من مستند الكتاب من خبر محمد وصالح أنّ كلمة (هذا) سقطت من المصنّف في قوله: «كتابي هذا»، فالمقام يقتضيه، وان كلمة (مخزية) في كلامه مصحفة (محظية) وكيف تكون السلم مخزية وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السِلم كافّة...﴾[1]؟!

وفي (الصحاح): السلم: الصلح، يفتح ويكسر، ويذكر ويؤنث. والحرب تؤنث، وقال المبرد: قد تذكر، وأنشد:

وهو إذا الحرب هفا عقابه ... مرجم حرب تلتقي حرابه

هذا، ومر في فصل عثمان قوله عليه السلام: «إنّ استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام، وصرف لأهله عن خير إن أرادوه، ولكن قد وقت لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلّا مخدوعاً أو عاصياً، والرأي عندي مع الأناة، فارودوا ولا أكره لكم الاعداد، ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلّبت ظهره وبطنه، فلم أرَ لي إلّا القتال أو الكفر» مع شرحه.

٢
الخطبة (٤٨)

ومن خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام:

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ، وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ،

(١) البقرة: ٢٠٨.

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافَأَ الإِفْضَالِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ، مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ، فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ.

قال[1] الشريف: أقول: يعني عليه السلام بالملطاط السمت الذي أمرهم بنزوله، وهو شاطئ الفرات، ويقال: ذلك الشاطئ البحر، وأصله ما استوى من الأرض. ويعني بالنطفة ماء الفرات، وهو من غريب العبارات وأعجبها.

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السلام عند المسير الى الشام» هكذا في (المصرية)[2]، ويصدقه ابن ميثم[3]، ولكن ابن أبي الحديد[4] بدل «خطبة» بقوله: «كلام» وليس بصواب، حيث انّه قال بعد: وهذه الخطبة خطب عليه السلام بها وهو بالنخيلة، خارجاً من الكوفة متوجهاً الى صفّين، لخمس بقين من شوال، ذكرها جمع من أهل السير، وزادوا في الخطبة: «وقد أمّرت على المصر عقبة بن عمرو، ولم آلكم ولا نفسي، فإيّاكم والتخلّف والتربّص، فإني قد خلفت مالك بن حبيب اليربوعي، وأمرته: ألا يترك متخلفاً إلّا لحقه بكم عاجلاً.

وروى نصر بن مزاحم[5] عوض قوله: «إلى عدوّكم». «إلى عدوّ الله».

قال نصر: فقام إليه معقل بن قيس الرياحي، فقال له عليه السلام: ما يتخلّف عنك إلّا ظنين، ولا يتربص بك إلّا منافق، فمُر مالك بن حبيب يضرب أعناق المتخلفين.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠١.

(٢) الطبعة المصرية: ٩٣ الخطبة ٤٨.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠١.

(٥) صفين لنصر بن مزاحم: ١٣٢.

فقال عليه السلام: قد أمرته بأمري وليس بمقصر إن شاء الله.

قلت: المستفاد من (صفين[١] نصر بن مزاحم) أنّه عليه السلام انما خطب وقت خروجه من النخيلة من العنوان بقوله: «الحمد لله غير مفقود الانعام...» وأما قوله عليه السلام في صدرها: «الحمد لله كلّما وقب ليل وغسق، والحمدُ لله كلّما لاح نجم وخفق»، فكان بعد شخوصه عليه السلام من النخيلة ونزوله على شاطئ البرس، بين حمام أبي بردة وحمام عمر بعد صلاته عليه السلام المغرب بالناس. قال نصر: فلما انصرف من الصلاة قال: «الحمد لله الذي يولج الليل في النهار. ويولج النهار في الليل الحمد لله كلّما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلّما لاح نجم وخفق» ثم أقام حتى صلّى الغداة.

وقول ابن أبي الحديد[٢]: «لخمس بقين» مصحف: «لخمس مضين». فكذا في (صفين نصر)[٣].

وكيف كان، فقال نصر: لما أراد عليّ عليه السلام الشخوص قام مالك بن حبيب وهو على شرطه فقال: أتخرج يا أمير المؤمنين بالمسلمين فتصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلفني في حشر الرجال؟ فقال عليه السلام له: انّهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلّا كنت شريكهم فيه، وأنت هاهنا أعظم عناءً منك عنهم لو كنت معهم. فقال: سمعاً وطاعة.

قوله عليه السلام: «الحمد لله كلّما وقب ليل» أي: دخل.

«وغسق» أي: أظلم.

«والحمد لله كلّما لاح نجم» أي: طلع.

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ١٣١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠١.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ١٣١.

«وخفق» أي: غرب؛ يقال: وردت خفوق النجم. أي: وقت غروب الثريا.

قال ابن السكيت: الخافقان أُفقا المشرق والمغرب، لأن الليل والنهار يخفقان فيهما.

«والحمد لله غير مفقود الإنعام» على كلّ أحد عامّاً وخاصّاً.

«ولا مكافأ الإفضال» وكيف يكافأ ـ أي: يجازى ـ إفضاله، والقيام في عبادته بحوله وقوته وتوفيقه والإنفاق في سبيله من ماله؟

«أمّا بعد فقد بعثت مقدّمتي» بعثهم عليه السلام من النخيلة، وهم زياد بن النضر في ستة آلاف، وشريح بن هاني في ستة آلاف، وقال لهما ـ كما في (الطوال للدينوري)[1]: اعلما أن مقدّمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم، فإياكما أن تسأما عن توجيه الطلائع، ولا تسيرا بالكتائب والقبائل من لدن مسيركما الى نزولكما إلّا بتعبية وحذر.

«وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط» أي: شاطئ الفرات.

«حتى يأتيهم أمري» في (الطبري)[2]: قد كان زياد بن النضر وشريح بن هاني ـ وكان علي عليه السلام سرحهما مقدّمة له ـ أخذا على شاطئ الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات، فبلغهما أخذ علي عليه السلام طريق الجزيرة، وعلى أنّ معاوية قد أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقباله، فقالا: والله ما هذا برأي أن نسير وبيننا وبين أمير المؤمنين عليه السلام هذا البحر، ومالنا خير في أن نلقى جموع الشام في قلّة من العدد، منقطعين عن المدد. فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم أهلها وحبسوا عنهم السفن، فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت، ولحقوا علياً عليه السلام بقرية دون قرقيا، فلمّا لحقوا علياً عليه السلام عجب وقال:

(١) الطوال للدينوري: ١٦٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٦٦.

مقدّمتي تأتي من ورائي! فقال له زياد وشريح ما جرى؟ فقال: قد أصبتما رشدكما. فلما عبروا الفرات قدّمهما أمامه نحو معاوية، فلقيهما أبو الأعور السلمي في جنود من الشام وهو على مقدّمة معاوية، فدعواه إليه عليه السلام، فأبى فكتبا إليه بذلك.

«وقد أردت» هكذا في (المصرية)[١] والصواب: (وقد رأيت) كما في (ابن أبي الحديد[٢] وابن ميثم[٣] والخطية).

«ان اقطع هذه النطفة» والأصل فيها: الماء الصافي، قلّ أو كثر، والمراد: ماء الفرات.

«الى شرذمة» أي: طائفة.

«منكم موطنين أكناف» أي: جوانب.

«دجلة فأُنهضهُم» أي: أشخصهُم وأُقيمهم.

«معكم الى عدوكم وأجعلهم من إمداد» بالكسر، من: أمددت الجيش بمدد، وأمّا الأمداد بالفتح، فجمع المُدّ بالضم: ربع الصاع. وقال ابن أبي الحديد: والإمداد جمع مَدد. وهو كما ترى.

«القوه لكم» ثم الظاهر أنّ المراد (بشرذمة منهم موطنين أكناف دجلة): أهل المدائن؛ فروى نصر بن مزاحم[٤]: أنّه عليه السلام لما انتهى إليها، أمر الحارث الأعور فصاح في أهل المدائن: من كان من المقاتلة فليواف أمير المؤمنين صلاة العصر. فوافوه في تلك الساعة، فقال عليه السلام لهم: إني قد تعجبت من تخلفكم عن دعوتكم، وانقطاعكم عن أهل مصركم، في هذه المساكن الظالم

---

(١) الطبعة المصرية: ٩٣ الخطبة ٤٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٠.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥، وفيه أيضاً: «وقد أردتُ».

(٤) صفين لنصر بن مزاحم: ١٤٣.

أهلها. لا معروف تأمرون به ولا منكر تنهون عنه. فقالوا: كنّا ننتظر أمرك، مرنا بما أحببت. فسار وخلّف عليهم عدي بن حاتم، فأقام عليهم ثلاثاً ثم خرج إليه عليه السلام في ثمانمائة رجل منهم، وخلّف عدي ابنه زيداً فلحقه عليه السلام في أربعمائة رجل منهم.

قول المصنّف: «قال الشريف» هكذا في (المصرية)[1] ولكن في (ابن ابي الحديد): (قال الرضي) وفي (ابن ميثم)[2]: (قال السيد) وهذا دليلٌ على أنّ أحداً منها ليس كلام المصنّف.

«أقول» هكذا في (المصرية) وهو زائد فليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[3] والخطية).

«يعني عليه السلام بالملطاط» هكذا في (المصرية) وفيها سقط، والاصل: «يعني عليه السلام بالملطاط هاهنا» كما في ابن (أبي الحديد وابن ميثم والخطية) وانما قال: هاهنا لأنّه يأتي في بعض المواضع بمعنى جلدة الرأس. قال الراجز:

«نتنزع العينين بالملطاط»

«السمت الذي أمرهم بنزوله» هكذا في (المصرية)، والصواب: (بلزومه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[4] والخطية).

«وهو شاطئ» أي: جانب.

«الفرات» وهو أحد نهري العراق.

«ويقال ذلك» أي: الملطاط.

«لشاطئ البحر» هكذا في (المصرية)، والصواب: (أيضاً لشاطئ البحر)

---

(١) الطبعة المصرية : ٩٤.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥ وليس فيه: «هاهنا».

(٣) شرح ابن ميثم ٢ : ١٢٥ وفيه: «قال الشريف : أقول» .

(٤) شرح ابن ميثم ٢ : ١٢٥ .

كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[١] والخطية)، والمراد: أن الملطاط لا يختص بشاطئ النهر، بل يقال لشاطئ البحر أيضاً.

وقول ابن أبي الحديد[٢]: «لا معنى لقوله، لأنّه لا فرق بين شاطئ الفرات وشاطئ البحر» بلا معنى ففرق النهر والبحر واضح، ومن الغريب أنّه عبر أولاً بما في (الصحاح) غير ناسب إليه: الملطاط حافة الوادي وشفيره وساحل البحر؛ قال رؤبة:

نحن جمعنا الناس بالملطاط.

قال الأصمعي: يعني به ساحل البحر. وقال ابن مسعود: هذا الملطاط طريقة بقية المؤمنين هراباً من الدجال ـ يعني به شاطئ الفرات ـ.

ثمّ اعترض على المصنّف بما مرّ، مع أنّه عين كلام المصنّف باختلاف لفظ، فمحصل كلام (الصحاح) أن الملطاط يأتي بمعنى حافة الوادي، أي: شاطئ النهر، وشاهده حديث ابن مسعود، وبمعنى شاطئ البحر، وشاهده بيت رؤبة، فاذا لم يتدبر في كلام (الصحاح) الذي جعله من إنشائه لا غرو ألّا يتدبر في كلام المصنّف.

كما ان قول ابن أبي الحديد[٣]: «وكان الواجب على المصنّف أن يقول: الملطاط السمت في الأرض، ويقال أيضاً لشاطئ البحر» غلط فلم يقل أحد: إنّ الملطاط مطلق السمت.

«وأصله ما استوى من الأرض» بمعنى أنّه يجمع الشاطئين، وفي (الجمهرة): «الملطاط: الغائط من الأرض المطمئن».

«ويعني عليه السلام بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات وأعجبها»

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥ وليس فيه كلمة: «أيضاً».

(٢ و ٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠١.

هكذا في (المصرية)[١]، والصواب: (وعجيبها) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[٢] والخطية).

٣
الكتاب (١٠)

ومن كلام له عليه السلام إليه أيضاً:

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا، دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا؟ وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَالاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا ٱلأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ ٱلْحِسَابِ وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ وَلَا تمَكِّنِ ٱلْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَٱلدَّمِ، وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ ٱلرَّعِيَّةِ وَوُلَاةَ أَمْرِ ٱلْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ؟ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ ٱلشَّقَاءِ، وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمادِياً فِي غِرَّةِ ٱلْأُمْنِيةِ، مُخْتَلِفَ ٱلْعَلاَنِيَةِ وَٱلسَّرِيرَةِ. وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى ٱلْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَٱخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعْفِ ٱلْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنَا المَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَٱلْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ، فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي وَبِذَلِكَ ٱلْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي. مَا ٱسْتَبْدَلْتُ دِيناً، وَلَا ٱسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً وَإِنِّي لَعَلَى المِنْهَاجِ ٱلَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.

---

(١) الطبعة المصرية : ٩٤.

(٢) شرح ابن ميثم ٢ : ١٢٥ .

أقول: رواه نصر بن مزاحم[1] إلى قوله: «وقد دعوت إلى الحرب...» مع اختلاف وزيادة ونقصان، فقال في سياق كتبه عليه السلام الى معاوية من الكوفة: وكتب علي عليه السلام الى معاوية: «أمّا بعد، فإنك قد رأيت مرور الدنيا وانقضاءها وتصرّمها بأهلها، وخير ما اكتسب من الدنيا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى، ومن يقس الدنيا بالآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً، واعلم يا معاوية أنّك قد ادّعيت أمراً لستَ من أهله لا في القدم ولا في الحدث، ولست تقول فيه بأمر بيّن تُعرف لك به أثر، ولا لك عليه شاهد من كتاب الله، ولا عهد تدّعيه، فكيف أنت صانع إذا انقشعت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد فُتنت بزينتها، وركنت الى لذتها وخلي بينك وبين عدوك فيها، وهو عدوّ كلب مضلّ جاهد ملح مع ما قد ثبت في نفسك من جهتها؟ دعتك فأجبتها، وقادتك فاتبعتها، وأمرتك فأطعتها، فاقعس عن هذا الأمر، وخذ أُهبة الحساب، فإنّه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن. ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية أو ولاة أمر هذه الأُمة، بلا قدم حسن، ولا شرف سابق على قومكم؟ فاستيقظ من سِنتك وارجع الى خالقك، وشمّر لما سينزل بك، ولا تمكّن عدوّك الشيطان من بغية فيك. مع أنّي أعرف أنّ الله ورسوله صادقان، نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء، وإلا تفعل فإني أعلمك ما أغفلت من نفسك: إنّك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدم في العروق، ولست من أئمة هذه الأُمة ولا من رعاتها. واعلم أنّ هذا الأمر لو كان الى الناس أو بأيديهم، لحسدونا وامتنوا به علينا، ولكنه قضاء ممّن منحناه واختصنا به على لسان نبيّه الصادق المصدّق. لا أفلح من شك بعد العرفان والبيّنة. ربّنا احكم بيننا وبين عدوّنا بالحقّ وأنت خير الحاكمين.

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ١٠٨.

وامّا قوله عليه السلام: «فدع الناس جانباً - الى قوله - وبذلك القلب القى عدوي» فرواه المدائني مستقلاً. وكيف يكون جزء ذاك الصدر، وذاك عرفت كتبه عليه السلام من الكوفة، وهذا قاله له في صفين كما سترى؟

وكيف كان، فنقل العنوان عن (تاريخ دمشق ابن عساكر)[1] في ترجمة معاوية عن الكلبي ولم يحقق الناقل مقداره.

قول المصنّف: «ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً» والصواب: (إلى معاوية أيضاً) كما في (ابن ميثم)[2]، وكذا في (ابن أبي الحديد)[3].

قوله عليه السلام «وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلابيب» أي: ملاحف.

«ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها» ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنّهم كانوا في شكّ مريب﴾[4].

«دعتك فأجبتها وقادتك فاتبعتها وأمرتك فأطعتها» ﴿يوم يتذكّر الانسان ما سعى* وبرِّزت الجحيم لمن يرى* فأمّا من طغى* وآثر الحياة الدنيا* فإنّ الجحيم هي المأوى﴾[5].

«وانّه يوشك» أي: يقرب.

«أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن» هكذا في (المصرية)[6]، وفي (ابن أبي الحديد)[7]: «منج». وقال: وفي رواية «مجن». والأُولى أصح. ومثله

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥: ٣٢.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٣٧٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ٧٩.

(٤) سبأ : ٥٤.

(٥) النازعات : ٣٥ - ٣٩.

(٦) الطبعة المصرية ١٠ : ١٢.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ٧٩.

(ابن ميثم)[١] إلّا أنّه جعل «منج» رواية.

وكيف كان، فالمجن هو الجنّة؛ قال تعالى ﴿فليس له اليوم هاهنا حميم﴾[٢].

«فاقعس» أي: تأخر.

«عن هذا الأمر وخذ أُهبة الحساب» أي: استعداده وتهيئته، قال تعالى: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾[٣].

«وشمّر» أي: جدّ وخفّ، كمن شمّر عن ساقه؛ قال: قد شمرت عن ساق شمري.

«لما قد نزل بك» من أمر الآخرة.

«ولا تمكّن الغواة من سمعك» فكان كذلك، فأشار عليه المغيرة باستلحاق زياد وباستخلاف يزيد، ففعل.

«والا تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك فإنّك مترف» وقد وصف تعالى المترفين في قوله: ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال* في سموم وحميم* وظلّ من يحموم* لا بارد ولا كريم* إنّهم كانوا قبل ذلك مترفين* وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾[٤] ﴿واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرّناها تدميراً﴾[٥].

«قد أخذ الشيطان منك مأخذه وبلغ فيك أمله» ﴿...إنّا جعلنا الشياطين

---

(١) شرح ابن ميثم ٤ : ٣٧٠.

(٢) الحاقة: ٣٥.

(٣) الاسراء : ١٤.

(٤) الواقعة : ٤١ ـ ٤٦.

(٥) الاسراء : ١٦.

أولياء للذين لا يؤمنون﴾[١].

«وجرى منك مجرى الروح والدّم» وكان عمر يمدحه بترفه وشيطانيته؛ ففي (الاستيعاب)[٢]: ذُمّ معاوية عند عمر يوماً فقال: دعونا من ذمّ فتى قريش، من يضحك في الغضب، ولا ينال ما عنده إلّا على الرضا، ولا يأخذ ما فوق رأسه إلّا من تحت قدميه.

«ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاة أمر الأُمة بغير قدم سابق» في (مروج المسعودي): حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وابن الكواء اليشكري ورجالاً من أصحاب علي عليه السلام مع رجال من قريش، فقال: نشدتكم بالله إلا ما قلتم حقّاً وصدقاً، أيَّ الخلفاء رأيتموني؟ فقال ابن الكواء: لولا أنّك عزمت علينا ما قلنا؛ لأنّك جبّار عنيد، لا تراقب الله في قتل الأخيار، ولكنّا نقول: إنّك ما علمنا: واسع الدنيا، ضيّق الآخرة، قريب الثرى، بعيد المرعى، تجعل الظلمات نوراً والنور ظلمات ـ الى أن قال ـ ثم تكلّم صعصعة فقال: تكلمت يا بن أبي سفيان فأبلغت، ولم تقصر عمّا أردت، وليس الأمر على ما ذكرت. أنّى يكون الخليفةَ مَن مَلك الناس قهراً، ودانهم كبراً واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً؟ أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلّا كما قال القائل: لا حلى ولا سيرى. ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على النبي صلى الله عليه وآله. وانما أنت طليق ابن طليق، أطلقكم النبي ،فأنّى تصلح الخلافة لطليق[٣]؟

وفيه أيضاً: قال معاوية لصعصعة: أنت ذو معرفة بالعرب ـ الى أن

---

(١) الأعراف : ٢٧.

(٢) الاستيعاب ٣: ٣٩٧.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٥٠.

قال ـ واخبرني عن أهل الحجاز. قال: أسرع الناس فتنةً، وأضعفهم عنها، وأقلّهم غناء فيها، غير أنّ لهم ثباتاً في الدين، وتمسّكاً بعروة اليقين، يتّبعون الأئمة الأبرار ويخلعون الفسقة الفجّار. فقال معاوية: من البررة والفسقة؟ فقال: يا بن أبي سفيان تركُ الخداع من كشف القناع. عليّ وأصحابه من الأئمة الأبرار، وأنت وأصحابك من أُولئك الفسقة الفجّار»[١].

«ولا شرف باسق» أي: طويل. ومنه قوله تعالى: ﴿والنخل باسقات...﴾[٢].

وقال الشاعر:

واذا ما الناس عَدُّوا شرفاً   كنتُم من ذاك في مال رخي

وفي (صفين نصر)[٣]: جمع معاوية كلّ قرشيّ بالشام وقال لهم: ليس لأحد منكم في هذه الحرب فعال يطول به لسانه غداً، فما بالكم؟ وأين حمية قريش؟ فغضب الوليد بن عقبة فقال: وأيّ فعال تريد؟ والله ما نعرف في أكفائنا من قريش العراق من يغني غنانا باللسان ولا باليد. فقال معاوية: إنّ أُولئك وقوا عليّاً بأنفسهم. قال الوليد: كلا بل عليّ وقاهم بنفسه. قال معاوية: ويحكم! أما منكم من يقوم لقرنه منهم مبارزة أو مفاخرة؟ فقال مروان: أما البراز فان عليّاً لا يأذن لحسن ولا لحسين ولا لمحمد بنيه، ولا لابن عباس وأُخوته ويصلى هو بالحرب دونهم فلأيهم نبارز؟ وأما المفاخرة فبماذا نفاخرهم؟ أبالاسلام؟ أم بالجاهلية؟ فإن كان بالاسلام فالفخر لهم بالنبوّة، وإن كان بالجاهلية فالملك فيه لليمن، فإن قلنا: قريش قالت العرب. فأقِرّوا لبني عبد المطلب.

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٥١.

(٢) ق: ١٠.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٦٢.

«ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء» ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون* قالوا ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضالّين* ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون* قال اخسؤا فيها ولا تكلمون﴾[1].

وفي (صفين نصر)[2] مسنداً عن ابن عمر قال: أرسل النبي ﷺ الى معاوية يدعوه، فجاء الرسول فقال: هو يأكل. فأعاد عليه الثانية والثالثة ويقول الرسول: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه. ونظر النبي ﷺ يوماً إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه، أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم النبي ﷺ قال: اللّهم العن القائد والسائق والراكب.

«وأُحذرك أن تكون متمادياً» أي: ماداً الى المدى والغاية.

«في غرّة الأُمنية» أي: الأمل والهوى ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾[3].

«مختلف العلانية والسريرة» منافقاً.

«وقد دعوت الى الحرب فدع الناس جانباً واخرج إلي وأعف الفريقين من القتال ليعلم أينا المرين على قلبه» في (الصحاح): قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[4]: أي: غلب، وكلّ ما غلبك فقد ران بك ورانك وران عليك.

«والمغطى على بصره» في (صفين نصر)[5]: قام علي عليه السلام بين الصفين ثم نادى يا معاوية ـ يكررها ـ فقال: اسألوه ما شأنه؟ قال: أحب أن يظهر لي فأُكلمه كلمة واحدة، فبرز ومعه عمرو بن العاص، فلمّا قارباه لم يلتفت الى

---

(١) المؤمنون: ١٠٥ ـ ١٠٨.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٢٠.

(٣) الجاثية: ٢٣.

(٤) المطفّفين: ١٤.

(٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٧٤.

عمرو وقال: ويحك علام يقتل الناس بيني وبينك، ويضرب بعضهم بعضاً؟ ابرز إليّ فأيّنا قتل صاحبه فالأمر له. فالتفت معاوية الى عمرو فقال: ما ترى أُبارزه؟ فقال عمرو: لقد أنصفك، وإن نكلت عنه لم تزل سُبّة عليك وعلى عقبك ما بقي عربي. فقال معاوية: ليس مثلي يُخدع عن نفسه. والله ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قط إلّا سقى الأرض من دمه. ثم انصرف راجعاً حتى انتهى الى آخر الصفوف.

وفيه عن الشعبي[1] قال: أرسل علي عليه السلام الى معاوية: أن ابرز إليّ وأعف الفريقين عن القتال، فأيّنا قتل صاحبه كان الأمر له. قال عمرو: لقد أنصفك الرجل. فقال معاوية: إنّي لأكره أن أُبارز الأهوج الشجاع. لعلّك طمعت فيها ياعمرو؟ فقال عليّ عليه السلام: وانفساه! أيطاع معاوية وأُعصى؟ ما قاتلت أُمة أهل بيت نبيّها ومقرة بنيها إلّا هذه الأُمة.

وذكروا أنّ معاوية قال يوماً بعد صفين لعمرو بن العاص: أيّنا أدهى؟ قال: أنا للبديهة وأنت للروية. قال معاوية: قضيت لي على نفسك فيالروية، وأنا أدهى منك في البديهة أيضاً، قال عمرو: فأين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف؟ قال معاوية: بها غلبتني، أفلا أسألك عن شيء تصدقني فيه؟ قال عمرو: والله إنّ الكذب لقبيح فاسأل عمّا بدا لك أُصدقك. قال: هل غششتني منذ نصحتني؟ قال: لا. قال: بلى والله لقد غششتني. أما إني لا أقول في كلّ المواطن، ولكن في موطن واحد. قال: وأي موطن؟ قال: يوم دعاني عليّ للمبارزة فأشرت عليّ بمبارزته، وأنت تعلم من هو، قال: إنّما دعاك رجل عظيم الشرف فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين. إمّا أن تقتله فتكون قد قتلت قتّال الأقران، وتزاد به شرفاً إلى شرفك وتخلو بملكك، وإمّا ان كان قتلك فكنت

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٨٧.

تجعل الى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. فقال معاوية: هذه شرّ من الأولى. والله إني أعلم أن لو قتلته دخلتُ النار، ولو قتلني دخلتُ النار. قال عمرو: فما حملك على قتاله؟ قال: المُلك، والمُلك عقيم، ولن يسمعها مني أحد بعدك.

وفي (المروج)[1]: لما قتل العباس بن ربيعة الهاشمي رجلاً من شجعان الشام تأسف معاوية عليه وقال: مَن قتل العباس فله مائة أوقية من التبر، ومائة أوقية من اللجين، ومائة برد. فانتدب له لخميان ودعواه الى البراز، فقال علي عليه السلام: يود معاوية أنّه ما بقى من بني هاشم نافخ ضرمة إلّا طعن في بطنه إطفاء لنور الله ﴿ويأبى الله إلّا أن يتم نوره﴾[2]، أما والله ليملكنّهم منّا رجال يسومونهم سوء الخسف حتى تعفو الآثار. وأخذ عليه السلام سلاح العباس ووثب على فرسه، فلم يمهلهما أن قتلهما، فقال معاوية: قبح الله اللجاج إنّه لعقور، ما ركبته قط إلّا خذلت. فقال عمرو: المخذول والله اللخميان. فقال معاوية: اسكت أيها الرجل. فقال عمرو: وإن لم يكن رحم الله اللخمين، ولا أراه يفعل. فقال معاوية: ذلك أضيق لحجتك وأخسر لصفتك. قال: قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت المنجاة، فإني أعلم أنّ علياً على الحق وأنا على الباطل. فقال معاوية: مصر والله أعمتك. ولولا مصر لألفيتك بعيراً. ثم ضحك معاوية ضحكاً ذهب به كلّ مذهب، قال عمرو: ممَ تضحك؟ قال معاوية: أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت علياً وابدائك سوأتك. أما والله لقد رأيت الموت عياناً، ولو شاء ابن أبي طالب لقتلك، ولكنّه أبى إلّا تكرّما. فقال عمرو: أما والله إنّي لعن يمينك حين دعاك عليّ الى البراز، فاحولت عيناك وبدا سحرك، وبدا

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٨.

(٢) التوبة : ٣٢.

منك ما أكره ذكره، فأضحك أو دع.

وفي (صفين نصر)[1]: غلس علي عليه السلام يوماً بصلاة الصبح بالناس، ثم زحف بهم الى أهل الشام. فقام أبرهة الحميري ـ وكان من رؤساء أصحاب معاوية ـ فقال: يا معشر أهل اليمن، إنّي لأظن والله أنّ الله قد أذن بفنائكم، ويحكم خلّوا بين هذين الرجلين فليقتتلا، فأيّهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً. فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال: صدق أبرهة، ووالله ما سمعت بخطبة ـ منذ وردت الشام ـ أنا بها أشدّ سروراً مني بهذه. وبلغ كلام أبرهة معاوية، فتأخّر آخر الصفوف وقال لمن حوله: إنّي لأظن أبرهة مصاباً في عقله. فأقبل أهل الشام يقولون: والله لأبرهة أفضلنا رأياً وديناً، ولكن كره معاوية مبارزة علي. وبرز يومئذ عروة بن داود الدمشقي، فقال: يا أبا الحسن، إن كان معاوية يكره مبارزتك فهلمّ إليّ فتقدّم عليه السلام إليه، فقال له أصحابه: ذر هذا الكلب فإنّه ليس بخطر. فقال عليه السلام والله ما معاوية اليوم بأغلظ لي منه، دعوني وإيّاه. ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين، سقطت احداهما يمنة والأُخرى يسرة، فارتج العسكران لهول الضربة، ثم قال عليه السلام: يا عروة اذهب فأخبر قومك، أما والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق لقد عاينت النار وأصبحت من النادمين.

«فأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخاً» في (الصحاح) الشدخ: كسر الشيء الأجوف.

وفي (الأساس): شدخ الشيء الأجوف أو الرخص. اذا كسره أو غمزه. ويُقال شدخ الرأس والحنظل. ومن المجاز شدخ دماءهم تحت قدمه. أي: أبطلها.

ومنه قيل ليعمر بن الملوّح ـ الذي حكم بين خزاعة وقصي حين اقتتلوا،

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٧.

فأبطل دماء خزاعة، وقضى بالبيت لقصي ـ: الشدّاخ، وله يقول قصي:

اذا خطرت بنو الشدّاخ حولي ومد البحر من ليث بن بكر

«يوم بدر» أمّا أخوه حنظلة وخاله الوليد بن عقبة فقتلهما عليه السلام منفرداً، وأمّا جدّه عتبة فقتله عليه السلام بمشاركة عبيدة بن الحارث على الأصح، من كون المقابل لعبيدة عتبة، كما نقله الطبري[1] عن محمد بن إسحاق دون ما رواه الواقدي من استقلال حمزة بقتل عتبة ومشاركته عليه السلام لعبيدة في قتل شيبة عمّ أمّه، فكلامه عليه السلام في هذا الكتاب وفي الكتاب (٦٤): «وعندي السيف الذي أعضضته بجدّك وخالك وأخيك في مقام واحد» يصدق الرواية الاولى.

ويشهد له أيضاً قول هند في رثاء أبيها عتبة:

تداعى له رهطه غدوة بنو هاشم وبنو المطلب

فبنو هاشم هو عليه السلام، وبنو المطلب عبيدة، ولو كان حمزة قتله منفرداً لما كان لبني المطلب فيه شركة.

وكيف كان، فشيبة أيضاً قُتل في بدر، قتله حمزة أو قتله عبيدة بمشاركته عليه السلام.

وأمّا من قال مشيراً إلى هند:

فإن تفخر بحمزة يوم ولّى مع الشهداء محتسباً شهيدا

فإنّا قد قتلنا يوم بدرٍ أبا جهلٍ وعتبةَ والوليدا

وشيبة قد تركنا يوم احد على أثوابه علقاً جسيدا

فوهم من قائله، لعدم اطّلاعه بالتاريخ، وضلّ ابن طلحة الشافعي في (مطالب سؤوله): فنسب الأبيات إليه عليه السلام، ولم يتفطن البحار[2] فنقل

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

(٢) البحار ٢٠: ١١٨ ـ ١١٩.

ما فيه مقرراً له.

وكيف كان فقال أسيد بن إياس في فعله عليه السلام ببدر بهم محرّضاً لهم عليه:

في كلّ مجمع غاية أخزاكم	جذع ابر على المذاكي القرح
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم	ذبحاً وقتلاً قعصة لم يذبح
أفناكم قعصاً وضرباً يعتري	بالسيف يعمل حدّه لم يصفح

«وذلك السيف معي» في (صفين نصر)[1]: خطب عليّ عليه السلام في صفّين، فقال: والذي نفسي بيده لنظر إليّ النبي صلى الله عليه وآله أضرب قدامه بسيفي، فقال:

لا سيف إلّا ذو الفقا	ر ولا فتى إلّا عليّ

«وبذلك القلب القى عدوي» في (الطبري)[2]: لمّا قتل عليّ عليه السلام أصحاب الألوية في أُحد أبصر النبي صلى الله عليه وآله جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي عليه السلام: احمل عليهم. فحمل عليهم ففرّق جمعهم، وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي، ثم أبصر النبي صلى الله عليه وآله جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي عليه السلام: احمل عليهم. فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبرئيل: يا رسول الله، إنّ هذه للمواساة. فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنّه منّي وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما. فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلّا ذو الفقا	ر ولا فتى إلّا علي

«ما استبدلت ديناً ولا استحدثت نبياً، وإنّي لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين» في (صفين نصر)[3]: قال عمّار: والله ما أسلم

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣١٣ و ٣١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٥١٤.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٥.

القوم، ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر، حتّى وجدوا عليه أعواناً.

وفيه[١]: عن شاميّ قال: لمّا رأيت معاوية يبايع عند باب لد، ذكرت قول النبي ﷺ: «شرّ خلق الله خمسة: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون ذو الأوتاد، ورجل من بني إسرائيل ردّهم عن دينهم، ورجل من هذه الأُمة يُبايَع على كفره عند باب لد» فلحقت بعليّ عليه السلام فكنت معه.

وفيه[٢]: خطب عليّ عليه السلام في صفين، وقال: وإنّ من أعجب العجائب: أنّ معاوية وعمرو بن العاص أصبحا يحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما، وايم الله ما اختلفت أُمّة قطّ بعد نبيّها إلّا ظهر باطلها على أهل حقّها، إلّا ما شاء. فقال عمّار: أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد أعلمكم أنّ الأُمّة لن تستقيم عليه. ثـم تفرّق الناس وقد نفذت بصائرهم.

وفيه[٣] قيل لعلي عليه السلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام: أتُقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال: ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون، ولكن يكتب ما شاء، ويسمّي نفسه وأصحابه ما شاء.

وفيه[٤]: جاء رجل الى عليّ عليه السلام فقال: هؤلاء الذين نقتلهم، الدعوة واحدة فبِمَ نسمّيهم؟ قال عليه السلام: بما سمّاهم الله في كتابه. أما سمعت الله يقول: ﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض ـ الى ـ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعدما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٧.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٢٣ و ٢٢٤.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٩.

(٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢٢.

كفر...﴾[1] فلما وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبي وبالحق، فنحن الذين آمنوا، وهم الذين كفروا وشاء الله قتالهم، فقاتلناهم هدى بمشية الله ربنا وإرادته.

٤
الخطبة (٥١)

ومن خطبة له عليه السلام لمّا غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفّين ومنعوهم من الماء:

قَدِ ٱسْتَطْعَمُوكُمُ ٱلْقِتَالَ، فَأَقِرُّوا عَلى مَذَلَّةٍ وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ، أَوْ رَوُّوا ٱلسُّيُوفَ مِنَ ٱلدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ ٱلْمَاءِ، فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَٱلْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلَا وَإِنَّ مُعَوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ ٱلْغُوَاةِ، وَعَمسَ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَرَ حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ المَنِيَّةِ.

أقول: الأصل في العنوان ما رواه نصر بن مزاحم ـ وقد نقله ابن أبي الحديد[2] أيضاً ـ عن عمرو بن شمر عن جابر قال: خطب علي عليه السلام فقال: «أمّا بعد، فانّ القوم قد بدؤكم بالظلم، وفاتحوكم البغي، وابتدؤوكم بالعدوان واستطعموكم القتال حيث منعوكم الماء، فأقروا على مذلة وتأخير محلة...» .

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السلام» هكذا في (المصرية)[3]، والصواب: (ومن كلام له عليه السلام) كما (في ابن أبي الحديد وابن ميثم[4] والخطية)، وإن عرفت من نصر انّ الكلام كان خطبة.

«لمّا غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات» قال

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣: ٢٤٤.

(٣) الطبعة المصرية: ٩٦ الخطبة ٥١.

(٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٣٥.

الدينوري في (طواله)[1]: أقبل معاوية بالخيل نحو صفين، وعلى مقدّمته سفيان بن عمرو أبو الأعود السلمي، وعلى ساقته بسر بن أبي أرطأة العامري ـ وصفين قرية خراب من بناء الروم منها الى الفرات غلوة، وعلى شط الفرات ممّا يليها غيضة متلفة، فيها نزوز، طولها نحو من فرسخين، وليس في ذينك الفرسخين طريق الى الفرات، إلّا طريق واحد مفروش بالحجارة، وسائر ذلك خلاف وغرب ملتف لا يسلك، وجميع الغيضة نزوز ووحل، إلّا ذلك الطريق الذي يأخذ من القرية الى الفرات ـ فأقبلا حتى سبقا الى موضع القرية، فنزلا هناك من ذلك الطريق، ووافاهما معاوية بجميع الفيلق حتى نزل معهما، وأمر معاوية أبا الأعور أن يقف في عشرة آلاف من أهل الشام على طريق الشريعة، فيمنع من أراد السلوك الى الماء من أهل العراق، وأقبل علي عليه السلام حتى وافى المكان، فصادف أهل الشام احتووا على القرية والطريق، فأمر الناس فنزلوا بالقرب من عسكر معاوية، وانطلق السقاؤون والغلمان الى طريق الماء، فحال أبو الأعور بينهم وبينه، فأُخبر علي عليه السلام بذلك، فقال لصعصعة: إيت معاوية فقل له: إنّا سرنا اليكم لنعذر قبل القتال، فإن قبلتم كانت العافية أحبّ الينا، وأراك قد حلت بيننا وبين الماء، فإن كان أعجب اليك أن ندع ما جئنا له، ونذر الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا. فأتاه فقال له ما قاله عليه السلام ، فقال الوليد بن عقبة لمعاوية: امنعهم الماء كما منعوه عثمان. اقتلهم عطشاً، قتلهم الله. فقال معاوية لعمرو بن العاص: ما ترى؟ قال: أرى أن تخلي عن الماء، فإنّ القوم لن يعطشوا وأنت ريّان. فقال عبدالله بن أبي سرح: امنعهم الماء الى اللّيل لعلّهم أن ينصرفوا الى طرف الغيضة، فيكون انصرافهم هزيمة. فقال صعصعة لمعاوية: ما الذي ترى؟ قال ارجع فسيأتيكم رأيي. فانصرف

---

(١) الأخبار الطوال: ١٦٧.

وظلّ أهل العراق يومهم ذلك وليلتهم بلا ماء، إلّا من كان ينصرف من الغلمان الى طرف الغيضة، فيمشي مقدار فرسخين فيستقي، فغمّ علياً عليه السلام أمرُ الناس غمّاً شديداً، فأتاه الأشعث فقال: أيمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا سيوفنا؟ ولّني الزحف إليه، فوالله لا أرجع أو أموت، ومر الأشتر فلينضم إليّ في خيله. فقال له عليّ عليه السلام: إيت في ذلك ما رأيت. فلمّا أصبح زاحف أبا الأعور فاقتتلوا، وصدقهم الاشتر والأشعث حتى نفيا أبا الأعور عن الشريعة، وصارت في أيديهما، فقال عمرو لمعاوية: ما ظنّك بالقوم اليوم ان منعوك كما منعتهم؟ فقال معاوية: دع ما مضى، ما ظنّك بعليّ؟ قال: ظنّي أنّه لا يستحلّ منك ما استحللت منه، لأنّه أتاك في غير أمر الماء. ثم توادع الناس....

ثمّ إنّ معاوية كما تصرّف الماء في أوّل وروده، ومنع أصحابه عليه السلام الماء، كذلك تصرفها بحيلة بعد ذلك؛ ففي (صفين نصر)[1]: كتب معاوية في سهم: من عبدالله الناصح، فإنّي أُخبركم أنّ معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم، فخذوا حذركم. ثمّ رمى بالسهم في عسكر علي عليه السلام، فوقع السهم في يدي رجل من أهل الكوفة. فقرأه ثم أقرأه صاحبه، فلما قرأه وأقرأه الناس قالوا: هذا أخ لنا ناصح، كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية. فلم يزل السهم يُقرأ حتى دُفع الى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد بعث معاوية مائتي رجل من الفعلة الى عاقول من النهر، بأيديهم المرود والزنبيل يحفرون فيها بحيال عسكر علي عليه السلام، فقال علي عليه السلام: ويحكم! إنّ الّذي يعالج معاوية لا يستقيم له، وإنّما يريد أن يزيلكم عن مكانكم، فالهوا عن ذلك. فقالوا له: هم والله يحفرون الساعة. فقال: ويحكم! لا تغلبوني على رأيي. فقالوا: والله لنرتحلن، فإن شئت فارتحل وإن شئت فأقم. فارتحلوا، وارتحل علي عليه السلام

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ١٩٠.

في أُخريات الناس، وهو يقول:

ولو أنّي اطعت عَصبتُ قومي ... الى ركـــن اليـمامة أو شآمِ

ولكـــنّي اذا أبـــرمت أمــراً ... مُـنيت بـخُلْف آراء الطّـغامِ

وارتحل معاوية حتى نزل على معسكر علي عليه السلام الذي كان فيه.

فدعا عليّ عليه السلام الاشتر فقال: ألم تغلبني على رأيي، أنت والأشعث؟ فقال الأشعث: أنا أكفيك، سأُداوي ما أفسدت. فجمع بني كندة فقال: يا معشر كندة، لا تفضحوني اليوم ولا تخزوني، إنّما أُقارع بكم أهل الشام. فخرجوا معه رجالاً يمشون. وبيد الأشعث رمح له يلقيه على الأرض، ويقول:

امشوا قيس رمحي

فلم يزل يقيس لهم على الأرض برمحه ذلك، ويمشون معه رجّالة قد كسروا جفون سيوفهم، حتى لقوا معاوية وسط بني سليم واقفاً على الماء وقد جاءه أدنى عسكره، فاقتتلوا على الماء ساعة، وانتهى أوائل أهل العراق فنزلوا، وأقبل الأشتر في خيل من أهل العراق فحمل على معاوية، والأشعث يحارب في ناحية، فردوا وجوه إبل معاوية قدر ثلاثة فراسخ، ثم نزل ووضع أهل الشام أثقالهم، والأشعث يهدر ويقول: أرضيتك يا أمير المؤمنين؟ ولما غلب علي عليه السلام على الماء فطرد عنه أهل الشام، بعث الى معاوية: انّا لا نكافيك بصنعك، هلمّ الى الماء، فنحن وأنتم سواء. فأخذ كلّ واحد منهما بالشريعة مما يليه، وقال عليه السلام لأصحابه: إنّ الخطب أعظم من منع الماء.

هذا، ونظيرُ حيلة معاوية هذه مع أصحابه عليه السلام حيلةُ أبي مسلم في قتاله لعبد الله بن علي عم المنصور؛ فأقبل أبو مسلم الى عبدالله ونزل ناحية لم يعرض له، وأخذ طريق الشام وكتب الى عبدالله: إنّي لم أؤمر بقتالك إنّما ولّاني المنصور الشام، وإنما أُريدها. فقال من كان مع عبدالله من أهل الشام: كيف

نُقيم معك، وهذا يأتي بلادنا وفيها حرمنا، فيقتل من قدر عليه من رجالنا، ويسبي ذرارينا؟ ولكنّا نخرج الى بلادنا، فنمنعه حرمنا وذرارينا، ونقاتله إن قاتلنا. فقال لهم عبدالله: إنّه والله ما يريد الشام وما وجّه إلّا لقتالكم، ولئن أقمتم ليأتينكم. فأبوا إلّا المسير، فأقبل أبو مسلم فعسكر قريباً، وارتحل عبدالله من معسكره نحو الشام، فتحوّل أبو مسلم حتى نزل في موضعه، وعور ما كان حوله من المياه، وألقى فيها الجيف، فقال عبدالله لأصحابه: ألم أقل لكم؟....

هذا، وفي (القاموس): بليل ـ كزبير ـ شريعة صفين.

«بصفين» في (فتوح البلاذري): بالس، وبولس، وقاصرين، وعابدين، وصفين: قرى منسوبة الى الروم.

وفي (مصباح الفيومي)[١]: صفين: موضع على الفرات من الجانب الغربي بطرف الشام، مقابل قلعة نجم، وهو فعلين من الصف، أو فعيل من الصفون.

قلت: وحيث إنّها كانت من بناء الروم ـ كما عرفته من الدينوري والبلاذري ـ فلا وجه لكونه من الصف.

وقد ذكره الجوهري[٢] والفيروز آبادي[٣] والجزري في صفن. وقال الأخير: في اعرابه قولان، أحدهما: أن يُقرأ بالياء وفتح النون مطلقاً، والثاني: أن يعرب بالنون.

«ومنعوهم الماء» هكذا في (المصرية)[٤]، والصواب: (من الماء) كما في

---

(١) المصباح للفيومي ١: ٤١٤.

(٢) الصحاح للجوهري ٦: ٢١٥٢.

(٣) الفيروز آبادي ٤: ٢٤٢.

(٤) الطبعة المصرية: ٩٦ الخطبة ٥١.

(ابن أبي الحديد[١] وابن ميثم[٢] والخطية).

قوله عليه السلام: «قد استطعموكم القتال» جعْلُه عليه السلام منعهم عن شرب الماء كاستطعام للقتال أحسنُ كناية.

وفي (صفين نصر)[٣]: قال الأشعث لعمرو: والله إن كنت لأظنّ لك رأياً، فاذا أنت لا عقل لك، أترانا نخليك والماء؟ فقال له عمرو: كنت مقهوراً على ذلك الرأي فكايدتك بالتهدد.

«فأقروا على مذلّة وتأخير محلة» بالرضا بأن تبقى الشريعة في أيديهم.

ولمّا قتل عبدالله بن معد يكرب أراد أخوه عمرو بن معد يكرب أخذ ديته وترك ثأره، فقالت أُخته كبشة:

فإن أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ فمشُوا بآذان النعام المصلّم

ودع عنك عمراً إنّ عمراً مسالم وهل بطنُ عمرو غير شبر لمطعم[٤]

ولمّا كان أسماء بن خارجة ذهب بهاني بن عروة الى عبيدالله بن زياد فقتله، قال عبدالله بن الزبير الأسدي مخاطباً لمذحج قوم هاني:

فإن أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ فكونوا بغايا أُرضِيتْ بقليل[٥]

«أو رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء» وفي (صفين نصر)[٦]: أنّ الأشتر روّى سيفه من دماء سبعة من فرسانهم: صالح بن فيروز العكي، وكان مشهوراً بشدّة البأس، شد عليه بالرمح وفلق ظهره، ثم مالك بن أدهم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٤٤.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٣٥، وفيه: «منعوهم الماء».

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ١٦٩ و ١٧٠.

(٤) الأغاني ١٥: ٢٣٠.

(٥) الأغاني لأبي الفرج ١٤: ٢٢٩، وفيه أورد مطلع القصيدة.

(٦) صفين لنصر بن مزاحم: ١٧٤.

السلماني وكان من فرسانهم، ثم رماح بن عتيك الغساني، ثم إبراهيم بن وضاح الجمحي، ثم أزمل عتيك الحزامي وكان من أصحاب ألويتهم، ثم أجلح بن منصور الكندي وكان من أعلام العرب وفرسانها وماتت أُخته حبلة حزناً عليه، ثم محمد بن روضة الجمحي، خرج وهو يقول:

يا قاتلي عثمان ذاك المؤتَمن   أضربكم ولا أرى أبا حسن

فشدّ عليه الأشتر وهو يقول:

لا يبعد الله سوى عثمانا   مخالف قد خالف الرحمانا

نصرتموه عابداً شيطانا

فقتله. وقال أيضاً ـ وقد كان قتل من آل ذي يزن رجلاً، ومن آل ذي لقوه فارس الأردن ـ:

اليوم يوم الحفاظ   بين الكماة الغلاظ

نحفزها والمظاظ

هذا، وذكر أعرابي قوماً تحاربوا، فقال: أقبلت الفحول تمشي مشي الوعول، فلما تصافحوا بالسيوف، فغرت المنايا أفواهها.

وقال صخر أخو خنساء في أخذه ثار أخيه معاوية من بني مرّة:

ومرَّةَ قد صبحناها المنايا   فروَّينا الأسنة غيرَ فخر[1]

وفي (عيون القتيبي)[2]: لما صرف أهل مزة الماء عن أهل دمشق، ووجهوه الى الصحاري، كتب إليهم أبو الهندام: إلى بني استها ـ أهل مزة ـ ليمسي الماء أو لتصبحنكم الخيل. فوافاهم الماء قبل أن يُعتموا، فقال أبو الهندام:

(١) الأغاني لأبي الفرج ١٥: ١٠١.

(٢) العيون للقتيبي ١: ١٩٧.

الصدق ينبي عنك لا الوعيد

«فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين» هـو فـي جـمع المعنى ورفع المغزى، كقوله تـعالى: ﴿ولكـم فـي القـصاص حـياة يـا أُولي الألباب...﴾[1].

كان عمليق الطسمي قضى على جديس: ان يذهبوا ببناتهم ليلة زفافهم قبل ازواجهم إليه فيفترعهن هو، فذهبوا بـعفيرة بـنت عـباد الجـديسي إليـه فافترعها، فخرجت الى قومها شاقة درعها من قبل ومن دبر في أقبح مـنظر، قائلة:

لا أحد أذلّ من جـديس	أهكذا يُفعل بـالعروس

وقالت في تحريض قومها:

فموتوا كرامـاً أو أمـيتوا عـدوّكـم	ودبوا لنار الخطب بالحطب الجزل
فـلَلبينُ خـير مـن تـمادٍ عـلى أذى	وللموتُ خير مـن مـقامٍ عـلى الذّل
وإن أنـــتمُ لم تـــغضبوا بـعد هـذه	فكونوا نسـاءً لاتـعاب مـن الكـحل
ودونكــمُ طــيبَ العــروس فـإنّما	خلقتم لأثـواب العـروس ولـلنسل

فصار تحريضها سبباً لقتل العمليق[2]

وقال صخر أخو خنساء لمّا طال مرضه، وسئلت امرأته عنه فقالت: لا حي فيرجى ولا ميت فينعى ـ:

ولَلموت خير من حياة كأنّـها	محلة يعسوب برأس سنان[3]

وتمثّل زيد بن علي يوم قُتل بقول القائل:

---

(١) البقرة : ١٧٩.

(٢) الأغاني لأبي الفرج ١١ : ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) الأغاني لأبي الفرج ١٥ : ٧٩.

اذل الحـــياة وعـــز المـمات وكـــلّاً أراه طـــعاماً وبـيلا
فــإن كــان لابـدّ مــن واحـد فسيروا إلى الموت سيراً جميلا

وذكروا: أنّ عبدالجبار الأزدي خرج على المنصور، فانهزم، فحمل إليه فقال للمنصور: قتلة كريمة. قال تركتها وراءك يا بن اللخناء.

وقال البحتري في بني حميد، وقد قتلوا في الحرب، لأبيهم:

أبـا غـانم أردى بـنيك اعـتقادُهم بأن الردى في الحرب أكبر مغنم
مضـوا يستلذّون المـنايا حـفيظة وحـفظاً لذاك السـؤدد المـتقدّم
ولمّــا رأوا بـعض الحـياة مـذلّة عليهم وعـز المـوت غـير مـحرم
أبوا أن يذوقوا العيش والذم واقع عــليه ومــاتوا مـيتة لم تــذمم

«ألا وان معاوية قاد لمة» بتخفيف الميم، أي: جماعة. ذكره الجوهري في لام، وقال: والهاء عوض عن الهمزة الذاهبة في وسطه. وفي (الجمهرة): اللمة -منقوصة-: الجماعة، والجمع لمات، وظاهره كون الأصل: لما.

وكيف كان فالظّاهر انّه ليس بمعنى مطلق الجماعة، بل جماعة موافقة؛ ففي (النهاية)[1]: في الخبر: ليتزوج الرجل لمته من النسـاء، ولتـتزوج المـرأة لمتها من الرجال. وحينئذ فمعنى كلامه عليه السلام: أنّه قاد جماعة مـوافـقة له فـي الخبث، ويشهد له موارد استعماله.

قال الشاعر:

سبحان من منتطق المأثـور جهلاً لدى سرادق الحـصير
وسط لمات الملأ الحـضور إنّ السـباب وغَـرُ الصـدور

فالحصير: الملك، والملأ: جماعته.

«من الغواة» جمع الغاوي. أي: الضالين.

---

(١) النهاية ٤: ٢٧٤.

«وعمس» في (الصحاح) العمس أن ترى أنّك لا تعرف الأمر وأنت عارف به. قال ابن السكّيت: أمر عموس وعماس، أي: مظلم لا يُدرى من أين يؤتى له، ومنه قولهم جاءنا بأُمور معمسات، أي: مظلمة ملوية عن جهتها.

«عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم» جمع النحر، بمعنى: المنحر.

«أغراض» جمع الغرض، أي: الهدف.

«المنية» أي: الموت؛ ففي (صفين نصر)[1]: أنّ معاوية لما أتاه كتاب علي عليه السلام بعزله عن الشام بعد عثمان صعد المنبر، وقال: يا أهل الشام، قد علمتم أنّي خليفة أمير المؤمنين عمر وخليفة عثمان وقتل مظلوماً. وتعلمون أنّي وليّه. والله يقول: ﴿...ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً...﴾[2]....

ووضع من يقوم في الناس ويروي لهم أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ عثمان كان على الحق، وبث فيهم أنّ علياً لا يصلّي.

وفي (صفين نصر)[3]: ذكروا أنّه لما غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبة، فقال لهم: يا أهل الشام هذا والله أوّل الظفر، لا سقاني الله ولا سقى أبا سفيان إن شربوا منه، حتى يقتلوا بأجمعهم عليه.

وفيه[4]: خرج رجل من أهل الشام، فقال: من يبارز فخرج إليه رجل من أصحاب علي عليه السلام فاقتتلا ساعة، ثم إنّ العراقي ضرب رجل الشامي فقطعها، فقاتل ولم يسقط الى الأرض، ثم ضرب يده فقطعها، فرمى الشامي سيفه بيده اليسرى الى أهل الشام وقال لهم: دونكم سيفي هذا، فاستعينوا به على عدوّكم. فأخذوه، فاشترى معاوية ذلك السيف

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٨١.

(٢) الإسراء: ٣٣.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ١٦٣.

(٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٨٨.

من أولياء المقتول بعشرة آلاف.

٥
من الخطبة (٢٦)

(ومنها):

وَلَمْ يُبَايِعْ حتّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى ٱلْبَيْعَةِ ثَمَناً، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ البَائِعِ، وَخَزِيَتْ أمانةُ المُبْتَاعِ، فَخُذُوا لِلحَرْبِ أُهبتَهَا وَأَعِدُّوا لَها عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا، وَٱسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ، فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلى النَّصْرِ.

أقول: رواه الثقفي في (غاراته)[1] وابن قتيبة في (خلفائه) والكليني في (رسائله) جزء كتاب كتبه عليه السلام ليُقرأ على الناس، لما سألوه عن قوله في الثلاثة المتقدمين بعد فتح مصر، مع زيادة ونقيصة واختلاف.

ففي الأول: «لقد أُنهي إليّ أنّ ابن النابغة لم يُبايع معاوية حتى أعطاه وشرط له: أن يؤتيه إتاوة هي أعظم مما في يده من سلطانه، ألا صَفِرت يد هذا البايع دينه بالدنيا، وخزيت أمانة هذا المشتري بنصرة فاسق غادر بأموال المسلمين ـ الى أن قال بعد كلام طويل ـ خذوا للحرب أُهبتها وأعدوا لها عدّتها، فقد شب نارها، وعلا سناها، وتجرّد لكم الفاسقون، كي يعذبوا عباد الله، ويطفئوا نور الله...» ومثله الثاني والثالث.

قول المصنّف: «ومنها» هكذا في (المصرية)[2]، ومثلها (ابن أبي الحديد) والمراد من تلك الخطبة، أي: الخطبة (٢٥)، ولكن في (ابن ميثم)[3]: «ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عمرو بن العاص».

---

(١) الغارات للثقفي ١ : ٣١٧، ضمن رسالة لأصحابه عليه السلام.

(٢) الطبعة المصرية : ٦٣ الخطبة ٢٦.

(٣) شرح ابن ميثم ٢ : ٢٧، وفيه: «ومنها».

قوله عليه السلام «ولم يبايع» هكذا في (المصرية) ومثله (ابن أبي الحديد) ولكن في (ابن ميثم)[١]: «ولم يبايع معاوية».

«حتى شرط» عليه.

«أن يؤتيه» أي: يعطيه.

«على البيعة» أي: بيعته معه.

«ثمناً فلا ظفرت يد البايع» قال ابن أبي الحديد: وفي أكثر النسخ «المبايع».

«وخزيت» أي: ذلت وهانت.

«امانة المبتاع» قال ابن أبي الحديد[٢]: يعني عليه السلام بالمبتاع: عمراً، وبالبايع معاوية.

قلت: بل بالعكس، فعمرو بايع دينه بدنيا معاوية وهذا واضح؛ قال تعالى: ﴿...ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾[٣]، ﴿...ولقد علموا لَمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق...﴾[٤]، ﴿أُولئك الّذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾[٥] ﴿أُولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾[٦] ﴿أُولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار﴾[٧]، ﴿...واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾[٨].

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ٧٢، وفيه : «ولم يبايع حتى...» .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٦٠ .

(٣ و ٤) البقرة : ١٠٢ .

(٥) البقرة : ٨٦ .

(٦) البقرة : ١٦ .

(٧) البقرة : ١٧٥ .

(٨) آل عمران: ١٨٧ .

ونتقل كيفية بيعته من كتاب (صفين نصر)[١] بمعناه، وقد نقله ابن أبي الحديد[٢] بلفظه، ففيه: لما كتب معاوية الى عمرو يستدعيه الى نصرته ـ وقد كان اعتزل أيّام عثمان في فلسطين ـ شاور ابنيه عبدالله ومحمداً، فقال له ابنه عبدالله: قر في بيتك، فلست مجعولاً خليفة، ولا ترد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة، أوشك أن تهلك فتشقى فيها. وقال له ابنه محمد: أرى أنّك شيخ قريش، وصاحب أمرها وإن تصرّم هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك، فالحق بجماعة أهل الشام. ودعا غلامه وردان أيضاً ـ وكان راهباً مارداً ـ فقال له: أرحل أحط؟ فقال: إن شئت أنبأتك بما في نفسك. قال: هات، قال: اعترك الدنيا والآخرة على قلبك، فقلتَ علي معه الآخرة في غير دنيا، وفي الآخرة عوض الدنيا، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة، وليس في الدنيا عوض من الآخرة؛ فأنت واقف بينهما. قال: والله ما أخطأت، فما ترى يا وردان؟ قال أرى أن تقيم في بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لن يستغنوا عنك. قال: الآن لمّا شهدت العرب مسيري الى معاوية؟ فارتحل وهو يقول:

يا قاتلَ اللّهُ ورداناً وقرحته ... أبدى لعمرك ما في النفس وردان

لما تعرضت الدنيا عرضتُ لها ... بحرص نفسي وفي الأطباع إدهان

نفس تعف وأُخرى الحرص يقلبها ... والمرء يأكل تبناً وهو غرثان

أمّا عليٌّ فدينٌ ليس يشركه ... دنيا وذاك له دنيا وسلطان

فاخترتُ من طمعي دنيا على بصر ... وما معي بالذي أختار برهان

فسار الى معاوية، فقال له معاوية: أدعوك الى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربّه، وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرّق الجماعة. قال عمرو: إلى جهاد

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤، ٣٦ ـ ٣٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٦١ ـ ٦٢.

مَنْ؟ قال: عليّ. فقال عمرو: والله ما أنت وعلي بعكمي بعير، مالك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه، فما تجعل لي إن شايعتك على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال حكمك: قال: مصر. قال: إنّي أكره أن يتحدّث عنك العرب: أنّك انّما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا. قال: دعني عنك. قال معاوية: إنّي لو شئت أن أخدعك لفعلت. قال: مثلي يُخدع؟ قال له: ادن مني أُسارّك. فدنا منه ليسارّه، فعض معاوية أُذنه، وقال: هذه خدعة، هل ترى في بيتك أحداً غيري وغيرك؟ فأنشأ عمرو يقول:

معاوي لا أُعطيك ديني ولم أنل ... بذلك دنياً فانظرَنْ كيف تصنع
فإن تعطني مصراً فأربِحْ بصفقة ... أخذت بها شيخاً يضرّ وينفع
وما الدين والدنيا سواء فإنّني ... لآخذ ما تعطي ورأسي مقنع
ولكنّني أُغضي الجفون وإنّني ... لأخدع نفسي والمخادع يُخدع
وأُعطيك أمراً فيه للملك قوّة ... وإنّي به إن زلّت النعل أُصرع
وتمنعني مصراً ولست نزعته ... وإنّي بذا الممنوع قدماً لمولع

قال له معاوية: ألم تعلم أنّ مصر مثل العراق؟ قال: بلى، ولكنها إنّما تكون لي إذا كانت لك، وإنّما تكون لك إذا غلبت علياً على العراق. فدخل عتبة بن أبي سفيان فقال لمعاوية: أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر ان صفت لك وليتك لا تغلب على الشام؟ فأعطاه وكتب له كتاباً، وكتب معاوية: «على ان لا ينقض شرط طاعته». فكتب عمرو: «ولا تنقض طاعته شرطاً». وكايد كلّ واحد منهما صاحبه، فلمّا بلغ علياً عليه السلام ما صنعا، قال:

يا عجباً لقد سمعت منكرا ... كذباً على الله يشيب الشعرا
ما كان يرضى أحمدٌ لو خبرا ... أن يقرنوا وصيّه والابترا
شاني الرسول واللعين الأخزرا ... كلاهما في جنده قد عسكرا

قد باع هذا دينه فأفجرا من ذا بدنيا بيعه قد خسرا
بملك مصر ان أصاب الظفرا

إلى أن قال[١]: فقال له عمرو: رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي، وهو عدوّ جرير البجليّ الذي أرسله اليكَ عليّ، فأرسل إليه ووطّن له ثقاتك فليفشوا في الناس: أن علياً قتل عثمان، وليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل، فإنّها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تُحب وإن تعلّق بقلبه لم يخرجه شيء أبداً. فكتب معاوية إليه في ذلك، ودعا يزيد بن أسد وبسر بن أرطأة وعمر بن سفيان ومخارق بن الحرث وحمزة بن مالك وحابس بن سعد ـ رؤوس قحطان واليمن وكانوا خاصة معاوية وبني عم شرحبيل ـ فأمرهم أن يلقوه ويخبروه: أنّ علياً قتل عثمان ـ إلى أن قال ـ ثم خرج شرحبيل فلقيه هؤلاء النفر الموطّئون له، فكلّهم يخبره بأن علياً قتل عثمان، فدخل على معاوية فقال له: أبى الناس إلّا أنّ علياً قتل عثمان، والله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنّك. فقال له معاوية: ما كنت لأُخالف عليكم، ما أنا إلّا رجل من أهل الشام. فقال شرحبيل: فرُدَّ هذا الرجل ـ أي: جريراً ـ إلى صاحبه. فعرف معاوية أنّ شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب العراق، وأنّ الشام كلّه معه.

وفيه[٢]: أنّ معاوية طلب من عمرو ان يسوي له صفوف أهل الشام، فقال له عمرو: على أنّ لي حكمي إن قتل علي بن أبي طالب، واستوسقت لك البلاد. فقال: أليس حكمك في مصر؟ قال: وهل مصر تكون عوضاً عن الجنة، وقتل ابن أبي طالب ثمناً لعذاب النار الذي ﴿لا يفتر عنهم وهم فيه

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٠.
(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٣٧.

مبلسون﴾[1]؟ فقال له معاوية: إنّ لك حكمك إن قتل، رويداً لا يسمع أهل الشام كلامك.

وفيه[2]: جاء رجل الى عمّار فقال له: إنّ صلاتنا واحدة وكتابنا واحد ورسولنا واحد. فقال له عمّار: هل تعرف الراية السوداء في مقابلتي؟ إنّها راية عمرو بن العاص قاتلتها مع النبي ﷺ ثلاث مرات، وهذه الرابعة، ما هي بخيرهن ولا أبرهن، بل شرّهن وأفجرهن.

«فخذوا للحرب» أي: الحرب الثانية مع معاوية؛ فقد عرفت أنّه عليه السلام قاله بعد فتح مصر.

«أُهبتها» أي: تهيئتها.

«وأعدّوا لها عدتها» أي: استعدادها، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل﴾[3].

«فقد شب» أي: توقد، والشبوب: ما توقد به النار.

«لظاها» أي: التهاب نارها.

«وعلا سناها» أي: ضوؤها.

«واستشعروا الصبر» أي: اجعلوه شعاراً لكم كالثوب الملصق بالبدن.

«فإنّه» أي: الصبر.

«أدعى الى النصر» ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾[4].

---

(١) الزخرف : ٧٥.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢١.

(٣) الانفال : ٦٠.

(٤) الاعراف : ١٢٨.

٦
الكتاب (١٧)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه:

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ ٱلْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ ٱلْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ ٱلْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ؛ أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْحَقُّ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ. وَأَمَّا ٱسْتِوَاؤُنَا فِي ٱلْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى ٱلْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ علَى ٱلدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ عَلَى ٱلْآخِرَةِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ؛ فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ المُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كأَبِي طَالِبٍ، وَلَا المُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللصِيقِ، وَلَا ٱلْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا المُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَبِئْسَ ٱلْخَلَفُ خَلَفاً يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ ٱلَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا ٱلْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا ٱلذَّلِيلَ. وَلَمَّا أَدْخَلَ ٱللهُ ٱلْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ ٱلْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ، إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ ٱلْمُهَاجِرُونَ ٱلْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ. فَلا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً.

قول المصنّف: «ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه» ليس في (ابن أبي الحديد)[1] و(الخطية) كلمة «إليه»؛ روى الكتابين نصر بن مزاحم في (صفينه)[2]، والمسعودي في (مروجه)[3] وابن قتيبة في

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ١١٧ .

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧١ .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٢ ـ ٢٣ .

(خلفائه)[١]، وكذا عن البيهقي في (محاسنه).

ففي الأوّل ـ ونقله ابن أبي الحديد[٢] أيضاً مع اختلاف ـ: ذكروا[٣] أنّ علياً عليه السلام أظهر يوماً أنّه مصبح غداً معاوية ومناجزه، فبلغ ذلك معاوية وفزع أهل الشام لذلك وانكسروا لقوله ـ الى أن قال: ـ وقال الأشتر حين قال عليه السلام ذلك:

قد دنا الفضل في الصباح وللسلـ	ـم رجال وللحروب رجال
فرجال الحروب كلّ حَذَب	مقحم لا تهدّه الأهوال
يضرب الفارس المدجج بالسيـ	ـف إذا فلّ في الوغى الأكفال
يا بن هند شد الحيازيم للمو	ت ولا يذهبن بك الآمال
إنّ في الصبح إن بقيت لأمراً	تتفادى من هوله الأبطال
فيه عز العراق أو ظفر الشا	م بأهل العراق والزلزال
فاصبروا للطعان بالأسل السمـ	ـر وضرب يجري به الأمثال
ان تكونوا قتلتم النفر البيـ	ـض وغالت أُولئك الآجال
فلنا مثلهم وإن عظم الخطـ	ـب قليل أمثالهم أبدال
يخضبون الوشيج طعناً اذا جُرّ	ت إلى الموت بينهم أذيال
طلب الفوز في المعاد وفي ذا	تستهان النفوس والأموال

فلما انتهى الى معاوية شعر الأشتر قال: شعرٌ منكر من شاعر منكر، رأس أهل العراق وعظيمهم، ومسعر حربهم، وأول الفتنة وآخرها. وقد رأيت أن أكتب الى علي كتاباً أسأله الشام ـ وهو الشيء الأول الذي ردّني عنه ـ وأُلقي

(١) الخلفاء لابن قتيبة : ١١٧، ١١٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١١٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٢٠، صفين لنصر بن مزاحم : ٤٦٨.

في نفسه الشك والرقة. فضحك عمرو بن العاص وقال له: أين أنت من خدعة علي؟ فقال: ألسنا بني عبد مناف؟ قال: بلى، ولكن لهم النبوّة دونك، وإن شئت أن تكتب فاكتب. فكتب مع رجل من السكاسك يقال له: عبدالله بن عقبة ـ وكان من ناقلة أهل العراق: أما بعد، فإنّي أظنّك أن لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما علمت، لم يجنها بعضنا على بعض، وإنّا وإن كنّا قد غُلبنا على عقولنا، فقد بقي لنا ما نندم به على ما مضى ونصلح به ما بقي، وقد كنتُ سألتك الشام على ألا يلزمني لك طاعة ولا بيعة، فأبيتَ ذلك عليّ فأعطاني الله ما منعت، وأنا أدعوك اليوم إلى مادعوتك إليه أمس، فإنّي لا أرجو من البقاء إلّا ما ترجو، ولا أخاف من الموت إلّا ما تخاف، وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال، ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل، إلا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترقّ به حرّ. والسلام. فلما انتهى كتاب معاوية الى علي عليه السلام قرأه، ثم قال: العجب لمعٰوية وكتابه. ثم دعا عبيدالله بن أبي رافع ـ كاتبه ـ فقال له: اكتب الى معاوية: «أمّا بعد، فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض؛ فأنا وإياك منها في غاية لم تبلغها، وإنّي لو قتلت في ذات الله وحييت، ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة لم أرجع عن الشدة في ذات الله، والجهاد لأعداء الله. وأمّا قولك: إنّه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى؛ فإني ما نقصت عقلي ولا ندمت على فعلي. فأمّا طلبك الشام فإنّي لم أكن لأُعطيكَ اليوم ما منعتُك أمس. وامّا استواؤنا في الخوف والرّجاء فإنّك لست بأمضى على الشك مني على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة. وأمّا قولك: انّا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل؛ فلعمري إنّا بنو أب واحد، ولٰكن ليس أُمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر

كالطليق، ولا المحقّ كالمبطل، وفي أيدينا فضل النبوّة التي أذللنا بها العزيز وأعززنا بها الذليل». فلما أتى معاوية كتاب علي عليه السلام كتمه عن عمرو أيّاماً، ثمّ دعاه بعد ذلك فأقرأه الكتاب، فشمت به. ولم يكن أحد من قريش أشدّ تعظيماً لعلي عليه السلام من عمرو، منذ يوم لقيه وصفح عنه.

وفي الأخير ـ بعد ذكر معنى ما مرّ عن نصر ـ: فقال معاوية لعمرو: قد علمت أنّ إعظامك لعلي لما فضحك، فقال عمرو: لم يفتضح امرؤ بارز علياً، وإنّما افتضح من دعاه الى البراز فلم يجبه.

قوله عليه السلام: «فأمّا طلبك إليّ الشام فإنّي لم أكن أُعطيك اليوم ما منعتك أمس»

في (الاستيعاب)[1]: نادى حوشب الحميري علياً عليه السلام يوم صفين، فقال: انصرف عنّا يابن أبي طالب، فانّا ننشدك الله في دمائنا ودمك، ونخلي بينك وبين عراقك، وتخلّي بيننا وبين شامنا، وتحقن دماء المسلمين. فقال علي عليه السلام: هيهات يابن أُمّ ظليم والله لو علمت انّ المداهنة تسعني في دين الله لفعلت، ولكان أهون عليّ في المؤنة، ولكن الله لم يرض من أهل القرآن بالسكوت والإدهان، إذا كان الله يُعصى وهم يطيقون الدفاع والجهاد، حتى يظهر أمر الله.

وفي (الأغاني)[2]: سار زياد بن الأشهب ـ وكان شريفاً سيّداً ـ الى أمير المؤمنين علي عليه السلام يصلح بينه وبين معاوية، فلم يجبه وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يعتدّ على معاوية:

وقام زياد عند باب ابن هاشم ... يريد صلاحاً بينكم ويقرّب

(١) الاستيعاب ١: ٣٩٥.

(٢) الأغاني لأبي الفرج ١٢: ٢٣.

وفي (صفين نصر)[1]: وخرج رجل من أهل الشام ينادي بين الصفين: يا أبا الحسن ابرز لي. فخرج إليه علي عليه السلام حتى اذا اختلفت أعناق دابتيهما بين الصفين قال له: يا علي إنّ لك قدماً في الاسلام وهجرة، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء وتأخير هذه الحروب، حتى ترى من رأيك؟ فقال له علي عليه السلام: وما ذاك؟ قال: ترجع الى عراقك، فنخلي بينك وبين العراق، ونرجع الى شامنا، وتخلّي بيننا وبين شامنا. فقال له علي عليه السلام: لقد عرفت انّما عرضت هذا نصيحة وشفقة، ولقد أهمني هذا الأمر وأسهرني، وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلّا القتال، أو الكفر بما أنزل على محمّد صلى الله عليه وآله. إنّ الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يُعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال في جهنم. فرجع الشامي وهو يسترجع.

«وأمّا قولك: ان الحرب قد أكلت العرب إلّا حشاشات» في (الصحاح): الحشاش والحشاشة: بقية الروح في جسد المريض.

«أنفس بقيت» في (المروج)[2]: اختلف في عدّة من قتل من الفريقين؛ فعن يحيى بن معين: قتل من الشام تسعون ألفاً، ومن أهل العراق عشرون ألفاً. وذكر الهيثم بن عدي والشرقي بن القطامي وأبو مخنف: أنّه قتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، فيهم خمسة وعشرون بدرياً. وكان الاحصاء للقتلى يقع بالقضيب.

«ألا ومن أكله الحق فإلى الجنّة ومن أكله الباطل فإلى النار» هكذا في

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧٤.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٠٤.

(المصرية)[1] ولكن في (ابن أبي الحديد)[2] و (ابن ميثم)[3] إنّما هكذا: «ألا من أكله الحق فإلى النار». ولم يشر ابن ميثم الى رواية أُخرى. وأمّا ابن أبي الحديد[4] فقال: رواية «ألا ومن أكله الحق فإلى النار» أليق من الرواية المذكورة في أكثر الكتب...

وأشار الى مثل ما في (المصرية) وظاهر كلامه كون النهج بلفظ: «ألا ومن أكله الحق فإلى النار»، حيث نسب مثل ما في (المصرية) إلى كتب أُخرى لا نسخ النهج، ويشهد له اقتصار ابن ميثم ـ مع كون نسخته بخط المصنّف ـ على ما مر. وحينئذ المراد بقوله عليه السلام «من أكله الحق» أي: من أمر الحق بقتله، والأصل فيه قوله تعالى ﴿...ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحق...﴾[5] وأما ما في (المصرية) فالمراد واضح: أنّ من قتل في سبيل الحق فإلى الجنّة، ومن قتل في سبيل الباطل فإلى النار. ويمكن تأييده بما روى (صفين نصر)[6]: أن عتبة بن أبي سفيان ـ أخا معاوية ـ قال لجعدة بن هبيرة ابن أُخت أمير المؤمنين عليه السلام: ما أقبح بعلي أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس، حتى اذا أصاب سلطاناً أفنى العرب! فقال له جعدة: وأمّا قتل العرب فإنّ الله كتب القتال، فمن قتله الحق فإلى الله.

وكيف كان، ففي (صفين نصر)[7]: أنّ الأحنف قال في صفين لأصحابه

---

(١) الطبعة المصرية: ١٩، الكتاب ١٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١١٧.

(٣) شرح ابن ميثم ٤: ٣٨٨ وفيه: «ألا ومن أكله الحق فإلى الجنّة ...».

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١١٨.

(٥) الأنعام: ١٥١.

(٦) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٦٤.

(٧) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٨٧.

ـ وكان مع علي عليه السلام ـ: هلكت العرب. قالوا: وإن غَلبنا؟ قال: نعم. قالوا: وإن غُلبنا؟ قال: نعم. قالوا: ما جعلت لنا مخرجاً. قال. إن غَلبنا لم نترك بها رئيساً إلّا ضربنا عنقه، وإن غُلبنا لم يعرج رئيس عن معصية الله.

«**وأمّا استواؤنا في الحرب والرجال فلست بأمضى على الشك منّي على اليقين**» في (صفين نصر)[1]: نادى عتبة بن أبي سفيان جعدة المخزومي ابن أُخت علي عليه السلام، واذن علي عليه السلام له في الخروج إليه، واجتمع الناس لكلامهما، فقال عتبة: يا جعدة، والله ما أخرجك علينا إلّا حبّ خالك، وإنّا والله ما نزعم أنّ معاوية أحقّ بالخلافة من علي عليه السلام لولا أمره في عثمان، ولكن معاوية أحقّ بالشام لرضا أهلها به، فاعفوا لنا عنها، فوالله ما بالشام رجل به ظرف إلّا وهو أجدّ من معاوية في القتال، وليس بالعراق من له جدّ من مثل جدّ علي، ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم. فقال له جعدة: إن كان لك خال مثلي لنسيت أباك، وأمّا رضاك اليوم بالشام فقد رضيتم بها أمس. وأمّا قولك: إنّه ليس بالشام من رجل إلّا وهو أجدّ من معاوية، وليس بالعراق لرجل مثل جدّ علي، فهكذا ينبغي أن يكون، مضى بعلي عليه السلام يقينه، وقصر بمعاوية شكه، وقصد أهل الحقّ خير من جهد أهل الباطل.

«**وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة**» في (صفين نصر)[2]: قيدت عك من أهل الشام أرجلها بالعمائم، ثم طرحوا حجراً بين أيديهم وقالوا لا نفرّ حتى يفرّ هذا الحكر ـ أي: الحجر، فعك تقلب الجيم كافاً ـ وفعل أهل العراق كذلك، وتجادلوا حتى أدركهم الليل، فقالت همدان: يا معشر عك إنّا والله لا ننصرف حتى تنصرفوا. وقال عك مثل ذلك. فأرسل

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٣٤.

معاوية الى عك: أبرّوا قسم القوم. فانصرفت عك، ثم انصرفت همدان.

وفيه[1]: أرسل ابن حنش رأس خثعم مع معاوية الى أبي كعب رأس خثعم مع علي عليه السلام: إن شئت توافقنا فلم نقتتل، فإن ظهر صاحبك كنّا معكم، وإن ظهر صاحبنا كنتم معنا ولم يقتل بعضنا بعضاً. فأبى أبو كعب ذلك. وقال ابن حنش لقومه: قد عرضت لقومنا من أهل العراق الموادعة، صلة لأرحامهم وحفظاً لحقهم، فأبوا إلّا قتالنا ـ الى أن قال ـ فاشتد القتال وأخذ أبو كعب يقول لأصحابه: يا معشر خثعم خذموا ـ أي: اضربوهم في سوقهم ـ وأخذ صاحب الشام يقول: يا أبا كعب قومك فأنصف.

وفيه[2]: خرج اثال بن حجل من عسكر علي عليه السلام ونادى: هل من مبارز؟ فدعا معاوية حجلاً فقال: دونك الرجل. وكانا مستبصرين في رأيهما، فبرز كلّ واحد منهما إلى صاحبه، فبدره الشيخ بطعنة، فطعنه الغلام وانتمى، فاذا هو ابنه! فنزلا فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه وبكيا، فقال له الأب: أي اثال، هلم الى الدنيا. فقال له الغلام: يا أبه هلم الى الآخرة، والله يا أبه لو كان من رأيي الانصراف إلى أهل الشام، لوجب عليك أن يكون من رأيك لي أن تنهاني، واسوأتاه! فماذا أقول لعلي عليه السلام وللمؤمنين الصالحين؟ كن أنت على ما أنت عليه، وأنا أكون على ما أنا عليه. وانصرف حجل الى أهل الشام واثال الى أهل العراق، فخبر كلّ واحد منهما أصحابه.

«وأمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف فكذلك» الأصل في شبهة كون كلّ منهما ابن عبد مناف عُمَر، حيث أراد في شوراه جعل عثمان في مقابله عليه السلام فقال: «ولكن الستة علي وعثمان ابنا عبد مناف...» فيقال لعمر: على قاعدتك يتساوى

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٧.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٤٣.

النبي ﷺ وأبو سفيان، فكلّ منهما ابنا عبد مناف.

«ولكن ليس أُمية» قال جارية بن قدامة لمعٰوية في منافرة بينهما: ما معاوية إلّا كلبة تعاوي الكلاب، وما أُميّة إلّا تصغير الأمة.

«كهاشم» في (الطبري)[1]: اسمه عمرو، وإنّما قيل له: هاشم، لأنّه أوّل من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمهم. وله يقول مطرود الخزاعي: وقال ابن الكلبي: يقول ابن الزبعرى -:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

ذكروا أنّ قومه من قريش كانت أصابتهم لزبة وقحط، فرحل الى فلسطين فاشترى منها الدقيق، فقدم به مكة فأمر به فخُبز له، ونحر جزوراً، ثم اتّخذ لقومه مرقة ثريد بذلك الخبز.

قال وهب بن عبد قصي في ذلك:

تحمّل هاشم ما ضاق عنه وأعيى أن يقوم به ابن بيض

أتاهم بالغرائر متأنقات من ارض الشام بالبر النفيض

فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب الخبز باللحم الغريض

فظلّ القوم بين مكللات من الشيزى وحائرها يفيض

فحسده أُميّة، وكان ذا مال، فتكلّف أن يصنع صنيع هاشم، فعجز عنه فشمت به ناس من قريش، فغضب ونال من هاشم ودعاه الى المنافرة، فكره هاشم ذلك لسنه وقدره، ولم تدعه قريش وأحفظوه. قال: فإنّي أُنافرك على خمسين ناقة سود الحدقة ننحرها ببطن مكة، والجلاء عن مكة عشر سنين. فرضي بذلك أُمية، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي، فنفّر هاشماً على أُمية، فأخذ هاشم عن أُمية الإبل، فنحرها وأطعمها من حضره، وخرج أُمية الى

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٥١.

الشام فأقام بها عشر سنين، فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم واُمية.

وفي (لطائف الثعالبي): وقيل في هاشم:

ما أحد كهاشم وان هشم　　　　لا لا و لا كحاتم وإن حتم

وفي (إثبات وصية المسعودي)[1] ـ في خطبته عليه السلام في انتقال نور النبي صلى الله عليه وآله من آدم أباً بعد أب الى ولادته ـ: حتى نقلت نوره الى هاشم خير آبائه بعد إسماعيل، فأي أب وجدّ ووالد أسرة ومجمع عترة ومخرج طهر ومرضع فخر جعلت ـ يارب ـ هاشماً! لقد أقمته لدن بيتك وجعلت له المشاعر والمتاجر.

وقال الجاحظ ـ وقد نقله ابن أبي الحديد[2] في موضع آخر ـ: صنع اُميّة في الجاهلية صنعاً لم يصنعه أحد من العرب: زوّج ابنه أبا عمرو امرأته في حياته منه، فأولدها أبا معيط. والمقتيون في الاسلام هم الذين نكحوا نساء آبائهم بعد موتهم. فأمّا ان يتزوجها في حياة الأب ويبني عليها وهو يراه، فإنّه شيء لم يكن قط ... ويأتي أنّ عبد المطلب بن هاشم حرّم زوجة الأب في الجاهلية، فأمضاه الاسلام.

وعن كتاب (هاشم وعبد شمس) للدباس: روى هشام الكلبي: أنّ اُميّة لمّا كان غلاماً كان يسرق الحاجّ، فسمّي حارسا.

وعنه: قال عثمان لرجل من حضرموت: أفرأيت اُميّة؟ قال: نعم، رأيت رجلاً آدِم دميماً قصيراً أعمى، يقال: انّه كان أنكد وإن فيه نكداً ـ أي: مشؤوماً وفيه عسر ـ فقال عثمان: يكفيك من شرّ سماعه. وأمر بإخراجه.

وعن (أنساب قريش ابن بكار): اصطلحت قريش على ان يولّى هاشم

---

(١) إثبات الوصية للمسعودي: ١٠٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٢٠٧.

بعد موت أبيه السقاية والرفادة، وذلك انّ عبد شمس كان يسافر وقلّ أن يقيم بمكة ـ وكان رجلاً معيلاً، وكان له ولد كثير ـ وكان هاشم رجلاً موسراً، فكان إذا حضر الحج قام في قريش فقال: إنّكم جيران الله وأهل بيته، وإنّه يأتيكم في هذا الموسم زوّار الله يعظمون حرمة بيته، فهم لذلك ضيف الله، وأحق ضيف بالكرامة ضيف الله، وقد خصّكم الله بذلك وأكرمكم به، ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزوّاره، فإنّهم يأتون شعثاً غبراً من كلّ بلد، ضوامر كالقداح وقد ارجفوا وتفلوا وقملوا وارسلوا، فأقروهم وأعينوهم. فكانت قريش تترافد على ذلك، وكان هاشم يخرج في كلّ سنة مالاً كثيراً، وكان يقول لقريش: فوربّ هذه البنيّة لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتموه، ألا وإني مخرج من طيّب مالي وحلاله ما لم يُقطع فيه رحم ولم يُؤخذ بظلم، ولم يدخل فيه حرام. وأسألكم بحرمة هذا البيت ألا يُخرج منكم رجل من ماله لكرامة زوّار بيت الله ومعونتهم إلّا طيباً، لم يؤخذ ظلماً، ولم يقطع فيه رحم، ولم يغتصب. فكانت قريش تخرج من صفو أموالها ما تحتمله أحوالها، وتأتي بها الى هاشم فيضعه في دار الندوة لضيافة الحاج، وكان هاشم يأمر بحياض من أُدم، يجعل في موضع زمزم من قبل أن تحتفر، يستقي فيها من البئار التي بمكة فيشرب الحاج، وكان يطعمهم أوّل ما يطعم قبل يوم التروية بيوم، بمكة ومنى وبجمع وبعرفة، وكان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق والتمر، ويحمل لهم الماء فيسقون بمنى ـ والماء يومئذ قليل ـ الى أن يصدروا.

وقال الجاحظ: كان يقال لهاشم: القمر. كان بين مطرود الخزاعي وبعض قريش شيء، فدعاه الى المحاكمة الى هاشم، وقال:

الى القمر الساري المنير دعوته ومطعمهم في الازل من قمع الجزر

وقال ابن بكار: قالوا لهاشم: عمرو العلي لمعاليه، وكان أول من سن

الرحلتين: رحلة الى الحبشة ورحلة الى الشام، وكانت قريش لا تعدو تجارتهم مكة، إنّما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ويتبايعون بها بينهم، ويبيعون من حولهم من العرب حتى رحل هاشم الى الشام، فنزل بقيصر فكان يذبح كلّ يوم شاة، ويضع جفنة من ثريد يدعو الناس فيأكلون. وكان من أحسن الناس خلقاً وتماماً، فذُكر لقيصر وقيل له: هاهنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصبّ عليه المرق ويفرغ عليه اللحم ويدعو الناس. وكانت الأعاجم والروم تضع المرق في الصحف تأتدم عليه بالخبز، فدعا به قيصر، فلمّا رآه وكلّمه أُعجب به، وجعل يرسل إليه فيدخل عليه، فلمّا رأى مكانه منه سأله أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر، وأن يكتب لهم كتاب الأمان في ما بينهم وبينه، ففعل. فبذلك ارتفع هاشم من قريش.

«ولا حرب كعبد المطلب» عن (الأغاني): أنّ معاوية قال لدغفل النسابة: أرأيت عبد المطلب كيف كان؟ قال: رأيت رجلاً نبيلاً وضيئاً كأنّ على وجهه نور النبوّة.

وفي (الكافي)[1]: عن الصادق عليه السلام: جاء النبي صلى الله عليه وآله وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذ عبد المطلب، فأهوى بعض ولده إليه لينحيه عنه، فقال له: دع ابني فان الملك قد أتاه[2].

وعنه عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله: سنّ عبد المطلب في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الاسلام: حرّم نساء الآباء على الأبناء، فأنزل تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء...﴾[3]. ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس

---

(١) الكافي ١ : ٤٤٨ ح ٢٦.

(٢) ذكره شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ٢٢٩ الباب ٢٨.

(٣) النساء : ٢٢.

وتصدّق به، فانزل تعالى: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل...﴾[1]. ولما حفر زمزم سمّاها سقاية الحاج، فأنزل تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر...﴾[2]. وسن في القتل مائة من الإبل، فأجرى الله تعالى ذلك في الاسلام. ولم يكن للطواف عدد عند قريش، فسنّ فيهم عبد المطلب سبعة أشواط، فأجرى الله تعالى ذلك في الاسلام. وكان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النُصب، ويقول: أنا على دين إبراهيم.

وعنه عليه السلام: أنّ عبد المطلب أوّل من قال بالبداء. يبعث يوم القيامة وعليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء، وكان يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لأحدٍ غيره، وكان له ولد يقومون على رأسه، فيمنعون من دنا منه.

وفي (الطبري)[3]: تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أُمية الى النجاشي الحبشي، فأبى أن ينفر بينهما، فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى العدوي، فقال لحرب: أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة، وأقلّ منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صفداً، وأطول منك مذوداً؟ فنفره عليه.

ورواه الجاحظ: قال نفيل لحرب:

أبوك معاهر وأبوه عف ... وذاد الفيل عن بلد حرام

قال في شرح قوله: «أبوك معاهر»: إنّ أُمية تعرّض لامرأة من زهرة، فضربه

(١) الأنفال : ٤١.

(٢) التوبة : ١٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ١٣.

رجل منهم بالسيف، فأراد أُمية إخراج زهرة من مكة، فقام دونهم قيس بن عدي السهمي - وكانوا أخواله، وكان منيع الجانب - وصاح: «اصبح ليل». فذهبت مثلاً، ونادى: «الآن الظاعن مقيم». وفي هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف جدّ النبي صلى الله عليه وآله لأُمّه:

مهلاً أُميّة فإن البغي مهلكة لا يكسبنّك يوم ذكره شرّ
تبدو كواكبه والشمس طالعة يصبّ في الكأس منه الصبر والمقر

وفي (أنساب البلادري): كان كعب بن لؤي عظيم القدر في العرب، فأرّخوا بموته إعظاماً له، ثم بعام الفيل، ثم أرّخوا بموت عبد المطلب.

وفي خبر النسّابة مع أبي بكر: أمنكم شيبة الحمد مُطعِم طير السماء؟ قال: لا.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ما عادانا بيت إلا وقد خرب ولا كلب إلا وقد جرب[1].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لما أقبل صاحب الحبشة بالفيل يريد هدم الكعبة، مروا بإبل لعبد المطلب فاستاقوها، فتوجّه عبد المطلب الى صاحبهم يسأله رد إبله، فقيل له: إنّه عظيم قريش، وهو رجل له عقل ومروة. فأكرمه وأدناه. ثم قال لترجمانه: سل ما حاجتك؟ فقال: إن أصحابك مروا بإبل لي فاستاقوها فأحببت أن تردّها عليّ. فتعجب من سؤاله ردّ الإبل، وقال: هذا الذي زعمتم أنّه عظيم قريش وذكرتم عقله، يدع أن يسألني أن أنصرف عن بيته الذي يعبده، أما لو سألني أن أنصرف عن هدمه لانصرفت. فأخبره الترجمان بمقالة الملك، فقال له عبد المطلب: إنّ لذلك البيت ربّاً يمنعه، وإنّما سألتك ردّ إبلي. فأمر بردّها عليه، ثمّ مضى عبد المطلب حتّى لقي الفيل على

---

(١) بحار الأنوار ٤: ١٢٧ الباب ٥٦.

طرف الحرم، فقال له: محمود فحرّك رأسه، فقال له: أتدري لِمَ جيء بك؟ فقال برأسه: لا. فقال: جاؤوا بك لتهدم بيت ربّك، أفتفعل؟ فقال برأسه: لا. فانصرف عبد المطلب وجاؤوا بالفيل ليدخل الحرم، فلمّا انتهى الى طرف الحرم امتنع.... .

وعن (انساب ابن بكار)[1]: أنّ ركباً من جذام خرجوا صادرين عن الحج من مكة، فوجدوا رجلاً من عالية بيوت مكة يقال له: حذافة، فربطوه وانطلقوا به، فتلقاهم عبد المطلب مقبلاً من الطائف ومعه ابنه أبو لهب يقود به ـ وحينئذ قد ذهب بصره ـ فلما نظر إليه حذافة هتف به، فقال لابنه: ويلك من هذا؟ قال: حذافة بن غانم العذري مربوطاً مع ركب. قال: فالحقهم وأطلق الرجل. فلحقهم وقال لهم: قد عرفتم تجارتي ومالي، أحلف لكم لأُعطينكم عشرين أوقية ذهباً، وعشراً من الإبل، وفرساً، وهذا ردائي رهناً. فقبلوا ذلك وأطلقوا حذافة، فلمّا أقبل به وقربا سمع عبد المطلب صوت أبي لهب، ولم يسمع صوت حذافة، فصاح بابنه: إنّك لعاص، ارجع لا أُمّ لك فائتِ به. قال: يا أبتاه هذا الرجل معي. فناداه عبد المطلب: يا حذافة، أسمعني صوتك. قال: ها أنا ذا بأبي أنت وأُمي يا ساقي الحجيج. أردفني. فأردفه حتّى دخل مكة، فقال حذافة يوصي ابنه خارجة بالانتماء الى بني هاشم:

أخارج إمّا أهلكنّ فلا تزَلْ لهم شاكراً حتى تُغيَّب في القبر
بني شيبة الحمد الكريمِ فعاله يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وعنه[2]: أنّ عبد المطلب أُتي في المنام، فقيل له: «احفر زمزم خبيئة الشيخ الأعظم». فاستيقظ فقال: «اللهم بيّن لي» فأُري في المنام مرّة أُخرى: «احفر مكتم، بين الرّفث والدم، في مبحث الغراب في قرية النمل مستقبلة

---

(١) لاوجود له في أنساب قريش لابن بكار، ولكن ما يتضمن معناه موجود في نسب قريش لمصعب الزبيري: ٣٧٥.

(٢) نقله عن نهج البلاغة ١٥: ٢١٤ ـ ٢١٥.

الانصاب الحمر». فقام فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينتظر ما سُمّي له من الآيات، فنحر بقرة بالجزورة فأفلتت من جازرها بحشاشة نفسها حتى غلبها الموت في المسجد في موضع زمزم، فاحتمل لحمها من مكانها، وأقبل غراب يهوى حتى وقع في الفرث، يبحث عن قرية النمل، فقام عبد المطلب يحفر، وقال: إنّي لحافر هذا البئر ومجاهد من صدّني عنها. فطفق يحفر هو وابنه الحارث ـ وليس له يومئذ ولد غيره ـ فيسفه عليهما الناس من قريش وينازعونهما، وتناهى عنه ناس من قريش لما يعلمون من زعيق نسبه وصدقه، حتى إذا أتعبه الحفر نذر إن وفى له عشرة من الولد أن ينحر أحدهم. ثمّ حفر فأدرك سيوفاً دفنت في زمزم حين دفنت، فلمّا رأت قريش أنّه قد أدرك السيوف قالت له: أجدنا ما وجدت. فقال: هذه السيوف لبيت الله. ثمّ حفر حتى أنبط الماء، فحفرها في القرار، ثم بحرها حتى لا تنزف، ثمّ بنى عليها حوضاً، وطفق هو وابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض، ليشرب منه الحاج، وكان قوم من قريش يكسرون الحوض حسداً له بالليل، فيصلحه حين يصبح، فلمّا أكثروا دعا ربّه، فأُري فقيل له: قل: «اللّهم إنّي لا أُحلها لمغتسل، وهي لشارب حلّ وبل». ثم كفيتهم، فقام حين اختلفت قريش في لمسجد، فنادى بالذي أري ثم انصرف، فلم يكن يفسد حوضه عليه أحد من قريش إلا رمي في جسده بداء، حتى تركوا حوضه ذلك وسقايته، ثم تزوّج النساء فولد له عشرة رهط، فقال: «اللّهم إنّي كنت نذرت لأنحر أحدهم وإنّي أقرع بينهم، فأصب بذلك من شئت» فأقرع بينهم فطارت القرعة على عبدالله ـ وكان أحبّ ولده إليه ـ فقال: اللّهم هو أحب اليك أم مائة من الإبل....

وقال: ويقال: كان يُعرف في عبد المطلب سيماء النبوّة، وهيبة الملك.

وعن (سيرة محمد بن إسحاق): لما أنبط عبد المطلب الماء في زمزم

حسدته قريش، فقالت له: إنّها بئر أبينا إسماعيل، وإنّ لنا فيها حقاً فاشركنا معك. قال: ما أنا بفاعل، إنّ هذا الأمر خصصت به دونكم. قالوا: فإنّا غير تاركيك. قال: فاجعلوا بيني وبينكم حكماً أُحاكمكم إليه. قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم. قال: نعم. وكانت باشراف الشام، فركب عبد المطلب في نفر من عبد مناف، وخرج من كل قبيلة من قريش قوم، والأرض إذ ذاك مفاوز، حتّى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، نفد ما كان مع عبدالمطلب وبني أبيه من الماء، فعطشوا عطشاً شديداً، فاستسقوا قومهم فأبوا ان يسقوهم، وقالوا: نحن بمفازة ونخشى على أنفسنا مثل الذي أصابكم، فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم وخاف على نفسه وأصحابه الهلاك، قال لأصحابه: ما ترون؟ قالوا: ما رأينا إلّا تبع لرأيك، فمرنا بما أحببت. قال: فإنّي أرى أن يحفر كل رجل منّا حفرة لنفسه بما معه الآن من القوّة، فكلما مات رجل دفنه أصحابه حتى يكون رجل واحد، فضيعة واحد أيسر من ضيعة ركب. قالوا: نِعم ما أشَرت. فقام كلّ رجل منهم فحفر حفيرة وقعدوا ينتظرون الموت، ثمّ إنّ عبدالمطلب قال لهم: والله ان لقاءنا بأيدينا كذا للموت لعجز، قوموا فعسى الله ان يرزقنا ماء ببعض الأرض، ارتحِلوا. فارتحَلوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون ما هم صانعون، فتقدم عبدالمطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعث به انفجر من تحت خفها عين ماء عذب، فكبّر وكبّر أصحابه، ثم نزل فشرب هو وأصحابه وملاؤوا اسقيتهم، ثمّ دعا القبائل من قريش، فقال لهم: هلموا إلى الماء، فقد أسقانا الله فاشربوا. فقالوا: قد قضى الله لك علينا، والله لا نخاصمك في زمزم ابداً. إنّ الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو سقاك زمزم فارجع إليها.

وروى كاتب الواقدي في (طبقاته): قصة أُخرى لعبد المطلب في ماء له

بالطائف، يقال له: ذوالهرم، مع جندب الثقفي، وانّهما تنافرا إلى الكاهن العذري بالشام، ونفد ماء عبدالمطلب ومن معه، فانفجرت عين من تحت جران بعير عبدالمطلب.

وعن القمي رفعه، قال: كان في الكعبة غزالان من ذهب وخمسة أسياف، فلما غلبت خزاعة جرهماً ألقت جرهم الأسياف والغزالين في بئر زمزم، وألقوا فيها الحجارة وطموها وعموا أثرها، فلمّا غلبت قصي على خزاعة لم يعرفوا موضع زمزم وخفي عليهم موضعها. فلما بلغ عبدالمطلب وكان يفرش له في فناء الكعبة، ولم يكن يفرش لأُحد هناك غيره، فبينا هو نائم في ظلّ الكعبة رأى في منامه: أن أتاه آتٍ فقال له: احفر بره. فقال: وما بره؟ ثم اتاه في اليوم الثاني فقال له: احفر طيبة. فقال: وما طيبة؟ ثم اتاه في اليوم الثالث فقال: احفر المصونة؟ قال: وما المصونة؟ ثم أتاه في اليوم الرابع فقال: «احفر زمزم، لا تبرح ولا تذم، تسقى الحجيج الأعظم، عند الغراب الأعصم، عند قرية النمل. وكان عند زمزم جحر يخرج منه النمل، فيقع عليه غراب أعصم يلتقط النمل كل يوم، فلما رأى عبدالمطلب هذه الرؤيا عرف موضع زمزم، فقال لقريش: إنّي عبرت في أربع ليال في حفر زمزم، وهي مأثرتنا وعزنا فهلموا نحفرها، فلم يجيبوه، فأقبل يحفرها هو بنفسه، وكان له ابن واحد وهو الحرث، وكان يعينه على الحفر، فلما صعب عليه ذلك تقدم إلى باب الكعبة، ثم رفع يديه ودعا الله تعالى، ونذر له إن رزقه عشرة بنين أن ينحر أحبّهم إليه تقرّباً إليه تعالى، فلمّا أن حفر وبلغ الطوى - طوى إسماعيل - وعلم أنّه قد وقع على الماء، كبّر وكبّرت قريش وقالوا: يا أبا الحرث هذه مأثرتنا ولنا فيها نصيب. فقال: لم تعينوني على حفرها، هي لي ولولدي في الدهر.

وفي (الطبري)[١]: كان سبب بدء الحلف الذي كان بين بني هاشم وخزاعة ـالذي افتتح النبيّ ﷺ بسببه مكة وقال: لتنصب هذه السحابة بنصر بني كعب ـأنّ نوفل بن عبد مناف ـوكان آخر من بقي من عبد مناف ـ ظلم عبدالمطلب على اركاح له ـوهي الساحات ـوكانت أُمّ عبدالمطلب سلمى بنت عمرو النجاري من الخزرج فتنصف عبدالمطلب عمه فلم ينصفه، فكتب إلى أخواله:

يا طول ليلي لأحزاني وأشغالي هل من رسول إلى النجار أخوالي

فقدم عليه منهم ثمانون راكباً فأناخوا بفناء الكعبة، فلمّا رآهم نوفل قال لهم: أنعموا صباحاً. فقالوا له: لانعم صباحك أيّها الرجل! انصف ابن اختنا من ظلامته. قال: أفعل بالحب لكم والكرامة. فرد عليه الأركاح، فدعا ذلك عبدالمطلب إلى الحلف مع خزاعة ـإلى أن قال ـ واسمه شيبة لأنّه كان في رأسه شيبة، وقيل له: عبدالمطلب؛ لأن أباه كان شخَص في تجارة له إلى الشام، فسلك طريق المدينة إليها، فلما قدم المدينة نزل على زيد بن عمرو الخزرجي ـأو عمرو بن زيد الخزرجي على اختلاف الروايات ـ فرأى ابنته سلمى فأعجبته فخطبها إلى أبيها، فأنكحه وشرط عليه: ألا تلد ولداً إلّا في أهلها. ثمّ مضى هاشم لوجهته قبل أن يبني بها، ثمّ انصرف راجعاً، فبنى بها في أهلها فحملت منه، ثمّ ارتحل إلى مكة وحملها معه، فلمّا أثقلت ردّها إلى أهلها ومضىٰ إلى الشام، فمات بها بغزّة، فولدت سلمى عبد المطلب، فمكث بيثرب سبع سنين أو ثماني.

ثمّ إنّ رجلاً من بني الحرث بن عبد مناف مرّ بيثرب، فإذا غلمان ينتضلون، فجعل شيبة إذا خسق قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء. فقال

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٥٠.

له الحارثي: من أنت؟ قال: أنا شيبة بن هاشم. فلمّا اتى الحارثي مكة قال للمطلب، وهو جالس في الحجر: تعلم أنّي وجدت غلماناً ينتضلون بيثرب، وفيهم غلام إذا خسق، قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيّد البطحاء؟ فقال المطلّب: والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به. فقال له الحارثي: هذه ناقتي بالفناء فاركبها. فجلس المطلب عليها، فورد يثرب عشاء حتى أتى بني عدي بن النجار، فإذا غلمان يضربون كرة بين ظهري مجلس، فعرف ابن أخيه، فقال للقوم: أهذا ابن هاشم؟ قالوا: نعم، هذا ابن أخيك، فإن كنت تريد أخْذه فالساعة قبل أن تعلم به أُمّه، فإنّها إن علمت لم تدعه، وحلنا بينك وبينه. فدعاه وقال: يا بن أخي، أنا عمّك أردت الذهاب بك إلى قومك. وأناخ راحلته، فما كذب أن جلس على عجز الناقة، فانطلق به ولم تعلم به أُمّه، حتى كان اللّيل فقامت تدعو بحربها على ابنه، فأُخبرت أنّ عمّه ذهب به. وقدم به المطلب ضحوة والنّاس في مجالسهم فجعلوا يقولون: من هذا؟ فقال: عبد لي. ثم خرج المطلب حتى أتى الجزورة، فاشترى حلة فألبسها شيبة، ثم خرج به حين كان العشي إلى مجلس بني عبد مناف....

وقال الجاحظ مع نصبه: وقد أعطى الله عبدالمطلب في زمانه، وأجرى على يديه، وأظهر من كرامته ما لا يُعرف مثله إلّا لنبيّ مرسل، وأنّ في كلامه لأبرهة صاحب الفيل، وتوعده إيّاه بربّ الكعبة، وتحقيق قوله من الله تعالى ونصره وعيده بحبس الفيل، وقتل أصحابه بالطير الابابيل وحجارة السجيل حتى تركوا كالعصف المأكول، لأعجب البرهانات وأسنى الكرامات -إلى أن قال ـ ولو شئنا أن نذكر ما أعطى الله عبدالمطلب من تفجير العيون، وينابيع الماء من تحت كلكل بعيره، واخفائه بالارض القسي، وبما اعطى من المساهمة وعند المقارعة من الأُمور العجيبة والخصال البائنة، لقلنا.

وروى ابن بكار عن ابن شهاب قال: أوّل ما ذكر من عبدالمطلب أنّ قريشاً خرجت فارّة من الحرب خوفاً من أصحاب الفيل ـ وعبدالمطلب يومئذ غلام شاب ـ فقال: والله لا أخرج من حرم الله أبغي العزّ في غيره. فجلس في البيت، وأجلت قريش عنه، فقال عبدالمطلب:

اللّهم إنّ المرء يمـ ـنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبنّ صليبهم ومحالهم أبداً محالك

فلم يزل ثابتاً في الحرم حتى أهلك الله الفيل وأصحابه، فرجعت قريش وقد عظم فيهم بصيرته وتعظيمه.

وفي (الكافي)[1]: أنّ عبدالمطلب قال لبعض مواليه لمّا جاء أبرهة: اعل الجبل فانظر، ترى شيئاً؟ فقال: أرى سواداً من قبل البحر. فقال له: يصيبه بصرك أجمع؟ قال: لا، وأوشك أن يصيب. فلمّا أن قربت قال: هو طير كثير ولا اعرف، يحمل كلّ طير في منقاره حبة حصاة مثل حصاة الحذف أو دونها. فقال عبدالمطلب: وربّ عبدالمطلب ما تريد إلّا القوم. حتى لما صارت فوق رؤوسهم أجمع، ألقت الحصاة فوقعت كل حصاة على هامة رجل، فخرجت من دبره فقتلته، فما انفلت منهم إلّا رجل واحد يخبر الناس، فلمّا أخبرهم ألقت عليه حصاة فقتلته.

وفي (حياة حيوان الدّميري): في عنوان الغراب: ذكر المسعودي[2]: أنّ أُميّة بن أبي الصلت كان مصحوباً يبدو له الجن، فخرج في عير من قريش، فمرّت به حية فقتلوها، فاعترضت لهم حية أُخرى تطلب به ثأرها، وقالت: قتلتم فلاناً. ثمّ ضربت الارض بقضيب، فنفرت الإبل فلم يقدروا عليها إلّا بعد عناء

---

(١) الكافي ١: ٤٤٨ ح ٢٥.

(٢) المسعودي ٢: ١٦١.

شديد، فلما جمعوها جاءت ثانية، فضربت فنفرت فلم يقدروا عليها إلّا بعد نصف الليل، ثم جاءت فضربت ثالثة، فنفرتها فلم يقدروا عليها حتى كادوا أن يهلكوا عطشاً وعناء، وهم في مفازة لا ماء بها، فقالوا لأُميّة: هل عندك من حيلة؟ قال: لعلها. ثم ذهب حتى جاوز كثيباً، فرأى ضوء نار على بعد فاتبعه، حتى أتى على شيخ في حناء، فشكا إليه ما نزل به وبصحبه ـ وكان الشيخ جنياً ـ فقال: فاذهب فإن جاءتكم فقولوا: «باسمك اللهم» سبعاً. فرجع إليهم، وقد أشرفوا على الهلاك، فأخبرهم بذلك، فلما جاءتهم الحية قالوا ذلك، فقالت: تبأ لكم، من علّمكم هذا؟ ثم ذهبت. وأخذوا إبلهم وكان فيهم حرب ابن أُميّة، فقتلته الجن بعد ذلك بثأر الحية المذكورة، وقالوا فيه:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

وفي (الأغاني)[1]: مرّ حرب ابن أُميّة ومرداس ـ أبو العباس بن مرداس ـ بغيضة ملتفة الشجر، فاحرقا شجرها ليتخذاها مزرعة، فكانت تخرج من الغيضة حباب بيض فتطير حتى تغيب، ومات حرب ومرداس عقيب ذلك، فتحدّث قومهما: أنّ الجن قتلتهما لإحراقهما منازلهما من الغيضة. وذلك قبل البعثة بحين. ثمّ كانت بين أبي سفيان بن الحرب والعباس بن مرداس منازعة في هذه القرية.

«ولا أبو سفيان كأبي طالب» أمّا الأوّل فقال الجاحظ: قام أبو سفيان مقام أبيه فخالفه أبو الأزيهر الدوسي، وكان عظيم الشأن في الأزد، وكانت بينه وبين بني الوليد بن مغيرة محاكمة في مصاهرة كانت بين الوليد وبينه، فجاء هشام بن الوليد وأبو الازيهر كان قاعداً في مقعد أبي سفيان بذي المجاز، فضرب عنقه، فلم يدركه به أبو سفيان عقلاً ولا قوداً في بني المغيرة.

---

(١) الأغاني ٦: ٣٤١.

ولمّا كتب معاوية إلى زياد لمّا كان على فارس بعد أمير المؤمنين عليه السلام وهدّده وعيّره، أجابه زياد: وأمّا تعييرك لي بسميّة فإن كنتُ ابن سميّة، فأنت ابن حمامة! ويأتي أنّ حمامة أمّ أبي سفيان كانت بغياً صاحبة راية في الجاهلية.

وأمّا الثاني فقال ابن بكار: كان كافل النبيّ صلى الله عليه وآله وحاميه من قريش، وناصره والرفيق به، والشفيق عليه ووصيّ عبدالمطلب فيه، وكان سيد بني هاشم في زمانه، ولم يكن أحدٌ من قريش يسود في الجاهلية الّا بمال، إلّا أبو طالب، وأبو طالب أوّل من سنّ القسامة في دم عمرو بن علقمة، ثم أثبتتها السنّة في الاسلام، وكانت السقاية بيده، ثم سلّمها إلى أخيه العباس.

وقال معاوية لعمرو بن العاص -بعد ضرب الخارجي صاحبه له ضربة عالج منها، وقتل الخارجي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام له، وعدم ظفر صاحب عمرو به:-

نجوت وقد بل المراديُّ سيفه من ابن أبي - شيخ الأباطح - طالب

وفي خبر[1] الكندي الذى رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في أوّل أمره يُصلي ومعه غلام وامرأة، وسأل العباس عنه، وأجابه بأنّه ابن أخيه محمّد بن عبدالله يزعم أنّه نبيّ، ولم يتبعه إلّا هذا الغلام: وهو ابن أخي عليّ بن أبي طالب، وهذه المرأة: وهي امرأته خديجة بنت خويلد. قال له: فما تفعلون؟ قال ننتظر ما يفعل الشيخ. يعني: أبا طالب.

وكان اسمه عبد مناف، فلمّا مات عبدالمطلب أوصى إليه بالنبي، وقال لأبي طالب في أبيات:

أُوصيك يا عبد مناف بعدي بواحد بعد أبيه فرد

(١) نهج البلاغة ١: ٢٩.

فارقه وهو ضجيع المهد   فكنتُ كالأُمّ له في الوجد

وعن ابن عساكر[١]: قال جلهمة بن عرفة: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي، وأجدب العيال، فهلم لنستسقي. فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنّ وجهه شمس دجى تجلت عنه سحابة قتماء، فأخذه وألصق ظهره بالكعبة، ولاذ الغلام بإصبعه وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب منْ هاهنا وهاهنا وأغدق وانفجر الوادي، وأخصب النادي والبادي، فقال أبو طالب:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عِصمةٌ لِلأرامِلِ
تَطُوفُ بِهِ الهلّاك مِنْ آلِ هاشم   فَهُمْ عنده في نِعْمَةٍ وَفَواضِلِ
لقد عَلِمُوا أنَّ ابننا لا مكذّب   لِدينا وَلا يَعبأ بقولِ الأباطِلِ
فَأيّدَهُ رَبُّ العبادِ بِنَصرِهِ   وَأظهَرَ ديناً حقّه غير ناصِلِ

قلت: والظاهر أنّ أبا طالب قال الأبيات بعد ذلك، وأشار في قوله: «وأبيض...» إلى تلك الواقعة.

وفي (تفسير القمي): حمل عليّ عليه السلام وحمزة يوم بدر عبيدة بن الحارث بن المطلب لما ارتث إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فنظر إليه واستعبر، وقال له: أنت أوّل شهيد من أهل بيتي. فقال عبيده: أمّا إنّ عمك لو كان حياً لعلم أنّي اولى بما قال منه، حيث يقول:

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً   ولما نطاعن دونه ونناضل
وننصره حتّى نصرّع حوله   ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة؟ فقال عبيدة للنبيّ صلى الله عليه وآله: أسخطت

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢: ١٦١ ـ ١٦٢.

عليّ في هذه الحالة؟ قال: لا، ولكن ذكرت عمي فانقبضت.

وفي (الكافي)[١] عن الصادق عليه السلام وقد قيل له: إنّهم يزعمون أنّ أبا طالب كان كافراً. فقال: كذبوا كيف؟ وهو يقول:

الم يعلموا أنّا وجدنا محمداً نبيّاً كموسى خط في أوّل الكتب

وعنه عليه السلام[٢] في خبر آخر: كيف يكون كافراً؟ وهو يقول:

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذب لدينا ولا نعبأ بقيل الأباطل

واشتهر عن المأمون قال: أسلم والله أبو طالب بقوله:

نصرت الرسول رسول الاله ببيض تلالا كلمع البروق

اذبّ واحمي رسول الاله حماية عمّ عليه شفيق

وروى المهدي العباسي عن أبيه المنصور ـ كما رواه (تاريخ بغداد)[٣] في عنوان معاوية بن عبيد الله كاتب المهدي ـ عن عطاء عن ابن عباس قال: عارض النبيّ صلى الله عليه وآله جنازة أبي طالب وقال له: وصلتك رحم وجزاك خيراً ياعم.

وفي (الكافي)[٤] عن الصادق عليه السلام: لمّا توفّي أبو طالب قال جبرئيل للنبيّ عليه السلام: اخرج من مكة فليس لك فيها ناصر.

وفي (الكافي)[٥]: عن الكاظم عليه السلام قال لدرست بن أبي منصور كان أبو طالب مستودعاً للوصايا، فدفعها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فمات من يومه.

هذا، وروى (نوادر حج الكافي)[٦]: عن داود الرقى قال: دخلت على أبي

---

(١) الكافي ١: ٤٤٨ ح ٢٩.

(٢) الكافي ١: ٤٤٨ ح ٢٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ١٩٦.

(٤) الكافي ١: ٤٤٩ ح ٣١.

(٥) الكافي ١: ٤٤٥ ح ١٨.

(٦) الكافي ٤: ٥٤٤ ح ٢١.

عبدالله عليه السلام، ولي على رجل مال قد خفت تواه، فشكوت إليه ذلك، فقال لي: إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً، وصلّ ركعتين عنه، وطف عن أبي طالب طوافاً، وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبدالله طوافاً، وصلّ عنه ركعتين، وطف عن آمنة وصلّ عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد وصلّ عنها ركعتين، ثم ادع أن يردّ عليك مالك. قال: ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا، وإذا غريمي واقف يقول: يا داود حبستني، تعال فاقبض مالك.

وإخواننا يعتقدون أنّ غير فاطمة بنت أسد كل من في الخبر كافر.

«ولا الصريح كاللصيق» عن الزمخشري في (ربيع الابرار): كان معاوية يعزى إلى أربعة: مسافر بن أبي عمرو، وعمارة بن الوليد بن المغيرة، والصباح مغني عمارة، والعباس.

وروى ابن أبي الحديد[1] في موضع آخر: أنّ عقيلاً دخل بعد وفاة أخيه عليه السلام على معاوية وحوله جلساؤه فقال له: أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك، فقد وردت عليهما. قال: أُخبرك. مررت والله بعسكر أخي، فإذا ليل كليل رسول الله، ونهار كنهار رسول الله صلى الله عليه وآله، ما رأيت إلّا مصلّياً ولا سمعت إلّا قارياً. ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر بالنبيّ صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، ثم قال لمعاوية: من هذا عن يمينك يا معاوية؟ قال: عمرو بن العاص. قال: هذا الذي اختصم فيه ستة نفر فغلب عليه جزار قريش، فمن الآخر؟ قال: الضحاك بن قيس الفهري. قال: أما والله لقد كان أبوه جيد الأُخذ لعسب التيوس، فمن هذا الآخر؟ قال: أبو موسى الأشعري. قال: هذا ابن السراقة. فلمّا رأى معاوية أنّه قد أغضب جلساءه، علم أنّه إن استخبره عن نفسه، قال فيه سوءاً فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من السوء، فيذهب

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٤ ـ ١٢٥.

بذلك غضب جلسائه، فقال له: فما تقول فيّ؟ قال: دعني من هذا. قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة؟ قال: قد أخبرتك. ثم قام فمضى، فأرسل معاوية إلى نسابة، فقال: من حمامة؟ قال: لي الأمان؟ قال: نعم. قال: أمّ أبي سفيان أبيك كانت بغيّاً في الجاهلية صاحبة راية. فقال معاوية لجلسائه: قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا.

وفي (الطرائف) عن (مثالب هشام الكلبي): كانت لحمامة جدة معاوية راية بذي المجاز، وكان معاوية لأربعة -إلى أن قال- وكانت أُمّه من المغتلمات.

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) -في قصة طلب عمرو بن العاص والوليد بن عقبة والمغيرة من معاوية أن يحضر الحسن عليه السلام لتخجيله-: قال الحسن عليه السلام لمعاوية: «وقد علمت الفراش الذي ولدت عليه» قال الكلبي: عامة الناس على أنّ معاوية من مسافر بن أبي عمرو لأنّه كان أشدّ حبّا لهند. فلمّا حملت هند بمعاوية خاف مسافر أن يظهر أنّه منه، فهرب إلى ملك الحيرة هند بن عمرو، ثم إنّ أبا سفيان قدم الحيرة فلقيه مسافر، وهو مريض من عشقه لهند وقد سقى بطنه -إلى أن قال- ثم مات مسافر من عشقه لهند -إلى أن قال- وجرى بين إسحاق بن طابة ويزيد بن معاوية كلام بين يدي أبيه. فقال يزيد لإسحاق: إنّ خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلّهم الجنة. أشار إلى أنّ أُمّ إسحاق كانت تتهم ببعض بني حرب، فقال له إسحاق: إنّ خيراً لك أن يدخل بنو العباس كلّهم الجنة. فلم يفهم يزيد مراده وفهمه معاوية، فلمّا قام إسحاق قال معاوية ليزيد: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك؟ قال: قصدت شين إسحاق. قال: وهو أيضاً قصد شينك. قال: وكيف؟ قال: أما علمت أنّ بعض قريش في الجاهلية يزعمون أنّي للعباس؟ فسقط في يدي يزيد.

وقال الشعبي: وقد أشار النبيّ ﷺ إلى هند يوم فتح مكة بشيء من هذا، فانّها لمّا جاءت تبايعه ـ وكان قد أهدر دمها ـ قالت: علام أُبايعك؟ فقال: على ألّا تزنين. فقالت: وهل تزني الحرة؟ فعرفها النبيّ ﷺ، فنظر إلى عمر فتبسم.

هذا، وقالوا: من حمقى بني أُميّة بكار بن عبدالملك بن مروان، وكان أبوه ينهاه إلى ان يجلس إلى خالد بن يزيد. فجلس يوماً إليه فقال بكار: أنا والله كما قال الأول:

يرددني بني اللخناء ترديداً

هذا وفي (أصنام ابن الكلبي): كانت لقريش أصنام في جوف الكعبة، وكان أعظمها عندهم هبل، وكان في جوف الكعبة قدّامه سبعة أقدح، مكتوب في أوّلها: «صريح» والآخر: «ملصق». فإذا شكّوا في مولود، اهدوا هدية، ثم ضربوا بالقداح فإن خرج «صريح» الحقوه به، وإن خرج «ملصق» دفعوه.

هذا، ويقال لربيعة ومضر: الصريحان من ولد نزار، وكان ولده أربعة: هما مع إياد وأنمار. ويقال لقصي وزهرة ابني كلاب: صريحا قريش.

«ولا المحق كالمبطل» في (مناقب ابن طلحة الشافعي): قدمت سودة بنت عمارة الهمدانية بعد عليّ عليه السلام على معاوية، فجعل يؤنّبها على تحريضها عليه أيام صفين ـ إلى أن قال ـ قال معاوية لها: ما حاجتك؟ قالت: إنّ الله سائلك عن أمرنا، ولا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك، ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، وهذا بسر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا فإن عزلته عنّا شكرناك وإلّا كفرناك. فقال معاوية: إيّايَ تهددين بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردّك إليه، فينفذ فيك حكمه.

فأطرقت سودة ساعة، ثم قالت:

صلّى الإله على روح تضمنها	قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغى به بدلاً	فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟ فقالت: هذا والله أمير المؤمنين علي بن أبي‌طالب والله لقد جئته في رجل كان ولّاه صدقاتنا، فجار علينا، فجئته فصادفته قائماً يصلّي، فلما رآني انفلت من صلاته، ثمّ أقبل عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطّف، وقال: ألك حاجة؟ فقلت: نعم. وأخبرته، فبكى ثمّ قال: «اللّهمّ أنت الشاهد عليّ وعليهم أني لم آمرهم بظلم خلقك. ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد، فكتب فيها: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم... قد جاءتكم بيّنة من ربّكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض... ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾[1] فإذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم من يقبضه منك. ثمّ رفع الرقعة إليّ فوالله ما ختمها بطين ولا خزمها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فانصرف عنّا معزولاً.

«ولا المؤمن كالمدغل» أي: المفسد والغاش ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[2].

وقد أجمعوا على أنّه عليه‌السلام المراد من المؤمن في الآية.

وفي (صفين نصر)[3] قال الأصبغ: جاء رجل إلى عليّ عليه‌السلام فقال: هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة والحج واحد، فبِمَ نسميهم؟ قال: بما سمّاهم الله في كتابه ـ قال: ما كل ما في الكتاب

---

(١) الأعراف: ٨٥.

(٢) السجدة: ١٨.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢٢.

أعلمه. قال: أما سمعت الله يقول: ﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض ـإلى ـ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾[١]؟ فلمّا وقع الاختلاف كنا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبي وبالحقّ، فنحن الذين آمنوا، وهم الذين كفروا وشاء الله قتالهم، فقاتلناهم هدى بسنّة الله ربنا وارادته.

وفي (مروج المسعودي)[٢]: قال ابن بكار في (موفقياته): سمعت المدائني يقول: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي إلى معاوية، فكان أبي يتحدّث عنده ثم ينصرف إليّ، فيذكر معاوية ويذكر عقله، ويعجب مما يرى منه، إذ جاءت ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فظننت أنّه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ قال: يا بني إنّي جئت من عند أخبث الناس. قلت له: وماذاك. قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت مناك فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فانّك قد كبرت، ولو نظرت الى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال لي: هيهات، ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ماعدا ان هلك، فهلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين، فوالله ماعدا أن هلك، فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل: قال عمر. ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد مثل نسبه، فعمل ما عمل وعمل به، فوالله ما عدا أن هلك، فهلك ذكره وذكر ما فعل به، وإنّ أخا هاشم يصرخ به في كلّ يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمداً رسول الله؛ فأي عمل يبقى مع هذا، لا أمّ لك؟ والله ألا دفنا دفنا.

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٤٠ ـ ٤١.

«ولبئس الخلف خلفا» هكذا في (المصرية)[١] وهو غلط، والصواب: (خلف) كما هو القاعدة وكما في (ابن أبي الحديد)[٢] و(ابن ميثم)[٣].

وفي (مقاتل أبي الفرج)[٤]: لمّا بويع معاوية خطب فذكر علياً عليه السلام، فنال منه ونال من الحسن عليه السلام، فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه، فأخذ الحسن عليه السلام بيده فأجلسه، ثم قام فقال: أيّها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر وأُمّي فاطمة وأُمّك هند، وجدي رسول الله وجدّك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله ألأمنا ذكراً، وأخسنا حسباً وشرفاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً. فقال طوائف من المسجد: آمين.

«يتبع سلفاً في نار جهنم» في (لهوف ابن طاووس): لمّا جعل يزيد ينكت بقضيبه ثنايا الحسين عليه السلام ويتمثل بأبيات ابن الزبعرى ويزيد عليها:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تُشل

قامت زينب وقالت في ما قالت له: تهتف بأشياخك؟! فلتردن وشيكاً موردهم، ولتودّن انك شُللت وبكمت ولم يكن فعلت ما فعلت وقلت ما قلت.

«وفي أيدينا بعد فضل النبوة» في (مناقب ابن طلحة الشافعي): قال جابر الأنصاري: سمعت علياً عليه السلام ينشد والنبي صلى الله عليه وآله يسمع:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي

«التي أذللنا بها العزيز» كأبي سفيان أبيه.

«ونعشنا» أي: رفعنا.

---

(١) الطبعة المصرية: ١٨ الكتاب ١٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١١٧.

(٣) شرح ابن ميثم ٤: ٣٨٩.

(٤) المقاتل لأبي الفرج: ٤٦.

«بها الذليل» كسلمان ومقداد وعمّار؛ هنا وفي (تاريخ بغداد)[1]: قال أعراب من كلاب لدعبل ـ وكان هجاهم ـ: ممّن أنت؟ فكره دعبل أن يقول: من خزاعة فيهجوهم فقال: أنا أنتمي الى القوم الذين يقول فيهم الشاعر:

أُناس علي الخير منهم وجعفر وحمزة والسجاد ذو الثفنات

إذا افتخروا يوماً أتوا بمحمد وجبريل والقرآن والسورات

فوثب الاعرابي وهو يقول: محمد وجبريل والقرآن والسورات! مالي الى هؤلاء مرتقى، مالي الى هؤلاء مرتقى.

وفي (الأغاني)[2]: وفد عمر بن أبي ربيعة على عبد الملك، فقال له: أخبرني عن منازعتك اللهبي في المسجد الجامع، فقد أتاني نبأ ذلك، وكنتُ أحبّ أن أسمعه منك. فقال: بينا أنا جالس في المسجد الحرام في جماعة من قريش، إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة فسلّم وجلس، ووافقني وأنا أتمثل بهذا البيت:

وأصبح بطن مكة مقشعراً كان الأرض ليس بها هشام

فأقبل علي، فقال: يا أخا بني مخزوم والله إنّ بلدة تبجح بها عبد المطلب، وبعث فيها النبي صلى الله عليه وآله، وفيها بيت الله تعالى، لحقيقة ألا تقشعر لهشام. وإنّ أشعر من هذا البيت وأصدق، قول من يقول:

إنّما عبد مناف جوهر زين الجوهر عبد المطلب

فأقبلت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم إنّ أشعر من صاحبك، الذي يقول:

إنّ الدليل على الخيرات أجمعها ابناء مخزوم للخيرات مخزوم

فقال لي: أشعر ـ والله ـ من صاحبك، الذي يقول:

---

(١) تاريخ بغداد ٨: ٣٨٣.

(٢) الأغاني ١٦ : ١٨٧ .

جبريل أهدى لنا الخيرات أجمعها آرام هاشم لا أبناء مخزوم

فقلت في نفسي: غلبني والله، ثم حملني الطمع في انقطاعه عني، فقلت له: بل أشعر منه الذي يقول:

أبناء مخزوم الحريق اذا حرّكته تارة ترى ضرما

يخرج منه الشرار مع لهب من حاد عن حدّه فقد سلما

فوالله ما تلعثم أن أقبل عليّ بوجهه، فقال: يا أخا بني مخزوم، أشعر من صاحبك وأصدق، الذي يقول:

هاشم بحر اذا سما وطما أخمد حر الحريق واضطرما

واعلم ـ وخير القول أصدقه ـ بأن من رام هاشماً هشما

فتمنيت والله أنّ الأرض ساخت بي، ثم تجلدت عليه، فقلت: يا أخا بني هاشم أشعر من صاحبك، الّذي يقول:

أبناء مخزوم أنجم طلعت للناس تجلو بنورها الظلما

تجود بالنيل قبل تسأله جوداً هنيئاً وتضرب البهما

فأقبل عليّ بأسرع من اللحظ، ثم قال: أشعر من صاحبك وأصدق، الذي يقول:

هاشم شمس بالسعد مطلعها اذا بدت أخفت النجوم معا

اختارنا الله في النبي فمن قارعنا بعد أحمد قُرعا

فاسودّت الدنيا في عيني، فانقطعت فلم أجد جواباً، ثمّ قلت له: يا أخا بني هاشم إن كنت تفتخر علينا بالنبي صلى الله عليه وآله، فما تسعنا مفاخرتك. فقال: كيف لا نفتخر به ولو كان منك لفخرت به عليّ؟ فقلت: صدقت، إنّه لموضع الفخار. وسررت بقطعه الكلام، ثم إنّه ابتدأ المناقضة، ففكّر هنيئة ثم قال: قد قلت فلم أجد بدا من الاستماع. فقلت: هات. فقال:

نحن الذين إذا سما بفخارهم ذو الفخر أقعده هناك القعدد
افخر بنا إن كنت يوماً فاخراً تلق الألى فخروا بفخرك افردوا
قل يا بن مخزوم لكلّ مفاخر منّا المبارك ذو الرسالة أحمد
ماذا يقول ذوو الفخار هنا لكم هيهات ذلك هل ينال الفرقد

فحصرت وتبلّدت، ثم قلت له: انظرني. وأفكرت مليّاً ثم أنشأت أقول:

لا فخر إلّا قد علاه محمد فاذا فخرت به فانّي أشهد
ان قد فخرت وفقت كلّ مفاخر وإليك في الشرف الرفيع المقصد
ولنا دعائم قد تناهى أول في المكرمات جرى عليها المولد
من رامها حاشى النبيّ وأهله في الأرض غطغطه الخليج المزبد
دع وذا ورح بفناء خود بضة مما نطقت به وغنّى معبد
مع فتية تندى بطون أكفّهم جوداً إذا هز الزمان الأنكد
يتناولون سلافة عامية طابت لشاربها وطاب المقعد

فوالله لقد أجابني بجواب كان أشدّ علي من الشعر، فقال لي: يا أخا بني مخزوم أُريك السها، وتريني القمر. وهذا مثل، أي: تخرج من المفاخرة الى شرب الراح ـ الى أن قال ـ فقلت: لا أرى شيئاً أصلح من السكوت. فضحك وقام عني. قال: فضحك عبد الملك حتى استلقى، وقال: يا بن أبي ربيعة أما علمت أنّ لبني عبد مناف ألسنة لا تطاق؟

قلت: قول عبد الملك نظير قول معاوية: «إنّا بنو عبد مناف».

«ولمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجا» قال تعالى: ﴿اذا جاء نصر الله والفتح* ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾[1].

«وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً» بعد فتح مكة.

---

(١) النصر: ١ ـ ٢.

«كنتم ممّن دخل الدين إمّا رغبة وإما رهبة» لأنّ إسلامهم كان بعد الفتح، وقال صلى الله عليه وآله بعد الفتح لأهل مكة كما في (الطبري)[1]: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» فاعتقهم وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئاً. وانما قوله عليه السلام: «إما رغبة وإمّا رهبة» نظير قوله تعالى: ﴿وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾[2]. وإلّا فمعلوم كون دخولهم في الدين رهبة.

«على حين فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم» في (الطبري)[3]: قال العباس لأبي سفيان قبل أن يرد النبي صلى الله عليه وآله مكة: اركب عجز بغلتي لاستأمن لك النبي صلى الله عليه وآله، فوالله لئن ظفر ليضربن عنقك ـ الى أن قال ـ فلمّا رأى النبي صلى الله عليه وآله أبا سفيان قال له: ويحك! ألم يأن لك أن تعلم ألّا إله إلّا الله؟ فقال: والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره، لقد أغنى عني شيئاً. فقال: ويحك! ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟ فقال: أمّا هذه ففي النفس منها شيء. فقال له العباس: ويلك! تشهّد شهادة الحق قبل أن يضرب عنقك. فتشهد، فقال النبي صلى الله عليه وآله للعباس: احبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي، حتى تمرّ عليه جنود الله ـ الى أن قال ـ فقال أبو سفيان للعباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقال له العباس: ويحك! إنّها النبوّة. فقال: نعم إذن ـ الى أن قال ـ قال الواقدي: وأمر النبي صلى الله عليه وآله بقتل ستة نفر، وأربع نسوة، منهن هند أُم معاوية ـ إلى أن قال ـ فجاءته هند متنقّبة متنكّرة، لحدثها وما كان من صنيعها بحمزة، في بيعة النساء ـ إلى أن قال ـ قال لهن: «ولا تسرفن». فقالت هند: والله إن كنت لأُصيب من مال أبي سفيان الهنة الهنة. فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: وإنّك لهند؟ قالت:

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٦١.

(٢) سبأ: ٢٤.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٥٣.

أنا هند، فاعف. قال: «ولا تزنين» قالت: وهل تزني الحرة؟ فقال: «ولا تقتلن أولادكن». فقالت: «ربيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً»، فانت وهم أعلم. فضحك عمر من قولها حتى استغرب.

«فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً ولا على نفسك سبيلاً» بادّعاء الباطل؛ فقد قال النبي ﷺ ـ كما رواه (صفّين نصر)[1]: ـ اذا رأيتم معاوية يخطب على منبري، فاضربوا عنقه.

وفيه[2]: خرج عمّار يوم الثالث، وخرج إليه عمرو بن العاص، فجعل عمّار يقول: يا أهل الاسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله، وجاهدهما وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين، فلمّا أراد الله أن يظهر دينه، وينصر رسوله أتى النبي ﷺ فأسلم، وهو والله مايرى راهب غير راغب، وقبض الله رسوله وإنّا والله لنعرفه بعداوة المسلم، ومودة المجرم؟ ألا وإنّه معاوية، فالعنوه لعنه الله، وقاتلوه فإنّه ممّن يُطفئ نور الله، ويظاهر أعداء الله.

ومر في (١١) فصل الإمامة العامة: أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين والأنصار، ولكلّ فضل، حتى اذا استشهد شهيدنا قيل: سيد الشهداء وخصّه رسول الله ﷺ بسبعين تكبيرة....

٧
الخطبة (٥٥)

ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين:

أَمَّا قَوْلُكُمْ أَكُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ ٱلْمَوْتِ؟ فو الله، مَا أُبَالِي دَخَلْتُ عَلَى

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣١٦.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٤.

ٱلْمَوْتِ، أَوْ خَرَجَ ٱلْمَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: شَكّاً فِي أَهْلِ ٱلشَّامِ؛ فَوَاللهِ، مَا دَفَعْتُ ٱلْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي، وَذلك أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.

أقول: قال ابن أبي الحديد[1]: لما ملك أمير المؤمنين عليه السلام الماء بصفين، ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه، استمالة لهم واظهاراً للمعدلة وحسن السيرة فيهم، مكث أيّاماً لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه من عنده أحد، فاستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال وقالوا له عليه السلام: خلّفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطناً؟ ائذن لنا في القتال، فإنّ الناس قد قالوا. فقال عليه السلام: ما قالوا؟ فقيل: إنّ الناس يظنّون أنّك تكره الحرب كراهية للموت، وإنّ من الناس من يظن أنّك في شكّ من قتال أهل الشام. فقال عليه السلام: ومتى كنت كارهاً للحرب قطّ؟ إنّ من العجب حبي لها غلاماً ويافعاً، وكراهتي لها شيخاً بعد نفاد العمر وقرب الموت، وأمّا شكي في القوم فلو شككت فيهم، لشككت في أهل البصرة، والله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً، فما وجدت يسعني إلّا القتال، أو أن أعصي الله ورسوله، ولكنّي استأني بالقوم عسى ان يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة فانّ النبي صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس. ثم نقل ابن أبي الحديد[2]: رواية نصر بن مزاحم في (صفينه)[3]: بعثه عليه السلام جمعاً إلى معاوية ومشى القراء بينهما ـ إلى أن قال ـ فقال القراء له عليه السلام: إنّ معاوية يقول لك: إن كنت صادقاً في عدم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٣ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٦ .

(٣) صفين لنصر بن مزاحم : ١٨٩ .

قتلك عثمان وعدم أمرك بقتله، فأقدنا من قتلته، فإنّهم في عسكرك وجندك وعضدك. فقال عليه السلام لهم: إنّ القوم تأولوا عليه القرآن ووقعت الفرقة، فقتلوه في سلطانه، وليس على ضربهم قود. ثم قال ابن أبي الحديد[1]: ولا أدري لم عدل عليه السلام عن الحجّة بما هو أوضح من هذا الكلام؟ وهو أن يقول: إنّ الذين باشروا قتل عثمان بأيديهم كانا اثنين، وهما قتر بن وهب وسودان بن حمران، وكلاهما قتل يوم الدار، قتلهما عبيد عثمان، والباقون الذين جندي وعضدي ـ كما تزعمون ـ لم يقتلوا بأيديهم وإنّما اغروا به وحصروه، وأجلبوا عليه وهجموا على داره، كمحمّد بن أبي بكر والأشتر وعمرو بن الحمق وغيرهم، وليس على هؤلاء قود. وقوله عليه السلام: وليس على ضربهم قود. أي: على مثلهم.

قلت: هل هو أعلم بالقضية وبقضائها منه عليه السلام؟ وكيف أنكر تصدّي أُولئك وقد طعنه عمرو بن الحمق تسع طعنات؟ وكون عمّار من قتلته مسلم؛ فقال معاوية لجمع أرسلهم عليه السلام إليه: ألستم تعلمون أنّ قتلة صاحبنا أصحاب صاحبكم؟ فليدفعهم إلينا فنقتلهم به، ثم نجيبكم إلى الطاعة. فقال له شبث: أيسرك بالله إن أُمكنت من عمّار فقتلته؟ فقال: والله لو أمكنني صاحبكم من ابن سميّة ما قتلته بعثمان، ولكنّي أقتله بنائل مولاه. فقال له شبث: وإله السماء ما عدلت معدلاً.

كما أنّ كون محمّد بن أبي بكر من قتلته أيضاً مسلّم؛ ففي (الطبري)[2]: كتب معاوية إليه: سعيت عليه في الساعين وسفكت دمه في السافكين ـ إلى أن قال ـ وعدوك على عثمان يوم تطعن بمشاقصك بين أحشائه وأوداجه. وما

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٥٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٧٦.

ينفعه تأويله لفظ «ضربهم»؟

وكون عثمان عنده عليه السلام مباح الدم أمر واضح؛ فلما جاء شرحبيل ومعن من قبل معاوية إليه عليه السلام ـ وقد نقله بعد عن (صفين نصر)[1] قالا له عليه السلام: أتشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً؟ فقال لهما: إنّي لا أقول ذلك. قالا: فمن لم يشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً فنحن منه براء. ثمّ قاما فانصرفا، فقال علي عليه السلام ﴿فإنّك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولّوا مدبرين﴾[2].

«أمّا قولكم أكلّ» وفي (ابن ميثم)[3]: «كل» ثم الظاهر كون (كل) بالرفع مبتدأ. ويجوز أن يقرأ بالنصب، لقوله بعد (أو): أمّا قولكم: «شكاً في أهل الشام» فيقدر له ناصب كما له.

«ذلك» أي: تأخير الحرب.

«كراهية الموت فوالله ما أُبالي» أي: لا اكترث.

«أدخلت» هكذا في (المصرية)[4]، والصواب: (دخلت) كما في (ابن أبي الحديد)[5] و (ابن ميثم)[6] و(الخطية).

«الى الموت أو خرج الموت» لعل الإظهار مع كون المقام مقام الإضمار، لتأكيد عدم مبالاته عليه السلام بالموت.

«إليّ» فإنّه عليه السلام كان يقول ـ لما كانوا يقولون: سكت عن طلب الملك جزعاً من الموت ـ: والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أُمه.

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٢) الروم: ٥٢.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٤٥، وفيه: «أما قولكم: أكلّ ذلك».

(٤) الطبعة المصرية: ٩٩ الخطبة ٥٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٢.

(٦) شرح ابن ميثم ٢: ١٤٥.

وفي (صفين نصر)[1]: عن زيد بن وهب قال مر علي عليه السلام يومئذ ومعه بنوه نحو الميسرة، وإنّي لأرى النبل يمرّ بين عاتقه ومنكبيه، ثم إنّ أهل الشام دنوا منه، والله ما يزيده قربهم منه سرعة في مشيه، فقال له الحسن عليه السلام: ما ضرّك لو سعيت حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين صبروا لعدوّك من أصحابك؟ فقال: يا بني لأبيك يومٌ لن يعدوه، ولا يبطي به عنه السعي، ولا يعجل به إليه المشي. إنّ أباك والله ما يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه.

وعن[2] عبد الرحمن بن حاطب: كان علي عليه السلام اذا أراد القتال هلّل وكبّر، ثمّ قال:

أي يوميّ من الموت أفر   يوم ما قدر أم يوم قدر

«وأمّا قولكم: شكا في أهل الشام؛ فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي» ممّن لحق به عليه السلام ابن عم لعمرو بن العاص؛ ففي (صفين نصر)[3]: أنّ ابن عمّ لعمرو قال له: إنّك ان لم ترد معاوية، لم يردك، ولكنك تريد دنياه ويريد دينك. فبلغ معاوية قوله، فطلبه فلحق بعلي عليه السلام، فحدّثه بأمر عمرو ومعاوية، فسرّ ذلك علياً عليه السلام وقرّبه.

ولحق به عليه السلام ابن اخت لشرحبيل بن السمط، ففي (صفين نصر)[4]: لمّا كتب جرير إلى شرحبيل ينصحه، ذعر وفكر فلفف له معاوية الرجال يعظّمون عنده قتل عثمان، ويرمون به علياً عليه السلام، ويقيمون الشهادة الباطلة، والكتب المختلقة، حتى أعادوا رأيه. فقال ابن اخت له من بارق ـ وكان لحق أهل الشام ـ:

لعمر أبي الأشقى ابن هند لقد رمى   شرحبيل بالسهم الذي هو قاتله

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤٩.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٩٥.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٢.

(٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٩ ـ ٥٠.

فقال شرحبيل: والله لأسيرن إلى صاحب هذا الشعر، أو ليفوتني. فهرب الفتى إلى الكوفة وكان أصله منها. وكاد أهل الشام أن يرتابوا....

ولحق به عليه السلام صديق لعمرو بن العاص؛ ففي (صفين نصر)[1]: ذكروا أنّه لما غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبة، وقال معاوية: هذا أول الظفر. فقام إليه رجل يقال له ابن الأقبل ـ وكان ناسكاً، وكان له في ما يذكر همدان لسان، وكان صديقاً لعمرو ـ فقال له: أما تعلم ان فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف، ومن لا ذنب له؟ هذا والله أوّل الجور، لقد شجّعت الجبان، وبصّرت المرتاب، وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك. فأغلظ له، فقال الرجل أبياتاً: ولحق في سواد الليل بعلي عليه السلام.

ولحق به عليه السلام شامي سمع قول النبي صلى الله عليه وآله في معاوية، لمّا رأى بيعة أهل الشام معه، ففي (صفين نصر)[2]: عن أبي حرب بن الأسود عن رجل من أهل الشام عن أبيه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «شرّ خلق الله خمسة: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون ذو الأوتاد، ورجل من بني إسرائيل ردّهم عن دينهم، ورجل من هذه الأمّة يُبايَع على كفره عند باب لد». قال الرجل: فلمّا رأيت معاوية يبايَع عند باب لد ذكرت قول النبي صلى الله عليه وآله، فلحقت بعلي عليه السلام فكنت معه.

ولحق به شمر بن أبرهة الحميري، وجمع من القرّاء؛ ففي (صفين نصر)[3]: عن الزهري قال: خرج في اليوم الخامس من صفر شمر بن ابرهة الحميري في ناس من قرّاء أهل الشام، فلحق بعلي عليه السلام، ففت ذلك في عضد

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٧.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٢٢.

معاوية وعمرو بن العاص، فقال عمرو لمعوية: إنّك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمد قرابة قريبة، ورحم ماسة، وقدم في الاسلام لا يعتد أحد بمثله، ونجدة في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمّد، وإنّه قد سار إليك بأصحاب محمّد المعدودين، وفرسانهم وقرّائهم، وأشرافهم وقدمائهم في الاسلام، ولهم في النفوس مهابة؛ فبادِر بأهل الشام محاش الوعر، ومضائق الغيض، وآتِهم من باب الطمع قبل أن تُرفههم، فيُحدث عندهم طول المقام مللاً، فيظهر فيهم كآبة الخذلان؛ ومهما نسيت فلا تنس أنّك على باطل وأنّه على الحق.

ولحق به عليه السلام عبدالله بن عمر العنسي لسماع ذي الكلاع حديث: (قتل الفئة الباغية لعمّار) في أيام عمر من عمرو بن العاص؛ ففي (صفين نصر)[1]، عن الإفريقي بن أنعم قال: قال أبو نوح الحميري: كنت في خيل علي عليه السلام، اذا أنا برجل من أهل الشام يقول: من دل على الحميري؟ قلت: أيّهم تريد؟ قال: أبو نوح. قلت: قد وجدته، فمن أنت؟ قال: أنا ذو الكلاع، سرّ إليّ. فقلت: معاذ الله أن أسير إليك إلّا في كتيبة. قال: سرّ فلك ذمّة الله وذمّة رسوله وذمّة ذي الكلاع، حتى ترجع إلى خيلك، فإنّما أُريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه. فسارا حتى التقيا، فقال له ذو الكلاع: إنّما دعوتك أُحدّثك حديثاً حدّثنا به عمرو بن العاص أيام إمارة عمر: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «يلتقي أهل الشام وأهل العراق، وفي احدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمّار بن ياسر». فقال له: إنّ عمّاراً والله لفينا. قال: أجادّ هو في قتالنا؟ قال: نعم وربّ الكعبة، هو أشد على قتالكم منّي، ولوددت أنّكم خلق واحد فذبحته، وبدأت بك قبلهم وأنت ابن عمي. قال: ويلك علامَ تتمنى ذلك منّي؟ والله ما قطعتك في ما بيني وبينك، وإنّ

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٣٢ ـ ٣٣٩.

رحمك لقريبة، وما يسرّني أنّي أقتلك. قال أبو نوح: إنّ الله قد قطع بالإسلام أرحاماً قريبة، ووصل به أرحاماً متباعدة، وأنّى يكون بيننا وصل ونحن على الحق، وأنتم على الباطل مقيمون مع أئمة الكفر ورؤوس الأحزاب؟ فقال ذو الكلاع هل تستطيع أن تأتي معي صف أهل الشام، فانا جار لك منهم، حتى تلقى عمرو بن العاص فتُخبرَه بجدّ عمّار في قتالنا؟ -إلى أن قال - ثم سار أبو نوح حتى أتى عمراً، وهو عند معاوية، فقال ذو الكلاع لعمرو: هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمّار لا يكذبك؟ قال عمرو: ومن هو؟ قال: ابن عمي هذا، وهو من أهل الكوفة. فقال عمرو لأبي نوح: إنّي لأرى عليك سيماء أبي‌تراب. قال أبو نوح: علي عليه السلام عليه سيماء محمّد صلى الله عليه وآله وأصحابه، وعليك سيماء أبي جهل وسيماء فرعون -إلى أن قال بين ذكر جمعه بين عمّار وعمرو - فقال عمّار لعمرو: ألست تعلم -أيها الأبتر- أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه -إلى أن قال - فقال عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال عمّار: فتح لكم باب كلّ سوء. قال عمرو: فعليّ قتله؟ قال عمّار: بل الله ربّ علي قتله، وعلي معه. قال عمرو: أكنت في مَن قتله؟ قال: كنت مع مَن قتله؟ وأنا اليوم أُقاتل معهم. قال عمرو: فلِمَ قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه -إلى أن قال - ومشى عبدالله بن سويد سيد جرش إلى ذي الكلاع فقال له: لِمَ جمعت بين الرجلين؟ قال: لحديث سمعته من عمرو، ذكر أنّه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله، وهو يقول لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية» فخرج عبدالله بن عمر العنسي -وكان من عبّاد أهل زمانه - ليلاً فأصبح في عسكر علي عليه السلام، وقال لذي الكلاع:

والراقصات بركب عامدين له ... إنّ الذي جاء من عمرو لمأثور

قد كنت اسمع - والأنباء شائعة ... هذا الحديث فقلت الكذب والزور

حتى تلقيته من أهل عيبته فاليوم أرجع والمغرور مغرور

واليوم أبرأُ من عمرو وشيعته ومن معاوية المحدو به العير

لا، لا أُقاتل عمّاراً على طمع بعد الرواية حتى ينفخ الصور

تركت عمراً وأشياعاً له نكداً إنّي بتركهم يا صاح معذور

يا ذا الكلاع فدع له معشراً كفروا أولا فدينك عين فيه تغرير

مافي مقال رسول الله في رجل شكّ ولا في مقال الرسل تحيير

فلمّا سمع معاوية بهذا الشعر بعث إلى عمرو: أن أفسدت عليّ أهل الشام، أكلّ ما سمعته من النبي صلى الله عليه وآله تقوله؟ فقال عمرو: قلتها ولست أعلم الغيب، ولا أدري أنّ صفين تكون، وقد رويت أنت في عمّار مثل الذي رويت.

كما أنّ جمعاً من أصحابه عليه السلام الذين كانوا حريصين على الدنيا لحقوا بمعويه لغلبة الشقاوة عليهم، منهم بشر بن عصمة المزني، وقيس بن قرّة التميمي، كما في (الطبري)[1]. وذو نواس بن هذيم العبدي، وقيس بن زبد الكندي، كما في (صفين نصر)[2].

«وتعشو إلى ضوئي» في (الصحاح): عشوت إلى النار: اذا استدللت عليها ببصر ضعيف، قال الحطيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجدْ خير نار عندها خير موقد

قلت: والأصحّ ما في (الجمهرة) من أنّ العشو: القصد بالليل لا ببصر ضعيف. فقال: العشو مصدر عشوت إلى ضوئك: اذا قصدته بليل، ثم صار كلّ قاصد شيئاً عاشياً، ثم ذكر بيت الحطيئة.

وإنما قال عليه السلام ذلك، لأنّ معاوية لبس الأمر على أهل الشام، ففي (صفّين

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٧٠ و ٢٨٥.

نصر)[١]: مضى هاشم المرقال في عصابة من القرّاء، إذ خرج عليهم فتى شاب يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسان والدائن اليوم بدين عثمان

أنبانا أقواماً بما كان ان علياً قتل ابن عفان

ثمّ شدّ، فلا ينثني يضرب بسيفه، ثمّ يلعن ويشتم ويكثر الكلام، فقال له المرقال: انّ هذا الكلام بعده الخصام، وإنّ هذا القتال بعده الحساب، فاتّق الله فانّك راجع إلى ربّك فسائلك عن هذا الموقف. قال: فإنّي أُقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذُكر لي، وأنّكم لا تصلّون، وأُقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا، وأنتم وازرتموه على قتله. فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان؟ إنّما قتله أصحاب محمد ﷺ، وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب، وإنّ أصحاب محمّد ﷺ هم أصحاب الدين وأولى بالنظر في أُمور المسلمين. وأمّا قولك: إنّ صاحبنا لا يصلّي؛ فهو أوّل الناس من صلّى لله مع النبي ﷺ، وأفقه الناس في دين الله، وأولاهم برسوله، وأمّا من ترى معه فكلّهم قارئ لكتاب الله لا ينامون الليل تهجّداً، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون. فقال الفتى لهاشم: انّي لأظنّك امرأً صالحاً، هل تجد لي من توبة؟ قال: نعم، تب إلى الله إنّه يتوب عليك، فإنّه ﴿يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيّئات﴾[٢] و ﴿يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين﴾[٣]. فذهب الفتى راجعاً، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي. قال: لا، ولكن نصحني.

«وذلك» وفي (ابن ميثم)[٤]: (فهو).

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم : ٣٥٤، ٣٥٥.

(٢) الشورى : ٢٥.

(٣) البقرة : ٢٢٢.

(٤) شرح ابن ميثم ٢ : ١٤٥.

«أحبّ إليّ من أن اقتلها على ضلالها وان كانت تبوء» أي: ترجع.

«بآثامها» في (الطبري)(١): مكث الناس في صفين حتى اذا دنا انسلاخ المحرم، أمر علي عليه السلام مرثد بن الحارث الجشمي، فنادى أهل الشام عند غروب الشمس: ألا انّ أمير المؤمنين يقول لكم: انّي قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله عزوجلّ فدعوتكم إليه، فلم تناهوا عن طغيان، ولم تجيبوا إلى حق. وإنّي قد نبذت إليكم على سواء ﴿إنّ الله لا يحبّ الخائنين﴾(٢).

وروى الطبري(٣): أنّه ابتدئ بالقتال في أوّل يوم من صفر، وكان يوم الأربعاء فخرج الأشتر من أصحابه عليه السلام، وخرج في مقابله أبو الأعور، وخرج اليوم الثالث عمّار، وخرج في مقابله عمرو بن العاص، وخرج اليوم الرابع محمد ابن الحنفية، وخرج في مقابله عبيدالله بن عمرو، وخرج في اليوم الخامس ابن عباس، وخرج في مقابله الوليد بن عقبة، وخرج في اليوم السادس قيس بن سعد ابن عبادة، وخرج في مقابله ابن ذي الكلاع، وخرج في اليوم السابع أيضاً الأشتر وحبيب بن مسلمة. فخطب عليه السلام عشية الثلاثاء بعد العصر فقال: حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا؟ وقال: الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض، وما أبرم لا ينقضه الناقضون، ولو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمّة في شيء من أمره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله. وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار، فلفّت بيننا في هذا المكان، نحن من ربّنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجّل النقمة وكان منه التغيير، ولكن جعل الدنيا

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ١٠ .

(٢) الأنفال: ٥٨ .

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٧ ـ ٩ .

دار الأعمال، وجعل دار الآخرة عنده هي دار القرار، ﴿ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾[1]. ألا إنكم ملاقوا القوم غداً فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا الله الصبر والنصر، والقوهم بالجدّ والحزم، وكونوا صادقين. وعبأ عليه السلام الناس ليلته كلّها، وخرج إليهم غداة الأربعاء فاستقبلهم، وقال: اللّهم ربّ السقف المرفوع المحفوظ المكفوف، الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم، وجعلت سكانه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة، وربَّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام والهوام والأنعام، وما لا يحصى مما يرى وما لا يرى من خلقك العظيم، وربّ الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وربّ السحاب المسخّر بين السماء والأرض، وربّ البحر المسجور المحيط بالعالم، وربّ الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق متاعاً، إن أظهرتنا على عدوّنا فجنبنا البغي، وسدّدنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة، واعصم بقية أصحابي من الفتنة. وازدلف الناس يوم الأربعاء، واقتتلوا أشدّ قتال حتى الليل، لا ينصرف أحد إلّا للصلاة وكثرت القتلى، فأصبحوا من الغد فصلّى عليه السلام بهم غداة الخميس، فغلس بالصلاة أشدّ التغليس، وأقبل -وعلى ميمنته ابن بديل، وعلى ميسرته ابن عباس، وهو عليه السلام في القلب- في أهل المدينة، بين أهل الكوفة وأهل البصرة، ورفع معاوية قبّة عظيمة قد ألقى عليها الكرابيس، وبايعه معظمهم على الموت، وأحاطت خيل دمشق بقبّته، فزحف ابن بديل في ميمنته عليه السلام، وقال: قد قاتلناهم مع النبي صلى الله عليه وآله مرّة، وهذه ثانية، والله ما هم في هذه بأتقى ولا أزكى ولا أرشد. فلم يزل يكشف خيل حبيب بن مسلمة من

(١) النجم : ٣١.

الميسرة، حتى اضطرّهم إلى قبّة معاوية.

٨
الخطبة (٢٤)

ومن خطبة له عليه السلام:

وَلَعَمْرِي ما عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيّ، مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيهَان. فَاتَّقُوا ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ وَٱمْضُوا فِي الذِي نَهَجَهُ لَكُم، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ، فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلَجِكُمْ آجِلاً إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً.

أقول: يمكن أن يكون قاله عليه السلام، لما أراد المسير إلى معاوية ابتداء أو ثانياً، ويمكن الاستيناس للأوّل بما في (صفين نصر)[1]: أنّ علياً عليه السلام لما أراد المسير إلى الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركو الفعل والأمر. وقد أردنا المسير إلى عدوّنا وعدوّكم فأشيروا علينا برأيكم. فقام هاشم بن عتبة وقال: أنا بالقوم جد خبير، إنّهم لك ولأشياعك أعداء، ولمن يطلب حرث الدنيا أولياء، وهم مقاتلوك ومجاهدوك لا يبقون جهداً، مشاحة على الدنيا، وضنّاً بما في أيديهم منها، وليس لهم إربة غيرها إلّا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان. وقام عمّار وقال له عليه السلام: إن استطعت الّا تقيم يوماً واحداً، فاشخص بنا قبل استعار نار الفجرة، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة، وادعهم إلى رشدهم. وقام قيس بن سعد بن عبادة وقال له: انكمش بنا إلى عدونا، ولا تعرج، فوالله لجهادهم أحبّ إليّ من جهاد الترك والروم، لإدهانهم في دين الله، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله، من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان، فإذا غضبوا على رجل حبسوه،

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٩٢.

أو ضربوه، أو حرموه، أو سيّروه، وفيئنا لهم حلال، ونحن لهم في ما يزعمون قطين. يعني: رقيق.

ويمكن الاستيناس للثاني بما في (خلفاء ابن قتيبة)[1]: أنّه عليه السلام لما آيس من رجوع الخوارج، رأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى معاوية، فقام خطيباً وقال: أما بعد، فإنّ من ترك الجهاد، وداهن في أمر الله، كان على شفا هلكة، إلّا أن يتداركه الله برحمته، فاتّقوا الله عباد الله. قاتلوا من حادّ الله وحاول أن يطفئ نور الله، قاتلوا الخاطئين القاتلين لأولياء الله، المحرّفين لدين الله، الذين ليسوا بقرّاء الكتاب، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء بالتأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في دين، ولا سابقة. في الاسلام والله لو ولوا عليكم، لعملوا فيكم بعمل كسرى وقيصر.

«ولعمري ما عليَّ من قتال من خالف الحق» كائناً من كان، ولو كان قريبه أو صديقه.

«وخابط» في (الصحاح): خبط البعير الأرض بيده: ضربها، ومنه قيل: خبط عشواء، وهي التي في بصرها ضعف، تخبط اذا مشت لا تتوقى شيئاً.

«الغي من إدهان» أي: مصانعة، قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾[2].

«ولا إيهان» أي: تضعيف، من: وهِن ـ بالكسر ـ أي: ضعف.

«فاتقوا الله عباد الله» اقتصر في (المصرية)[3] على الكلام، وفيها سقط، والأصل: «فاتقوا الله عباد الله وفروا إلى الله من الله» كما يشهد له (ابن أبي

---

(١) الخلفاء لابن قتيبة: ١٤٤.

(٢) القلم: ٩.

(٣) الطبعة المصرية: ٥٩ الخطبة ٢٤.

الحديد)[1] و (ابن ميثم)[2] و(الخطية). ومعنى الفرار إليه منه: أنّه لا ملجأ منه إلّا إليه، بمعنى انّه لا يُتصور الفرار منه تعالى، والفرار منه هو الفرار إليه.

«وامضوا في الذي نهجه» أي: في الطريق الذي أوضحه.

«لكم» وكان أعداؤه مقرين بذلك، فكان عمر يقول: لو ولى الخلافة علي، ليحملنّ الناس على المحجّة البيضاء والصراط المستقيم.

«وقوموا بما عصبه» أي: شدّه.

«بكم» من جهاد أعداء الله.

«فعلي ضامن لفلجكم» أي: ظفركم وفوزكم وفلاحكم.

«آجلاً» في الآخرة.

«إن لم تمنحوه» أي: تعطوه.

«عاجلاً» أي: في الدنيا؛ فشيعته هم الفائزون في الآخرة. رواه سبط ابن الجوزي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله.

٩
الخطبة (١٠٥)

ومن كلام له عليه السلام :

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُم وَٱنْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ ٱلْجُفَاةُ ٱلطَّغَامُ، وَأَعْرَابُ أَهْلِ ٱلشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ ٱلْعَرَبِ، وَيَآفِيخُ ٱلشَّرَفِ، وَٱلْأَنْـفُ المُقَدَّمُ، وَٱلسَّنَامُ ٱلْأَعْظَمُ، وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ، حَسّاً بِالنِّصَالِ، وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ تَـرْكَبُ أُولاَهُـمْ أُخْـرَاهُـمْ كَـالإِبِلِ ٱلْـهِيمِ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣١.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٤، وفيه : «فاتقوا الله عباد الله».

ٱلْمَطْرُودَةِ، تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا، وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا.

أقول: رواه الطبري[١] و(صفّين نصر)[٢] و(الكافي)[٣]. وننقل الأوّل أخيراً.

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام» هكذا في (المصرية)[٤] وفيه تحريف وسقط، والصواب: (ومن خطبة له عليه السلام في بعض أيام صفين) كما في (ابن أبي الحديد)[٥] و(ابن ميثم)[٦] و(الخطية).

«وقد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة» جمع الجافي.

«الطغام» أي: الأرذال والأوغاد.

«وأعراب أهل الشام» قال عليه السلام ذلك لأصحابه لمّا هزمهم في الميمنة أصحاب معاوية ففي (الطبري)[٧]: أقبل الذين تبايعوا من أهل الشام على الموت إلى معاوية، فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل في الميمنة وبعث إلى حبيب بن مسلمة في الميسرة: يحمل بمن كان معه على الميمنة، فانكشف أهل العراق من قبل الميمنة، حتى لم يبق منهم إلّا ابن بديل في مائتين أو ثلاثمائة من القرّاء، قد أسند بعضهم ظهره إلى بعض، فأمر علي عليه السلام سهل بن حنيف، فاستقدم في من كان معه من أهل المدينة، فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة، فاحتملتهم حتى ألحقتهم بالميمنة ـ إلى أن قال ـ لما انهزمت ميمنة

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٥.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٦.

(٣) الكافي ٥: ٤٠ ح٤.

(٤) الطبعة المصرية: ٢٠٥ الخطبة ١٠٥.

(٥) شرح ابن ابي الحديد ٧: ١٧٩.

(٦) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧، وفيه: «من خطبة له عليه السلام».

(٧) تاريخ الطبري ٥: ١٨.

العراق وأقبل علي عليه السلام نحو الميسرة، مرّ به الأشتر وهو يركض نحو الفزع قبل الميمنة، فقال عليه السلام له: إيت هؤلاء القوم فقل لهم: أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه إلى الحياة التي لن تبقى لكم؟ فمضى الأشتر، واستقبل الناس منهزمين، فقال لهم هذه الكلمات التي قالها له علي عليه السلام، وقال: إليّ أيها الناس أنا مالك بن الحرث. ثم ظنّ انّه بالأشتر أعرف في الناس، فقال: أنا الأشتر إليّ أيّها الناس.

«وأنتم لهاميم العرب» وردت الفقرة في العنوان (١٢٠)، والكلام استعارة من قولهم: فرس لهيم. اذا كان جواداً غزير الجري صرّح بالمعنى ابن دريد، وليس المراد: أنتم صاحبو الجود، كما توهمه الشرّاح أخذاً من الجوهري، فهو زلّ في قوله: اللهموم الجواد من الناس والخيل.

«ويآفيخ» جمع اليافوخ: الموضع الذي يتحرّك من رأس الطفل.

«الشرف وأنف» هكذا في (المصرية)[١]، والصواب: (والانف) كما في (ابن أبي الحديد)[٢] و(ابن ميثم)[٣] و(الخطية).

«المقدم والسنام» في (الصحاح): واحد أسنمة البعير.

«الأعظم» والكل استعارات، كلهاميم العرب؛ وفي (الطبري)[٤] ـ بعدما مرّ من قول الأشتر للمنهزمين: أنا الأشتر، إليّ أيّها الناس ـ: فأقبلت إليه طائفة وذهبت عنه طائفة، فنادى: أيّها الناس عضضتم بهن آبائكم، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم! أيّها الناس اخلصوا لي مذحجاً. فأقبلت إليه مذحج، فقال لهم: عضضتم بصم الجندل، ما أرضيتم ربّكم ولا نصحتم له في عدوّكم، وكيف

---

(١) الطبعة المصرية: ٢٠٥ الخطبة ١٠٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٧٩.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧ وفيه: «وأنف المقدم».

(٤) تاريخ الطبري ٥: ٢٠.

بذلك، وأنتم أبناء الحروب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصباح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومذحج الطعان، الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم، ولا تطل دماؤهم، ولا يعرفون بخسف في موطن، وأنتم أحدّ أهل مصركم، وأعد حيٍّ في قومكم؟ وما تفعلوا في هذا اليوم، فإنّه مأثور بعد اليوم؟ فاتقوا مأثور الأحاديث في غد، وأصدقوا عدوّكم اللقاء، فإنّ الله مع الصابرين. والذي نفس مالك بيده، ما من هؤلاء ـ وأشار بيده إلى الشام ـ رجل على مثل جناح بعوضة من محمّد صلى الله عليه وآله، وإنّما أنتم ما أحسنتم القراع، اجلوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي عليكم بهذا السواد الأعظم فإن الله لو قد فضه تبعه من بجانبيه، كما يتبع مؤخر السيل مقدمه. قالوا خذ بنا حيث أحببت....

وفيه[1]: انّ الأشتر كان يومئذ يقاتل على فرس له، وفي يده صحيفة يمانية إذا طأطأها خلت فيها ماء منصباً، واذا رفعها كاد يغشي البصر شعاعها، وجعل يضرب بسيفه ويقول: الغمرات ثم تنجلينا، ورآه منقذ وحمير ابنا قيس الناعطيان، فقال منقذ لحمير: ما في العرب مثل هذا، إن كان ما أراه من قتاله من النيّة. فقال له حمير: وهل النيّة إلّا ما تراه يصنع؟ قال: إنّي أخاف أن يكون حاول ملكاً....

«ولقد شفى وحاوح» وفي (الطبري): «أحاح».

في (الجمهرة): يقال للمرأة اذا طلقت: تركتها توحوح بين القوابل. وسمعت بفلان أحة وأحاحا وأحيحا: اذا رأيته يتوجع من غيظ، أو حزن. وفي قلبه أحاح وأحيح؛ قال الراجز:

يطوى الخيازيم على أحاح

«صدري أن رأيتكم بأخرة» بفتح الهمزة أي: أخيراً.

---

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٢.

«تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم حساً» أي: استيصالا بالقتل؛ قال تعالى ﴿...إذ تحسونهم بإذنه...﴾[١].

«بالنضال» هكذا في (المصرية)[٢]، ونسب النضال ـ وهي المراماة ـ (ابن أبي الحديد)[٣] إلى رواية. ولكن في (ابن ميثم)[٤]: «بالنصال» بالمهملة. وفي (الصحاح): النصل: نصل السهم والسيف والسكين والرمح والجمع: نصول ونصال.

«وشجراً» أي: طعناً.

«بالرماح تركب أولاهم اخراهم كالابل الهيم» أي: العطاش.

«المطرودة ترمي عن حياضها وتذاد» أي: تدفع وتطرد.

«عن مواردها» أي: المحال التي تردها لشرب الماء؛ في (الطبري)[٥]: لما اجتمع إلى الأشتر عُظم من كان انهزم عن الميمنة حرّضهم ـ إلى أن قال ـ ثم حمل على الخصم حتى كشفهم، فألحقهم بصفوف معاوية بين صلاة العصر والمغرب، وانتهى إلى عبدالله بن بديل، وهو في عصبة من القراء بين المائتين والثلاثمائة، ولقد لصقوا بالأرض كأنّهم جثى، فكشف عنهم أهل الشام، فأبصروا اخوانهم قد دنوا منهم، فقالوا: ما فعل أمير المؤمنين عليه السلام؟ قالوا: حي صالح في الميسرة يقاتل الناس أمامه. فقالوا: الحمد لله، قد كنّا ظننا ان قد هلك هو وهلكتم. وقال عبدالله بن بديل لأصحابه: استقدموا بنا. فأرسل الأشتر إليه: لا تفعل، اثبت مع الناس فقاتل، فإنّه خير لهم وأبقى لك ولأصحابك. فأبى،

---

(١) آل عمران : ١٥٢.

(٢) الطبعة المصرية: ٢٠٥ الخطبة ١٠٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٨٠.

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧، وفيه : «بالنّضال».

(٥) تاريخ الطبري ٥: ٢٣.

فمضى كما هو نحو معاوية، وحوله كأمثال الجبال، وفي يده سيفان وقد جرح فهو أمام أصحابه، فأخذ كلّما دنا منه رجل ضربه فقتله، حتى قتل سبعة، ودنا من معاوية فنهض إليه الناس من كلّ جانب، وأُحيط به وبطائفة من أصحابه، فقاتل حتى قتل، وقتل ناس من أصحابه، ورجعت طائفة قد جرحوا منهزمين. فبعث الأشتر بن جمهان الجعفي، فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من نجا من أصحاب ابن بديل، حتى نفسوا عنهم وانتهوا إلى الأشتر، فقال لهم: ألم يكن رأيي لكم خير لكم من رأيكم لأنفسكم؟ ألم آمركم أن تثبتوا مع الناس؟ وكان معاوية قال في ابن بديل ـ وهو يضرب قدما ـ: أترونه كبش القوم؟ فلما قتل أرسل إليه: من هو؟ فقال ناس من أهل الشام: لا نعرفه. فأقبل هو حتى وقف عليه، فقال: بلى، هذا عبدالله بن بديل، والله لو استطاعت نساء خزاعة أن يقاتلنا فضلاً عن رجالها لفعلت، مدوه. فمدوه، فقال: هذا والله كما قال الشاعر:

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها

وإن شمّرت يوماً به الحرب شمرا

ـ والبيت لحاتم ـ وزحف الأشتر اليهم، فاستقبله معاوية بعك والاشعريين، فقال الأشتر لمذحج: اكفونا عكا. ووقف في همدان، وقال لكندة: اكفونا الأشعريين. فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأخذ الأشتر يخرج إلى قومه، فيقول: إنّما هم عك فاحملوا عليهم. فيجثون على الركب ويرتجزون:

يا ويل أُمّ مذحج من عك هاتيك أُمّ مذحج تبكي

فقاتلوهم حتى المساء. ثم انّه قاتلهم في همدان وناس من طوائف الناس، فحمل عليهم فأزالهم عن مواقفهم حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقلة بالعمائم حول معاوية، ثم شدّ عليهم شدّة أُخرى، فصرع الصفوف الأربعة، وكانوا معقلين بالعمائم حتى انتهوا إلى الخامس الذي حول معاوية،

ودعا معاوية بفرس فركب، وكان يقول: أردت أن أنهزم فذكرت قول ابن أطنابة ـ كان ابن أطنابة جاهلياً، وأطنابة أُمه امرأة من بلقين ـ:

أبت لي عفتي وحياءُ نفسي ... وإقدامي على البطل المشيح

وإعطائي على المكروه مالي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وقولي كلّما جشأت وجاشت ... مكانكِ تُحمدي أو تستريحي

فمنعني هذا القول من الفرار.

هذا، والأصل في العنوان ما رواه الطبري[1] وغيره[2]، كما مر عن زيد بن وهب: أن علياً عليه السلام لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقفها ومصافها، وكشفت من بإزائها من عدوّها، حتى حاربوهم في مواقفهم ومراكزهم، أقبل حتى انتهى إليهم، فقال: إنّي رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم، يحوزكم الطغاة الجفاة وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم العرب، والسنام الأعظم، وعمّار الليل بتلاوة القرآن، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون، فلولا إقبالكم بعد إدباركم، وكرّكم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولّي يوم الزحف دبره، وكنتم من الهالكين، ولكن هوَّن وجدي وشفى بعض أحاح نفسي أنّي رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم، وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحسونهم بالسيوف تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطردة، فالآن فاصبروا، نزلت عليكم السكينة وثبّتكم الله تعالى باليقين، ليعلم المنهزم أنّه مسخط ربه وموبق نفسه، إنّ في الفرار موجدة الله عزوجل عليه، والذلّ اللازم، والعار الباقي، واعتصار الفيء من يده، وفساد العيش عليه، وإنّ الفار منه لا يزيد في عمره ولا يرضي ربه، فموت المرء محقاً قبل إتيان هذه

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٥.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٦.

الخصال خيرٌ من التلبس بها والاقرار عليها».

١٠
من الخطبة (١٨٠)

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَاكَانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ ٱللهِ ٱلْأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ لَا يَفْنَى. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا ٱلَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ ـ وَهُمْ بِصِفِّينَ ـ أَلَّا يَكُونُوا ٱلْيَوْمَ أَحْيَاءً؟ يُسِيغُونَ ٱلْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ، قَدْ وَٱللهِ لَقُوا ٱللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ ٱلْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ. أَيْنَ إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى ٱلْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ٱبْنُ التَّيِّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى المَنِيَّةِ وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى ٱلْفَجَرَةِ؟

قال: ثُمَّ ضربَ بيده إِلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفة ٱلْكرِيمَة، فَأَطال ٱلْبُكَاءَ، ثم قال عليه السلام:

أَوِّهِ عَلَى إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ قَرَؤوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا ٱلْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا ٱلْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ.

أقول: قال ابن أبي الحديد[١]: هذه الخطبة آخر خطبة خطب عليه السلام بها قائماً.

قلت: إن وجد في ذلك خبراً، وإلّا فالمحقق كونه قرب شهادته عليه السلام بأُسبوع. ففي ذيلها «قال نوف: وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ـ إلى أن قال ـ وهو يريد الرجعة إلى صفّين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون»

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٢.

وأمّا كونها أخيرها فغير معلوم.

«الّا إنّه قد أدبر من الدنيا» بغلبة أهل الجور.

«ما كان مقبلاً» بكون الأمر في يدي أهل الحق، زمن النبي صلى الله عليه وآله.

«وأقبل منها ما كان مدبراً» بتصدي أهل الباطل للأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله لاسيما في زمن عثمان، لخلوص الأمر لبني أُميّة، كما صرّح به أبو سفيان.

«وأزمع» أي: عزم. والأصح قول الكسائي من عدم تعديه بعلى، دون قول الفراء بجوازه، فلم نقف إلّا على تعديته بنفسه، ككلامه عليه السلام هنا، وقول عنترة:

إن كنت أزمعت الفراق فإنّما

وقول الأعشى:

أزمعت من آل ليلى ابتكارا

ومن الغريب أنّ ابن دريد أتى بالتناقض هنا، فقال أولاً: أزمع فلان كذا وكذا: إذا عزم عليه، ولا يكادون يقولون: أزمع على كذا وكذا. وقال ثانياً: ولا تكاد العرب تقول: الا أزمعت على ذلك.

«الترحال» أي: الارتحال.

«عباد الله الأخيار، وباعوا قليلاً من الدنيا» فكل شريف أو وضيع لا يمتّع من الدنيا إلّا قليلاً.

«لا يبقى، بكثير من الآخرة» فمن كان أدنى أهل الآخرة ثواباً، كان له من النعمة سبعين ضعفاً من نعيم الدنيا، من أوّلها إلى آخرها.

«لا يفنى» أخذ كلامه عليه السلام من أوّله إلى هنا سليمان بن صرد الخزاعي، لما أراد الطلب بدم الحسين عليه السلام، فكتب إلى سعد بن حذيفة اليماني بالمدائن: إنّ الدنيا دار قد أدبر منها ما كان معروفاً، وأقبل منها ما كان منكراً، وأصبحت

قد تشنّأت إلى ذوي الألباب، وأزمع الترحال منها عباد الله الأخيار وباعوا قليلاً من الدنيا لايبقى بجزيل مثوبة عند الله لا يفنى[١].

ونظير كلامه عليه السلام كلام ابنه الحسين عليه السلام في خطبته أصحابه بذي حسم، حين وصل الحر مع ألف فارس من قبل ابن زياد إليه، ففي (الطبري)[٢]: قام عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال لأصحابه: إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وانّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها واستمرّت حذاء فلم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برما. فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه: تكلمون أم أتكلّم؟ قالوا: بل تتكلم. فقال له: قد سمعنا يابن رسول الله مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنّا فيها مخلدين إلا أ٢نّ فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها. فدعا له الحسين عليه السلام، وأقبل الحر يسايره وهو يقول له: يا حسين إنّي أُذكّرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلتَ لتُقتلن. فقال عليه السلام له: أفبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطب إلّا أن تقتلوني؟ أقول لك ما قال أخو الأوس لابن عمه ـ لما لقيه وهو يريد نصرة النبي صلى الله عليه وآله، وقال له أين تذهب؟ فإنّك مقتول ـ:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً يغش ويرغما

«ما ضرَّ إخواننا الذين سُفكت دماؤهم وهم» هكذا في (المصرية)[٣] والكلمة

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٣٩٢ سنة ٦٤.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٣.

(٣) الطبعة المصرية: ١٣٠ الخطبة ١٨٠.

زائدة، لعدم وجودها في (ابن ميثم)[١] و(ابن أبي الحديد)[٢]، ولأن المعنى معها غير مستقيم.

«بصفّين» في (صفين نصر)[٣]: أُصيب بصفّين من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً.

وفي (مروج المسعودي)[٤]: كانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعين وقعة، وقد تنوع في مقدار من قتل بها من الفريقين، فعن يحيى بن معين: قُتل منهما مائة ألف وعشرة آلاف، في مائة يوم وعشرة أيام، تسعون ألفاً من أهل الشام، وعشرون ألفاً من أهل العراق. وأما الهيثم بن عدي الطائي والشرقي بن القطامي وأبو مخنف لوط بن يحيى فذكروا: أنّ جملة من قُتل منهما سبعون ألفاً خمسة وأربعون من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق، فيهم خمسة وعشرون بدرياً. والعدّ كان يقع بالقضيب، والإحصاء للقتلى في كلّ وقعة. وتحصيل هذا يتفاوت، لأنّ فيهم مَن لا يُعرف، ومَن غرق، ومن قُتل فأكله السباع.

«ألّا يكونوا اليوم أحياء يسيغون» من: ساغ الشراب، أي: سهل مدخله في الحلق. قال الجوهري: يتعدى ولا يتعدى، والأجود في المتعدي أساغ؛ قال تعالى: ﴿يتجرّعه ولا يكاد يُسيغه﴾[٥].

«الغصص» ـ بالفتح ـ مصدر غصّ بالطعام، أو ـ بالضم ـ جمع الغصة.

«ويشربون الرنق» أي: المكدر، قال ابن الرومي.

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٩٩.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٥٨.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٠٤.

(٥) إبراهيم: ١٧.

قد قلت اذ مدحوا الحياة فأكثروا ... للموت ألف فضيلة لا تُعرف
فيها أمان لقائه بلقائه ... وفراقُ كلّ معاشر لا ينصف

«قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلّهم دار الأمن من بعد خوفهم» في (صفين نصر)[1]: قال عتبة بن جويرية يوم صفين: ألا إنّ مرعى الدنيا قد أصبح شجرها هشيماً، وأصبح زرعها حصيداً، وجديدها سملاً، وحلوها مرّاً. ألا وإنّي أُنبّئكم نبأ امرئ صادق: إنّي سئمت الدنيا، وعزفت نفسي عنها، وقد كنت أتمنى الشهادة وأتعرّض لها في كلّ حين، فأبى الله إلّا أن يبلغني هذا اليوم، ألا وإنّي متعرّض ساعتي هذه لها، وقد طمعت ألّا أُحرمها. فما تنظرون عباد الله جهاد الله، أتستبدلون الدنيا بالنظر إلى وجه الله عزوجل، ومرافقة النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين في دار القرار؟ ما هذا بالرأي السديد. ثم قال لإخوته: إنّي قد بعت هذه الدار بالتي أمامها، وهذا وجهي إليها. فتبعه أخواه عبيدالله وعوف ابنا مالك، وقالا: لا نطلب رزق الدنيا بعدك، قبّح الله العيش بعدك، اللّهم إنّا نحتسب أنفسنا عندك. ثم استقدموا فقاتلوا، حتى قتلوا.

وفيه[2]: قال أبو عرفاء جبلة بن عطية الذهلي في صفين للحضين بن المنذر: هل لك أن تعطيني رايتك أحملها، فيكون لك ذكرها ويكون لي أجرها، أعيرها عنك ساعة فما أسرع ما ترجع إليك؟ فعلم أنّه يريد أن يستقتل، فقال: فما شئت. فاخذ أبو عرفاء الراية، فقال: يا أهل هذه الراية، إنّ عمل الجنة كره كلّه، وإنّ عمل النار خف كلّه، وإنّ الجنّة لا يدخلها إلّا الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله وأمره، وليس شيء مما افترض الله على العباد أشدّ من الجهاد، وهو أفضل الأعمال ثواباً، فاذا رأيتموني قد شددت فشدوا،

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٦٤.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

ويحكم! أما تشتاقون إلى الجنّة؟ أما تُحبون أن يغفر الله لكم؟ فشدَّ وشدوا معه، حتى قتل.

وفي (الطبري)[١]: قاتلت النخع في صفين قتالاً شديداً فأُصيب منهم يومئذ بكر بن هوذة، وحيان بن هوذة، وشعيب بن نعيم من بني بكر النخع، وربيعة بن مالك، وأُبي بن قيس أخو علقمة الفقيه، وقُطعت رجل علقمة يومئذ، فكان يقول: ما أحب أن رجلي أصح ما كانت، وأنّها لممّا أرجو به حسن الثواب من ربّي عزوجل، ولقد كنت أُحبّ أن أرى في نومي أخي أو بعض إخواني، فرأيت أخي فقلت: ماذا قدمتم عليه؟ فقال: التقينا نحن والقوم فاحتججنا عند الله عزوجل، فحججناهم. فما سررت منذ عقلت مثل سروري بتلك الرؤيا.

هذا، وأخذ كلامه عليه‌السلام من قوله: «ماضر اخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين» إلى هنا سليمان بن صرد الخزاعي أيضاً، فكتب إلى سعد بن حذيفة أيضاً: ما ضر أهل عذراء ـ يعني حجراً وأصحابه ـ الذين قُتلوا ألّا يكونوا اليوم أحياء، وهم عند ربّهم يرزقون، شهداء قد لقوا الله صابرين محتسبين، فأثابهم ثواب الصابرين؟ وما ضرّ إخوانكم المقتلين صبراً، المصلبين ظلماً، والممثول بهم، المعتدى عليهم ألا يكونوا أحياء مبتلَين بخطاياكم، قد خيّر لهم فلقوا ربهم ووفاهم أجرهم؟

«أين إخواني الذين ركبوا الطريق» أي: طريق الله عزوجل.

«ومضوا على الحق» كما أمرهم سبحانه ﴿وانّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله...﴾[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٢.

(٢) الانعام: ١٥٣.

في (الطبري)[١]: قال أبو عبد الرحمن السلمي: رأيت عمّاراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلّا تبعه من كان هناك من أصحاب محمّد ﷺ، ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة المرقال صاحب راية علي عليه السلام، فقال: يا هاشم أعورا وجبناً؟ لا خير في أعور لا يغشى البأس، اركب يا هاشم. فركب هاشم ومضى وهو يقول:

أعور يبغي أهله محلا　　　قد عالج الحياة حتى ملا

لابدّ أن يفلّ أو يفلا

وفي (الاستيعاب)[٢]: قال عبد الرحمن بن ابزى: شهدنا مع علي عليه السلام صفين ممن بايع بيعة الرضوان، فقُتل منّا ثلاثة وستون، منهم عمّار.

«أين عمار» في (ذيل الطبري)[٣]: عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام ابن عنس. قدم أبوه من اليمن إلى مكة في طلب أخ له، فأقام وحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي، فزوّجه أبو حذيفة أمة له يقال لها: سمية بنت خباط، فولدت له عمّاراً، فأعتقه أبو حذيفة ولم يزل هو وأبوه مع أبي حذيفة إلى أن جاء الله بالاسلام، فأسلم هو وأبوه وأُمّه.

هذا، وفي (الاستيعاب): قال ابن قتيبة: خلف على أُم عمّار بعد ياسر، الأزرق وكان غلاماً رومياً للحارث بن كلدة، فولدت له سلمة بن الأزرق، فهو أخو عمّار لأُمّه. وهذا غلط فاحش من ابن قتيبة، وإنّما خلف الأزرق على سُميّة أُمّ زياد، زوّجه مولاه الحارث بن كلدة منها، لأنّه كان مولى لهما؛ فسلمة

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠.
(٢) الاستيعاب ٢: ٤٧٨.
(٣) تاريخ الطبري ١١: ٥٠٨.

الأزرق أخو زياد لأمّه لا أخو عمّار، وليس بين سُميّة أُم عمّار وسُميّة أُم زياد نسب ولا سبب.

قلت: لم يتفرّد بما قال من تزوّج الأزرق بسُميّة أُمّ عمّار، وكون سلمة بن الأزرق أخا عمّار لأُمّه ابن قتيبة فقط، بل قال به قبله البلاذري في (نسبه)، وبعده الطبري في (ذيله)[1]. والتحقيق: أنّ الأزرق تزوّج بأُمّ عمّار قبل ياسر أبيه، كما صرّح به البلاذري، وتوهّم ابن قتيبة والطبري في العكس، فأُمّ عمّار لم تفارق أباه حتى قُتلت معه؛ ففي (البلاذري): «كان عمّار وأبوه وأُمه وأخوه عبدالله يعذبون في الله، فمرّ بهم النبي ﷺ فقال: صبراً آل ياسر فإنّ موعدكم الجنّة. فمات ياسر في العذاب، وأغلظت سُميّة لأبي جهل، فطعنها في قلبها فماتت...» كتوهّم صاحب (الاستيعاب) في كون سلمة بن الأزرق أخا زياد لأُمّه؛ فلم يقل ذلك أحد، وإنّما كان لزياد أخوان من أُمّه: نافع وأبو بكرة.

وفي (الطبري)[2]: هاجر ـ في قول جميع أهل السير ـ إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، وقالوا جميعاً: شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد، وآخى النبي ﷺ بينه وبين حذيفة.

وفي (الحلية): لقي علي عليه السلام رجلين خرجا من الحمام متدهنين، فقال: من أنتما؟ قالا: من المهاجرين. قال: كذبتما، إنّما المهاجر عمّار.

وفي (موفقيات الزبير بن بكار): عن ابن عباس قال عثمان لعمّار: أما والله إنّك ما علمتُ من أعوان الشر الحاضّين عليه، الخذلة عند الخير والمثبّطين. فقال عمّار: مهلاً يا عثمان فقد سمعتَ النبي ﷺ يصفني بغير ذلك. قال عثمان: ومتى؟ قال: يوم دخلتُ عليه منصرفه من الجمعة وليس عنده غيرك، وقد ألقى ثيابه وقعد في فضله، فقبّلت صدره ونحره وجبهته، فقال: يا

(١ و ٢) تاريخ الطبري ١١: ٥٠٨.

عمّار إنّك لتُحبُّنا وإنّا لنحبك، وإنّك من الأعوان على الخير المثبّطين عن الشر. فقال عثمان: أجل، ولكنّك غيّرت وبدّلت. فرفع عمّار يده يدعو، وقال: أمّن يابن عباس. فقال: اللّهم من غيّر فغيّر به. قاله ثلاث مرات..

وفي (الاستيعاب)[١]: ونقله ابن أبي الحديد[٢] أيضاً: وللحلف والولاء الذي بين مخزوم وبين عمّار وأبيه كان اجتماع مخزوم إلى عثمان، حين نال غلمان عثمان من عمّار ما نالوا من الضر، حتى انفتق له فتق في بطنه، وزعموا أنّهم كسروا ضلعاً من أضلاعه، فقالوا: والله لئن مات عمّار، لا قتلنا به أحداً غير عثمان.

وفيه: عن ابن عباس: نزل قوله تعالى ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها..﴾[٣] في عمّار وأبي جهل. وأجمع أهل التفسير أنّه نزل في عمّار قوله تعالى ﴿...إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان...﴾[٤] لما عذب في الله فأعطاهم ما أرادوا بلسانه. وهاجر إلى الحبشة وصلّى القبلتين.

قلت: وربط جعل أبي جهل في قباله، لكون أبي جهل، من مخزوم وعمّار كان حليف مخزوم.

وفي (كامل الجزري): قال عمّار لعايشة بعد الجمل: ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك. فقالت عايشة: والله إنّك ما علمت لقوّال بالحق. قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك.

---

(١) الاستيعاب ٢: ٤٧٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٠٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٠٢، والآية ١٢٢ من سورة الأنعام.

(٤) النحل: ١٠٦.

وفي (الاستيعاب)[1]: في اسنادين عن عايشة: ما من أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ان أشأ أن أقول فيه قلتُ إلّا عمّاراً، فإنّي سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: عمّار حُشي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أُذنيه إيماناً.

وفيه[2]: ومن حديث خالد بن الوليد: قال النبي صلى الله عليه وآله: من أبغض عمّاراً أبغضه الله. قال خالد: فما زلت أُحبه من يومئذ. وعن أنس قال النبي صلى الله عليه وآله: اشتاقت الجنّة إلى عليّ وعمّار وسلمان وبلال.

ومن[3] حديث[4] علي عليه السلام: جاء عمّار يستأذن على النبي صلى الله عليه وآله فعرف صوته، فقال: مرحباً بالطيّب المطيّب إيذنوا له. ورواه نصر: (مرحباً بالطيّب ابن الطيّب)[5].

وفي (الاستيعاب)[6]: كان يوم صفين، أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله يتبعونه كأنّه علم لهم، ويقول:

نحن ضربناكم على تنزيله	فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله

وفي (كامل الجزري): قيل: إنّ أبا الغادية عاش إلى زمن الحجاج، فدخل عليه فأكرمه وقال له: أنت قتلت ابن سُميّة؟ قال: نعم. قال: من سرّه أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سُميّة. ثم سأله حاجته، فلم يجبه إليها، فقال: نوطّئ لهم الدنيا، ولا يُعطوننا منها، ويزعم أنّي

---

(١) الاستيعاب ٢: ٤٧٨.

(٢) الاستيعاب ٢: ٤٧٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٠٤.

(٤) الاستيعاب ٢: ٤٧٩.

(٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢٣.

(٦) الاستيعاب ٢: ٤٧٩.

عظيم الباع يوم القيامة. فقال الحجاج: أجلّ والله، من كان ضرسه مثل أُحد، وفخذه مثل جبل ورقان، ومجلسه مثل المدينة والربذة، إنّه لعظيم الباع يوم القيامة، والله لو أنّ عمّاراً قتله أهل الأرض لدخلوا كلّهم النار.

وفي (الاستيعاب): كان أبو الغادية إذا استأذن على معاوية وغيره، قال: قاتل عمّار بالباب. وكان يصف قتله اذا سُئل عنه لا يباليه، وفي قصّته عجب عند أهل العلم: روى عن النبي صلى الله عليه وآله قوله في عمّار، ثم قتله.

وفي (معارف ابن قتيبة): عن الزيادي عن عبد الوارث عن زمعة بن كلثوم عن ابيه عن أبي الغادية قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ألا لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإن الحق يومئذ لمع عمّار. قال أبو الغادية: وسمعت عمّاراً يذكر عثمان في المسجد، قال يدعى فينا جباناً، ويقول: إنّ نعثلاً هذا يفعل ويفعل. يعيبه فلو وجدت يومئذ ثلاثة أعوان، لو طئته حتى أقتله، فبينما أنا بصفين إذا أنا به في أوّل الكتيبة، فطعنه رجل في كتفه، فانكشف المغفر عن رأسه، فضربتُ رأسه، فإذا رأس عمّار قد ندر. قال زمعة: قال أبي: فما رأيت شيخاً أضلّ منه، يروي أنّه سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول ما قال، ثم ضرب عنق عمّار.

قلت: بل العجب من جميع إخواننا، كيف يقولون بإمامة عثمان مع أنّ عمّاراً كان يكفره ويجعله مباح الدم؟ فلما قال له عمرو بن العاص: أعليّ قتل عثمان؟ قال: بل الله ربّ علي قتله. قال: أكنت ممّن قتله؟ قال: كنت معهم، وأنا اليوم أُقاتل معهم. قال: لِمَ قتلتموه؟ قال: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه.

وفي (الطبري)[١]: قال عمّار يوم صفّين: اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم ابن عفان، ويزعمون أنّه قتل مظلوماً...

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٩.

وفي (الطبري):[1] قال حبة العرني: انطلقت أنا وأبو مسعود إلى حذيفة بالمدائن، وقلنا: حدّثنا فإنّا نخاف الفتن. فقال: عليكما بالفئة التي فيها ابن سُميّة؛ إنّي سمعت النبي ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق، وإنّ آخر رزقه ضياح من لبن. قال حبة: فشهدته يوم صفين وهو يقول: إيتوني بآخر رزق من الدنيا. فأُتي بضياح من لبن في قدح أروح، له حلقة حمراء، فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة. فقال عمّار:

اليوم ألقى الأحبه ... محمداً وحزبه

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعلمنا أنّا على الحق وأنّهم على الباطل. وجعل يقول: الموت تحت الأسل، والجنة تحت البارقة.

وفي (ذيل الطبري)[2]: روى الواقدي عن لؤلؤة مولاة أُمّ الحكم بنت عمّار، قالت: لما كان اليوم الذي قُتل فيه عمّار، والراية يحملها هاشم بن عتبة، وقد قتل أصحاب عليّ عليه السلام ذلك اليوم حتى كانت العصر، ثم تقرّب عمّار من وراء هاشم يقدمه، وقد جنحت الشمس للغروب، ومع عمّار ضياح من لبن ينتظر وجوب الشمس أن يفطر، فقال حين وجبت الشمس وشرب الضيح: سمعت النبي ﷺ يقول: «آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن» ثم اقترب فقاتل حتى قتل، وهو ابن أربع وتسعين سنة.

وروى[3] عن عمّارة بن خزيمة بن ثابت قال: طعن أبو غادية المزني عمّاراً برمح فسقط، فلما وقع أكبّ عليه رجل آخر فاحتز رأسه، فأقبلا يختصمان فيه، كلاهما يقول: أنا قتلته. فقال عمرو بن العاص: والله، إن يختصمان إلّا في النار. فسمعها منه معاوية، فلما انصرف الرجلان قال

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٨.

(٢) (٣) ذيل تاريخ الطبري ١١: ٥٠٩.

معاوية لعمرو: ما رأيت مثل ما صنعت، قوم بذلوا أنفسهم دوننا، تقول لهما: إنكما تختصمان في النار! فقال عمرو: هو والله ذاك، والله إنّك لتعلمه، ولوددت أنّي متّ قبل هذا بعشرين سنة.

وعن ابي مخنف[١] قال: إنّ عمّاراً لم يزل بهاشم بن عتبة ـ ومعه اللواء ـ حتى حمل، فنهض عمّار في كتيبة، ونهض إليه ذو الكلاع في كتيبة، فاقتتلوا فقتلا جميعاً، واستوصلت الكتيبتان، وحمل على عمّار حوي السكسكي وأبو غادية المزني فقتلاه، فقيل لأبي الغادية: كيف قتلته؟ قال: لما دلف إلينا في كتيبة، ودلفنا إليه نادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه رجل من السكاسك، فاضطربا بسيفيهما فقتل عمّار السكسكي، ثم نادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه رجل من حمير، فاضطربا بسيفيهما فقتل عمّار الحميري، وأثخنه الحميري ونادى: مَنْ يُبارز؟ فبرزت فاختلفنا ضربتين ـ وكانت يده ضعفت ـ فانتجيت عليه بضربة أُخرى، فسقط فضربته بسيفي حتى برد، ونادى الناس: قتلت أبا اليقظان قتلك الله. فقلت: اذهب إليك، فوالله ما أُبالي من كنت. وما أعرفه يومئذ، فقال له محمّد بن المنتشر: يا أبا الغادية خصمك يوم القيٰمة مازندر ـ يعني: ضخم ـ فضحك.

وفي (الطبري)[٢]: قال أبو عبد الرحمن السلمي: لمّا قُتل عمّار وكان الليل قلت: لأدخلن إليهم حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمّار ما بلغ منّا؟ وكنّا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدّثنا إليهم، فركبت فرسي وقد هدأ الليل، ثم دخلت فاذا أنا بأربعة يتسايرون: معاوية وأبو الأعور وعمرو بن العاص وابنه عبدالله، فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول أحد الشقين،

---

(١) ذيل تاريخ الطبري ١١: ٥١٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤١.

فقال عبدالله لأبيه: يا أبة قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا، وقد قال فيه النبي ﷺ ما قال؟ قال: وما قال؟ قال: ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد، والناس ينقلون حجراً حجراً، ولبنة لبنة، وعمّار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين، فغُشي عليه فأتاه النبي ﷺ، فجعل يمسح التراب عن وجهه، ويقول: «ويحك يا بن سمية! الناس ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر، وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية» فدفع عمرو صدر فرسه، ثم جذب معاوية إليه، فقال: يا معاوية ألم تسمع ما يقول عبدالله؟ قال: وما يقول؟ فأخبره، فقال معاوية: إنّك شيخ أخرق، ولا تزال تحدّث بالحديث وأنت تدحض في بولك، أو نحن قتلنا عمّاراً؟! انما قتل عمّاراً من جاء به. فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنّما قتل عمّاراً من جاء به. فلا أدري من كان أعجب، هو أو هم؟!

وفي (صفين نصر)[1]: كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال النبي ﷺ لعمّار: تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها ضياح من لبن. فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ما هذا ويحك؟ فيقول عمرو: إنّه سيرجع إلينا. فقُتل ذو الكلاع قبل عمّار، فقال عمرو بعد قتل عمّار لمعاوية: ما أدري بقتل أيّهما أشدّ فرحاً بقتل عمّار، أو بقتل ذي الكلاع، والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمّار، لمال بعامة أهل الشام إلى عليّ.

وفيه[2]: عن السدي عن يعقوب بن الأوسط قال: احتج رجلان بصفّين في سلب عمّار وفي قتله، فأتيا عبدالله بن عمرو بن العاص، فقال لهما: ويحكما! اخرجا عني، فإنّ النبي ﷺ قال: «ولعت قريش بعمّار، مالهم ولعمّار؟

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤١، ٣٤٢.

(٢) المصدر السابق.

يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قاتله وسالبه في النار» قال السدي: فبلغني أنّ معاوية قال: إنّما قتله من أخرجه. يخدع بذلك طغام أهل الشام.

«وأين ابن التيهان» قال ابن أبي الحديد[١]: هو مالك بن عتيك الأنصاري.

قلت: بل مالك بن التيهان بن مالك، كما في أسماء (الاستيعاب)[٢]: وقال البلاذري في (أنسابه) ولده يقولون: ابن التيهان بن مالك بن عتيك. وأمّا قول (الاستيعاب)[٣] في كناه: «والتيهان اسمه مالك بن عمرو» فغلط لكونه خلاف قوله في أسمائه، ولأنّه روى في كناه بعد عن أبي نعيم»[٤]، قال: «والتيهان اسمه عمرو بن الحارث». وإن كان خلاف قوله في أسمائه أيضاً.

وكيف كان، فروى (الاستيعاب)[٥] عن صالح بن الوجيه، وعن أبي نعيم قتله بصفين، ويشهد له كلامه عليه السلام، فالأقوال الأخر في موته في زمان النبي صلى الله عليه وآله، وفي سنة (٢٠) وفي سنة (٢١) لا عبرة بها.

هذا وفي (اشتقاق ابن دريد): شهد ابن التيهان العقبة وبدراً وكان نقيباً. والتيهان فيعلان من تاه يتيه.

وفي (كامل المبرد)[٦]: يقال لأبي الهيثم الأنصاري: ذو السيفين، لأنّه كان يتقلّد سيفين في الحرب.

وروى (عيون ابن بابويه)[٧]: أنّ في جملة ما كتب الرضا عليه السلام للمأمون

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ١٠: ١٠٧ لا يوجد فيه: «ابن عتيك».

(٢) الاستيعاب ٣: ٣٦٨.

(٣) الاستيعاب ٤: ٢٠٠.

(٤) أبو نعيم قال: «والتيهان اسمه عمرو بن الحارث» وإن كان خلاف قوله في أسمائه أيضاً.

(٥) الاستيعاب ٤: ٢٠١.

(٦) الكامل للمبرد ٢: ٣٨٧.

(٧) العيون لابن بابويه ٢: ١٢٥.

من شرايع الاسلام: الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام والذين مضوا على منهاج نبيّهم، ولم يغيّروا ولم يبدّلوا، مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد، وعمّار، وحذيفة، وأبي الهيثم بن التيهان.

ومما يحقق قتله في صفين ما رواه نصر بن مزاحم في (صفينه)[1] أنّ أمينة الأنصارية رأته وقالت:

منع اليوم ان أذوق رُقادا مالك إذ مضى وكان عمادا
يا أبا الهيثم بن تيهان إني صرت للهمّ معدناً ووسادا
إذ غدا الفاسق الكفور عليهم إنّه كان مثلها معتادا
أصبحوا مثل من ثوى يوم أُحد يرحم الله تلكم الأجسادا

«وأين ذو الشهادتين» واسمه خزيمة بن ثابت. وسمّي ذو الشهادتين لما رواه البلاذري عن الواقدي قال: قال محمّد بن يحيى بن سهل: ابتاع النبي صلى الله عليه وآله فرسه المرتجز من أعرابي من بني مرة، فرأى الأعرابي فيه رغبة، فجحد أن يكون باعه إياه، فشهد له على ابتياعه هذا الفرس خزيمة بن ثابت الأنصاري ـ ولم يكن شاهداً شراءه ـ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: كيف شهدت ولم تحضر؟ قال: بتصديقي إيّاك، وإنّ قولك كالمعاينة. قال: أنت ذو الشهادتين. فسُمّي ذا الشهادتين. ووقع في خبر (عيون) المتقدم كابن التيهان.

قال ابن أبي الحديد[2]: روي حديث مقتله بصفين من وجوه كثيرة عن ولد ولده محمّد بن عمّارة بن خزيمة، ومن غريب ما وقفت عليه من العصبية القبيحة أنّ أبا حيان التوحيدي قال في (بصائره): إنّ خزيمة بن ثابت المقتول بصفين ليس ذا الشهادتين، بل آخر صحابي من الأنصار، فإنّ كتب الحديث

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٦٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٠٩.

والنسب تنطق أنّه: لم يكن في الصحابة خزيمة بن ثابت غيره، وإنّما الهواء لا دواء له. على أن الطبري[1] سبق أبا حيان، ومن كتابه نقل أبو حيان، ثم أي حاجة لناصري أمير المؤمنين عليه السلام أن يتكثروا بخزيمة، وابن الهيثم، وغيرهم لو أنصفوه؟....

قلت: الطبري قال ذلك في (الجمل) في رواياته عن سيف التي كلّها مفتعلة، إلّا أنّه في (ذيله) قال بعد رفع نسبه إلى أوس: وهو ذو الشهادتين يُكنّى أبا عمارة، شهد صفين وقتل يومئذ سنة (٣٧).

«وأين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا» أي: تعاهدوا.

«على المنية» أي: الموت. منهم هاشم المرقال، وأصحابه. وفي (صفين نصر)[2]: لمّا قُتل هاشم جزع الناس عليه جزعاً شديداً، وأُصيب معه عصابة من القرّاء من أسلم، فمرّ عليهم عليّ عليه السلام وهم قتلى حوله، فقال:

جزى الله خيراً عصبة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
يزيد وعبدالله بشر ومعبد وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم
وعروة لا يبعد ثناه وذكره إذا اخترطت يوماً خفاف الصوارم

وروى[3]، عن عبد خير الهمداني قال: قال هاشم: أيّها الناس إنّي رجل ضخم فلا يهولنكم مسقطي إن أنا سقطت، فإنّه لا يفرغ مني أقل من نحر جزور. ثم حمل فصُرع، فمر عليه رجل وهو صريع بين القتلى، فقال له: أقرئ أمير المؤمنين السلام ورحمة الله، وقل له: أُنشدك بالله ألا اصبحت وقد ربطت مقاود خيلك بأرجل القتلى، فإنّ الدبرة تصبح عندك لمن غلب على القتلى.

(١) ذيل تاريخ الطبري ١١: ٥١١.
(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٦.
(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٣.

فأخبر الرجل علياً عليه السلام بذلك، فسار عليّ عليه السلام في بعض الليل، حتى جعل القتلى خلف ظهره، وكانت الدبرة له عليهم.

وروى[١]، عن أبي سلمة: أن هاشم بن عتبة دعا الناس، فقال: ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فليُقبل. فأقبل إليه ناس، فشدّ في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً، فليس يحمل من وجه عليهم إلّا صبروا له، وقوتل فيه قتالاً شديداً، فقال لأصحابه: لا يهولنكم ما ترون، فوالله ما ترون إلّا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وعند مراكزها، وإنّهم لعلى الضلال وإنّكم لعلى الحق، يا قوم اصبروا وصابروا، واجتمعوا وامشوا بنا على تؤدة رويداً، ثم تآسوا وتصابروا، واذكروا الله، ولا يسلم رجل أخاه، ولا تكثروا الالتفات، وجالدوهم محتسبين ﴿حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾[٢] إذ خرج عليهم فتىً شاب - إلى أن قال - فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان؟ إنّما قتله أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وقرّاء الناس، حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب، وأصحاب محمّد هم أصحاب الدين وأولى بالنظر في أُمور المسلمين - إلى أن قال - وقاتل هاشم وأصحابه قتالاً شديداً حتى أتت كتيبة لتنوخ، فشدوا فقاتلهم حتى قتل تسعة أو عشرة، وحمل عليه الحرث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط، وبعث إليه علي عليه السلام: أن قدّم لواءك. فقال للرسول: انظر إلى بطني. فاذا هو قد انشق، وأخذ اللواء بعد قتله ابنه عبدالله وقال:

أهاشم بن عتبة بن مالك	أعزز بشيخ من قريش هالك
تخبطه الخيول بالسنابك	في أسود من نقعهن حالك
أبشر بحورالعين في الأرائك	والروح والريحان عند ذلك

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

(٢) الأعراف : ٨٧.

وفي (المروج)[1]: حمل هاشم ومعه جماعة من أسلم قد آلوا ألّا يرجعوا، أو يفتحوا، أو يقتلوا. وشرطة الخميس الذين بايعوه على الموت كانوا خمسين.

ومنهم أبو عمرة عمرو بن محصن النجاري في (صفين نصر)[2]: كان من أعلام أصحاب عليّ عليه السلام، فلما قتل جزع عليّ عليه السلام لقتله، وقال النجاشي يرثيه:

لنعم فتى الحيين عمرو بن محصن ... إذا صائح الحيّ المصبح ثوّبا
لقد فجّع الأنصار طراً بسيد ... أخي ثقة في الصالحات مجربا
فان تقتلوا الحر الكريم ابن محصن ... فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا

وقالت شامية:

ولا تعدموا قوماً أذاقوا ابن ياسر ... شعوباً ولم يعطوكم بالخزائم
فنحن قتلنا اليثربي ابن محصن ... خطيبكم وابني بديل وهاشم

ومنهم عبدالله بن بديل الخزاعي؛ وفي (صفين نصر)[3]: كان عليه يومئذ سيفان ودرعان، فجعل يضرب الناس بسيفه قدماً، وهو يقول:

لم يبق إلّا الصبر والتوكل ... واخذك الترس وسيفاً مصقلْ
ثم التمشّي في الرعيل الأول ... مشي الجمال في الحياض المنهلْ

فلم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى إلى معاوية، فأزاله عن موقفه، فأقبل أصحاب معاوية يرضخونه بالصخر، حتى أثخنوه وقتل. فقال معاوية: هذا كبش القوم وربّ الكعبة.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٨٠ ـ ٨١.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٧.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٤٥.

«وأبرد برؤوسهم الى الفجرة» قال ابن أبي الحديد[١] أي: حملت رؤوسهم مع البريد إلى الفجرة أي: أُمراء عسكر الشام.

قلت: لم ينقل في السير قطع الرؤوس في صفين بعد القتل وإرسالها إلى الامراء، ثم أُمراء الشام كانوا شاهدين صفين، فلِمَ تُحمل الرؤوس إليهم مع البريد؟ ثم لم يكن أحد يرسل إليه رأس غير أمير الفجرة معاوية. ويمكن أن يكون المراد بقوله عليه السلام: «وأين نظراؤهم -إلى -وابرد برؤوسهم إلى الفجرة» في غير صفين، وإنّه عليه السلام أشار إلى حمل رأس محمّد بن أبي بكر؛ فالخطبة -كما عرفت - كانت بعد قتل محمّد قرب قتله عليه السلام؛ وفي (العقد)[٢]: ضرب معاوية بن حديج عنق محمّد، وبعث برأسه إلى معاوية، فكان أوّل رأس طِيف به في الاسلام.

وكلامه عليه السلام بلفظ الماضي، وإلّا فحمل رأس عمرو بن الحمق الذي كان أحد أجلّاء شيعته -كحجر بن عدي -إلى معاوية بعشر سنين بعده عليه السلام؛ هرب زمان إمارة زياد على الكوفة إلى الموصل، ودخل غاراً فنهشته حيّة فقتلته، فبعث عامل الموصل مَن أخذ رأسه وبعثه إلى زياد، فبعثه زياد إلى معاوية وقالوا: إنّ رأسه أوّل رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى بلد.

واللعين أوّل من أسّس هذه الشناعة في الإسلام، وتبعه مَن بعده من الجبابرة؛ وفي (صلة تاريخ الطبري)[٣]: ورد في سنة (٣٠٤) الكتاب من خراسان: أنّه وجد بالقندهار في أبراج سورها برج متصل بها، فيه خمسة آلاف رأس في سلال من حشيش، ومن هذه الرؤوس: تسعة وعشرون رأساً،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٠.

(٢) العقد لابن عبد ربه ١: ١٢٣.

(٣) صلة تاريخ الطبري ١١: ٥٩.

في أُذن كلّ رأس منها رقعة مشدودة بخيط إبريسم، باسم كلّ رجل منهم، والأسماء: شريح بن حيان، خباب بن الزبير، الخليل بن موسى التميمي، الحارث بن عبدالله، طلق بن معاذ السلمي، حاتم بن حسنة، هاني بن عرة، عمر بن علان، جرير بن عباد المدني، جابر بن خبيب بن الزبير، فرقد بن الزبير السعدي، عبدالله بن سليمان بن عمّارة، سليمان بن عمّارة، مالك بن طرخان صاحب لواء عقيل بن سهيل بن عمرو، عمرو بن حيان، سعيد بن عتاب الكندي، حبيب بن أنس، هارون بن عروة، غيلان بن العلا، جبرئيل بن عبادة، عبدالله البجلي، مطرف بن صبح ختن عثمان بن عفان؛ وجدوا على حالهم، إلّا أنّه قد جفّت جلودهم والشعر عليها بحالته. وفي الرقاع من سنة (٧٠) من الهجرة.

هذا، وفي الخبر: أن الحسين عليه السلام كان في شخوصه من مكة إلى العراق لا ينزل منزلاً ولا يرحل، إلّا كان يذكر أمر رأسه عليه السلام، وبعثه إلى عبيدالله ويزيد، وكان عليه السلام يقول: من هوان الدنيا أن رأس يحيى بن زكريا أُهدي إلى ملك بغي.

«قال» ليس في (ابن ميثم)[١]، وانما هو في (ابن أبي الحديد) (كالمصرية)[٢].

«ثم ضرب بيده» هكذا في (المصرية)، والصواب: (يده) كما في (ابن ميثم)[٣] و(ابن أبي الحديد)[٤] و(الخطية).

«على لحيته الشريفة الكريمة» هكذا في (المصرية) والصواب: (على

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢، وفيه: قال ثم ضرب.

(٢) الطبعة المصرية: ١٣١ الخطبة ١٨٠.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢، وفيه: «ضرب بيده».

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٩٩.

لحيته) بدون زيادة لعدم وجود الوصفين في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[١].

«فأطال البكاء ثم قال عليه السلام» هكذا في (المصرية)، وليس في (ابن ميثم وابن أبي الحديد): عليه السلام.

«أوّه» ـ بسكون الواو ـ قال الجوهري: توجع؛ قال الشاعر:

فأوّه لذكراها إذا ما ذكرتها ومن بُعد أرض بيننا وسماء

«على اخواني الذين قرؤوا» هكذا في (المصرية)، والصواب: (تلوا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم).

«القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة» في (صفين نصر)[٢]: قتل عبدالله بن كعب يوم صفين، فمر عليه الأسود بن قيس وهو بآخر رمق، فقال له الأسود: عز عليّ والله مصرعك، أما والله لو شهدتك، لآسيتك ولدافعت عنك، ولو أعرف الذي أشعرك لأحببت ألا يزايلني حتى يُلحقني بك. ثم نزل إليه، وقال له: والله إن كان جارك ليأمن بوائقك، وإن كنت من الذاكرين الله كثيراً، أوصني رحمك الله. قال: أُوصيك بتقوى الله، وان تناصح أمير المؤمنين، وأن تقاتل معه المحلين حتى يظهر الحق، أو تلحق بالله، وأبلغه عني السلام، وقل له: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فمن أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب. ثم لم يلبث أن مات، فأقبل الأسود إلى علي عليه السلام فأخبره، فقال رحمه الله جاهد معنا عدوّنا في الحياة، ونصح لنا في الوفاة.

«دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد» يعني عليه السلام نفسه.

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢، وفيه: «على لحيته الشريفة الكريمة».

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٦.

«فاتبعوه» هكذا في (المصرية)[١]، والصواب: (فاتبعوا) كما في (ابن أبي الحديد)[٢] و(ابن ميثم)[٣].

في (صفين نصر)[٤]: لما خرج علي عليه السلام إلى صفين قال له عمرو بن الحمق: إني والله ما بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة مال تؤتينيه، ولا التماس سلطان ترفع ذكري، ولكن أجبتك لخصال خمس: أنّك ابن عمّ النبي صلى الله عليه وآله، وأول من آمن به، وزوج سيّدة نساء الأمة، وأبو الذريّة التي بقيت فينا من النبي صلى الله عليه وآله، وأعظم رجل من المهاجرين في الجهاد. فلو أنّي كُلّفت نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي، حتى يأتي عليّ يومي في أمرٍ أقوّي به وليّك وأُوهن به عدوّك، ما رأيت أنّي قد أدّيت فيه كلّ الذي يحقّ عليّ من حقك. فقال عليه السلام: اللهمّ نوّر قلبه بالتقى، واهده إلى صراط مستقيم؛ ليت في جندي مائة مثلك. ثم قام حجر بن عدي، فقال له عليه السلام: نحن بنو الحرب وأهلها، نلهبها وننتجها، قد ضارستنا وضارسناها، ولنا أعوان ذوو صلاح وعشيرة ذات عدد، ورأي مجرّب وبأس محمود، وأزمّتنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شرّقت شرّقنا، وإن غرّبت غرّبنا، وما أمرتنا به من أمر فعلناه.

وفي (رجال الكشي): قال أبو الجارود: قلت للأصبغ: ما كان منزلة هذا الرجل فيكم؟ قال: ما أدري ما تقول، إلّا أنّ سيوفنا كانت على عواتقنا، فمن أومى إليه ضربناه بها، وكان يقول لنا: تشرطوا، فوالله ما اشتراطكم لذهب ولا فضة، وما اشتراطكم إلّا للموت، إنّ قوماً قبلكم من بني اسرائيل تشرطوا بينهم، فما مات أحد منهم حتى كان نبي قومه، أو نبي قريته، أو نبي نفسه،

---

(١) الطبعة المصرية: ١٣١ الخطبة ١٨٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٩٩.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢.

(٤) صفين لنصر بن مزاحم: ١٠٣.

وإنكم بمنزلتهم غير أنكم لستم بأنبياء.

وفي (المروج)[1]: كان حذيفة اليماني في سنة (٣٦) عليلاً بالكوفة، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي عليه السلام، فقال: أخرجوني وادعوا: الصلاة جامعة. فوضع على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي وآله، ثم قال: أيّها الناس، إنّ الناس قد بايعوا عليّاً عليه السلام، فعليكم بتقوى الله، وانصروا عليّاً، ووازروه، فوالله إنّه لعلى الحق آخراً وأولاً، وإنّه لخير من مضى بعد نبيكم، ومن بقي إلى يوم القيامة. ثم أطبق يمينه على يساره، ثم قال: اللّهم اشهد أنّي قد بايعت عليّاً. وقال: الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم. وقال لابنيه صفوان وسعيد: احملاني وكونا معه، فسيكون له حروب كثيرة، فيهلك فيها خلق من الناس، فاجتهدا أن تستشهدا معه، فإنّه والله على الحق، ومن خالفه على الباطل. ومات حذيفة بعد ذلك بسبعة أيام، واستشهد ابناه في صفين، واستشهد عبدالله بن الحرث النخعي أخو الأشتر.

١١
الحكمة (٣٢٢)

وَرُوِيَ: أَنَّهُ عليه السلام لَمَّا وَرَدَ ٱلْكُوفَةَ قَادِماً مِنْ صِفِّينَ مَرَّ بِالشِّبامِيِّينَ، فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلَى صِفِّين، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شرَحْبيل الشِّباميّ ـ وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ قَوْمِهِ ـ فَقَالَ عليه السلام لَهُ:

أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ! أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَذَا الرَّنِينِ؟

وأَقْبَلَ حَرْبٌ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عليه السلام رَاكِبٌ فَقَالَ عليه السلام:

ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي، وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٩٤.

أقول: رواه نصر بن مزاحم[١]، والطبري[٢] في كتابيهما مع زيادة قبله وبعده. فروى الأوّل عن عمر عن عبدالله بن عاصم، قال: لما مرّ علي عليه السلام بالثوريين ـ يعني ثور همدان ـ سمع البكاء، فقال: ما هذه الأصوات؟ قيل: هذا البكاء على من قُتل بصفين. قال: أما إنّي أشهد لِمَن قُتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة. ثم مرّ بالشباميين، فسمع رنّة شديدة، وصوتاً مرتفعاً عالياً، فخرج إليه حرب بن شرحبيل الشبامي، فقال له علي عليه السلام: أتغلبكم نساؤكم؟ ألا تنهونهن عن هذا الصياح والرنين؟ قال: لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً قدرنا على ذلك، ولكن من هذا الحي ثمانون ومائة قتيل، فليس من دار إلّا وفيها بكاء. أمّا نحن معاشر الرجال فإنّا لا نبكي، ولكن نفرح لهم بالشهادة. فقال عليه السلام: رحم الله قتلاكم وموتاكم. وأقبل يمشي معه، وعليّ عليه السلام راكب فقال له علي عليه السلام: ارجع فإنّ مشي مثلك فتنة للوالي. ومذلّة للمؤمن. ثمّ مضى حتّى مرّ بالناعطيين، فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن مرثد؛ يقول: ما صنع عليّ شيئاً؟ ذهب ثم انصرف في غير شيء. فلما نظر عليّ عليه السلام إليه أبلس، فقال عليه السلام: وجوه قوم ما رأوا الشام العام. ثم قال عليه السلام لأصحابه: قوم فارقتهم آنفاً خير من هؤلاء. ثم قال:

أخوك الذي إن أحرضتك ملمة ... من الدهر لم يبرح لبثك واجما

وليس أخوك بالذي إن تمنّعت ... عليك أُمور ظل يلحاك لائما

ثمّ مضى عليه السلام فلم يزل يذكر الله حتى دخل الكوفة.

وفي حديث[٣] عمرو ابن شمر: لمّا صدر عليّ عليه السلام من صفين أنشأ

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٣١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٥.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٣٢ ـ ٥٣٣.

يقول:

وكم قد تركنا في دمشق وأرضها من اشمط موتور وشمطاء ثاكل
وغانية صاد الرماح حليلها فأضحت تعد اليوم احدى الأرامل
تبكي على بعل لها راح غادياً وليس إلى يوم الحساب بقافل
وإنّا لناس ما تصيب رماحنا إذا ما طعنا القوم غير المقاتل

وروى الثاني[١] باسناده عن أبي مخنف عن عبدالله بن عاصم مثله، إلى قوله: «حتى دخل الكوفة» لكن فيه: «حتى مر بالناعطيين وجلهم عثمانية» وفيه: «فلمّا نظروا إلى عليّ عليه السلام أبلسوا».

قول المصنّف: «وروى» قد عرفت أنّ الراوي عبدالله بن عاصم الفائشي.

«أنّه عليه السلام لمّا ورد الكوفة قادماً من صفين مرّ» قد عرفت من الرّواية المتقدمة أنّ مروره عليه السلام بمن قال، كان قبل وروده الكوفة.

«بالشباميين» بكسر الشين، في (الجمهرة): شبام: قبيلة من العرب. قال ابن الكلبي: هم منسوبون إلى جبل وليس بأُمّ ولا أب.

وفي (السمعاني): شبام: مدينة باليمن. وفي (لبابه): شبام: بطن من همدان، وهو شبام بن أسعد بن جشم بن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان، وتلك المدينة بهم سُمّيت.

وفي (القاموس): «موضع بالشام، وجبل لهمدان باليمن، وبلد لحمير تحت جبل كوكبان، وبلد لبني حبيب عند ذمرمر، وبلد في حضرموت».

قلت: والأصح في الحي ما قاله ابن الكلبي.

«فسمع بكاء النساء على قتلى صفين» قد عرفت في خبره: «فسمع رنة شديدة، وصوتاً مرتفعاً عالياً» ويشهد له قوله عليه السلام: «ألا تنهونهن عن هذا

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٦٢.

الرنين». لا أنّه عليه السلام نهى عن مطلق البكاء. كيف وقد سمع عليه السلام قبل الشباميين من ثور همدان بكاء نسائهن فلم ينه؟

«وخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من وجوه قومه» كان من التابعين وقوله له عليه السلام في خبره: «أمّا نحن معاشر الرجال فلا نبكي ونفرح لهم بالشهادة» يدلّ على حسن حاله.

«**فقال عليه السلام أتغلبكم نساؤكم على ما أسمع**» من الصياح.

«**ألا تنهونهن عن هذا الرنين**» صوت البكاء الممتد؛ وفي (الجمهرة): الرنة: الصوت الشديد يخالطه فزع أو صراخ. سمعت رنة القوم، ثم كثر حتى قالوا: سمعت رنّة الطير. أي: أصواتها، وهو الرنين أيضاً.

«وأقبل حرب» ليس (حرب) في (ابن ميثم)[١] بل في (ابن أبي الحديد)[٢] وأخذته (المصرية)[٣] منه.

«يمشي معه عليه السلام وهو راكب فقال عليه السلام»: هكذا في (المصرية)، والصواب: (فقال عليه السلام له) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

«**ارجع فإنّ مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلّة للمؤمن**» روى (الروضة)[٥]: عن جويرية بن مسهر قال: اشتددت خلف أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا جويرية إنّه لم يهلك هؤلاء الحمقى إلّا بخفق النعال خلفهم، ما جاء بك؟ قلت: جئت أسألك عن ثلاث: الشرف والمروة والعقل... .

وفي (معارف القتيبي): قال ميمون بن مهران: أوّل من مشت معه

---

(١) شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٣٤.

(٣) الطبعة المصرية: ٢٣٠ الحكمة ٣٢٢.

(٤) شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٣.

(٥) روضة فروع الكافي ٨: ٢٤١ ـ ح٣٣١.

الرجال وهو راكب: الأشعث بن قيس.

١٢
الخطبة (٢٠٦)

ومن كلام له عليه السلام قاله لمّا اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَتَّى نَهِكَتْكُمُ الْحَرْبُ، وَقَدْ وَاللهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ. لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاء وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ.

أقول: ذكره (صفين نصر بن مزاحم)[1]، مع أدنى اختلاف ومع بيان سببه، فقال: ذكروا أنّ أهل الشام جزعوا فقالوا: يا معاوية ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه، فأعدها جذعة، فإنّك قد غمرت بدعائك القوم، واطمعتهم فيك. فدعا معاوية عبدالله بن عمرو بن العاص وأمره أن يكلّم أهل العراق، فأقبل حتى إذا كان بين الصفّين: نادى يا أهل العراق أنا عبدالله بن عمرو بن العاص، إنّها قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين أو الدنيا، فإن تكن للدين فقد والله أعذرنا وأُعذرتم وإن تكن للدنيا فقد أسرفنا وأسرفتم، وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا لأجبناكم، فإن يجمعنا وإياكم الرضا فذلك من الله، فاغتنموا هذه الفرجة لعلّه أن يعيش فيها المحترف وينسى فيها القتيل، فإنّ بقاء المهلك بعد الهالك قليل. فخرج سعيد بن قيس الهمداني فأتى علياً عليه السلام، فأخبره بقول عبدالله بن عمرو ـ إلى أن قال ـ وقام الناس إلى علي عليه السلام، فقالوا: أجب القوم إلى ما دعوك إليه، فإنّا قد فنينا ـ إلى أن قال ـ ذكروا: أنّ الناس ماجوا وقالوا: أكلتنا الحرب، وقتلت الرجال. وقال قوم: نقاتل

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٨٤.

القوم على ما قاتلناهم عليه أمس. ولم يقل هذا إلّا قليل من الناس، ثم رجعوا عن قولهم مع الجماعة وثارت الجماعة بالموادعة، فقام علي عليه السلام وقال: «إنّه لم يزل أمري معكم على ما احب إلى أن أخذت الحرب منكم، وقد والله أخذت منكم وتركت، وأخذت من عدوّكم ولم تترك، وإنّها فيهم أنكى وأنهك، إلّا أنّي كنت أمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً، فأصبحت منهياً، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون» ثم تكلّم رؤساء القبائل، فأما من ربيعة - وهي الجبهة العظمى - فقام كردوس بن هاني البكري فقال: أيّها الناس والله ما تولينا معاوية منذ تبرّأنا منه، ولا تبرّأنا من علي عليه السلام منذ توليناه، وإنّ قتلانا لشهداء، واحياءنا لأبرار، وإنّ علياً عليه السلام لعلى بيّنة من ربّه، وما أحدث إلّا الانصاف، وكان محقّاً منصفاً، فمن سلّم له نجا، ومن خالفه هلك. ثم قام شقيق بن ثور البكري فقال: أيها الناس إنّا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله، فردّوه علينا، فقاتلناهم عليه. وإنّهم دعونا إلى كتاب الله، فإن رددناه عليهم حل لهم منّا ما حل لنا منهم، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله، وإنّ علياً عليه السلام ليس بالمراجع الناكص، ولا الشاك الواقف، وهو اليوم على ما كان عليه أمس، وقد أكلتنا هذه الحرب ولا نرى إلّا الموادعة. ثم قام حريث بن جابر البكري فقال: أيها الناس إنّ علياً عليه السلام لو كان خلواً من هذا الأمر لكان المفزع إليه فكيف وهو قائده وسائقه وانّه والله ما قبل من القوم اليوم إلّا ما دعاهم إليه أمس - إلى أن قال - وقام الحضين الربعي - وكان أصغر القوم سناً - فقال: أيّها الناس إنّما بُني هذا الدين على التسليم، فلا توقروه بالقياس، ولا تهدموه بالشفقة. فإنّا والله لو لا تقبل لانقبل إلّا ما نعرف لأصبح الحق في أيدينا قليلاً، ولو تركنا وما نهوى لكان الباطل في أيدينا كثيراً، وإنّ لنا داعياً قد حمدنا ورده وصدره، وهو المصدق على ما قال، المأمون على ما فعل، فإن قال: لا.

قلنا: لا. وإن قال: نعم. قلنا: نعم.

وذكره (خلفاء ابن قتيبة)[١] أيضاً، فقال: ذكروا أن أهل العسكرين باتوا بشدّة من الألم، ونادى علي عليه السلام أصحابه، فأصبحوا على راياتهم ومصافهم، فلما رآهم معاوية وقد برزوا للقتال، قال لعمرو بن العاص: ألم تزعم انّك ما وقعت في أمر قطّ إلّا وخرجت منه؟ قال: بلى. قال: أفلا تخرج مما ترى؟ قال: والله لأدعونّهم ـ إن شئت ـ إلى أمر أُفرّق به جمعهم، ويزداد جمعك إليك اجتماعاً، إن اعطوكه اختلفوا، وإن منعوكه اختلفوا. قال: وما ذاك؟ قال تأمر بمصاحف فترتفع، ثم تدعوهم إلى ما فيها فوالله لئن قبله ليفرقنّ عنه جماعته، ولئن رده ليكفرنّه أصحابه. فدعا معاوية بالمصحف، ثم دعا رجلاً من أصحابه يقال له: ابن هند، فنشره بين الصفين، ثم نادى: الله الله في دمائنا ودمائكم، البقية البقية، بيننا وبينكم كتاب الله. فلما سمع الناس ذلك ثاروا إلى عليّ عليه السلام فقالوا: أعطاك معاوية الحق، ودعاك إلى كتاب الله فاقبل منه ـ إلى أن قال ـ فقام عليّ عليه السلام خطيباً فقال: «أيها الناس إنّه لم أزل من أمري على ما أُحبّ حتى قد نهكتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوّكم أنهك، وقد كنت بالأمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً، فأصبحت اليوم منهياً، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون».

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة» هكذا في (المصرية)[٢] وكذا (ابن أبي الحديد)[٣] وفي (ابن ميثم)[٤]: «وقال عليه السلام لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة».

---

(١) الخلفاء لابن قتيبة: ١١٥.

(٢) الطبعة المصرية ٢: ٢١٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٩.

(٤) شرح ابن ميثم ٤: ١٥.

قوله عليه السلام: «أيها الناس إنّه لم يزل أمري معكم على ما أُحب» يأتمرون ما أمرهم به، ويزدجرون عمّا زجرهم عنه.

«حتى نهكتكم» من: نهكته الحمى، إذا جهدته ونقصت لحمه، أو من: نهكت الثوب، إذا لبسته حتى خلق.

«الحرب» مؤنّث وقد تُذكر؛ قال: إذا الحرب هفا عقابه.

«وقد والله أخذت» الحرب.

«منكم» رجالاً.

«وتركت» أكثر.

«وهي لعدوّكم أنهك» فقتلى أصحاب معاوية كانوا أكثر من قتلى أصحابه عليه السلام؛ ففي (المروج)[1]: عن يحيى بن معين: قُتل من أهل الشام تسعون ألفاً، ومن أهل العراق عشرون ألفاً. وعن أبي مخنف والشرقي والهيثم: قتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون.

«لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً» في (صفين نصر)[2]: لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن، قال عليّ عليه السلام: عباد الله أنا أحق من أُجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال. إنّها كلمة حق يراد بها باطل، إنّهم والله ما رفعوها إلّا أنّهم يعرفونها ولا يعملون بها، وما رفعوها لكم إلّا خديعة ومكيدة. أعيروني سواعدكم

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٠٤.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٨٩.

وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلّا أن يقطع دابر الذين ظلموا. فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنّعين في الحديد، شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودّت جباههم من السجود، يتقدّمهم مسعر بن فدكي، وزيد بن حصين وعصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا عليّ أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم. فقال علي عليه السلام لهم: ويحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله، وأوّل من أجاب إليه، وليس يحلّ لي ولا يسعني في ديني، أن أُدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إنّي إنّما أُقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنّهم قد عصوا الله في ما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكني قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم وأنّهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون. قالوا فابعث إلى الأشتر ليأتينك. وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله، وحدّثني فضيل بن خديج عن رجل من النخع قال رأيت إبراهيم بن الاشتر دخل على مصعب فسأله عن الحال: كيف كانت؟ فقال: كنت عند عليّ عليه السلام حين بعث إلى الأشتر أن يأتيه، فقال لرسوله: قل له: ليس هذه الساعة ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي، إنّي قد رجوت أن يفتح الله لي. فرجع رسوله، فما هو إلا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الوهج، وعلت الأصوات من قبل الأشتر وظهرت دلائل الفتح لأهل العراق والخذلان على أهل الشام، فقال له القوم: والله ما نراك إلّا أمرته بقتال القوم. قال عليه السلام: رأيتموني ساررت رسولي؟ أليس إنّما كلّمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلّا فوالله اعتزلناك. فقال لرسوله: ويحك قل له: أقبل فإنّ الفتنة قد وقعت. فأتاه فأخبره، فقال الأشتر: ألرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم. قال: أما والله لقد ظننت أنّها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة، انّها من مشورة

ابن النابغة ـ يعني: عمرو بن العاص ـ ثم قال لرسوله: ألا ترى إلى الفتح؟ ألا ترى إلى ما يلقون؟ ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا؟ أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه؟ فقال له رسوله: أتحب أنّك ظفرت هاهنا وأنّ أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يُسلّم إلى عدوه؟ قال: سبحان الله! والله ما أُحب ذلك. قال: إنّهم قالوا له: لترسلن إلى الأشتر فليأتك، أو لنقتلنّك كما قتلنا عثمان، أو لنسلمنّك إلى عدوّك. فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح: يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم فظنّوا أنّكم لهم ظاهرون، ورفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمر الله فيها وسنّة من أُنزلت عليه؟ فلا تجيبوهم، أمهلوني فواقاً، فإنّي قد أحسست بالفتح. قالوا: لا. قال: فامهلوني عدو الفرس، فإنّي قد طمعت في النصر. قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك. قال: فحدثوني عنكم ـ وقد قُتل أماثلكم وبقي أراذلكم ـ متى كنتم محقين؟ أحين تقتلون أهل الشام، فأنتم الآن حين أمسكتم مبطلون؟ أم الآن محقون؟ فقتلاكم إذن لا تنكرون فضلهم، وكانوا خيراً منكم في النار. قالوا: دعنا منك يا أشتر قاتلناهم في الله، وندع قتالهم في الله، إنّا لسنا نطيعك فاجتنبنا. قال: خدعتم والله فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم. يا أصحاب الجباه السود، كنّا نظنّ أنّ صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أدري فراركم إلّا إلى الدنيا من الموت، ألا فقبحاً يا أشباه النيب الجلالة، ما أنتم برائين عزاً بعدها أبداً، فابعدوا كما بعداً للقوم الظالمين. فسبّوه وسبّهم، وضربوا بسياطهم وجه دابته، وضرب بسوطه وجه دوابهم، فصاح بهم علي عليه السلام فكفوا، فقال الأشتر له عليه السلام: احمل الصف على الصف يصرع القوم. فقالوا له: إنّ علياً قبل الحكومة ورضي. فقال: إنّ كان قد قبل ورضي فقد رضيت بما رضي به أمير المؤمنين عليه السلام. فأقبل الناس يقولون قد رضي أمير المؤمنين،

قد قبل أمير المؤمنين. وهو عليه السلام ساكت لا يلفظ بكلمة، مطرق إلى الأرض.

«وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهياً» في (صفين نصر)(١): جاء الأشعث إلى علي عليه السلام فقال: ما أرى الناس إلا وقد رضوا أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد، ونظرت ما الذي يسأل. قال: إيته إن شئت. فأتاه فقال له: لأيّ شيء رفعتم المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، فابعثوا منكم رجلاً ترضون به، ونبعث منّا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه. فقال الأشعث: هذا هو الحق. فانصرف إلى علي عليه السلام فأخبره، فقال الناس: قد قبلنا ورضينا. فبعث علي عليه السلام قرّاء من أهل العراق، وبعث معاوية قرّاء من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوه وأجمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن، وأن يُميتوا ما أمات القرآن، ثم رجع كلّ فريق إلى أصحابه، فقال أهل الشام: إنّا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص. وقال الأشعث والقرّاء الذين صاروا خوارج في ما بعد: فإنّا قد رضينا واخترنا أبا موسى. فقال لهم علي عليه السلام: اني لا أرضى بأبي موسى، ولا أرى ان أولّيه. فقال الأشعث ويزيد بن حصين ومسعر بن فدكي في عصابة من القراء: إنّا لا نرضى إلّا به، فإنّه قد حذّرنا ما وقعنا فيه. قال علي عليه السلام: فإنّه ليس لي برضاء وقد فارقني، وخذّل الناس عني، ثم هرب حتى أمّنته بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس أُولّيه ذلك. قالوا: والله ما نبالي أنت كنت أو ابن عباس لا تريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر. قال: فإنّي أجعل الأشتر. قال الأشعث: وهل سعّر الأرض علينا غير الأشتر؟ وهل نحن إلّا في حكم الأشتر؟ قال علي عليه السلام: وما حكمه؟

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٩٨ ـ ٤٩٩.

قال ان يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد ـ إلى أن قال ـ قال علي عليه السلام: قد أبيتم إلّا أبا موسى. قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم.

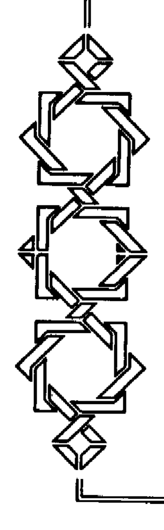
«وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون» ﴿وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنّم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون﴾[1].

---

(١) التوبة: ٨١.

الفصل الثالث والثلاثون

في المارقين





١
الخطبة (٣٥)

ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَإِنْ أَتَى اَلدَّهْرُ بِالْخَطْبِ اَلْفَادِحِ، وَالْحَدَثِ اَلْجَلِيلِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اَللّٰهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وآله. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ اَلنَّاصِحِ الشَّفِيقِ، اَلْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ اَلْحَيْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ اَلْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ اَلْمُخَالِفِينَ اَلْجُفَاةِ، وَالْمُنَابِذِينَ اَلْعُصَاةِ، حَتَّى اَرْتَابَ اَلنَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ اَلزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اَللِّوَى
فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى اَلْغَدِ

أقول: قال ابن أبي الحديد[١]: قال نصر في (صفينه): لما خدع عمرو بن العاص أبا موسى، غمّ ذلك علياً عليه السلام وساءه ووجم له، فخطب الناس وقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ـ إلى آخر الخطبة ـ وزاد: الا أنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب، وأحييا ما أمات، واتبع كلّ منهما هواه، وحكم بغير حجّة ولا بيّنة، ولا سنّة ماضية، واختلفا في ما حكما، فكلاهما لم يرشده الله فاستعدوا للجهاد، وتأهبوا للمسير وأصبحوا في معسكركم....

قلت: ورواه الطبري[٢]، وكذا المسعودي[٣]، والقتيبي[٤]، والبلاذري. وفي الأول: لما خرجت الخوارج وهرب أبو موسىٰ إلى مكة، وردّ علي عليه السلام ابن عباس إلى البصرة، قام علي عليه السلام في الكوفة فخطبهم، فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح... مع الزيادة.

وفي (المروج)[٥]: ولمّا بلغ علياً عليه السلام ما كان من أمر أبي موسىٰ وعمرو قال: إنّي كنت تقدّمت إليكم في هذه الحكومة ونهيتكم عنها، فأبيتم إلّا عصياني، فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذ أبيتم عليّ؟ والله إنّي لأعرف من حملكم على خلافي والترك لأمري، ولو أشاء أخذه لفعلت، ولكن الله من ورائه ـ يريد بذلك الأشعث والله أعلم ـ وكنت في ما أمرت به كما قال أخو بني جشم:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلّا ضحى الغد

من دعا إلى هذه الخصومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتي هذه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٩.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٧٦.

(٣) المسعودي ٢: ٤١١.

(٤) القتيبي: ١٤٣.

(٥) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤١٢.

ألا إنّ هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله، وحكما بهوىٰ أنفسهما بغير حجّة ولا حقّ معروف، فأماتا ما أحيا القرآن، وأحييا ما أماته، واختلف في حكمهما كلامهما، ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما، فبرئ الله منهما ورسله وصالح المؤمنين؛ فتأهبوا للجهاد....

وفي (الخلفاء)[1]: قالوا: لمّا توافى الخوارج إلىٰ النهروان قام علي عليه السلام بالكوفة على المنبر، ثم قال: أما بعد، فإنّ معصية العالم الناصح يورث الحسرة، وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في أمر هذين الرجلين، وفي هذه الحكومة بأمري، فأبيتم إلّا ما أردتم، فأحييا ما أمات القرآن وأماتا ما أحيا القرآن، واتبع كلّ واحد منهما هواه يحكم بغير حجّة ولا سنّة ظاهرة، واختلفا في أمرهما وحكمهما فكلاهما لم يرشده الله، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين؛ فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير، ثم أصبحوا في معسكركم بالنخيلة، ووالله لأغزونّهم، ولو لم يبق أحد غيري لجاهدتهم.

وفي (أنساب الرابع) بإسناده عن أبي مخنف، عن أبي روق الهمداني، عن عامر الشعبي وعن معلّى بن كليب، عن أبي الوداك جبر بن نوف، وغيرهما، قالوا: لما هرب أبو موسى إلى مكة، ورجع ابن عباس والياً على البصرة، وأتت الخوارج النهروان، خطب علي عليه السلام الناس بالكوفة، فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل، وأشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله. أمّا بعد، فإنّ معصية الناصح الشفيق المجرب تورث الحسرة، وتعقب الندم، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وهذه الحكومة بأمري، ونخلت لكم رأيي لو يطاع لقصير رأي، ولكنكم أبيتم إلّا ما أردتم، فكنت وأنتم كما قال أخو هوازن:

---

(١) الخلفاء لابن قتيبة: ١٤٣.

أمــرتهم أمــري بــمنعرج اللـوى   فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

ألا إنّ الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين، قد نبذا حكـم الكـتاب وراء ظهورهما، وارتأيا الرأي قبل أنفسهما، فأماتا ما أحيا القرآن، وأحييا ما أمات القرآن، ثم اختلفا في حكمهما، فكلاهما لا يُرشد ولا يُسدد، فـبرئ الله مـنهما ورسوله وصالح المؤمنين؛ فاستعدوا للجهاد، وتأهبوا للمسير، وأصبحوا في معسكركم.

«الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب» في (الجمهرة): الخطب الأمر العـظيم والجمع خطوب.

«الفادح» أي: المثقل.

«والحدث الجليل» وانّما قال عليه‌السلام ذلك، لأنّه يجب حمده تعالى عـلى كـلّ حال. وكان الصادق عليه‌السلام إذا ورد عليه أمر يُسـرُّه قـال: الحـمد لله عـلى هـذه النعمة. وإذا ورد عليه أمر يغتمّ به قال: الحمد لله على كلّ حال[1].

«وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ليس مـعه إله غـيره» هكـذا فـي (المصرية)[2]. وقوله: «وحده لا شريك له» من زيادات المحشين، لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد[3] وابن ميثم[4] والخطية).

«أما بعد، فإن معصية الناصح الشفيق، العـالم المـجرب تـوجب الحـيرة» هكذا في (المـصرية)[5]، والصـواب: (الحسـرة) كـما فـي (ابـن أبـي الحـديد

(١) الكافي ٢: ٩٧، والبحار ٧١: ٣٣.

(٢) الطبعة المصرية ١: ٨٠.

(٣) شرح ابن ابي الحديد ٢: ٢٠٤.

(٤) شرح ابن ميثم ٢: ٨٤.

(٥) الطبعة المصرية ١: ٨١.

وابن ميثم)[١] و(الخطية).

«وتعقب الندامة» قال القطامي كما في (عيون القتيبي)[٢]:

ومعصية الشفيق عليك مما ... يزيدك مرة منه استماعا

وخير الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعا

كذلك وما رأيت الناس إلّا ... إلى ما جرّ غاويهم سراعا

تراهم يغمرون من استركبوه ... ويجتنبون من صدق المصاعا

وقال سبيع لأهل اليمامة لمّا خالفوه: يا بني حنيفة بعداً لكم كما بعدت عاد، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، كأنّي أسمع جرسه وأسمع غيبه، ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم، وأصبحتم وفي أيديكم من تكذيبي التصديق، ومن تهمتي الندامة، وأصبح في يدي من هلاككم البكاء، ومن ذلّكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود، وما بقي غير مأمون، وإنّي لمّا رأيتكم تتهمون النصيح، وتسفهون الحليم استشعرت منكم اليأس، وخفت عليكم البلاء....

وفي (الطبري)[٣]: ـ في قصة خروج ابن الأشعث على الحجاج ـ كتب المهلب إلى الحجاج: إنّ أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحدر من علٍّ، ليس يردّه شيء حتّى ينتهي إلى قراره. وانّ لأهل العراق شرّة في أوّل مخرجهم، وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يردّهم حتى يسقطوا إلى أهليهم، ويشمّوا أولادهم، ثمّ واقعهم عندها. فلمّا قرأ كتابه قال: فعل الله به وفعل، لا والله مالي نظر، ولكن لابن عمّه نصح. وعزم على استقبال ابن

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ٨٤، وفيه: «تورث الحيرة».

(٢) العيون للقتيبي ١: ٣٣.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ٣٣٩.

الأشعث، فسار بأهل الشام حتّى نزل تستر، وقدّم بين يديه مطهر بن الحر العكي، وعبدالله بن رميثة الطائي، فجاؤوا حتى انتهوا إلى دجيل، وقد قطع ابن الأشعث خيلاً له عليها عبدالله بن أمان الحارثي في ثلاثمائة فارس، وكانت مسلحة له وللجند. فلما انتهى إليه مطهر أمر ابن رميثة فأقدم عليهم فهزمت خيله حتى انتهت إليه، وجرح أصحابه، وأقحم أصحاب ابن الأشعث خيولهم دجيل، وهزموا العكي والطائي في يوم الأضحى سنة (٨١) وقتلوهم قتلاً ذريعاً. وأتت الحجاج الهزيمة وهو يخطب، فقال: ارتحلوا إلى البصرة. وحين صدم تلك الصدمة دعا بكتاب المهلب فقرأه، ثم قال لله أبوه! أي صاحب حرب هو؟ أشار علينا بالرأي ولكنّا لم نقبل.

«وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت لكم مخزون رأيي» كشيء ينخل ويغربل، فكان عليه السلام قال لهم: إنّ معاوية وابن العاص، وابن أبي معيط، وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، وما رفعوها لكم إلّا خديعة ومكيدة.

«لو كان يطاع لقصير أمر» مثل تمثل عليه السلام به؛ والأصل فيه كما في (الطبري)[1]: أنّ جذيمة الأبرش ـ وكان من أفضل ملوك العرب رأياً، وأبعدهم مغاراً، وأشدّهم نكاية. وكان أوّل من استجمع له الملك بأرض العراق، وكان به برص، فهابت العرب أن تنسبه إليه إعظاماً له، فقال: جذيمة الوضاح، وجذيمة الأبرش. وكانت منازله بين الحيرة والأنبار، وبقة وهيت وناحيتها، وعين التمر وأطراف البر إلى الغمير، والقطقطانة وخفية وما والاها ـ غزا عمرو بن ظرب ملك الشام، فقتله، فملك بعده ابنته الزباء، فأجمعت لغزو جذيمة تطلب بثأر أبيها، فقالت لها اختها ـ وكانت ذات رأي ودهاء ـ: إن ظفرت

(١) تاريخ الطبري ١: ٦١٣.

أصبت ثأرك، وإن قُتلت ذهب ملكك، ولا تدرين لمن تكون العاقبة. فانصرفت عن هذا الرأي، فأتت أمرها من وجوه الخدع والمكر، فكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها، وأن يصل بلاده ببلادها، وأنّها لم تجد ملك النساء إلّا إلى قبيح في السماع، وضعف في السلطان، وأنّها لم تجد لنفسها كفواً غيره، فأقبل إليّ فاجمع ملكي إلى ملكك، وصل بلادي ببلادك، وتقلّد أمري مع أمرك. فلمّا انتهى كتابها إلى جذيمة استخفه ما دعته إليه، ورغب في ما أطمعته فيه، وجمع إليه أهل النهى من ثقاته، وهو بالبقة من شاطئ الفرات، فعرض عليهم ما دعته إليه فصوبوا ذلك كلّهم إلّا قصيراً ـ وهو قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن ربي بن نمارة بن لخم ـ وقال: «رأيٌ فاتر وغدرٌ حاضر» فذهبت مثلاً. فنازعوه الرأي فقال: «إنّي لأرى أمراً ليس بالخسا ولا الزكا» فذهبت مثلاً. وقال لجذيمة: اكتب إليها، فإن كانت صادقة فلتقبل إليك، وإلّا لم تمكنها من نفسك وقد قتلت أباها. فلم يوافق جذيمة رأي قصير، فقال قصير:

إنّي امرؤ لا يميل العجز ترويتي إذا أتت دون شيء مرة الوزم

فقال جذيمة: «ولكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح» فذهبت مثلاً. فدعا جذيمة ابن اخته عمرو بن عدي، فاستشاره فشجعه على المسير، وقال: إنّ نمارة قومي مع الزباء، ولو قدروا لصاروا معك. فأطاعه وعصى قصيرا، فقال قصير: «لا يطاع لقصير أمر». فاستخلف على ملكه عمرو بن عدي، وسار في وجوه من أصحابه، فأخذ على الفرات من الجانب الغربي، فلما نزل الفرضة دعا قصيراً، فقال: ما الرأي؟ قال: «ببقة تركت الرأي» فذهبت مثلاً. واستقبلته رسل الزباء بالهدايا والألطاف، فقال: يا قصير كيف ترى؟ قال: «خطر يسير في خطب كبير» فذهبت مثلاً. وقال له: ستلقاك الخيول، فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة، وإن أخذت جنبيك وأحاطت بك من خلفك

فإن القوم غادرون، فاركب العصا ـ وكانت عصا فرساً لجذيمة لا تجارى ـ فإنّي راكبها ومسايرك عليها. فلقيته الخيول والكتائب، فحالت بينه وبين العصا، فركبها قصير، ونظر إليه جذيمة مولياً على متنها، فقال: «ويل أُمه حزماً على ظهر العصا» فذهبت مثلاً. فقال: «ياضل ما تجري به العصا». وجرت به إلى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت أرضاً بعيدة، فبنى عليها برجاً يقال له: برج العصا. وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيول حتى دخل على الزباء، فلما رأته تكشفت، فإذا هي مضفورة الأُست، فقالت: يا جذيمة «أدأب عروس ترى»؟ فذهبت مثلاً. وقالت: إنّي أُنبئت أن دماء الملوك شفاء من الكلب. ثم أجلسته على نطع، وأمرت بطست من ذهب فأعدته له وسقته من الخمر حتى أخذت مأخذها منه، وأمرت براهشيه فقطعا، وقد قيل لها: إن قطر من دمه شيء في غير الطست طُلب بدمه. وكانت الملوك لا تقتل بضرب العنق إلّا في القتال تكرمة للملك. فلمّا ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه، فقالت: لا تضيعوا دم الملك. فقال: «دعوا دماً ضيعه أهله» فذهبت مثلاً. فهلك جذيمة واستنشفت الزباء دمه، فجعلته في برس قطن في ربعة لها. وخرج قصير من الحي الذي هلكت العصا بين أظهرهم، حتى قدم على عمرو بن عدي بالحيرة، فقال له: «أداثر أم ثائر» قال: «ثائر سائر» فذهبت مثلاً. فقال له قصير: «تهيأ ولا تطل دم خالك». قال: وكيف لي بها وهي «امنع من عقاب الجو»؟ فذهبت مثلاً. وكانت اتخذت نفقاً من مجلسها الذي كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها، وقالت ان فجأني أمر دخلت النفق إلى حصني ـ فقال له قصير: اجدع أنفي واضرب ظهري، ودعني وإيّاها. فقال عمرو: ما أنا بفاعل ذلك وما أنت بذلك بمستحق مني. فقال قصير: «خلّ عني إذن وخلاك ذم» فذهبت مثلاً. فقال له عمرو: فأنت أبصر. فجدع قصير أنفه وأثر بظهره، فقالت العرب: «لمكر ما جدع

قصير أنفه». ثم خرج كأنّه هارب، وأظهر أن عمراً فعل به ذلك، وأنّه يزعم أنّه مكر بخاله جذيمة، وغرّه من الزباء. فسار حتّى قدم على الزباء فقيل لها: إنّ قصيراً بالباب. فأمرت به فأُدخل عليها، فإذا أنفه قد جدع، وظهره قد ضرب، فقالت: ما الذي أرىٰ بك يا قصير؟ فقال زعم عمرو بن عدي أنّي غررت خاله، وزيّنت له المسير إليك وغششته ومالأتك عليه، ففعل بي ما ترين، فأقبلت إليك وعرفت أنّي لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك. فأكرمته، وأصابت عنده بعض ما أرادت من الرأي والمعرفة بأمور الملوك. فلمّا عرف أنّها قد ثقّت به قال: إنّ لي بالعراق أموالاً كثيرة، وبها طرائف وثياب وعطر، فابعثيني إلى العراق لأحمل مالي، وأحمل إليك من بزوزها وطرائف ثيابها، وصنوف ما يكون بها من الأمتعة والطيب والتجارات، فتصيبين في ذلك أرباحاً عظاماً، وبعض ما لا غنى بالملوك عنه. فلم يزل يزيّن لها ذلك حتى سرحته ودفعت معه عيراً، وقالت له: بع ما جهّزناك به، وابتع لنا من طرائف ما يكون بها. فسار قصير حتى قدم العراق وأتى الحيرة متنكراً، فدخل علىٰ عمرو بن عدي فأخبره بالخبر، وقال: جهزني بالبز والطرف والأمتعة، لعلّ الله يمكن منها فتصيب ثأرك. فجهّزه بصنوف الثياب وغيرها، فرجع بذلك كلّه إلى الزباء فأعجبها ما رأت، وازدادت به ثقة. ثم جهّزته بعد ذلك بأكثر مما في المرة الأولىٰ، فسار حتى قدم العراق، ولقي عمرو بن عدي، وحمل من عنده ما ظنّ أنّه موافق لها، ولم يدع طرفة قدر عليها إلّا حملها، ثم عاد الثالثة، وقال لعمرو: اجمع لي ثقات أصحابك وجندك، وهيّئ لهم الغرائر والمسوح ـ وقصير أوّل من عمل الغرائر ـ واحمل كلّ رجلين على بعير في غرارتين، واجعل معقد رؤوس الغرائر من باطنها، فإذا دخلوا مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها، وأخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة، فمن قاتلهم قتلوه، وإن

أقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف. ففعل عمرو ما قال، ثم وجّه إلى الزبا العير عليها الرجال وأسلحتهم، فلما كانوا قريباً من مدينتها تقدّم قصير إليها، فبشّرها وأعلمها كثرة ما حمل إليها من الثياب والطرائف، وسألها أن تخرج فتنظر إلى قطارات تلك الإبل، وقال لها: «إنّي جئت بما صاء وصمت» فذهبت مثلاً. وكان قصير يكمن النهار ويسير الليل، وهو أوّل من فعل ذلك ـ فخرجت، فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها، فقالت: يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا	أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفاناً بارداً شديدا	أم الرجال جثما قعودا

فدخلت الإبل المدينة حتى كان آخرها، نخس بواب نبطي بمنخسته الغرائر التي تليه، فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها، فضرط، فقال: «بشقا بسقا» ـ يعني في الجوالق شر ـ فذهبت مثلاً. فلمّا توسطت الإبل المدينة أُنيخت، ودلّ قصير عمراً على باب النفق، وخرجت الرجال من الغرائر، وصاحوا بأهل المدينة، ووضعوا فيهم السيف. وقام عمرو على باب النفق، وأقبلت الزباء مولّية مبادرة لتدخل النفق فأبصرت عمراً قائماً ـ وكان المصوّرون صوروا لها صورته قبل، لأن كاهنتها أخبرتها أنّه قاتلها ـ فمصّت خاتمها، وكان فيه سم وقالت: «بيدي لا بيدك يا عمرو» فذهبت مثلاً. وتلقاها عمرو، فجللها بالسيف فقتلها.

والمثل بعدم إطاعة أمر قصير كما تمثّل عليه‌السلام به معروف؛ قال نهشل بن حري التميمي:

ومولى عصاني واستبدّ برأيه	كما لم يُطَع بالبقتين قصير
فلمّا تيقّن غبّ أمري وأمره	وولّت بأعجاز الأمور صدور

تمنّى بئيساً أن يكون أطاعني وقد حدثت بعد الأمور أمور

«فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجناة» هكذا في (المصرية)[1]، والصواب: (الجفاة) كما في (ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم والخطية).

«والمنابذين العصاة» في (مقاتل أبي الفرج)[3] ـ في قضايا أبي السرايا في خروج محمّد بن جعفر أيّام المأمون وقتاله مع عسكر المأمون وعليهم هرثمة ابن أعين ـ: ان هرثمة صاح: يا أهل الكوفة علام تسفكون دماءنا ودماءكم؟ إن كان قتالكم كراهية لإمامنا فهذا منصور بن المهدي رضا لنا ولكم نبايعه، وإن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس فانصبوا إمامكم، واتفقوا معنا ليوم الإثنين نتناظر فيه ولا تقتلونا وأنفسكم. فأمسك أهل الكوفة أصحاب أبي السرايا عن الحملة، فناداهم أبو السرايا: ويحكم! إنّ هذه حيلة من هؤلاء لما أيقنوا بالهلاك، فاحملوا عليهم. فامتنعوا وقالوا: لا يحلّ لنا قتالهم، وقد أجابوا. فغضب أبو السرايا، ولما كان يوم الجمعة خطب وقال: يا أهل الكوفة يا قتلة علي عليه السلام، ويا خذلة الحسين عليه السلام إنّ المغتر بكم لمغرور، وإنّ المعتمد على نصركم لمخذول، وإنّ الذليل لمن أعززتموه، والله ما خمد علي عليه السلام أمركم في حمده، ولا رضى مذهبكم في رضاه، ولقد حكمكم فحكمتم عليه، وائتمنكم فخنتم أمانته، ووثق بكم فحلتم عن ثقته، ثم لم تنفكّوا عليه مختلفين، ولطاعته ناكثين، إن قام قعدتم، وإن قعد قمتم، وإن تقدّم تأخرتم، وان تأخر تقدمتم خلافاً عليه، وعصياناً لأمره، حتى سبقت فيكم دعوته، وخذلكم الله بخذلانكم إيّاه، أي عذر لكم في الهرب عن عدوّكم، والنكول عمّن لقيتم وقد عبروا

---

(١) الطبعة المصرية ١: ٨١.

(٢) شرح نهج ابن أبي الحديد ٢: ٢٠٤.

(٣) المقاتل لأبي الفرج: ٣٦٣.

خندقكم، وعلوا قبائلكم، ينتهبون أموالكم ويستباحون حريمكم؟ هيهات لا عذر لكم إلّا العجز والمهانة والرضا بالصغار والذلة، إنّما أنتم كفيء الظل، وتهزمكم الطبول بأصواتها، ويملأ قلوبكم الخرق بسوادها. أما والله لأستبدلن بكم قوماً يعرفون الله حق معرفته، ويحفظون محمّداً ﷺ في عترته. قال:

ومارست أقطار البلاد فلم أجد لكم شبهاً في ما وطئت من الأرض
خلافاً وجهلاً وانتشار عزيمة ووهناً وعجزاً في الشدائد والخفض
لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة فلا فيكم راض ولا فيكم مرضي
سأبعد داري عن قلى من دياركم فذوقوا إذا ولّيت عاقبة النقض

«حتى ارتاب الناصح» بأن نصحه لعلّه خطأ، حيث لا يقبلونه.

«وضنّ» أي: بخل.

«الزند» في (الصحاح) الزند: العود الذي تقدح به النار، وهو الأعلى، والزندة السفلى فيها ثقب، وهي الأُنثى وهما زندان... ومن ضنة الزند قالوا: فلان مزند. أي: بخيل، وعطاء مزند. أي: قليل، وثوب مزند، أي: ضيّق، ومزادة مزندة: قليلة الماء.

«بقدحه» أي: اشتعاله.

«فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن» وهوازن ابن منصور بن عكرمة بن حفصة ابن قيس عيلان، والمراد بأخي هوازن: دريد بن الصمة.

«أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح الا ضحى الغد»

والأصل في قول أخي هوازن ما رواه أبو الفرج في (أغانيه)[1]: أنّ عبدالله بن الصمّة ـ أخا دريد ـ غزا غطفان فظفر بهم وساق أموالهم في يوم

(١) الأغاني لأبي الفرج ١٠: ٥.

يقال له: يوم اللوى، ومضى بها، ولما كان منهم غير بعيد قال: انزلوا بنا. فقال أخوه دريد: نشدتك الله ألّا تنزل، فإنّ غطفان ليست بغافلة عن أموالها. فأقسم لا يريم حتى يأخذ مرباعه، وينقع نقيعة، فيأكل ويطعم ويقسم البقية بين أصحابه. فبينا هم في ذلك وقد سطعت الدواخن، إذا بغبار قد ارتفع اشدّ من دخانهم، وإذا عبس وفزارة وأشجع قد أقبلت، فقالوا لربيئتهم: انظر ماذا ترى؟ فقال: أرى قوماً جاداً كأنّ سرابيلهم قد غمست في الجادي. قال: تلك أشجع ليست بشيء. ثم نظر، فقال: أرى قوماً كأنّهم الصبيان أسنتهم عند آذان خيلهم. قال: تلك فزارة. ثم نظر فقال: أرىٰ قوماً أدماً كأنّهم يحملون الجبل بسوادهم، يخدّون الأرض بأقدامهم خدّاً، ويجرّون رماحهم. قال: تلك عبس والموت معهم، فتلاحقوا بالمنعرج من رميلة اللوى، فاقتتلوا فقتل عبدالله بن الصمة، فتنادوا: قتل أبو دفافة. فعطف دريد فذبّ عنه فلم يغن شيئاً، وجرح دريد فسقط فكفّوا عنه وهم يرون أنّه قد قتل، واستنقذوا المال. قال دريد: فأمهلت حتى إذا كان الليل، مشيت وأنا ضعيف قد نزفني الدم حتى ما أكاد أبصر، فجزت بجماعة تسير فدخلت فيهم، فوقعت بين عرقوبي بعير ظعينة، فنفر البعير فنادت: نعوذ بالله منك. فانتسبت لها، فاعلمت الحي بمكاني فغُسل عني الدم وزودت زاداً وسقاء فنجوت. وقال يرثي أخاه:

أعاذلتي كلّ امرئٍ وابن أمّه ... متاع كزاد الراكب المتزوّد

أعاذل إنّ الرزء أمثال خالد ... ولا رزء ممّا أهلك المرء عن يد

نصحت لعارض وأصحاب عارض ... ورهط بني السوداء والقوم شهّد

فقلت لهم ظنّوا بألفي مدجج ... سراتهم في الفارسي المسرد

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللّوى ... فلم يستبينوا الرّشد إلّا ضحى الغد

فلمّا عصوني كنت منهم وقد أرى ... غوايتهم أو أنّني غير مهتد

وهل أنا إلّا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

دعاني أخي والخيل بيني وبينه ... فلمّا دعاني لم يجدني بقعدد

تنادوا فقالوا أرْدت الخيل فارسا ... فقلت أعبد الله ذلكم الردي

فإن يك عبدالله خلّى مكانه ... فلم يك وقّافاً ولا طائش اليد

ولا برماً إذا ما الرياح تناوحت ... برطب العضاة والهشيم المعضد

نظرت إليه والرّماح تنوشه ... كوقع الصياصي في النسيج الممدد

فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت ... وحتى عداني أشقر اللون مزبد

فما رمت حتى خرقتني رماحهم ... وغودرت أكبو في القفا المتقصد

قتال امرئ واسى أخاه بنفسه ... وأيقن أنّ المرء غير مخلّد

صبور على وقع المصائب حافظ ... من اليوم أعقاب الأحاديث في الغد

وتمثّل عليه السلام أيضاً ببيته، لمّا ندمت الخوارج عن التحكيم، وطلبوا منه عليه السلام الرجوع؛ فروى (الأغاني) أيضاً[1] عن أبي مخنف عن رجاله: أنّ علياً عليه السلام لما اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحكمين وتفرّقت الخوارج، وقالوا له: ارجع عن أمر الحكيمن، وتب واعترف بأنّك كفرت إذ حكّمت؛ فلم يقبل ذلك منهم وفارقوه، تمثّل بقول دريد:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشد إلّا ضحى الغد

هذا وقد عرفت أنّ (المروج)[2] بدل قوله: «أخو هوازن» بقوله: «اخو بني خثعم» ولا تنافي حيث إنّ جشماً بطن من هوازن، فجشم ابن معاوية بن بكر بن هوازن، كما أنّ جشماً أيضاً بطون، منها غزية بن جشم، وكان دريد منهم، ولذا قال: «وهل أنا إلّا من غزية إن غوت...».

---

(١) الأغاني لأبي الفرج ١٠: ١٠.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤١٣.

وتمثّل عليه السلام بذاك البيت أيضاً على ما روى أبو مخنف كما في (الطبري)[1]، ففيه: قيل لعلي عليه السلام بعدما كتب الصحيفة: إنّ الأشتر لا يقرّ بما في الصحيفة، ولا يرى إلّا قتال القوم. قال علي عليه السلام: وأنا والله ما رضيت، ولا أحببت أن ترضوا، فإذا أبيتم إلا أن ترضوا فقد رضيت، فإذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلّا أن يُعصى الله عزوجل ويتعدّىٰ كتابه، فقاتلوا من ترك أمر الله عزوجل، وأمّا الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه، فليس مالك من أُولئك، ولست أخافه على ذلك، ياليت فيكم مثله اثنين، ياليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّي ما أرىٰ، إذن لخفّت عليَّ مؤنتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أوْدكم، وقد نهيتكم عمّا أتيتم فعصيتموني، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

وهل أنا إلّا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

٢
من الخطبة (١٢٣)

ومن كلام له عليه السلام:

فإنْ أبَيْتُم أنْ تَزْعُموا إلّا أنّي أخطأتُ وضَللتُ فلِمَ تُضلّونَ عامَّةَ أُمّـةِ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِضَلالِي، وتأخُذُونَهُمْ بِـخَطائي، وتُكَـفِّرُونَهُم بـذُنُوبي؟ سيُوفُكُم عَلى عَواتِقِكُم، تَضَعُونَها مَواضِعَ البُرْءِ والسُّقْمِ، وتَـخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذنِبْ. وقَدْ عَلِمْتُم أنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله رَجَمَ الزّانِيَ، ثُمّ صَلّى عَلَيْهِ، ثمّ وَرّثَه أهْلَهُ، وقَتَلَ القاتِلَ وَوَرَّثَ مِيراثَهُ أَهْلَهُ، وقَطَعَ السّارِقَ، وجَلَدَ الزّانِيَ غَيْرَ المُحْصَنِ، ثُمَّ قَسّم عَلَيْهِما مِنَ الفَيء، وَنَكَحا المُسْلِماتِ، فأخَذَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وآله بِذُنُوبِهِمْ، وأَقامَ حَقَّ ٱللهِ فِيهِمْ،

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٩.

وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإِسْلامِ، وَلَمْ يُخرِجْ أَسْماءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ. ثُمَّ أَنتُمْ شِرارُ ٱلنّاسِ وَمَنْ رَمى بِهِ الشَّيطانُ مَرامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تَيْهَهُ. وسَيَهْلِكُ فِيّ صِنْفانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلحُبُّ إلى غَيْرِ ٱلحَقِّ، وَمُبغِضٌ مُفرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلْبغضُ إلى غَيْرِ ٱلْحَقِّ، وخَيرُ النّاسِ فِيّ حَالاً النَّمَطُ الأَوسَطُ فَالزَمُوهُ، وَٱلزَمُوا ٱلسَّواد الأَعْظَمَ، فَإِنّ يَدَ اللهِ عَلَى الجَماعَةِ، وإِيّاكُمْ وَٱلفُرقَةَ، فَإِنَّ ٱلشّاذّ مِنَ ٱلنّاسِ لِلشَّيْطانِ، كَما أَنَّ ٱلشّاذّ مِنَ ٱلغَنَمِ لِلذِّئب. ألا مَنْ دَعا إلى هذَا الشِّعارِ فاقْتُلُوهُ وَلَوْ كانَ تَحْتَ عِمامَتِي هذه. وإنّما حُكِّمَ ٱلحَكَمانِ لِيُحْيِيا ما أَحْيَا القُرْآن، وَيُمِيتا ما أماتَ القُرآن، وإحْياؤُهُ الاجْتِماعُ عَلَيْهِ، وإماتَتُهُ الافتِراقُ عَنْهُ. فَإِنْ جَرَّنا ٱلقُرآنُ إِلَيْهِم ٱتَّبَعْناهُمْ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا ٱتَّبَعُونا؛ فَلَمْ آتِ لا أَبا لَكُمْ بُجْراً، وَلا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، ولا لَبَّستُهُ عَلَيكُمْ، إِنَّما ٱجْتَمَعَ رأيُ مَلَئِكُمْ عَلَى ٱخْتِيارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنا عَلَيْهِما ألّا يَتَعَدَّيا ٱلقُرآنَ، فَتاها عَنْهُ وتَرَكَا ٱلحَقَّ وهُما يُبْصِرانِهِ، وَكانَ ٱلجَورُ هَواهُما، فَمَضَيا عَلَيهِ، وقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْناؤُنا عَلَيهِما فِي ٱلحُكُومَةِ بِالعَدْلِ وٱلصَّمْدِ لِلحَقّ، سَوءَ رأْيِهِما، وَجَوْرَ حُكْمِهِما.

الخطبة (١٧٥)

ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين:

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ على أَنِ اخْتارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِما: أَنْ يُجَعْجِعا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَلَا يُجاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُما مَعَهُ، وَقُلُوبُهُما تَبَعَهُ، فَتاها عَنْهُ، وَتَرَكا الحَقَّ وَهُما يُبْصِرَانِهِ، وَكانَ الجَوْرُ هَواهُما، وَالاعْوِجاجُ رَأْيَهُمَا، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْناؤُنا عَلَيْهِما في الحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالحَقِّ، سُوءَ رَأْيِهِما، وَجَوْرَ حُكْمِهِما، وَالثِّقَةُ في أَيْدِينا

لِأَنْفُسِنا، حِينَ خالَفا سَبِيلَ الحَقِّ، وَأَتَيا بِـما لَا يُـعْرَفُ مِـنْ مَـعْكُوسِ الحُكْم.

أقول: العنوان الثاني تكرار لذيل العنوان الأوّل من قوله: «انما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين...» مع أدنى اختلاف وزيادة كما ترى، وعذره ما قاله في أول الكتاب: «وربما بعد العهد بما اختير أولاً، فأُعيد بعضه سهواً أو نسياناً، لا قصداً واعتماداً» ولم يتفطّن الشرّاح أيضاً لتكراره.

وكيف كان، فالأصل فيهما ما رواه الطبري[1] عن أبي مخنف، عن أبي سلمة الزهري ابن بنت أنس بن مالك: أنّ علياً عليه السلام قال لأهل النهر: «يا هؤلاء إنّ أنفسكم قد سوّلت لكم فراق هذه الحكومة، التي ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنبأتكم أنّ القوم سألكموها مكيدة ودهنا، فأبيتم عليّ إباء المخالفين، وعدلتم عنّي عدول النكداء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم، وأنتم والله معاشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام، فلم آت ـ لا أبا لكم ـ حراماً، والله ما اختلتكم عن أُموركم، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة، ولا دببت لكم الضرّاء، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً، فأجمع ملؤكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدواه، فتاها وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجوهر هواهما، وقد سبق استيثاقنا عليهما في الحكم بالعدل والصمد للحقّ سوء رأيهما وجور حكمهما، والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحقّ وأتيا بما لا يعرف؛ فبيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا والخروج عن جماعتنا؟ ان اختار الناس رجلين، أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم، ثمّ تستعرضوا الناس تضربون رقابهم وتسفكون دماءهم، انّ هذا لهو الخسران المبين. والله لو قتلتم على هذا

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٨٤.

دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام؟ قال أبو سلمة: فتنادوا لا تخاطبوهم وتهيؤوا للقاء الرّبّ، الرواح الرواح إلى الجنّة. وخرج عليّ فعبّأ الناس...

قول المصنّف في العنوان الأول: «ومن كلام له عليه السلام» هكذا في (المصرية)[1]، والصواب: ما في (ابن أبي الحديد)[2]، وكذا (ابن ميثم)[3]: «ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج أيضاً». ولكن في (ابن ميثم) «ومن كلام له عليه السلام أيضاً للخوارج». وأشار بقوله: «أيضاً». إلى أن قبله في (١٢١): «ومن كلام له عليه السلام في التحكيم». لكن توسط بينهما: «ومن كلام له عليه السلام لمّا عوتب على التسوية في العطاء» وكأنّه غفل عن فصله.

قوله عليه السلام: «فان أبيتم أن تزعموا إلّا انّي أخطأت وضللت» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فان أبيتم إلّا أن تزعموا أنّي أخطأت وضللت) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[4].

قال المبرد في (كامله)[5]: يروى أنّ علياً عليه السلام في أوّل خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدي ـ وقد كان وجهه إليهم ـ وزياد بن النضر الحارثي مع عبدالله بن العباس، فقال: بأيّ القوم رأيتهم أشدّ إطافة؟ فقال: بيزيد ابن قيس الأرحبي. فركب علي عليه السلام إليهم إلى حروراء، فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد، فصلّى فيه ركعتين ثم خرج، فاتكأ على قوسه وأقبل على الناس، ثم قال: هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة، أنشدكم الله

(١) الطبعة المصرية ٢: ١١٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٥٥.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٦٧.

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ١٣٣.

(٥) الكامل للمبرد ٢: ١٧٥.

أعلمتم أحداً منكم كان أكره للحكومة مني؟ قالوا: اللّهمّ لا. قال: أفعلمتم أنّكم أكرهتموني حتى قبلتها؟ قالوا: اللّهمّ نعم. قال: فعلام خالفتموني ونابذتموني؟ قالوا: إنّا أتينا ذنباً عظيماً فتبنا إلى الله، فتب إلى الله منه واستغفره، نعد لك. فقال عليّ عليه السلام: إنّي استغفر الله من كلّ ذنب. فرجعوا معه وهم ستة آلاف، فلمّا استقرّوا بالكوفة أشاعوا: أنّ علياً عليه السلام رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً، وقالوا: إنّما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمّن الكراع، ويُجبي المال، فينهض إلى الشام. فأتى الأشعث بن قيس علياً عليه السلام وقال له: إنّ الناس قد تحدّثوا انّك رأيت الحكومة ضلالاً، والاقامة عليها كفراً. فخطب عليه السلام الناس فقال: من زعم أنّي رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فهو أضلّ. فخرجت الخوارج من المسجد، فحكمت، فقيل لعلي عليه السلام: إنّهم خارجون عليك. فقال: لا أُقاتلهم حتىٰ يقاتلوني، وسيفعلون.

«فلم تضلون عامة أُمة محمّد صلى الله عليه وآله بضلالي، وتأخذونهم بخطائي، وتكفرونهم بذنوبي» في (كامل المبرد)[1]: أصاب الخوارج مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني، فقالوا: احفظوا ذمّة نبيّكم. ولقيهم عبدالله بن خباب وفي عنقه مصحف، ومعه امرأته وهي حامل، فقالوا: إنّ الذي في عنقك يأمرنا أن نقتلك. قال: ما أحيا القرآن فأحيوه، وما أماته فأميتوه. فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها في فيه، فصاحوا به فلفظها تورعاً. وعرض لرجل منهم خنزير، فضربه الرجل فقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض. فقال عبدالله بن خباب: ما عليَّ منكم بأس انّي لمسلم. قالوا له: حدّثنا عن أبيك. قال: سمعت أبي يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً، فكن عبدالله المقتول ولا تكن

---

(١) الكامل للمبرد ٢: ١٧٦ ـ ١٧٧.

القاتل» قالوا: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى خيراً، فقالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم، وفي عثمان ست سنين؟ فأثنى خيراً، قالوا: فما تقول في الحكومة والتحكيم؟ قال: أقول إنّ علياً عليه السلام أعلم بكتاب الله منكم، وأشدّ توقّياً على دينه، وأنفذ بصيرة. قالوا: إنّك لست تتبع الهدى، إنّما تتبع الرجال على اسمائها. ثم قربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه، فامذقر دمه. أي: جرى مستطيلاً على دقة. وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة له، فقال: هي لكم. قالوا: ما كنّا لنأخذها إلّا بثمن. قال: ما أعجب هذا! أتقتلون مثل عبدالله بن خباب، ولا تقبلون منّا جنى نخلة؟

وفي (الطبري)[1]: قتلوا عبدالله بن خباب وذبحوه وسال دمه في الماء، وقتلوا امرأته بقروا بطنها، وقتلوا ثلاثة نسوة من طي، وقتلوا أُمّ سنان الصيداوية.

«**سيوفكم على عواتقكم، تضعونها مواضع البرء**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (البراءة) كما في (ابن أبي الحديد)[2] وابن ميثم[3] والخطية).

«**والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب**» في (كامل المبرد)[4]: خرج قريب بن مرّة الأزدي وزحاف الطائي ـ وكانا مجتهدين بالبصرة في أيام زياد ـ فاعترضا الناس، فلقيا شيخاً ناسكاً من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار فقتلاه، وتنادى الناس، فخرج رجل من بني قطيعة من الأزد وفي يده السيف، فناداه الناس من ظهور البيوت: الحرورية، انج بنفسك. فنادوه: لسنا حرورية نحن الشرط. فوقف فقتلوه، ثم جعلا لا يمران بقبيلة إلّا قتلا من وجدا.

(١) تاريخ الطبري ٥: ٨١ ـ ٨٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١١٢.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ١٣٣.

(٤) الكامل للمبرد ٢: ١٩٨ ـ ١٩٩.

ومورد خطابه عليه السلام: «سيوفكم على عواتقكم، تضعونها مواضع البراءة والسقم» خوارج البصرة، فانّهم كانوا هكذا دون خوارج الكوفة؛ ففي (العقد)[١] ـ في محاجة عمر بن عبد العزيز مع شوذب الخارجي، في اعتراضه عليه بعدم لعن عمر لأهل بيته، وعدم براءته منهم ـ: أخبرني عن أهل النهروان، أليسوا من صالحي أسلافكم وممن تشهد لهم بالنجاة؟ قال: نعم. قال: فهل تعلمون أنّ أهل الكوفة حين خرجوا كفّوا أيديهم، فلم يسفكوا دماً، ولم يخيفوا آمناً، ولم يأخذوا مالاً؟ قال: نعم. قال: فهل علمتم أنّ أهل البصرة حين خرجوا مع مسعر بن فديك استعرضوا يقتلونهم، ولقوا عبدالله بن خباب صاحب النبي صلى الله عليه وآله، فقتلوه وقتلوا جاريته، ثم قتلوا النساء والأطفال، حتى جعلوا يلقونهم في قدور الأقط وهي تفور؟ قال: قد كان ذلك. ومثله في (المروج)[٢].

«وقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني، ثم صلّى عليه» وأمّا ما رواه (الكافي)[٣] عن محمّد بن حكيم عن الصادق عليه السلام: «لو أنّ رجلاً مات صائماً في السفر ما صلّيت عليه» فمحمول على ماذا اعتقد مشروعيّته، فيكون غير عارف، فلا تكون الصلاة عليه واجبة.

وروى[٤] معاوية بن وهب: قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: ذكر لنا أنّ رجلاً من الأنصار مات وعليه ديناران ديناً، فلم يصلّ عليه النبي صلى الله عليه وآله، وقال: «صلّوا على صاحبكم» حتى ضمنها عنه بعض قرابته. فقال عليه السلام: ذلك الحق. ثم قال: إنّما فعل ذلك ليتّعظوا، وليردّ بعضهم على بعض، ولئلّا يستخفوا بالدين؛ وقد

(١) العقد الفريد ٢: ٢٤٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٣) الكافي ٤: ١٢٨ ـ ح٧.

(٤) الكافي ٥: ٩٣ ح ٢.

مات صلى الله عليه وآله وعليه دين، ومات الحسن عليه السلام وعليه دين، وقُتل الحسين عليه السلام وعليه دين.

«ثم ورثه أهله» وممّن رجمه صلى الله عليه وآله ماعز بن مالك؛ فروى (الكافي)[١]: أنّه أقرّ عند النبي صلى الله عليه وآله بالزّنا، فأمر به أن يُرجم فهرب من الحفيرة، فرماه الزبير بساق بعير فعقله فسقط، فلحقه الناس فقتلوه، ثم أخبروا النبي صلى الله عليه وآله بذلك، فقال لهم: فهلّا تركتموه إذا هرب يذهب؟ فإنّما هو الذي أقرّ على نفسه، أما لو كان عليٌّ حاضراً معكم لما ضللتم.

«وقتل القاتل وورّث ميراثه أهله» هكذا في (المصرية)[٢] وابن أبي الحديد[٣] والخطية) ولكن في (ابن ميثم)[٤]: «وورّث أهله ميراثه».

«وقطع السارق - إلى - ولم يُخرج أسماءهم من بين أهله» أي: الاسلام، بل ورد أنّه صلى الله عليه وآله نهى عن لعنهم؛ ففي (أُسد الغابة)[٥]: كان رجل اسمه عبدالله يلقّب حماراً يضحك النبي صلى الله عليه وآله، وكان النبي صلى الله عليه وآله جلده في الشراب، فأتى به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللّهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله! فقال صلى الله عليه وآله: لا تلعنه، فوالله ما علمت إلّا أنّه يُحب الله ورسوله.

رد عليه السلام على مذهبهم الباطل في تكفير مرتكب الكبائر، استناداً إلى آيات مجملات بالسنّة المبيّنة، قال ابن أبي الحديد[٦]: استندوا إلى قوله تعالى في

---

(١) الكافي ٧: ١٨٥ ـ ح ٥.

(٢) الطبعة المصرية ٢: ١١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١١٢.

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ١٣٣.

(٥) أُسد الغابة ٢: ٤٥.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١١٤.

الحج: ﴿...ومن كفر...﴾[١] وقوله تعالىٰ: ﴿... إنّه لاييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون﴾[٢]، ﴿...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الكافرون﴾[٣]. وذكر آيات أُخر لا ربط لها أصلاً، كقوله تعالىٰ ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى * لا يصلاها إلّا الأشقى الذي كذّب وتولّى﴾[٤]، ﴿وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين﴾[٥]، ﴿...فأمّا الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم...﴾[٦]....

«ثم أنتم شرار الناس» قالت عايشة لمسروق ـ كما في (مسند أحمد بن حنبل)[٧] ـ: إنّك من ولدي ومن أحبهم إليّ، فهل عندك علم من المخدج؟ قال: قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال له تامر، ولأسفله النهروان، بين تخافيق وطرفاء. قالت: أبغي على ذلك بيّنة. فأقام رجالاً شهدوا، ثم قال لها: سألتك بصاحب القبر، ما الذي سمعت فيهم؟ قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إنّهم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة».

«ومن رمى به الشيطان مراميه» جمع المرمى، أي: مقاصده.

«وضرب به تيهه» التيه: المفازة يتاه فيها.

«وسيهلك فيّ صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحب الى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق» قال ابن أبي الحديد[٨]: روى المحدّثون أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال له عليه السلام: «فيك يا علي مثل من عيسىٰ بن مريم ؛أبغضته اليهود

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) يوسف: ٨٧.

(٣) المائدة: ٤٤.

(٤) الليل: ١٤ ـ ١٦.

(٥) العنكبوت: ٥٤.

(٦) آل عمران: ١٠٦.

(٧) ذكره البحار ٣٨: ١٥.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١١٩.

فبهتت أمّه، وأحبّته النصارى فرفعته فوق قدره». وقد كان عليه السلام عثر على قوم من أصحابه، خرجوا من حد محبّته باستحواذ الشيطان عليهم، إلى أن كفروا بربهم وجحدوا ما جاء به نبيّهم صلى الله عليه وآله، فاتخذوه رباً وقالوا له: أنت خالقنا ورازقنا، فاستتابهم وتوعّدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفراً دخن عليهم طمعاً في رجوعهم، فأبوا فحرقهم وقال:

ألا تروني قد حفرت حفراً إنّي إذا رأيت أمراً نكراً
أوقدت ناري ودعوتُ قنبراً

وروى أبو العباس الثقفي، عن المصيصي المعروف بنوين، وعن النوفلي عن مشيخته: أنّ علياً عليه السلام مر بقوم وهم يأكلون في شهر رمضان، فقال: أسفر أم مرضى؟ قالوا: ولا واحدة. قال: فمن أهل الكتاب فتعصمكم الذمة والجزية؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل في نهار شهر رمضان؟ قالوا: أنت أنت -يؤمون إلى ربوبيته -. فنزل عليه السلام عن فرسه وألصق خدّه بالأرض وقال: ويلكم! أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله وارجعوا إلى الاسلام. فأبوا فدعاهم مراراً، فأقاموا على كفرهم، فنهض إليهم وقال: شدّوهم وثاقاً، وعليّ بالفعلة والنار والحطب. ثمّ أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل إحداهما سرباً والأخرىٰ مكشوفة، وألقى الحطب في المكشوفة وفتح بينهما فتحاً، وألقى النار في الحطب فدخن عليهم، وجعل يهتف بهم ويناشدهم ليرجعوا إلى الاسلام فأبوا، فأمر بالحطب والنار فأُلقي عليهم فأُحرقوا -فقال الشاعر:

لترم بي المنية حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما حُشّتا حطباً بنار فذاك الموت نقداً غير دين

فلم يبرح حتى صاروا حمماً.

قلت: وروى (الكافي)[١] القضية في آخر صومه، وأنّه عليه السلام أحرقهم لأنّهم أنكروا نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله دون توحيد الله؛ قال ابن أبي الحديد[٢]: ثم استترت هذه المقالة سنة أو نحوها، ثم ظهر عبدالله بن سبأ ـ وكان يهودياً يستتر بالإسلام ـ بعده عليه السلام فأظهرها، واتبعه قوم فسموا السبئية، وقالوا: إنّ علياً لم يمت، وإنّه في السماء، والرعد صوته والبرق ضوؤه. وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين. وقالوا في النبي صلى الله عليه وآله أغلظ قول، وافتروا عليه أعظم فرية فقالوا: كتم تسعة أعشار الوحي. فنعى عليهم قولهم الحسن بن علي بن محمّد بن الحنفية، في رسالته التي يذكر فيها الارجاء؛ روى سليمان بن أبي شيخ، عن الهيثم بن معاوية، عن عبد العزيز بن ابان، عن عبد الواحد بن أيمن المكي، قال: شهدت الحسن يملي هذه الرسالة، وفيها: ومن قول هذه السبئية أُهدينا لوحي ضلّ عنه الناس، وعلم خفي عنهم، وزعموا أنّ النبي صلى الله عليه وآله كتم تسعة أعشار الوحي ولو كتم النبي صلى الله عليه وآله شيئاً مما أنزل الله عليه، لكتم شأن امرأة زيد، وقوله تعالى ﴿تبتغي مرضاة أزواجك﴾[٣]. ثم ظهر المغيرة بن سعيد مولى بجيلة، فأراد أن يُحدث لنفسه مقالة، فغلا في عليّ عليه السلام وقال: لو شاء عليّ لأحيا عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً. ـ إلى أن قال ـ ثم تفاقم الغلاة وأمعنوا في الغلوّ، فادّعوا حلول الذات الإلهية في قوم من سُلالة أمير المؤمنين عليه السلام ـ إلى أن قال ـ وكان اسحاق بن زيد بن الحرث ـ وكان من أصحاب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ـ يقول بالإباحة وإسقاط التكاليف، ويُثبت لعلي عليه السلام شركة مع النبي صلى الله عليه وآله في

(١) الكافي ٤: ١٨١ ـ ح ٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٢٠.

(٣) التحريم: ١.

النبوّة، على وجه غير هذا الظاهر الذي يعرفه الناس.....

قلت: وذكر الكشي جمعاً من الغلاة منهم: محمّد بن الفرات، وأنّ الرضا عليه السلام قال: «آذاني أذىً ما آذى أبو الخطاب جعفر بن محمّد عليه السلام» ومنهم: أبو الغمر، وجعفر بن واقد، وهاشم بن أبي هاشم، وأنّ الجواد عليه السلام قال: «إنّهم يدعون الناس إلى ما دعا إليه أبو الخطاب لعنه الله» ومنهم: القسم اليقطيني، وعلي بن حسكة، والحسن بن محمّد المعروف بابن بابا، ومحمّد بن نصير، وفارس بن حاتم، وأنّ الهادي عليه السلام لعنهم، وأمر بقتل فارس، فقُتل.

«وخير الناس في حال النمط الأوسط فالزموه» وهم الذين لم يرفعوه عليه السلام عن درجته، حتى يجعلوه إلهاً كالغلاة، ولم يحطّوه عن رتبته التي هي خلافة الرسول صلى الله عليه وآله بمقتضى أدلّة العقول، فضلاً عن تواتر النقول، قال تعالى: ﴿...أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدىٰ فمالكم كيف تحكمون﴾[1] والآيات القرآنية من قوله تعالىٰ: ﴿...وأنفسنا وأنفسكم...﴾[2]، وقوله تعالىٰ: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[3] وقوله تعالىٰ: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون* ومن يتولّ الله ورسوله والّذين آمنوا فانّ حزب الله هم الغالبون﴾[4]، وقول النبي صلى الله عليه وآله فيه ـ بعد تقرير الناس بكونه أولى بهم من أنفسهم ـ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» وقوله صلى الله عليه وآله له: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ» وإجماع الأمّة على كونه عليه السلام أعلم الناس بالكتاب والسنّة، وكيف وقد اعترف فاروقهم: بأنّه لو

(١) يونس: ٣٥.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

وليها ليحملنّهم على المحجّة البيضاء.

وادّعاء أهل السنّة: كونهم النمط الأوسط لم يأتوا لها ببيّنة، بل البرهان على خلافهم؛ وقد قال النّظام ـ استاذ الجاحظ وأحد شيوخ معتزلتهم، كما في (السروي)[1] ـ: عليّ بن أبي طالب محنة على المتكلّم، إن وفّاه حقّه غلا، وإن بخسه حقّه أساء، والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن، حادة الشاف، صعب الترقي إلّا على الحاذق الدين.

وروى (أمالي المفيد)[2] مسنداً عن جميل بن صالح، عن أبي خالد الكابلي، عن الأصبغ، قال: دخل الحارث الهمداني على علي عليه السلام في نفر من الشيعة ـ وكنت فيهم ـ فجعل الحارث يتأود في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه ـ وكان مريضاً ـ فأقبل عليه علي عليه السلام، وكانت له منه منزلة، فقال له: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر مني، وزادني أواراً وغليلاً اختصام أصحابك. قال: وفيم اختصامهم؟ قال: فيك وفي الثلاثة من قبلك، فمن مفرّط منهم غالٍ، ومفرّط قالٍ، ومن متردد مرتاب لا يدري أيقدم أم يحجم؟ فقال عليه السلام: حسبك يا أخا همدان، ألا انّ خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي وبهم يلحق التالي. فقال له الحارث: لو كشفت ـ فداك أبي وأمي ـ الرين عن قلوبنا، وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا. فقال عليه السلام: إنّ دين الله لا يعرف بالرجال، بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف أهله؛ يا حارث إنّ الحق أحسن الحديث، والصادع به مجاهد، وبالحق أُخبرك فأرعني سمعك ثمّ خبّر به من كان له حصافة من أصحابك. ألا إنّي عبد الله وأخو رسوله وصدّيقه الأكبر، صدّقته وآدم بين الروح والجسد، ثم إنّي صدّيقه الأوّل في أُمتكم حقاً،

---

(١) السروي ٣: ١٦.

(٢) الأمالي للمفيد: ٣ ـ ٤، المجلس ١.

فنحن الأوّلون ونحن الآخرون، ونحن خاصّته وخالصته، وأنا صنوه ووصيّه ووليّه وصاحب نجواه وسرّه، أُوتيت فهم الكتاب، وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستودعت الف مفتاح يفتح كلّ مفتاح ألف باب، يُفضي كلّ باب إلى ألف ألف عهد، وأيّدت وأُمددت بليلة القدر نفلاً، وأنّ ذلك يجري لي ولمن استحفظ من ذريتي ما جرى الليل والنهار، حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ وأُبشّرك يا حارث: لتعرفني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة، قال الحارث: وما المقاسمة؟ قال عليه السلام: مقاسمة النار أُقاسمها قسمة صحيحة أقول: هذا وليّي فاتركيه، وهذا عدوّي فخذيه. ثم أخذ عليه السلام بيد الحارث، وقال: أخذت بيدك كما أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيدي، فقال لي ـ وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي ـ: «إنّه إذا كان يوم القيامة أخذتُ بحبل الله وحُجْزته ـ يعني عصمته من ذي العرش ـ وأخذتَ أنت يا علي بحُجزتي، وأخذت ذريتك بحُجزتك، وأخذ شيعتكم بحُجزتكم، فماذا يصنع الله بنبيّه، وما يصنع نبيّه بوصيّه؟» خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة. أنت مع من أحببت ولك ما كسبت. ـ يقولها ثلاثاً ـ فقام الحارث وهو يقول: ما أُبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني.

قال جميل: وأنشدني السيد الحميري في ما تضمنه هذا الخبر:

قول عليّ لحارث عجب	كم ثم أُعجوبة له حملا
يا حار همدان من يمت يرني	من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفني طرفه وأعرفه	بنعته واسمه وما عملا
وأنت عند الصراط تعرفني	فلا تخف عثرة ولا زللا
أُسقيك من بارد على ظمأ	تخاله في الحلاوة العسلا
أقول للنار حين توقف	للعرض دعيه لا تقربي الرجلا

دعـــــيه لا تـــقربيه إن له حبلاً بـحبل الوصـي مـتّصلا

«والزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله على الجماعة، وإيّاكم والفرقة، فإنّ الشّاذ من الناس» أي: المنفرد منهم؛ قال:

يضمّ شـذاذ إلى شـذاذ من الرباب دائم التلواذ

«للشيطان، كما أنّ الشاذ» هكذا في (المصرية)[١] وكذا في (ابن مـيثم)[٢] ولكن في (ابن أبي الحديد)[٣] والخطية): (الشاذة).

«من الغنم للذئب» ولذا جوّز التقاطها، فقال النبي صلى الله عليه وآله لمن سأله عـنها: «هي لك أو لأخيك أو للذئب»؛ وفي (تحف عقول ابن أبي شعبة الحلبي)[٤]: سأل رجل علياً عليه السلام عن السنّة والبدعة والفرقة والجماعة، فقال: أمّا السـنة فسـنّة النبي صلى الله عليه وآله، وأم ا البدعة فمن خالفها، وأمّا الفرقة فأهل الباطل وإن كثروا، وأمّا الجماعة فأهل الحقّ وان قلّوا.

وقال ابن أبي الحديد[٥]: قال النبي صلى الله عليه وآله لا تجتمع أُمّتي على خطأ، سألت الله ألّا تجتمع أُمّتي علىٰ خـطأ فأعـطانيها، وسألت الله ألّا تـجتمع أمّـتي عـلى ضلالة فأعطانيها.

قلت: صدق النبي صلى الله عليه وآله، لم تجتمع أُمّته يوماً على الخطأ وعلى الضلالة، فاجتمع أجلّاء أصحابه المتفق على جلالتهم ـ كسلمان وأبـي ذر والمـقداد وعمّار وحذيفة ونظرائهم ـ على إمامته، وكذلك كـانوا شـيعته عليه السلام فـي كـلّ عصر. وأمّا اغترارهم بالإجماع على بيعة أبي بكر، فإنّما كان أبو بكر وعمر

---

(١) الطبعة المصرية ٢: ١٢.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ١٣٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١١٢.

(٤) تحف العقول: ٢١١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٢٣.

وأبو عبيدة تواطؤوا، فقال أبو بكر: بايعوا عمراً وأبا عبيدة. وقالا: لا نتقدّمك. وأمّا باقي الناس فأخذوا البيعة منهم بالضرب بالعصا، ومن أهل بيته بإحراقهم لو لم يبايعوا، فهم موضع قوله تعالىٰ: ﴿...وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾[١].

«ألا مَن دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه» ورواه المسعودي[٢]: «من دعا إلى هذه الخصومة[٣] فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه»؛ قال ابن أبي الحديد:[٤] كان شعار الخوارج أنّهم يحلقون وسط رؤوسهم، ويبقى الشعر مستديراً حوله كالاكليل.

قلت: روى (صفين نصر بن مزاحم)[٥] عن شيخ من حضرموت شهد صفين معه عليه السلام قال: أرسل عليّ عليه السلام إلى الناس: ان احملوا. فحملوا على راياتهم كلّ قوم بحيالهم، فتجالدوا بالسيوف، وعمل الحديد، لا يسمع إلّا صوت الحديد ومرّت الصلاة كلّها لم يصلّوا إلّا تكبيراً، حتى تفانوا ورق الناس فخرج رجل بين الصفين، فقال: أخرج فيكم المحلقون؟ قلنا: لا. قال: انّهم سيخرجون، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمرّ من الصبر، لهم حمة كحمة الحيات. ثم غاب الرجل ولم يُعلم من هو.

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) مسنداً عن أبي قتادة، قال: كنّا مع علي عليه السلام في قتال أهل النهروان، وكنّا ستين أو سبعين من الأنصار، وكنت على الرجالة، فلمّا رجعنا إلى المدينة دخلنا على عايشة، فسألتنا عن مقدمنا

---

(١) آل عمران: ٢٤.

(٢) المسعودي ٢: ٤٠٢.

(٣) في الأصل (الحكومة).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٢٣.

(٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

فأخبرناها بقتل الخوارج، فقالت: ما كانوا يقولون؟ قلت: يسبّون أمير المؤمنين وعثمان وأنت ويكفرونكم فلم نزل نقاتلهم وعلي عليه السلام بين أيدينا وتحته بغلة النبي صلى الله عليه وآله، لله أبوه! وقف على بعض القتلى، فقال: اقلبوهم فقلبناهم، فاذا رجل أسود على كتفيه مثل حلمة الثدي، فقال عليٌّ: الله أكبر والله ما كذبت ولا كذبت، كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله وهو يقسّم غنائم حنين فجاء هذا، فقال: يا محمّد اعدل فوالله ما عدلت منذ اليوم. فقال النبي صلى الله عليه وآله: ومن يعدل إذا لم أعدل؟ فقام عمر فقال: دعني اضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي صلى الله عليه وآله: دعه فإنّ له من يقتله، سيخرج من ضئضئ هذا أقوام يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. فقالت عايشة لأبي قتادة: أنت رأيت هذا؟ قال: نعم، فقالت: فما يمنعني ما كان بيني وبين عليّ أن أقول الحق: صدق عليّ، أنا سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «تفترق أُمتي فرقتين، يمرق بينهما فرقة محلقة رؤوسهم، محفوفة شواربهم أزرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبّ الخلق إلى الله ورسوله». قال أبو قتادة، فقلت لعايشة: فقد علمت هذا فلِمَ كان إليه منك ما كان؟ فقالت: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدورا﴾[1].

وفي (الطبري)[2] ـ في قصة خروج المستورد أيام ولاية المغيرة على الكوفة من قبل معاوية، وتهديد المغيرة الناس على ايوائهم ومساعدتهم ـ: فقام صعصعة بن صوحان رئيس الشيعة في قومه عبد القيس فخطبهم فقال: معشر عباد الله، إنّ الله ـ وله الحمد كثيراً ـ لما قسّم الفضل بين المسلمين خصّكم منه بأحسن القسم، فأجبتم إلى دين الله الذي اختاره لنفسه وارتضاه

---

(١) الاحزاب: ٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٨٥.

لملائكته ورسله، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسوله، ثم اختلف الناس بعده فثبتت طائفة وارتدّت طائفة وادهنت طائفة وتربّصت طائفة، فلزمتم دين الله ايماناً به وبرسوله وقاتلتم المرتدين حتى قام الدين وأهلك الله الظالمين، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كلّ شيء وعلى كلّ حال، حتى اختلفت الأُمّة بينها، فقالت طائفة: نريد طلحة والزبير وعايشة، وقالت طائفة: نريد أهل المغرب، وقالت طائفة نريد عبدالله بن وهب الراسبي، وقلتم أنتم: لا نريد إلّا أهل البيت الذين ابتدأنا الله من قبلهم بالكرامة تسديداً من الله لكم وتوفيقاً، فلم تزالوا على الحق لازمين له آخذين به، حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مثل هداكم ورأيكم، الناكثين يوم الجمل والمارقين يوم النهر - وسكت عن أهل الشام لأنّ السلطان كان حينئذٍ سلطانهم - ولا قوم أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيّكم ولجماعة المسلمين، من هذه المارقة الخاطئة، الذين فارقوا إمامنا واستحلوا دماءنا وشهدوا علينا بالكفر فايّاكم أن تؤوهم في دوركم أو تكتموا عليهم، فانّه ليس ينبغي لحيّ من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم، وقد والله ذُكر لي أنّ بعضهم في جانب من الحي وأنا باحث عن ذلك، فان كان حُكي لي ذلك حقّاً تقربت إلى الله تعالى بدمائهم، يا معشر عبد القيس، إنّ ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم، فلا تجعلوا لكم عليهم سبيلاً ... .

ومراده بقوله لقومه: ان ولاتكم - كالمغيرة - أعرف الناس بكونهم شيعة ينتهزون الفرصة لقتلهم، فلا يجعلوا لهم وسيلة بعدم جديتهم في المارقة مع انّهم أحق الناس بقتلهم لقولهم: بكفر إمامهم.

«وإنما حكم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن، واحياؤه الاجتماع عليه واماتته الافتراق عنه، فان جرّنا القرآن إليهم اتبعناهم وإن جرّهم إلينا

اتبعونا» في (الطبري)[1]: كتب كاتب التحكيم: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضي علي عليه السلام على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضي معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين: انا ننزل عند حكم الله عزوجل وكتابه، ولا يجمع بيننا غيره، وإنّ كتاب الله عزوجل بيننا من فاتحه إلى خاتمه نحي ما أحيا ونُميت ما أمات، فما وجد الحكمان ـ وهما أبو موسىٰ عبدالله بن قيس الأشعري وعمرو بن العاص القرشي ـ في كتاب الله عزّوجلّ عملا به وما لم يجدا في كتاب الله عزوجل، فالسنّة العادلة الجامعة غير المفرّقة.

«فلم آت ـ لا أباً لكم ـ بُجرا» في (الصحاح): البُجر ـ بالضم ـ الشر والأمر العظيم.

«ولا ختلتكم» أي: خدعتكم.

«عن أمركم ولا لبسته» بالتخفيف والتشديد، أي: عمّيته.

«عليكم، إنما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين، أخذنا عليهما ألا يتعديا القرآن».

قوله عليه السلام في العنوان الثاني:

«فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يجعجعا» من: جعجع البعير، إذا برك واستناخ.

«عند القرآن ولا يجاوزاه، وتكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه» أي: تبع القرآن. أفرد التبع، لأنّه مصدر، يقال: هو له تبع، وهم له تبع.

قوله عليه السلام فيهما: «فتاها عنه» أي: تحيّرا.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٣.

«وتركا الحق وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما» في (الطبري)[١]: قال عمرو بن العاص لأبي موسىٰ: أأنت على أن نُسمّي رجلاً يلي أمر هذه الأمّة؟ فسمّ لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك عليّ أن أتابعك وإلّا فلي عليك أن تُتابعني. قال أبو موسى: أُسمّي لك عبدالله بن عمر ـ وكان في من اعتزل ـ وقال: انّي أُسمّي لك معاوية. فلم يبرحا حتى استبّا، ثم خرجا إلى الناس فقال أبو موسى: إنّي وجدت مثل عمرو مثل الذي قال تعالىٰ ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾[٢] ـ فلمّا سكت أبو موسىٰ تكلّم عمرو، فقال: أيها الناس إنّي وجدت مثل أبي موسىٰ كمثل الذين قال تعالىٰ: ﴿مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً﴾[٣]. وكتب كلّ منهما مثله الذي ضربه لصاحبه إلى الأمصار.

قلت: وصدق كلّ منهما في مثله لصاحبه، كما صدقت اليهود والنصارى في قول كلّ منهما للآخر: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود علىٰ شيء﴾.

وفي (تاريخ اليعقوبي)[٤] ـ بعد ذكر تسابهما ـ: فتنادى الناس حكم ـ والله ـ الحكمان بغير ما في كتاب الله، والشرط عليهما غير هذا.

هذا، وقالوا: شكا أبو العيناء إلى محمّد بن سليمان من ابن المدبر تأخيره لأرزاقه، فقال له: أنت اخترته. فقال: وما عليّ ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً﴾[٥] فما كان منهم رجل رشيد، فأخذتهم الرجفة، واختار

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٨.

(٢) الأعراف: ١٧٥.

(٣) الجمعة: ٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٠.

(٥) الأعراف: ١٥٥.

النبي صلى الله عليه وآله ابن أبي سرح كاتباً، فلحق بالمشركين، واختار علي بن أبي طالب عليه السلام أبا موسى الأشعري حكماً، فحكم عليه.

وفي (أنساب البلاذري): أنّ أهل البصرة اجتمعوا ـ أي: بعد موت يزيد ـ فقلّدوا أمرهم النعمان بن صهبان الأزدي، ثم الراسبي ورجلاً من مضر، ليختاروا لهم رجلاً يولونه عليهم، فقالوا: من رضيتماه لنا فقد رضينا به. وكان رأي المضري في بني أُميّة، ورأي النعمان في بني هاشم، فقال النعمان للمضري: ما أرى أحداً أولى بهذا الأمر من فلان ـ يعني: رجلاً من بني أُمية ـ قال: أوذاك رأيك؟ قال: نعم. قال: فقد قلدتك أمري ورضيت بمن رضيت به. ثم خرجا إلى الناس، وقالوا لهما: ما صنعتما؟ فقال المضري: رضيت بمن رضي به النعمان، فمن سمّى فأنا راض به. فقال الناس للنعمان: ما تقول؟ فقال: ما أرى أحداً غير عبدالله بن الحارث ـ يعني به ـ فقال المضري: ما هذا الذي سمّيت. فقال: إنّه لهو. فرضي الناس به فبايعوه.

قوله عليه السلام في الأول: «فمضيا عليه» وفي الثاني: «والاعوجاج رأيهما» باحث هشام بن الحكم بعض المخالفين في الحكمين، قال المخالف: كانا مريدين للإصلاح. فقال: بل غير مريدين له؛ قال تعالىٰ في حكمي الزوجين ﴿ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما﴾[1]، فلما لم يوفق الله بينهما علمنا أنّهما لم يُريدا الاصلاح.

قوله عليه السلام فيهما «وقد سبق استثناؤنا» هكذا قال المصنف في العنوانين، والصواب: (استيثاقنا) كما عرفته من الطبري[2] ولما يأتي.

«عليهما في الحكومة بالعدل والصمد» ـ بالتسكين ـ أي: القصد.

---

(١) النساء: ٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٨٥.

«للحق» في الأول.

«في الحكم بالعدل والعمل بالحق» في الثاني.

«سوء رأيهما وجور حكمهما» السوء والجور مفعولان لـ(سبق)، والفاعل (استيثاقنا)، ومما يدل على كون (استثنائنا) محرّف (استيثاقنا) أنّ نصر بن مزاحم[1] روى كتاب العهد عن زيد بن حسن هكذا: «وعلى الحكمين عهد الله وميثاقه أن لا يألوا اجتهاداً، ولا يعتمدا جوراً، ولا يدخلا في شبهة، ولا يعدوا حكم الكتاب وسنّة الرسول صلى الله عليه وآله، فان لم يفعلا برئت الذمة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة».

قوله عليه السلام في الثاني: «والثقة في أيدينا لأنفسنا، حين خالفا سبيل الحق، وأتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم» في (خلفاء ابن قتيبة)[2]: لما خدع عمرو أبا موسى وتشاتما، وانصرف عمرو إلى معاوية ولحق أبو موسى بمكة، وانصرف القوم إلى علي عليه السلام قال عدي له عليه السلام: أما والله لقد قدّمت القرآن، وأخّرت الرجال، وجعلت الحكم لله. فقال عليّ عليه السلام: أما إنّي قد أخبرتكم أنّ هذا يكون بالأمس، وجهدت أن تبعثوا غير أبي موسى فأبيتم علَيّ - إلى ان قال - فقال علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: قم فتكلّم في أمر هذين الرجلين. فقام فقال: أيها الناس قد أكثرتم في أمر أبي موسى وعمرو، إنّما بُعثا ليحكما بالقرآن دون الهوى، فحكما بالهوى دون القرآن، فمن كان هكذا لم يكن حكماً، ولكنّه محكوم عليه، وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعله لعبدالله بن عمر، فأخطأ في ثلاث خصال: خالف أباه عمر، إذ لم يرضه لها ولم يره أهلاً لها، وكان أبوه أعلم به من غيره، ولا أدخله في الشورىٰ إلّا على الاشيء له فيها، شرطاً

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٥.

(٢) الخلفاء لابن قتيبة: ١٣٨.

مشروطاً من عمر على أهل الشورى، فهذه واحدة، وثانية: لم يجمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمامة ويحكمون على الناس، وثالثة: لم يستأمر الرجل في نفسه، ولا علم ما عنده من ردّ أو قبول.

قلت: ذكره عليه السلام الخطأ الثاني عدم قبول المهاجرين والأنصار إنّما كان جدلاً، وإلّا فيدلّ كتابه عليه السلام إلى معاوية أيام بيعة الناس له أنّ أهل البيت عليهم السلام هم خيرة الله، وانّه لا خيرة للناس المهاجرين والأنصار وغيرهما.

ولقد صدّق خطأه الأول والثاني ابن عمر نفسه؛ ففي (الخلفاء)[1]: انّ ابن عمر لمّا بلغه ما فعل أبو موسى كتب إليه: فانّك تقرّبت إليّ بأمر لم تعلم هواي فيه، أكنتَ تظنّ أنّي أبسط يداً إلى أمر نهاني عنه أبي عمر؟ أو كنتَ تراني أتقدّم على عليّ عليه السلام؟ ـ إلى أن قال ـ ثم أعظم من ذلك: خديعة عمرو إياك ـ إلى أن قال ـ إنّ أبا موسى كتب في جوابه: وأما خديعة عمرو فوالله ما ضرّ بخديعته عليّاً ولا نفع معاوية، وقد كان الشرط ما اجتمعنا عليه، لا ما اختلفنا فيه.

وفيه[2]، وفي (العقد)[3]: أنّه عليه السلام أمر ابن عباس أن يتكلّم في الحكمين بعد الحسن عليه السلام، فقام وقال: أيّها الناس إنّ للحقّ أهلاً أصابوه بالتوفيق، والناس بين راض به وراغب عنه، وإنّما بُعث أبو موسى بهدى إلى ضلالة، وبُعث عمرو بضلالة إلى هدى، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه، ومضى عمرو بضلاله ـ إلى أن قال ـ وقال عليّ عليه السلام لعبدالله بن جعفر: قم فتكلم. فقام وقال: أيها الناس، إنّ هذا الأمر كان النظر فيه لعليّ عليه السلام والرضا فيه إلى غيره، جئتم بأبي موسى مُبرنَساً، فقلتم: قد رضينا هذا فارضَ به؛ وايم الله ما استفدنا به علماً، ولا انتظرنا منه غائباً، وما نعرفه صاحباً، وايم الله ما أصلحا

(١ و ٢) الخلفاء لابن قتيبة: ١٣٨ .

(٣) العقد الفريد ٥: ٩٨.

بما فعلا الشام، ولا أفسدا العراق، ولا أماتا حقّ عليّ، ولا أحييا باطل معاوية، ولا يُذهب الحقَ رقيةُ راقٍ، ولا نفخةُ شيطان، ونحن اليوم على ما كنّا عليه أمس.

هذا، وقال ابن أبي الحديد[1] عن أبي عبيدة، قال: أمر بلال بن أبي بردة ـ وكان قاضياً ـ بتفريق بين رجل وامرأته، فقال الرجل: يا آل أبي موسى، إنّما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين.

وبعث[2] عبد الملك روح بن زنباع، وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى إلى زفر بن الحارث الكلابي بكلام، وحذرهما من كيده وخصّ بالتحذير روحاً، فقال له: انّ أباه كان المخدوع يوم دومة الجندل لا أبي، علامَ تخوّفني الخداع والكيد. فغضب بلال وضحك عبد الملك.

وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص ـ وهو على مصر وقد قبضها بالشرط الذي اشترط معاوية ـ: أمّا بعد فإنّ سؤّال أهل الحجاز، وزوّار أهل العراق كثروا عليّ، وليس عندي فضل عن أعطيات الحجاز، فأعنّي بخراج مصر هذه السنة. فكتب إليه عمرو: أن تدركك نفس شحيحة، فما مصر إلّا كالهباء في الترب، وما نلتها عفواً ولكن شرطتها، وقد دارت الحرب العوان على قطب، ولولا دفاعي الأشعري ورهطه لألفيتها ترغو كراغية السَّقْب ثم كتب في ظاهر الكتاب:

معاوي حظي لا تغفل ... وعن سنن الحق لا تعدل
أتنسى مخادعة الأشعري ... وما كان في دومة الجندل
ألين فيُطمع في غرتي ... وسهمي قد خاض في المقتل

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٥٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٥٧.

المــــظه عســـــلاً بـــــارداً　　واخـــبا مـــن تـــحته الحـنظل
وأعــليته المــنبر المشـمخر　　كرجع الحسـام إلى المـفصل
فأضــــحى لصـــاحبه خـــالعاً　　كـــخلع النـــعال مـن الأرجـل
وأثــــبتّها فــــيك مــوروثة　　ثبوت الخـواتـيم فـي الأنـمل
وهــــبتَ لغـيري وزن الجـبال　　وأعـــــطيتني زنـــة الخـــردل
وأنّ عــــلياً غــــدا خــصمنا　　ســــيحتج بــالله والمـــرسل
ومـــا دم عـــثمان مـــنج لنـــا　　وليس عن الحق مـن مـرجـل

فلمّا بلغ الجواب إلى معاوية لم يعاوده في شيء من أمر مصر بعدها[1].

قلت: وفي (العقد)[2]: كان رجل يُحدّث بأخبار بـني إسـرائـيل، فـقال له الحجاج ابن خيثمة: ما كان اسم بقرة بني إسرائيل؟ قال: خيثمة. فقال له رجل من ولد أبي موسى: أين وجدت هذا؟ قال في كتاب عمرو بن العاص.

وفيه: بعث بلال بن أبي بردة في ابن أبي علقمة الممرور، فلمّا أتى قال ـ: أتدري لِمَ بعثت إليك؟ قال: لا. قال: بعثت إليك لأضحك منك. فقال له الممرور: لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه ـ عرّض له بجده أبي موسى، وضحك عمرو من خداعه له ـ فغضب عليه بلال، وأمر به إلى الحبس، فكلّمه النـاس وقالوا: إنّ المجنون لا يعاقب ولا يحاسب. فأمر بإطلاقه وأن يُؤتى بـه إليـه، فأُتي به يوم السبت، وفي كُمّه طرائف أُتحف بها في الحـبس، فـقال له بـلال: ناولني من هذا الذي في كمّك. قال: هو يوم سبت ليس يُعطى فيه ولا يـؤخذ. عرّض به بعمة كانت له من اليهود.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٥٦.

(٢) العقد الفريد ٤: ١٣٠.

٣
الخطبة (١٢٣)

ومن كلام لهعليه السلام في التَّحْكيم:

إنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا ٱلْقُرْآنَ، وهَذَا ٱلْقُرْآنُ إنما هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ. وَلَمَّا دَعَانَا ٱلْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا ٱلْقُرْآنَ، لَمْ نَكُنِ ٱلْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَالرَّسُولِ﴾[1] فَرَدُّهُ إِلَى ٱللهِ: أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ: أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ ٱللهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ؛ وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وآله، فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ، وَأَمَّا قَوْلُكُمْ لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ ٱلْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ ٱلْعَالِمُ، وَلَعَلَّ ٱللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ ٱلْهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ، وَلَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ ٱلْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ ٱلْغَيِّ، إنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ ٱللهِ مَنْ كَانَ ٱلْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ ـ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَه ـ مِنَ ٱلْبَاطِلِ، وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَه. أَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ مِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ؟ ٱسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ ٱلْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لَا يَعْدِلُونَ بِه، جُفَاةٍ عَنِ ٱلْكِتَابِ، نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ، مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا، وَلَا زَوَافِرَ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا. لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ ٱلْحَرْبِ أَنْتُمْ. أفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً، يَوْماً أُنَادِيكُمْ، وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ. فَلاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَلَا إِخْوَانُ صِدْقٍ عِنْدَ النَّجَاءِ.

---

(١) النساء: ٥٩.

أقول: العنوان مأخوذ من كلامه عليه السلام في ثلاثة مواضع، فمن أوله إلى قوله: «وتنقاد لأول الغي» كلامه عليه السلام مع الخوارج، رواه الطبري[١] و(إرشاد المفيد)[٢] إلى قوله: «ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة»، ومن قوله: «إنّ أفضل الناس عند الله ـ إلى ـ وإن جرّ إليه فائدة وزاده» نصحه لعمرو بن العاص في حكميته، رواه الطبري[٣] مع زيادات، ففيه: قال أبو مخنف: قال النضر بن صالح العبسي: كنت مع شريح بن هاني في غزوة سجستان، فحدّثني أنّ علياً عليه السلام أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص، قال: قل له: إنّ علياً يقول لك «إنّ أفضل الناس عند الله عزوجل: من كان العمل بالحق أحبّ إليه ـ وان نقصه وكرثه ـ من الباطل وان حن إليه وزاده. والله يا عمرو انّك لتعلم أين موضع الحق، فلِمَ تجاهل إن أُوتيت طمعاً يسيراً كنت به لله وأوليائه عدوّاً، فكان والله ما أُوتيت قد زال عنك؟ ويحك فـ﴿لا تكن للخائنين خصيما﴾[٤] ولا للظالمين ظهيراً أما إنّي أعلم بيومك الذي أنت فيه نادم، وهو يوم وفاتك، تمنّى انّك لم تُظهر للمسلم عداوة، ولم تأخذ على حكم رشوة» قال شريح: فبلغته ذلك فتمعر وجهه، ثم قال: متى كنت أقبل مشورة عليّ، أو أنتهي إلى أمره، أو أعتد برأيه؟ فقلت له: وما يمنعك يابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين ـ بعد نبيّهم ـ مشورته، فقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه؟ فقال: إنّ مثلي لا يُكلّم مثلك. فقلت له: وبأي أبويك ترغب عني؛ أبأبيك الوشيظ، أم بأُمّك النابغة؟

ومن قوله: «استعدوا للمسير...» حث لأصحابه لقتال معاوية بعد قتل

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٠ ـ ٥١.

(٢) الارشاد للمفيد : ٢٧١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٦٩.

(٤) النساء : ١٠٥.

أهل النهروان؛ رواه الطبري[١] أيضاً، ففيه: قال زيد بن وهب: إنّ علياً عليه السلام قال للناس -وهو أوّل كلام قاله لهم بعد النهر ـ: «أيّها الناس استعدوا للمسير إلى عدوّ في جهاده القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده، حيارى في الحق، جفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان ويكبون في غمرة الضلال فـ﴿أعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل﴾[٢]، وتوكلوا على الله ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾[٣] ﴿وكفى بالله نصيراً﴾[٤]» قال زيد: فلا نفروا ولا تيسروا فتركهم أياماً حتى إذا أيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم، فمنهم المعتل ومنهم المكره وأقلّهم من نشط، فقام فيهم خطيباً فقال: عباد الله مالكم إذا أمرتكم أن تنفروا ﴿اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾[٥]، وبالذل والهوان من العزّ؟ أو كلّما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة، وكأنّ قلوبكم مالوسة فأنتم لا تعقلون، وكأنّ أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون؟ لله أنتم! ما أنتم الّا أسود الشّرى في الدّعة، وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس، ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي، ما أنتم بركب يصال بكم، ولا ذي عز يعتصم إليه، لعمر الله لبئس حشّاش الحرب أنتم! تكادون ولا تكيدون، وينتقص أطرافكم ولا تتحاشون، ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، إنّ أخا الحرب اليقظان، وبات لذل مَن وادع، وغلب المتخاذلون، والمغلوب مقهور ومسلوب.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٩٠.

(٢) الأنفال: ٦٠.

(٣) النساء: ٨١.

(٤) النساء: ٤٥.

(٥) التوبة: ٣٨.

كما أنّ الصدر رواه الطبري[1] أيضاً مع زيادة ونقصان، ففيه: خرج عليّ عليه السلام إلى الخوارج وقال: اللّهم إنّ هذا مقام من أفلح فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة، ومن نطف فيه أو عسف ﴿فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً﴾[2]. ثم قال عليه السلام لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. فقال: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتكم يوم صفين. قال: أنشدكم بالله أتعلمون انّهم حيث رفعوا المصاحف، فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله، قلت لكم: «إنّي أعلم بالقوم منكم إنّهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجالٍ، امضوا على حقّكم وصدقكم، فإنّما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهناً ومكيدة» فرددتم عليّ رأيي وقلتم: لا بل نقبل منهم. فقلت لكم: «اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي» فلمّا أبيتم إلّا الكتاب اشترطت على الحكمين: أنّ يُحييا ما أحيا القرآن، وأن يُميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم بما في القرآن، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء. قالوا له: فخبّرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنّا لسنا حكّمنا الرجال، إنّما حكّمنا القرآن، وهذا القرآن إنّما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق، إنّما يتكلم به الرجال. قالوا: فخبّرنا عن الأجل، لِمَ جعلته في ما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل ويتثبت العالم، ولعلّ الله عزوجل يُصلح في هذه الهدنة هذه الأُمة. ادخلوا مصركم رحمكم الله. فدخلوا من عند آخرهم.

وحيث إنّ الكلام كلّه خطاب وعتاب للخوارج، ولأحد الحكمين وللناس بعد قتلهم، جمع المصنف بينها وجعلها تحت عنوان واحد، كما هو دأبه.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) الاسراء: ٧٢.

«ومن كلام له عليه السلام في التحكيم» هكذا في (المصرية)[1] و(ابن ميثم)[2] و(الخطية) ولكن في (ابن أبي الحديد)[3] «ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال، ويذمّ فيه أصحابه في التحكيم». ولابدّ انّه حاشية خلطه ابن أبي الحديد نفسه أو كاتب نسخته بالمتن.

قوله عليه السلام: «إنّا لم نحكم الرجال» ﴿...ان الحكم إلّا لله...﴾[4].

«وإنّما حكمنا القرآن» كلام الله وكتابه.

«وهذا القرآن إنّما هو خط مستور» هكذا في (المصرية)[5] وهو غلط والصواب: (مسطور) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[6] وغيرهما.

«بين الدفتين» قال ابن أبي الحديد[7]: دفتا المصحف: جانباه اللذان يكتنفانه، وكان الناس يعملانها قديماً من خشب، ويعملونها الآن من جلد.

قلت: وفي (الجمهرة) الدف: صفحة الجنب.

«لا ينطق بلسان ولابد له من ترجمان» ذكره (الصحاح) في: رجم، و(القاموس) في: ترجم، وقال: الفعل منه ترجمه يدل على اصالة التاء، والترجمان -كعنفوان وزعفران- مفسّر اللسان. وذكره كتاب لغة في الأفعال، في الرباعي أيضاً.

«وإنّما ينطق عنه الرجال» فالحاكم في الحقيقة هو، لا الرجال، كالمترجم عن القاضي.

---

(١) الطبعة المصرية ٢: ٧.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ١٢٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠٣.

(٤) الأنعام: ٥٧.

(٥) الطبعة المصرية ٢: ٧.

(٦) شرح ابن ميثم ٣: ١٢٦.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠٤.

«ولما دعانا القوم الى أن نحكم بيننا القرآن» وان كانت دعوتهم مجرّد لفظ.

«لم نكن الفريق المتولي على» هكذا في (المصرية) والصواب: (عن) كما في (ابن مثيم)[١] وغيره.

«كتاب الله» لأنّه عليه السلام أوّل من آمن بالله، فكيف يُعقل توليه عن كتابه؟!

«وقد قال الله سبحانه: ﴿فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول﴾ والآية في سورة النساء، وقبلها: ﴿يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾. وبعدها: ﴿ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر...﴾[٢].

«فرده الى الله أن نحكم بكتابه ورده الى الرسول ان نحكم بسنته» بيان للمراد من الآية.

«فإذا حكم بالصدق في كتاب الله» لا كما حكم الحكمان.

«فنحن أحقّ الناس به، وإن حكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن أولاهم به» إلّا انّهم أرادوا المكيدة، لا الكتاب أرادوا ولا السنّة.

وفي (العقد)[٣]: قالوا: إنّ علياً عليه السلام لما اختلف عليه أهل النهروان وأصحاب البرانس، ونزلوا قرية يقال لها حرورا، رجع إليهم فقال: يا هؤلاء مَن زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. قال: فليبرز اليّ. فخرج إليه ابن الكواء، فقال عليه السلام له: ما الذي أخرجكم بعد رضاكم بالحكمين؟ قال: قاتلت بنا عدواً لا نشكّ في جهاده، فزعمت أنّ قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقاً وحكّمت كافراً، وكان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم ـ حين

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ١٢٦.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) العقد الفريد ٥: ٩٩.

دعوتهم ـ: «كتاب الله بيني وبينكم، فإن قضى عليّ بايعتكم، وإن قضى عليكم بايعتموني» فلولا شكك لم تفعل هذا والحق في يدك. فقال عليه السلام: يا ابن الكواء إنّما الجواب بعد الفراغ، أفرغت؟ قال: نعم. قال: أمّا قتالك معي عدواً لا نشكّ في جهاده فصدقت، ولو شككت فيهم لم أُقاتلهم، وأمّا قتلاهم وقتلانا، فقد قال الله في ذلك ما يُستغنى به عن قولي؛ وأمّا إرسالي المنافق وتحكيمي الكافر، فأنت أرسلت أبا موسى مبرنساً ومعاوية حكّم عمراً، أتيت بأبي موسى مبرنساً فقلت: «لا نرضى إلّا أبا موسى» فهلا قام اليّ رجل منكم، فقال: لا نعطي هذه الدنية فإنّها ضلالة؟ وأمّا قولي لمعاوية: إن جرني إليك كتاب الله تبعتك وإن جرّك اليّ تبعتني، زعمتَ أنّي لم أعط ذلك إلّا من شك، فحدّثني ويحك! عن اليهود والنصارى ومشركي العرب. أهم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام؟ قال: بل معاوية وأهل الشام. قال: افالنبي صلى الله عليه وآله كان أوثق بما في يده من كتاب الله أو أنا؟ قال: بل النبي. قال: أفرأيت الله تعالى حين يقول ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين﴾[1] اما كان النبي صلى الله عليه وآله يعلم أنّه لا يؤتى بكتاب هو أهدى فيما في يديه؟ قال: بلى. قال: فلِمَ أعطى النبي صلى الله عليه وآله القوم ما أعطاهم؟ قال: انصافاً وحجّة. قال: فإنّي أعطيت القوم ما أعطاهم النبي صلى الله عليه وآله. قال ابن الكواء: هذه واحدة، زدني. قال: فما أعظم ما نقمتم عليّ؟ قال: تحكيم الحكمين، نظرنا في أمرنا فوجدنا تحكيمهما شكاً. قال عليّ عليه السلام: فمتى سُمّي أبو موسى حكماً، حين أُرسل أو حين حكم؟ قال: حين أُرسل. قال: أليس قد سار وهو مسلم، وأنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله؟ قال: نعم. قال: فلا أرى الضلال في إرساله. فقال ابن الكواء: سُمّي حكماً حين حكم. قال: نعم، إذن فارساله كان عدلاً، أرأيت يا بن الكواء لو أنّ النبي بعث

---

(١) القصص: ٤٩.

مؤمناً إلى قوم مشركين يدعوهم إلى كتاب الله، فارتد على عقبه كافراً كان يضرّ النبي ﷺ شيئاً؟ قال: لا. قال عليه السلام: فما كان ذنبي أن كان أبو موسى ضلّ؟ هل رضيت حكومته حين حكم أو قوله إذا قال؟ قال: لا، ولكنك جعلت مسلماً وكافراً يحكمان في كتاب الله. قال عليه السلام: ويلك يابن الكواء! هل بعث عمراً غير معاوية؟ وكيف أحكمه وحكمه على ضرب عنقي؟ إنّما رضي به صاحبه كما رضيت أنت بصاحبك، وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان في أمر الله؛ أرأيت لو أنّ رجلاً مؤمناً تزوج يهودية أو نصرانية، فخافا شقاق بينهما، فضرع الناس إلى كتاب الله وفي كتابه: ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾[1]، فجاء رجل من اليهود أو النصارى ورجل من المسلمين، اليسا اللذين لهما أن يحكما كما في كتاب الله فحكما؟ قال ابن الكواء: وهذه أيضاً، أمهلنا حتى ننظر...

ولابن أبي الحديد هنا كلام رث لم نتعرّض له.

«وأمّا قولكم لِمَ جعلت بينكم وبينهم أجلاً في التحكيم؟ فإنّما فعلتُ ذلك ليتبين الجاهل ويتثبّت العالم، ولعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة» أي: المصالحة والمتاركة.

«أمر هذه الأمة» كما في صلح الحديبية .

«ولا تؤخذ باكظامها» جمع الكظم، أي: مخرج النفس، يقال: أخذت بكظمه.

«فتعجل عن تبين الحق وتنقاد لأوّل الغي» إن لم يكن أجل في البين.

«إنّ أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحبّ إليه وان نقصه وكرثه» في (الجمهرة): كرثني هذا الأمر كرثاً: إذا ثقل عليك .

«من الباطل» متعلق بقوله: «أحب».

---

(١) النساء: ٣٥.

«وإن جرّ إليه فائدة وزاده» قد عرفت أنّ قوله عليه السلام: «إنّ أفضل النـاس...» كلامه عليه السلام لعمرو بن العاص، قال عليه السلام ذلك لأنّه لازم الايمان، فـالحق ـوان نقص وكرث في الدنيا ـ يزيد في الآخرة ويسر، والباطل وإن جرّ فـائدة فـي الدنيا إلّا أنّه خسران في الآخرة.

«أين» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: (فأين) كما في الثلاثة، ثـم قـد عرفت أنّه من هنا عتاب لأصحابه في تركهم معاودة قتال معاوية.

«يتاه بكم» أي: في أيّ مكان تذهبون متحيّرين؟

«من» هكذا في (المصرية)[2] والصواب: (ومن) كما في الثلاثة.

«أين أتيتم» أتاكم الشيطان، أو أتاكم الخصم حـتى صـرتم هكـذا بـلا حمية.

«استعدوا للمسير في قوم» هكذا في (المصرية)[3]، والصواب: (إلى قوم) كما في (ابن ميثم) وغيره.

«حيارى عن الحقّ لا يبصرونه» أي: معاوية وأهل الشام.

«وموزَعين بالجور» أي: مغرون به. أوزعته بالشيء، أي: أغريته. وقول ابن أبي الحديد[4] «أي ملهمون» غلط، فلا معنى للالهام هنا، كما في قوله تعالى ﴿...أوزعني ان أشكر نعمتك...﴾[5].

«جفاة» أي: مرتفعين.

«عن الكتاب» الذي أنزله تعالى.

«نكب» أي: عادلين.

(١ و ٢) الطبعة المصرية ٢: ٨.

(٣) الطبعة المصرية ٢: ٩.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٥) النمل: ١٩.

«عن الطريق» إلى الله تعالىٰ.

«ما أنتم بوثيقة» أي: عروة محكمة.

«يعلق بها» فيحصل فيكم الانفصام.

«ولا زوافر» أي: أعمدة وأسباب التقوّي؛ قال الحطيئة:

فـان تك ذا عـز حـديث فـإنّهم ذوو إرث مجد لم تخنه زوافره

«عزّ يعتصم إليها» فيقدح فيكم الانهدام

«لبئس حشاش» أي: موقدو:

«نار الحرب أنتم. أفّ لكم» والأفّ: إظهار تضجر، وفي (الجمهرة): قال أبو زيد في قولهم: أف وتف: الأفّ الأظفار، والتفّ: وسخ الأظفار.

«لقد لقيت منكم برحا» أي: شدّة شديدة؛ قال جران العود:

ألاقي الخنا والبرح من أمّ جـابر وما كنت ألقى من رزينة أبـرح

وفي (الجمهرة): إذا أصاب الرامي قالوا: مرحى. وإذا أخطأ قالوا: برحى.

«يوماً أناديكم ويوماً أناجيكم، فلا أحرار صدق عند النداء» أي: للحرب.

«ولا إخوان ثقة عند النجاء» مصدر (ناجى) كالمناجاة، أي: لكشف المعضلات ودفع المحذورات..

٤
الخطبة (١٢٠)

ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج ـ وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة، فقال عليه السلام :

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟

فَقَالُوا: مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ.

قَالَ: فَامْتَازُوا فِرقَتَيْنَ فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا

فِرْقَةً، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلاًّ بِكَلاَمِهِ.

وَنَادَى النَّاسَ فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ ٱلْكَلاَمِ وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا.

ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عليه السلام بِكَلاَمٍ طَوِيلٍ مِنْهُ:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ المَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْراً وَخَدِيعَةً. إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا ٱسْتَقَالُونَا وَٱسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ ٱلْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ. فَقُلْتُ لَكُمْ: هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَٱلْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى ٱلْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، وَلاَ تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ، إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ، وَقَدْ كانَتْ هٰذِهِ الْفِعلة، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ اعطيتُمُوها، وَاللهِ لَئِنَ أبيتُها ما وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُها وَلاَ حَمَّلَنِي ٱللهُ ذَنْبَها، وَوَاللهِ إن جِئتُها إنّي للمحق الّذِي يُتَّبَعُ، وَإِنَّ الْكِتاب لمَعِي ما فارَقْتُهُ مذ صَحِبْتُهُ. فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وآله وَإِنَّ ٱلْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى ٱلآبَاءِ وَٱلأَبْنَاءِ وَٱلإِخْوَانِ وَٱلْقَرَابَاتِ، فَلَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً وَمُضِيّاً عَلَى ٱلْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ ٱلْجِراحِ، وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلْإِسْلاَمِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالاعْوِجَاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ.فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ ٱللهُ بِهِ شَعَثَنَا، وَنَتَدَانَى بِهَا إِلَى ٱلْبَقِيَّةِ فِي مَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام قاله» ليس (قاله) في نسخة ابن ميثم[1].

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ١١٨.

«للخوارج وقد خرج الى معسكرهم» أي: محل عسكرهم.

«وهم مقيمون على انكار الحكومة» ليست هذه الجملة في نسخة ابن ميثم[١].

في (تاريخ اليعقوبي)[٢]: صارت الخوارج إلى قرية يقال لها حروراء، وبينها وبين الكوفة نصف فرسخ، وبها سُمّوا الحرورية، ورئيسهم عبدالله بن وهب الراسبي وابن الكواء وشبث بن ربعي، فجعلوا يقولون: لا حكم إلّا لله. فلمّا بلغ علياً عليه السلام ذلك قال: كلمة حقّ أُريد بها باطل. ثم خرجوا في ثمانية آلاف ـ وقيل في اثني عشر ألفاً ـ فوجّه عليه السلام إليهم ابن عباس، فكلّمهم واحتجّوا عليه، فخرج إليهم عليّ عليه السلام فقال: افتشهدون عَلَيَّ بجهل؟ قالوا: لا. قال: فتنفذون أحكامي؟ قالوا: نعم. قال: ارجعوا إلى كوفتكم حتى نتناظر. فرجعوا من عند آخرهم، ثمّ جعلوا يقومون فيقولون: لا حكم إلّا لله. فيقول عليه السلام: حكم الله أنتظر فيكم.

«فقال عليه السلام» ليست الكلمة في نسخة ابن ميثم[٣]، وعليها يكون (أكلكم...) الخ مبتدأ لقوله: «ومن كلام له» ولا يرد على المصنف ما يأتي على نقل غيره.

«أكلّكم شهد معنا صفين؟ قالوا: منّا من شهد ومنّا من لم يشهد. قال: فامتازوا فرقتين، فليكن من شهد صفين فرقة، ومن لم يشهدها» وفي نسخة ابن ميثم[٤]: «ومن لم يشهد».

«فرقة حتى أُكلّم كلّاً» وزاد ابن أبي الحديد: «منكم».

«بكلامه. ونادى الناس فقال: أُمسكوا عن الكلام وأنصتوا» أي: اسكتوا.

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ١١٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩١.

(٣ و ٤) شرح ابن ميثم ٣: ١١٨.

«واقبلوا بأفئدتكم إليّ، فمن نشدناه شهادة» ليست الكلمة في نسخة ابن ميثم[١].

«فليقل بعلمه فيها. ثم كلّمهم عليه السلام بكلام طويل منه» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: ما في (ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم)[٤]: «ثم كلّمهم عليه السلام بكلام طويل من جملته أن قال».

وكيف كان، ففي (تاريخ اليعقوبي)[٥] ـ بعدما مرّ ـ: وخرجت الحرورية من الكوفة، فوثبوا على ابن خباب فقتلوه، فخرج عليّ عليه السلام إليهم، وقال لابن عباس: قل لهم: ما نقمتم على أمير المؤمنين؟ ألم يحكم فيكم بالحق، ويقم فيكم العدل، ولم يُبخسكم شيئاً من حقوقكم؟ فناداهم ابن عباس بذلك، فقالت طائفة منهم: والله لا نجيبه. وقالت الأُخرىٰ: والله لنجيبنّه ثم لنخصمنّه؛ نعم يا بن عباس، نقمنا عليه خصالاً كلّها موبقة، ولو لم نخصمه إلّا بخصلة خصمناه: محا اسمه من إمرة المؤمنين يوم كتب إلى معاوية، ورجعنا عنه يوم صفين فلم يضربنا بسيفه حتى نفيء إلى أمر الله، وحكّم الحكمين، وزعم أنّه وصيّ فضيع الوصية؛ وجئتنا يا بن عباس في حلّة حسنة جميلة تدعونا إلى مثل ما يدعونا إليه. فقال بن عباس له عليه السلام: قد سمعتَ مقالة القوم وأنت أحقّ بالجواب. فقال عليه السلام: حججتهم والّذي فلق الحبة وبرأ النسمة؛ قل لهم: ألستم راضين بما في كتاب الله وبما فيه من أُسوة رسول الله؟ قالوا: بلى. فقال عليه السلام: كتب كاتب النبي صلى الله عليه وآله يوم الحديبية ـ إذ كتب إلى سهيل بن

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ١١٨.

(٢) الطبعة المصرية ٢: ٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩٧.

(٤) شرح ابن ميثم ٣: ١١٨.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩١ ـ ١٩٢.

عمرو وصخر بن حرب ومن قبلهما من المشركين ـ: «من محمّد رسول الله» فكتبوا إليه: «لو علمنا انّك رسول الله ما قاتلناك، فاكتب إلينا: من محمّد بن عبدالله لنجيبك». فمحا النبي ﷺ اسمه بيده وقال: إنّ اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوّتي. فكتب: «من محمّد بن عبدالله». ففي برسول الله أُسوة حسنة. وأمّا قولكم: إنّي لم أضربكم بسيفي حتى تفيئوا إلى أمر الله؛ فإنّ الله عزوجل يقول: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[1]، كُنتم عدداً جمّاً وأهل بيتي في عدة يسيرة. وأمّا قولكم: إنّي حكمت الحكمين، فإنّ اللّه عزّوجل حكم في أرنبٍ يُباع بربع درهم فقال: ﴿يحكم به ذوا عدلٍ منكم﴾[2] ولو حكم الحكمان بما في كتاب الله لما وسعني الخروج من حكمهما. وأمّا قولكم: إنّي كنت وصياً فضيعت الوصيّة؛ فإنّ الله عزوجل يقول: ﴿ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ الله غنيٌّ عن العالمين﴾[3]. أفرأيتم هذا البيت لو لم يحجّ إليه أحد كان البيت يكفر، أم لو تركه من استطاع إليه سبيلا كفر؟ وأنتم كفرتم بترككم إياي، لا أنا كفرت بتركي لكم. فرجع منهم ألفان.

قوله عليه السلام: «ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة» من: «أرضعته غيلة»، أي: على حبل، وهو مفسد للصبي، يقال: الارضاع غيلة كالقتل غيلة.

«ومكراً وخديعة» كلّها مفعول له لقوله: «رفعهم».

«إخواننا» مقول قولهم.

«وأهل دعوتنا استقالونا» من القتال.

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) المائدة: ٩٥.

(٣) آل عمران: ٩٧.

«واستراحوا الى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم والتنفيس» أي: الترفيه.

«عنهم. فقلت لكم: هذا أمرٌ ظاهره ايمان وباطنه عدوان، وأوّله رحمةٌ وآخره عداوةٌ. فأقيموا على شأنكم والزموا طريقتكم» في (الطبري)[1] -في حرب يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك أيام يزيد بن عبد الملك -: دعا ابن المهلب رؤوس أصحابه، فقال لهم: قد رأيت أن أجمع اثني عشر ألف رجل، فأبعثهم مع محمّد أخي حتى يبيّتوا مسلمة، ويحملوا معهم البرانع والأكف والزبل، لدفن خنادقهم فنقاتلهم على خندقهم بقية ليلتهم، فاذا أصبحت نهضت إليهم بالناس فنناجزهم. قال السميدع: إنّا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنّة نبيه، وقد زعموا أنّهم قابلوا هذا منّا، فليس لنا ان نمكر ولا نغدر ولا نريدهم بسوء، حتى يردّوا علينا ما زعموا أنّهم قابلوه، فقال لهم يزيد بن المهلب: ويحكم! أتصدقون بني أُميّة أنّهم يعملون بالكتاب والسنّة، وقد منعوا ذلك منذ كانوا أنّهم أرادوا أن يكفوكم عنهم حتى يعملوا في المكر؟ إنّي قد لقيت بني مروان، وما لقيت رجلاً هو أمكر من هذه الجرادة الصفراء -يعني: مسيلمة -. فقالوا: لا نرى أن نفعل ذلك حتى يردّوا علينا ما زعموا أنّهم قابلوه منّا....

«وعضّوا على الجهاد بنواجذكم» النواجذ أربعة في أقصى الأسنان بعد الأرحاء.

«ولا تلتفتوا الى ناعق نعق» أي: لا تكونوا كالأغنام؛ يقال: نعِق الراعي بغنمه. -بالكسر- أي: صاح بها.

قال الأخطل لجرير:

أنعق بضأنك يا جرير فإنّما ... منّتك نفسك في الخلاء ضلالا

(١) تاريخ الطبري ٦: ٥٩٣.

«إن أُجيب أضلّ» فنعْق أهل الشام صار سبباً لضلال الخوارج.

«وإن تُرك ذلّ» فلو كانوا لم يمشوا بنعقهم، لصاروا ذليلين وأُسراء مقهورين.

«وقد كانت هذه الفعلة، وقد رأيتكم أعطيتموها، والله لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتُها ولا حملني الله ذنبها، ووالله إن جئتُها إنّي للمحقّ الذي يُتّبع، وإنّ الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحِبتُه» هذه الفقرات كلّها من قوله: «وقد كانت» ـ إلى هنا، ليس منها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) أثر ولا إشارة بوجودها في نسخة أو رواية، ونسختهما هي الصحيحة، لا سيما الثاني الذي نسخته بخط المصنّف، فالظّاهر أنّ بعضهم رأى هذا الكلام زائداً في كلامه عليه السلام في موضعٍ آخر، فنقله حاشية، فخلط بالمتن.

ولقد وقفت في كلامه عليه السلام على ما يناسبه؛ ففي (الطبري)[1] قال عليه السلام للناس بعد التحكيم: قد فعلتم فعلة ضعضعت قوّة، واسقطت منّة، وأورثت وهناً وذلّة؛ ولما كنتم الأعلين وخاف عدوكم الاجتياح، واستحر بهم القتل ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف ودعوكم إلى ما فيها ليفتئوكم عنهم، ويقطعوا الحرب في ما بينكم وبينهم، ويتربصون ريب المنون خديعة ومكراً، فأعطيتموهم ما سألوا، وأبيتم إلّا أن تدهنوا وتخوروا، وايم الله ما أظنكم بعدها توافقون رشداً، ولا تصيبون باب حزم.

«فلقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ القتل ليدور على» هكذا في (المصرية)[2]، والصواب: (بين) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم[3] والخطية).

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٠.

(٢) الطبعة المصرية ٢: ٣.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١٩.

«الآباء والأبناء والاخوان والقرابات، فلا نزداد على كلّ مصيبة وشدّة إلّا إيماناً ومضيّاً على الحق، وتسليماً للأمر، وصبراً على مضض» أي: ألم.

«الجراح» مرّ في فصل النبوّة نظير هذا الكلام من قوله: «ولقد» من العنوان (٥٥): «ومن كلام له عليه السلام: ولقد كنّا مع رسول الله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجداً على جهاد العدو، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما: أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون؟ فمرّة لنا من عدوّنا ومرة لعدوّنا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الاسلام ملقياً جرانه ومتبوّءاً أوطانه، ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ،ولا أخضرّ للإيمان عود».

مرّ ثمة أنّ نصر بن مزاحم[1] روى: أنّه عليه السلام قال ذلك الكلام يوم صفّين، حين أقرّ الناس بالصلح، فالظاهر أنّ الأصل فيهما واحد.

وكيف كان فقول ابن أبي الحديد: «إنّ قوله عليه السلام: ولقد كنّا... غير مربوط بسابقه، وإنّما نقله الرضي على حسب عادته» في غير محله، فربطه بسابقه وهو قوله: «وعضوا على الجهاد بنواجذكم -إلى - وإن ترك ذل» على نقله واضح، والمراد حثّ أصحابه على التأسّي بأصحاب النبي صلى الله عليه وآله في ثباتهم.

«ولكنّا إنّما أصبحنا نقاتل اخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل، فاذا طمعنا في خصلة يلم الله به شعثنا، ونتدانى بها إلى البقية في ما بيننا، رغبنا فيها، وأمسكنا عمّا سواها» قال ابن أبي الحديد[2]: هذا

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٢٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩٩.

الكلام من قوله: «ولكننا» مخالف في الظاهر للفصل الأول، لأنّ الأول فيه إنكار الإجابة للتحكيم وهذا يتضمن تصويبها، وظاهر الحال أنّه بعد كلام طويل - وقد قال المصنف في أوّل الفصل: إنّه من جملة كلام طويل ـ وأنّه لما ذكر التحكيم قال ما كان يقوله دائماً، وهو: إنّي إنّما حكمت على أن نعمل في هذه الوقعة بحكم الكتاب، وإنّي كنت أُحارب قوماً ادخلوا في الاسلام زيفاً، وأحدثوا به اعوجاجاً، فلما دعوني إلى تحكيم الكتاب أمسكت عن قتلهم وأبقيت عليهم، لأنّي طمعت في أمر يلم الله به شعث المسلمين.

قلت: بل الظاهر أنّه حُرّف عن موضعه، وأنّه كان مقول قول الخوارج في أوّل الأمر، لما حملوه عليه السلام على التحكيم بعد قولهم في أوّل الفصل: «اخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم» كما لا يخفى، وإلّا فكيف يقول عليه السلام: أصبحنا نقاتل إخواننا في الاسلام»؟ وكيف يقول عليه السلام في أول كلامه: «إنّ رفعهم المصاحف إنّما كان حيلة وغيلة ومكراً وخديعة»، ويقول في آخر كلامه: «فاذا طمعنا في خصلة يلمّ الله به شعثنا...»؟

وإنّما كان عليه السلام يقول للخوارج: إنّي وان كنت كارهاً للتحكيم، إلّا أنّه لما أكرهتموني، عليه صرفته إلى المشروع بقبول حكم الحكم إذا كان من كتاب الله، وعقد بذلك عهد يجب الجري عليه، حتى نرى ما يحكم الحكمان.

وكيف يقول عليه السلام: معاوية وعمرو بن العاص وأهل الشام اخواننا في الإسلام، وطمعنا منهم في خصلة يلم الله به شعثنا؟ ويقول صاحبه عمّار - حين نظر إلى راية عمرو بن العاص ـ: والله انّ هذه الراية قد قاتلتها ثلاث مرات، وما هذه بأرشدهنّ. ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله أو يُرجع الحقّ إلى سبيله

٥
الخطبة (١١٩)

ومن كلام له عليه السلام، وَقد قامَ إليه رَجلٌ مِن أصحابه، فقال: نَهَيْتَنا عن الحُكُومةِ ثمَّ أمرتَنا بها، فلم نَدرِأيّ ٱلْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ؟ فَصَفَّقَ عليه السلام إحْدَى يَدَيْهِ على الأُخرى، ثم قال:

هَذٰا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعُقْدَةَ، أَمَا وَٱللهِ لَوْ أَنـِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنْ ٱسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِن ٱعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ ٱلْوُثْقى، وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا! ٱللهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيّ، وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ؛ أَيْنَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ دُعُوا إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَؤُوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا إِلَى ٱلْقِتَالِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَصَفّاً صفّاً، بَعْضٌ هَلَكَ وَبَعْضٌ نَجَا، لَا يُبَشَّرُونَ بالأَحْيَاءِ، وَلَا يُعَزَّوْنَ بِالمَوْتَى، مُرْهُ ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلْبُكاءِ، خُمْصُ ٱلْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ ٱلْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الخَاشِعِينَ. أُولٰئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ٱلْفُرْقَةَ. فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَٱقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَٱعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

أقول: رواه ابن عبد ربّه في (عقده)[1] مع اختلاف، فروى عن نافع بن كليب، قال: دخلت الكوفة للتسليم على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فإنّي لجالس تحت منبره، وعليه عمامة سوداء وهو يقول: «انظروا هذه الحكومة، فمن دعا إليها فاقتلوه وإنْ كان تحت عمامتي هذه» فقال له عدي بن حاتم: قلت لنا أمس: من أبى عنها فاقتلوه، وتقول لنا اليوم: من دعا إليها فاقتلوه؛ والله ما ندري ما نصنع بك؟ وقام إليه رجل أحدب من أهل العراق، فقال: أمرت بها أمس وتنهى عنها اليوم؟ فأنت كما قال الأول: «آكلك وأنا أعلم ما أنت» فقال عليه السلام: إليّ يُقال هذا؟ (أصبحت اذكر أرحاماً وأصره بدلت منها هوى الريح بالقصب) أما والله لو أنّي حين أمرتكم بما أمرتكم به، ونهيتكم عمّا نهيتكم، حملتكم على المكروه الذي جعل الله عاقبته خيراً، إذن كان فيه، ولكانت الوثقى التي لا تقلع، ولكن بمن والىٰ من أُداويكم؟ كأنّي والله بكم كناقش الشوكة بالشوكة! ياليت لي بعض قومي، وليت لي من بعد خير قومي. اللهم إنّ دجلة والفرات نهران أعجمان أصمان أبكمان، اللهمّ سلّط عليهما بحرك، وانزع منهما نصرك، ويل للنزعة بأشطان الرّكي! دعوا إلى الاسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحسنوه، ونطقوا بالشعر فأحكموه، وهيّجوا إلى الجهاد فولهوا ولَهَ اللقاح أولادها، ضرباً ضرباً وزحفاً زحفاً، لا يتباشرون بالحياة، ولا يعزون على القتلى، ولا يغيرون على العلى:

أُولئك إخواني الذاهبون ... فحقّ البكاء لهم أن يطيبا
رزقت حبيباً على فاقة ... وفارقت بعد حبيب حبيبا

ثم نزل تدمع عيناه. فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون على ما صرت إليه. فقال: نعم إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أقوّمهم ـ والله ـ غدوة ويرجعون إليّ عشية

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٤: ١٦٢.

مثل ظهر الحية! حتى متى، وإلى متى؟ حسبي الله ونعم الوكيل ...

هكذا وجدت في نسخته، ولا يخلو من تصحيفات، كما لا يخفى.

قول المصنف : «ومن كلام له عليه السلام وقد قام اليه» ليست الكلمة في (ابن أبي الحديد[1] وابن ميثم[2]).

«رجل من أصحابه» قد عرفت من رواية (العقد) أنّه كان رجلاً أحدب.

«فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر» هكذا في (المصرية)[3]، والصواب: (فما ندري) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية). أي: الأمرين، الحكومة وتركها.

«أرشد» أي: أقرب إلى الصواب.

«فصفق عليه السلام » أي: ضرب.

«إحدى» وفي (ابن ميثم): «باحدى».

«يده على الأُخرى ثم قال هذا جزاء من ترك العقدة» أي: استحكام الأمر، كمن يشدّ الشيء بحبل؛ قال ابن أبي الحديد[4]: في هذا الكلام اعتراف بأنّه ظهر له ـ في ما بعد ـ أنّ الرأي الأصلح كان الاصرار والثبات على الحرب، وأنّ للإمام أن يعمل بموجب ما يغلب على ظنّه، فلما نهاهم كان نهيه مصلحة، ولما أمرهم كانت المصلحة في ظنّه قد تغيّرت، كالطبيب الذي ينهى المريض اليوم عن أمر ويأمره بمثله غداً.

قلت: هو تفسير غلط، كغلط اعتراض المعترضين؛ فنهاهم أوّلاً عن الحكومة لكونها مفسدة محضة، ولما أجبروه عليها وعقد عهداً، نهاهم عن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩١.

(٢) شرح ابن ميثم ٣: ١١٤.

(٣) الطبعة المصرية ١ : ٢٣٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩٢.

نقض العهد، لا أنّه أمرهم بالحكومة، فلمّا كتبوا كتاب الصلح وندموا.

قام محرز بن حريش ـ كما في (صفّين نصر)[١] ـ وقال له عليه السلام: ما إلى الرجوع من هذا الكتاب سبيل، فوالله إنّي لأخاف أن يورث ذلاّ؟ فقال عليه السلام: أمّا بعد أن كتبناه نُنقضه، إنّ هذا لا يحلّ.

ولا غرو أن يعترضوا عليه عليه السلام، فقد اعترض فاروقهم على النبي صلى الله عليه وآله يوم الحديبية؛ ففي (الطبري)[٢] ـ بعد ذكر كتابة الصلح بين النبي صلى الله عليه وآله وقريش في الحديبية ـ: أتى عمر النبي صلى الله عليه وآله وقال له: ألست برسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نُعطي الدنية في ديننا؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أنا عبدالله ورسوله، لن أُخالف أمره ولن يضيعني.

وفيه[٣]: كان علي عليه السلام ذات يوم في خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد، فقال علي عليه السلام: الله أكبر، كلمة حق يراد بها باطل، إن سكتوا عممناهم، وإن تكلّموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم المحاربي، فقال: اللّهم إنّا نعوذ بك من اعطاء الدنية في ديننا، فإنّ إعطاء الدنية في الدين إدهان في أمر الله، وذلّ راجع بأهله إلى سخط الله....

وفي (ملل الشهرستاني)[٤]: شبهات أمّة كل نبي في آخر زمانه ناشئةٌ من شبهات خصماء أوّل زمانه، فإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة، فلم يخف في هذه الأُمة أنّ شبهاتها نشأت من شبهات منافقي زمان النبي صلى الله عليه وآله، إذ لم يرضوا بحكمه في ما كان يأمر وينهى....

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٦٣٤.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٧٢.

(٤) الملل للشهرستاني ١: ١٠.

ومن العجب أنّ الناس لم يريدوا أمير المؤمنين الذي كان نفس النبي صلى الله عليه وآله علماً وعملاً، وأرادوا عمر الذي منع النبي صلى الله عليه وآله من الوصية قائلاً: إنّه يهجر. وصار سبباً لحصول هذه الفرق الباطلة، مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي».

فلما خطبهم قيس بن سعد بن عبادة بعد غدر الحكمين، وقال لهم: عودوا بنا إلى قتال عدوّنا وعدوّكم. قال عبدالله بن شجرة السلمي له: إنّ الحقّ قد أضاء لنا، فلسنا نتابعكم أو تأتونا بمثل عمر.

قاتلهم الله، يكفّرون أمير المؤمنين عليه السلام بحكمية القرآن، ولا يكفّرون عمر بحكمية عبد الرحمن بن عوف، حتى يختار لإمامتهم رئيس بني أُمية، حتى يتخذوا دين الله دغلاً وعباده خولاً.

ويقول أبو سفيان يوم بويع عثمان بتدبير عمر: تداولوا الخلافة بينكم تداول الكرة فلا جنّة ولا نار. ويصلّي الوليد بن عقبة ـ أخا عثمان لأمّه أيام ولايته على الكوفة من قبله ـ بالناس سكران، ويصلّي الصبح بهم أربعاً، ويقول: لو شئتم أزيدكم على الأربع.

وإذا أُسس الأمر على ولاية صدّيقهم وفاروقهم يصير المرجع هكذا.

ومن العجب أنّهم كانوا يرجّحون سنّتهما على سنّة النبي صلى الله عليه وآله؛ فلمّا خرجت الخوارج من الكوفة أتاه عليه السلام أصحابه وقالوا له: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت. فشرط لهم سنّة النبي صلى الله عليه وآله، فجاءه ربيعة بن شداد الخثعمي ـ وكان شهد معه الجمل وصفّين، ومعه راية خثعم ـ فقال عليه السلام له: بايع على كتاب الله وسنّة رسوله. فقال له ربيعة: على سنّة أبي بكر وعمر. فقال عليه السلام له: ويلك! لو أنّ أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسوله لم يكونا على شيء من الحق، أما والله لكأنّي بك وقد نفرت مع هذه الخوارج

فقتلت، وكأنّي بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها. فقُتل يوم النهر مع خوارج البصرة، ووطئته الخيل وشدخوا وجهه ورأسه.

كما أنّ أبا موسى يقول لعمرو بن العاص: نخلع علياً ونحيي سنّة عمر. لكن لا غرو هذه سنّة فطرية: كلّ يميل إلى سنخه، وكلّ يعمل على شاكلته؛ فأبو موسى الذي شهد حذيفة صاحب سر النبي ﷺ بنفاقه، وسعد والمغيرة بن شعبة ونظراؤهم ـ من الذين اتفِق على نفاقهم ـ لم يريدوا غير عمر، كما أنّ سلمان وأبا ذر والمقداد وعمّار وحذيفة ونظراءهم ـ ممّن اُتفق على إيمانه ـ لم يريدوا غير أمير المؤمنين عليه السلام.

وخطب الحجاج فقال ـ كما في (العقد) ـ: يا أهل العراق بلغني أنكم تروون أنّ مَن ملك عشرة رقاب من المسلمين جيء به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، حتى يفكّه العدل أو يوبقه الجور، وايم الله إنّي لأُحب إليّ أن أُحشر مع أبي بكر وعمر مغلولاً، من أحشر معكم مطلقاً.

ونظير عدم تمييزهم بين نهيه عن الحكومة، وأمره بالوفاء بالعهد بعد الكتابة: أنّ شيعته عليه السلام لما بايعوه ثانية وقالوا له: «نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت» قالوا لهم: استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان؛ بايع معاوية أهل الشام على ما أحبوا وكرهوا، وبايعتم أنتم علياً على أنكم أولياء من وإلى وأعداء من عادى. ومعلوم أنّه عليه السلام لم يُحب إلّا كتاب الله وسنّة نبيّه، ولم يكره إلّا تركهما، كما أنّ معاوية بالعكس.

وأجابهم زياد بن النضر من شيعته فقال لهم: والله ما بسط عليّ عليه السلام يده فبايعناه إلّا على كتاب الله وسنّة نبيّه، وهو على الحق والهدى، ومن خالفه ضال مضل. ولكونه عليه السلام كذلك ترك يوم الشورى حقّه لمّا أراد ابن عوف ـ حكم عمر منه ـ قبول سنّة أبي بكر وعمر، كما أنّ معاوية قال لهم عام

الجماعة: ما بايعتكم على أن تصلّوا وتصوموا، بل لأتأمّر عليكم. وقال: كلّ ما شرطت في بيعة الحسن فهو تحت قدمي.

ومن العجب أنّهم رووا من صدّيقهم وفاروقهم، وكذا ذي نوريهم في الست الاولى من خلافته الذين تولوه فيها، تلك الخزايا المذكورة في محلّها، والمطوقة عليهم طوق الحمام ولم يقولوا شيئاً. وامّا طعنهم عليه في السني الأخيرة حتى قتلوه فلم يكن غضباً لله بل لأنفسهم، حيث خصّ الدنيا ببني أمية، حتى إنّه عزل عمرو بن العاص، وبخس عايشة زيادة يعطيها أبوها وعمر؛ وأمّا بالنسبة إليه عليه السلام فأجبروه على التحكيم، وقالوا له: إنّ قتال معاوية الغدّار ولعين النبي صلى الله عليه وآله لمّا قال لهم مكراً وخديعة: «بيننا كتاب الله» كفر. ثم قالوا له بعد الإجبار: إنّ قبوله عليه السلام الحكم بالقرآن كفرٌ، وبيعة الناس له على الكتاب والسنّة كفرٌ. ولا غرو فإنّ فرعون الذي استخف قومه فقال لهم: ﴿...أنا ربّكم الأعلى﴾[1] لم يقولوا له: أنت بشر مثلنا. ويقول فرعون لموسى - لمّا قال له: أنا رسول من ربكم إليكم - إيت بآية إن كنت من الصادقين. فأتاه بآيتين عظيمتين، فقالوا له: أنت ساحر عليم[2].

ومن العجب أنّهم لم يقبلوا من أمير المؤمنين عليه السلام أن يُحكّم ابن عباس، ويقولون له: إنّه مثلك. مع أنّ بينه عليه السلام وبين ابن عباس ما بين السماء والأرض، ولم يقولوا لمعاوية: لا نقبل حكمية عمرو بن العاص - مع أنّهما كانا كنفس واحدة، من طفولتيهما إلى موتهما - ونقاتلك حتى تُحكّم حكماً عدلاً.

«أَما والله لو أنّي حينَ أمرتكُم بما أمرتكم به، حَمَلتكم على المكروه الذي يجعل

(١) النازعات: ٢٤.

(٢) معنى الآيات ١٠٤ ـ ١٠٩ من سورة الأعراف.

الله فيه خيراً» قال تعالى ﴿...وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم...﴾[1].

«فإن استقمتم هديتكم، وان اعوججتم قوّمتكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى» قال ابن أبي الحديد معنى قوله: «اما والله...» أي: لو كنت أحملكم على الحرب فإنْ استقمتم اهتديتم، وإن اعوججتم بفتور وقلّة جد قوّمتكم بالتحريض، وإن امتنعتم تداركت الأمر، إمّا بالاستنجاد بغيركم من قبائل العرب، كانت هي العقدة الوثقى. أي: الرأي الأصوب.

قلت: هذا أيضاً غلط منه، فلمّا زاغ في الكلام الأول حصل له الزيغ إلى الآخر، فإنّ المراد إنّما هو أنّه عليه السلام لو كان فعل ذلك كان العقدة الوثقى؛ أي: الاستحكام الكامل للأمر حتى لا يؤل إلى ما آل، إذا كان متمكّناً من ذلك، ولكن لم يتمكن كما قال بعد: «ولكن بمن وإلى من...».

ومن الغريب أنّ ابن أبي الحديد[2] مع ادعائه المعرفة قال ـ تفريعاً على تفسيره الغلط ـ: إنّ علياً عليه السلام ما أخطأ، بمعنى: ارتكاب الإثم، ولكنّه ترك الرأي الأصوب، كما قال الحسن البصري: «هلا مضيت قدماً لا أبا لك» وقد قيل: إنّ قول عليّ عليه السلام:

لقد عثرت عثرة لا انجبر   سوف اكيس بعدها واستمر

واجمع الرأي الشتيت المنتشر

إشارةٌ إلى هذا المعنى. وقيل فيه غير ذلك، وقال الجاحظ: مَن عرفه عرف أنّه غير ملوم في الانقياد معهم إلى التحكيم، فإنّه ملّ من القتل وتجريد السيف ليلاً ونهاراً، وملّت الخيل من تقحّم الأهوال بها، وضجر من دوام تلك الخطوب الجليلة والارزاء العظيمة، واستلاب الأنفس وتطاير الأيدي والأرجل بين يديه،

---

(١) البقرة: ٢١٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

وأكلت الحرب أصحابه وأعداءه وعطلت السواعد، وخدرت التي سلمت من وقايع السيوف بها، ولو أنّ أهل الشام لم يستعفوا من الحرب ويستقيلوا من المقارعة والمصارمة، لأدت الحال إلى قعود الفيلقين معاً، ولزومهم الأرض والقائهم السلاح....

قلت: الحسن البصري والجاحظ أيضاً غلطا. أمّا قول الحسن: «هلا مضيت قدماً» أين يمضي قدماً؟ فكانوا يقتلونه لو كان مضى؛ وقد أراد الأشتر المضي فما خلوه، وأجبروه عليه السلام على منعه، فقال إبراهيم بن الاشتر لمصعب: كنت عند علي عليه السلام حين أكرهه الناس على الحكومة، وقالوا له: ابعث إلى الأشتر فليأتك. فأرسل، فقال لرسوله: قل له: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي، إنّي قد رجوت أن يفتح لي، فلا تعجلني. فرجع الرسول إليه، وقال له، قالوا له عليه السلام: لترسلنّ إلى الأشتر فليأتينك، أو لنقتلنّك كما قتلنا ابن عفان. فرجع الأشتر وقال لهم: أمهلوني عدو فرس. قالوا: اذن ندخل في خطيئتك.

وفي (العقد): أنّ الخوارج اعترضوا عليه اعتراضات، فأجابهم عنها، ومنها: وأمّا قولكم: إنّي لم أضربكم بسيفي يوم صفّين حتى تفيئوا إلى أمر الله؛ فإنّ الله عزوجل يقول: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[1]، وكنتم عدداً، وأنا وأهل بيتي في عدّة يسيرة.

وأمّا قول الجاحظ، فكيف كان عليه السلام يملّ من الحرب وقد كان كتب إلى معاوية: جاءني كتابك تذكر أنّك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت، لم يجنها بعضنا على بعض. فإنّا وإيّاك منها في غاية لم تبلغها بعد؛ وإنّي لو قُتلت في ذات الله وحييت، ثم قتلت ثم حييت سبعين مرّة، لم أرجع عن

---

(١) البقرة: ١٩٥.

الشدّة في ذات الله، والجهاد لأعداء الله. ذكره صفين نصر[١].

وفيه[٢]: انّ رجلاً من أهل الشام خرج بين الصفّين، ودعاه عليه السلام فخرج إليه فقال له عليه السلام: إنّ لك قدماً في الاسلام وهجرة، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء وتأخير هذه الحروب؟ ترجع ونرجع. فقال عليه السلام له: لقد عرفت أنّك إنّما عرضت هذا نصيحة وإشفاقاً، ولقد أهمّني هذا الأمر وأسهرني، وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلّا القتال، أو الكفر بما أنزل على محمّد صلى الله عليه وآله، إنّ الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يُعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجات الأغلال في جهنم. فرجع الشامي وهو يسترجع.

نعم ما ذكره من ملل أصحابه صحيح، وهو السبب في إجبارهم له على القبول.

وفيه[٣]، في رجوعه عليه السلام عن صفين: لقي عليه السلام عبدالله بن وديعة الأنصاري، قال: ما سمعت الناس يقولون في أمرنا هذا؟ قال: يقولون: إنّ عليّاً كان له جمع عظيم ففرّقه، وحصن حصين فهدمه، فحتى متى يبني مثل ما قد هدّم، ويجمع مثل ما قد فرّق؟ فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه ـ إذ عصاه من عصاه ـ فقاتل حتى يظهره الله أو يهلك، إذن كان ذلك هو الحزم. فقال علي عليه السلام: أنا هدمت أم هم هدموا: أنا فرّقت أم هم تفرّقوا، وأمّا قولهم: لو أنّه مضى بمن أطاعه ـ إذ عصاه من عصاه ـ يقاتل حتى يظفر أو يهلك، إذن كان ذلك هو الحزم؛ فوالله ما غبى عن رأيي ذلك، وإن كنت سخي النفس عن الدنيا، طيب

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧١.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧٤.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٢٩.

النفس بالموت، ولقد هممت بالإقدام فنظرت إلى هذين قد استقدماني، فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسل محمّد ﷺ من هذه الأمّة. فكرهت ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا، ولقد علمت أنّ لولا مكاني لم يستقدما ـ يعني ابنيه الحسنين عليهما السلام ـ وايم الله لئن لقيتهم بعد يومي هذا، لقيتهم وليسا معي في عسكر....

وكيف يمكنه عليه السلام المضي ولم يقنعوا بجبره على ترك الحرب، فأجبروه على جعل أبي موسى ـ مع عداوته معه ومبغضيته له عليه السلام ـ حكماً له عليه السلام؟

«ولكن بمن وإلى من أُريد أن أداوي بكم وأنتم دائي؟» فجمع من أصحابه صاروا خوارج كفّروه بقبوله حكمية القرآن، وجمع أغلقوا أبوابهم على أنفسهم، كلّما حرّضهم لم يتحرّكوا.

«كناقش الشوكة بالشوكة» في (الجمهرة): نقشت عن الشوكة: إذا كشفت عنها اللحم والجلد حتى تستخرجها بالمنقاش، وأصل النقش: استقصاؤك الكشف عن الشيء، ومنه الحديث: من نوقش الحساب عذب.

«وهو يعلم ان ضلعها معها» أي: ميل المنقوش بها مع المنقوش عنها؛ وفي (الصحاح) في المثل: «لا تنقش الشوكة بالشوكة، فإنّ ضلعها معها»: يُضرب للرجل يخاصم الآخر، فيقول: اجعل بيني وبينك فلاناً. لرجل يهوى هواه.

«اللّهم قد ملّت أطباء هذا الداء الدوي» هو كقوله عليه السلام ـ في موضع آخر ـ: ما داؤكم وما دواؤكم؟

«وكلّت» أي: أعيت.

«النزعة» جمع النازع: من نزع الدلو من البئر.

«بأشطان» جمع الشطن: الحبل الطويل.

«الركي» أي: البئر.

«أين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه» في (صفين نصر)[1] عن عمر بن سعد، عن مسلم الملاي، عن حبة العرني، قال: لما نزل علي عليه السلام الرقة بمكان يقال له: بليخ، على جانب الفرات، نزل راهب من صومعته، وقال له عليه السلام: إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه عيسى بن مريم عليه السلام، أعرضه عليك؟ قال علي عليه السلام: نعم، فما هو؟ قال الراهب: بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى ما قضى وسطر ما سطر: أنّه باعث في الأُميين رسولاً منهم، يُعلّمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الله، لا فظّ ولا غليظ، ولا صخّاب في السواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أُمّته الحمادون الذين يحمدون الله على كلّ نشز، وفي كلّ صعود وهبوط، تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير، وينصره الله على كلّ من ناواه، فاذا توفّاه الله اختلفت أُمّته ثم اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت، فيمرّ رجل بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقضي بالحق، ولا يرتشي في الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يومٍ عصفت الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمأ، يخاف الله في السرّ وينصح له في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم، مَن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فآمن به، كان ثوابه رضواني والجنّة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فإنّ القتل معه شهادة. فأنا مصاحبك غير مفارقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى علي عليه السلام ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسيّاً، الحمد لله الذي ذكرني في كتب الأبرار. ومضى الراهب معه، وكان في ماذكره يتغدى مع عليّ عليه السلام ويتعشى، حتى أُصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم، قال عليّ عليه السلام: اطلبوه. فلما وجدوه

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ١٤٧.

صلّى عليه ودفنه، وقال: هذا منّا أهل البيت. واستغفر له مراراً.

«وقرؤوا القرآن فاحكموه، وهيجوا الى القتال» هكذا في (المصرية)[١]، والصواب: (إلى الجهاد) كما في (ابن أبي الحديد[٢] و ابن ميثم[٣] والخطية).

«فولهوا وله اللقاح» جمع اللقحة واللقوح، أي: الناقة الدرور والحلوب؛ قال ابو عمرو: إذا نتجت الناقة فهي لقوح، شهرين أو ثلاثة، ثم هي لبون.

«الى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها» كناية عن مقاتلتهم واستماتتهم؛ وفي (صفين نصر)[٤]: كان الأشتر يُقاتل وفي يده صحيفة يمانية، إذا طأطأها خلت فيها ماءً منصباً، وإذا رفعها كان يُغشي البصرَ شعاعُها، يضرب بسيفه قدماً وهو يقول: «غمرات ثم ينجلين» فبصر به الحارث بن جمهان الجعفي، فدنا منه وقال له: جزاك الله عن أمير المؤمنين، وجماعة المسلمين خيراً. وقال منقذ الناعطي لأخيه حمير: ما في العرب رجل مثل هذا.

«وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً» أي: يجرّون أنفسهم إلى العدو، كالصبي الذي يزحف على الأرض قبل أن يمشي.

وفي (صفين نصر)[٥]: خرج عمّار إلى القتال وصُفّت الخيول وزحف الناس، وعلى عمّار درع وهو يقول: أيّها الناس الرواح إلى الجنة. فاقتتل الناس قتالاً شديداً لم يسمع الناس بمثله، وكثرت القتلى حتى أن كان الرجل ليشد طنب فسطاطه بيد رجل أو رجله.

---

(١) الطبعة المصرية ١ : ٢٣٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩١.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١٥.

(٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٣٩.

وفيه[1]: قال الأحنف: كنت إلى جانب عمّار، حتى إذا دنونا من هاشم بن عتبة فقال له عمّار: احمل فداك أبي وأمي. فقال له هاشم: رحمك الله إنّك رجل تأخذك خفة في الحرب، وإنّي إنّما أزحف باللواء زحفاً وأرجو أن أنال بذلك حاجتي، وإنّي إن خففت لم آمن الهلكة. وقد كان معاوية قال لعمرو: ويحك! إنّ اللواء اليوم مع هاشم، وقد كان من قبل يرقل به إرقالاً، وإنّه إن زحف به اليوم أنّه لليوم الأطول لأهل الشام.

«بعض هلك» كزيد بن صوحان في الجمل، وعمّار والمرقال وابن بديل من المعروفين في صفين.

«وبعض نجا» كالأشتر ومحمّد بن أبي بكر من معروفيهم، نجيا من القتل في الجمل وصفين، ولكن استشهدا بعد.

وفي (صفين نصر)[2]: قال الاشتر لمذحج: عليكم بهذا السواد الأعظم، فإنّ الله لو قد فضه تبعه من بجانبيه، كما يتبع السيل مقدمه. قالوا: خذ بنا حيث أحببت. واستقبله سنام من همدان وكانوا ثمانمائة مقاتل، وكانوا صبروا في ميمنة عليّ عليه السلام حتى أُصيب منهم ثمانون ومائة رجل، وقُتل منهم أحد عشر رئيساً، كلّما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر ـ إلى أن قال ـ اذ مرّ الأشتر بزياد بن النضر يحمل إلى العسكر، فقال: من هذا؟ قيل: زياد بن النظر؛ استلحم هو وأصحابه في الميمنة؛ فتقدّم زياد فرفع لأهل الميمنة رايته، فصبروا وقاتل حتى صرع. ثم لم يمكثوا إلّا كلاشيء حتى مرّوا بيزيد بن قيس محمولاً إلى العسكر، فقال: من هذا؟ قالوا: يزيد بن قيس؛ لما صرع زياد بن النضر رفع لأهل الميمنة رايته، فقاتل حتى صرع، فقال الأشتر: هكذا والله

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤٠.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٢.

الصبر الجميل، والفعل الكريم.

«لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون بالموتى» هكذا في (المصرية)[1]، والصواب: (عن الموتى) كما في (ابن أبي الحديد[2] و ابن ميثم[3] والخطية).

وكيف كان، فالمراد بمن لا يُبشر ولا يعزى: من كان من غير الأشراف من المؤمنين؛ وفي (صفات شيعة ابن بابويه) عن الباقر عليه السلام لجابر الجعفي: شيعة عليّ عليه السلام من لا يهرّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل الناس وان مات جوعاً، أُولئك الخفيفة عيشتهم، المنتقلة ديارهم، إن شُهدوا لم يُعرفوا، وإن ماتوا لم يُشهدوا، وان مرضوا لم يعادوا، في قبورهم يتزاورون. فقال له جابر: أين أطلبهم؟ قال: في أطراف الأرض، وبين الأسواق.

«مره» في (الصحاح): قال أبو عبيدة: المرهة: البياض الذي لا يخالطه، غيره وإنّما قيل للعين التي ليس فيها كحل: مرهاء، لهذا المعنى.

«العيون من البكاء، خمص البطون» أي: ضامرة.

«من الصيام» في (ذيل الطبري)[4] عن أمّ الحكم بنت عمّار: لمّا كان اليوم الذي قتل فيه عمّار، كان معه ضيح من لبن، ينتظر وجوب الشمس أن يفطر، فحين وجبت شرب الضيح وقال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن» ثم اقترب فقاتل حتى قتل.

وزاد (الارشاد)[5] في وصف شيعته عليه السلام: حدب الظهور من القيام.

«ذبل» من: ذبل البقل، أي: زوى.

---

(١) الطبعة المصرية ١: ٢٣٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩١.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١٥.

(٤) ذيل المذيل للطبري ٨: ١٥.

(٥) الارشاد: ٢٣٧، مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

«الشفاه من الدعاء» في (الطبري)[1]: قتل عبدالله بن كعب المرادي في صفّين، فمرّ به الأسود المرادي بآخر رمق، فقال له: أما والله أن كان جارك ليأمن بوائقك، وأن كنتَ من الذاكرين الله كثيراً؛ أوصني رحمك الله. فقال: أُوصيك بتقوى الله، وأن تناصح أمير المؤمنين عليه السلام، وقاتل معه المحلين.

«صفر اللون من السهر» أي: الأرق وعدم النوم.

«على وجوههم غبرة الخاشعين» في (صفين نصر)[2]: قال ذو الكلاع الحميري ـ وهو من أصحاب معاوية لأبي نوح الحميري، وهو من أصحاب علي عليه السلام ـ: حدّثنا عمرو بن العاص في إمارة عمر بن الخطاب أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «يلتقي أهل الشام وأهل العراق، وفي إحدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى، ومعه عمّار». فقال له أبو نوح: إنّ عمّاراً لفينا ـ إلى أن قال ـ بعد مسير أبي نوح مع ذي الكلاع إلى عمرو بن العاص بالأمان ـ فقال له عمرو إنّي لأرى عليك سيماء أبي تراب؟ قال له أبو نوح: نعم عليّ سيماء النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، وعليك سيماء أبي جهل وسيماء فرعون. فقام أبو الأعور فسلّ سيفه، فقال: لا أرى هذا يشاتمنا بين أظهرنا وعليه سيماء أبي تراب. فقال له ذو الكلاع: لئن بسطت يدك إليه لأحطمن أنفك بالسيف، عقدت له بذمتي وجئت به إليكما، ليخبركما عمّا تماريتم فيه من أمر عمّار.

«أُولئك إخواني الذاهبون» في (صفات شيعة ابن بابويه) عن محمّد بن الحنفية: لما قدم أبي البصرة ـ بعد قتال أهل الجمل ـ دعاه الأحنف واتخذ له طعاماً، فقال عليه السلام له: ادع لي أصحابي. فدخل عليه قوم متخشّعون كأنّهم شِنانٌ بوال، فقال الأحنف له عليه السلام: ما هذا الذي نزل بهم؟ أمن قلّة الطعام، أم من

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٦.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢٣.

هول الحرب؟ فقال عليه السلام له: يا أحنف إنّ لله سبحانه عباداً تنسّكوا إليه في دار الدنيا، تنسّك من هجم على ما علم، من قربهم من يوم القيامة من قبل ان يشاهدوها، فحملوا أنفسهم على مجهودها، وكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله تعالى، توهموا خروج عنق تخرج من النار تحشر الخلائق إلى ربهم، وكتاب يبدو على رؤوس الأشهاد فيه فضائح لهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلاناً، أو تطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيراناً، فكانوا يحنون حنين الواله في دجى الظلم، فمضوا ذُبُل الأجسام، حزينة قلوبُهم، كالحة وجوههم، ذابلة شفاههم، خامصة بطونهم.

وعن الأصبغ قال: خرج علي عليه السلام ذات يوم ونحن مجتمعون، فقال: من أنتم، وما اجتماعكم؟ قلنا: قوم من شيعتك. فقال: مالي لا أرى سيماء شيعتي عليكم؟ فقلنا: وما سيماهم؟ فقال: صفر الوجوه من صلاة الليل، عُمْش العيون من مخافة الله، ذُبُل الشفاه من الصيام، عليهم غبرة الخاشعين.

«فحق لنا أن نظمأ اليهم» فيه عن السجاد عليه السلام: كان جالساً في البيت إذ قرع عليهم قوم الباب، فقال: للجارية انظري من بالباب؟ فقالوا: قومٌ من شيعتك. فوثب عجلان حتى كاد أن يقع، ولما فتح الباب ونظر إليهم رجع، وقال: كذبوا، فأين السمت في الوجوه وأين أثر العبادة...

«ونعض الأيدي على فراقهم» في (الطبري)[1]: حزن علي عليه السلام على محمّد بن أبي بكر لمّا بلغه قتله، حتى رُئي ذلك في وجهه وتبيّن فيه، فقام خطيباً وقال: وإنّ محمّد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله، فعند الله نحتسبه، أما والله أن كان ما علمت: لممن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب هدى المؤمن.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٠٨.

وفيه[١]: قام الحسين عليه‌السلام بذي حسم بعد التقائه بالحرّ وأصحابه، وقال: إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت، وأدبر معروفها واستمريت جدّاً، فلم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل؛ ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وانّ الباطل لا يُتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برما. فقام زهير بن القين فقال لأصحابه: تكلّمون أم أتكلّم؟ قالوا: بل تكلّم. فقال: سمعنا مقالتك: لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنّا فيها مخلدين، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها.

«إنّ الشيطان يسني» أي: يسهل.

«لكم طرقه ويريد أن يحلّ» أي: يفتح.

«دينكم عقدة عقدة. فاصدفوا» أي: اعرضوا.

«عن نزغاته» أي: إغراءاته.

«ونفثاته» أي: نفحاته.

«واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها» أي: احبسوها.

«على أنفسكم».

٦
الخطبة (٤٠)

ومن كلام له عليه‌السلام في الخوارج لما سمع قولهم: «لا حكم إلّا لله» قال عليه‌السلام:

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا الباطل، نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلهِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلهِ. وَإِنَّهُ لَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ، بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

ٱلْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا ٱلْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ ٱللهُ فِيهَا ٱلأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ ٱلْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ ٱلْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُل، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ.

وفي رواية أُخرى أنّه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال:

حُكْمَ ٱللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.

وقال:

أَمَّا ٱلْإمْرَةُ ٱلْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ، وَأَمَّا ٱلْإمْرَةُ ٱلْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُه وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُه.

والحكمة (١٩٨)

وقال عليه السلام لَمَّا سَمِعَ قَولَ الخَوارِجِ:

كلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بهَا بَاطِلٌ.

والحكمة (٣٣٢)

وقال عليه السلام: السُّلْطانُ وَزَعَةُ ٱللهِ فِي أَرْضِهِ.

أقول: العنوان الثاني جزء من العنوان الأول، فهو من تكرار غفل عنه المصنف.

ثمّ في العنوان الأول روايات، إحداها ما في (أنساب البلاذري) عن روح بن عبد المؤمن، عن ابي الوليد الطيالسي، عن شعبة، عن أبي إسحاق عن عاصم: إنّ حرورية على عهد عليّ عليه السلام قالوا: «لا حكم إلّا لله» فقال عليّ: «إنّه كذلك، ولكنهم يقولون: لا إمرة. ولابد للناس من أمير، برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع الكافر، ويبلغ الكتاب أجله».

وروى ايضاً عن عبدالله بن صالح، عن يحيى بن آدم، عن رجل، عن مجالد، عن الشعبي قال: بعث عليّ عليه السلام عبدالله بن عباس إلى الحرورية -إلى أن

قال ـ ثم خرجوا فتوافوا بالنهروان، وأقبلوا يحكمون، فقال علي عليه السلام: «إنّ هؤلاء يقولون: لا إمرة. ولابد من أمير يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع الفاجر، ويبلغ الكتاب الأجل، وإنّها لكلمة حق يعتزون بها الباطل، فإن تكلّموا حججناهم، وإن سكتوا غممناهم».

وروى عن بكر بن الهيثم عن أبي الحكم العبدي عن معمر عن الزهري في خبر: فاذا صلّى علي عليه السلام وخطب حكموا، فيقول عليّ عليه السلام: كلمة حق يعتزون بها باطل.

وروى عن عباس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مخنف، عن ابن أبي جرة الحنفي: أنّ علياً عليه السلام خرج ذات يوم فخطب، فإنّه لفي خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد، فقال عليّ عليه السلام: كلمة حق يعزى بها ـ أو قال: يُراد بها باطل ـ نعم إنّه لا حكم إلّا لله، ولكنّهم يقولون: إنّه لا إمرة. ولابدّ من أمير يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع الفاجر، فإن سكتوا تركناهم ـ أو قال: عذرناهم ـ وإن تكلّموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم.

قول المصنف في الأول «ومن كلام له عليه السلام في الخوارج» هكذا في (المصرية)[1]، والصواب: ما في (ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم)[3]: «في معنى الخوارج».

«لما سمع قولهم: لا حكم إلّا لله» في (كامل المبرد)[4]: قيل: إنّ أول من حكم من الخوارج عروة بن أدية: وقيل: بل سعيد؛ رجل من بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان. وقيل: بل الحجاج بن عبد الله المعروف بالبرك، وهو

---

(١) الطبعة المصرية ١: ٨٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٠٧.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٠١.

(٤) الكامل للمبرد ٢: ١٥٩ ـ ١٦٠.

الذي ضرب معاوية على أليته. وأولُ من حكم بين الصفّين رجل من بني يشكر، قتل رجلاً من أصحابه عليه السلام غيلة، ثم مرق بين الصفين وحكم، وحمل على أهل الشام، فكثروه فرجع، وحمل على أصحابه عليه السلام، فخرج إليه رجل من همدان فقتله، فقال شاعر همدان:

وما كان أغنى اليشكري عن التي تصلى بها جمراً من النار حاميا

«قال عليه السلام» هكذا في (المصرية)[1]، وليس في (ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] والخطية) كلمة: «عليه السلام»، وفي (ابن ميثم): «فقال».

وكيف كان فكلمة: «قال» أو «فقال» زائدة بعد قوله: «ومن كلام له عليه السلام».

قوله عليه السلام في العنوانين: «كلمة حق» أي: قولهم «لا حكم إلّا لله»؛ ورد في القرآن كراراً، قال تعالى: ﴿...إن الحكم الّا لله أمر ألّا تعبدوا إلّا إيّاه...﴾[4] ﴿...إن الحكم إلّا لله عليه توكلت...﴾[5] ﴿...إن الحكم إلّا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾[6].

«يراد بها الباطل» هكذا في (المصرية) في الأول، والصواب: (باطل) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)، وكما في الثاني، ولأنّ المراد (باطل) مخصوص كالحق ولأنّ مستنده بلفظ (باطل)، فروى الطبري[7] أنّه عليه السلام خرج ذات يوم يخطب إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد، فقال عليّ عليه السلام: الله

(١) الطبعة المصرية ١: ٨٧.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٠٧.
(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٠١.
(٤) يوسف: ٤٠.
(٥) يوسف: ٦٧.
(٦) الأنعام: ٥٧.
(٧) تاريخ الطبري ٥: ٧٢.

أكبر، كلمة حق يراد بها باطل، إن سكتوا عممناهم، وإن تكلّموا حججناهم، وان خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم المحاربي، وقال: اللّهم إنّا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا ـ إلى أن قال ـ ثم خرج هو وإخوة له ثلاثة، فأُصيبوا مع الخوارج بالنهر، وأُصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة.

وروى الخطيب[1] في أبي قتادة الأنصاري عنه: أنّه لما فرغنا من قتال أهل النهروان قفلت، ومعي ستون أو سبعون من الأنصار، فبدأت بعايشة فقالت: قصّ عليّ القصة. فقلت: تفرّقت المحكمة وهم نحو من اثني عشر الفاً ينادون: لا حكم إلّا لله، فقال عليّ عليه السلام: كلمة حق يراد بها باطل ـ إلى أن قال ـ فقالت عايشة: ما يمنعني ما بيني وبين عليّ أن أقول الحق: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «تفترق أُمّتي على فرقتين، تمرق بينهما فرقة مُحَلّقة رؤوسهم، محفّون شواربهم، أُزرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبّهم إليّ وأحبهم إلى الله تعالى». فقلت لعايشة: فأنت تعلمين هذا، فلمَ الذي كان منك؟ قالت: يا أبا قتادة، كان أمر الله قدراً مقدروا، وللقدر أسباب.

وروى في عبيدالله بن أبي رافع عنه: أنّ الحرورية لمّا خرجت فقالت: «لا حكم إلّا لله» قال عليّ عليه السلام: كلمة حق يراد بها باطل؛ إنّ النبي صلى الله عليه وآله وصف لي ناساً، إنّي لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا ـ وأشار إلى حلقه ـ وهم من أبغض خلق الله إليه وفيهم أسود إحدى يديه كأنّها طِبْي شاة أو حلمة ثدي. فلما قتلهم قال: انظروا. فنظروا فلم يجدوا شيئاً، فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت ـ مرتين أو ثلاثاً ـ. فوجدوه في خربة.

ثمّ إنّ المصنف إنّما قال: «إنّه عليه السلام قال قوله: (كلمة حقّ يراد بها باطل) لمّا سمع قول الخوارج: (لا حكم إلّا لله)» مع أنّه لم ينحصر به، فقاله عليه السلام لما دعا

---

(١) الخطيب ١: ١٥٩ ـ ١٦٠.

أهل الشام أصحابه إلى حكم القرآن؛ ففي (صفين نصر)[١]: لما رفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى حكم القرآن، قال عليّ عليه السلام عباد الله أنا أحقّ من أجاب إلى كتاب الله، ولكنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال؛ إنّها كلمة حق يراد بها باطل، إنّهم والله ما رفعوها لكم إلّا خديعة ومكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة ف،قد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلّا أن يقطع دابر الذين ظلموا. فجاءته زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد، شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، وقد أسودت وجوههم من السجود، فنادوه باسمه: أجب القوم إلى كتاب الله إذا دُعيت إليه، وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفان.

هذا، وفي (كامل المبرد)[٢]: خطب الحجاج، فلمّا توسّط كلامه سمع تكبيراً عالياً من ناحية السوق، فقطع خطبته ثمّ قال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق، يا بني اللكيعة، وعبيد العصا، وبني الإماء، إنّي لأسمع تكبيراً ما يراد به الله، وإنّما يراد به الشيطان.

هذا، وقالوا: إنّ علي بن هارون المنجم كانت له جارية صفراء وكان معجباً بها، فصار مريضاً فراجع الطبيب، فقال له: غلبك الصّفْراء. فقال:

جسّ الطبيب يدي وقال مخبّراً: هذا الفتى أودت به الصفراء
فعجبت منه اذ أصاب ـ وما درى ـ قولاً وظاهر ما أراد خطاء

وقريب منه قول الوزير المهلبي:

وقالوا للطبيب: أشر فإنّا نعدّك للعظيم من الأمور

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٨٩.

(٢) الكامل للمبرد ١: ٢٢٢.

فقال: شفاؤه الرمّان مما تضمّنه حشاه من السعير
فقلت لهم: أصاب بغير قصدٍ ولكنْ ذاك رمان الصدور

«نعم إنّه لا حكم إلّا لله» فهو كلمة حقٍ، وكلام صدق.

«ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلّا للّه» لم أقف على من روى أنّه عليه السلام قال: إنّ الخوارج أرادوا بقولهم: «لا حكم إلّا لله»: «لا إمرة إلّا لله» سوى المبرّد في (كامله)[1] مرفوعاً، وتبعه ابن عبد ربه في (عقده)؛ فقال الأوّل: لما سمع عليّ عليه السلام نداءهم: لا حكم إلّا لله. قال: كلمة عادلة يراد بها جور، إنّما يقولون: لا إمارة؛ ولابدّ من إمارة برّة أو فاجرة.

وقال الثاني: لمّا سمع عليّ عليه السلام نداءهم قال: كلمة حق يُراد بها باطل، وإنّما مذهبهم ألّا يكون أمير، ولابدّ من أمير، برّاً كان أو فاجراً.

ومرّ أيضاً عن البلاذري.

والذي رواه غيرهم ومعلوم بالدراية أنّهم أرادوا بقولهم: «لا حكم إلّا لله» عدم صحّة حكمية أبي موسى وعمرو بن العاص، لا عدم إمارة أمير؛ ففي (المروج)[2] قال يحيى بن معين: حدّثنا وهب بن جابر، عن الصلت بن بهرام قال: لما قدم عليّ عليه السلام الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر: جزعت من البلية، ورضيت بالقضية، وقبلت الدنية، لا حكم إلّا لله. فيقول عليه السلام: «حكم الله أنتظر فيكم». فيقولون: ﴿ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾[3].

وفي (صفين نصر)[4] عن شقيق بن سلمة: أنّ الأشعث خرج في الناس

---

(١) الكامل للمبرد ٢: ١٧٢.

(٢) مروج الذهب ٢: ٤٠٦.

(٣) الزمر: ٦٥.

(٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٥١٢.

بكتاب الصلح يعرضه على الناس، ويمرّ به على صفوف أهل الشام فرضوا به، ثم مرّ به على صفوف أهل العراق وراياتهم، حتى مرّ برايات عنزة ـ وكان معه عليه السلام منهم بصفّين أربعة آلاف مجفف ـ فلمّا مرّ بهم الأشعث فقرأه عليهم، قال فتَيان منهم: لا حكم إلّا لله. ثم حملا على أهل الشام بسيوفهما حتى قتلا على باب رواق معاوية، وهما أوّل من حكم، وكانا أخوين؛ ثم مرّ الأشعث بالصحيفة على مراد، فقال صالح بن شقيق ـ وكان من رؤسائهم ـ:

ما لعليٍّ في الدماء قد حكمْ　　لو قاتل الأحزاب يوماً ما ظلم

لا حكم إلّا لله ولو كره المشركون. ثم مرّ على رايات بني راسب فقرأها عليهم، فقالوا: لا حكم إلّا لله، لا نرضى ولا نحكّم الرجال في دين الله. ثم مرّ على رايات بني تميم فقرأها عليهم، فقال رجل منهم: لا حكم إلّا لله، تقضي بالحق وأنت خير الفاصلين. وخرج عروة بن أديه أخو مرداس، فقال: أتحكّمون الرجال في أمر الله، لا حكم إلّا لله؛ فأين قتلانا يا أشعث؟ ثم شدّ بسيفه ليضرب به الأشعث فأخطأه، فانطلق إلى عليّ عليه السلام فقال له: قد عرضت الحكومة عليهم فقالوا جميعاً: قد رضينا؛ حتى مررت برايات بني راسب، ونبذ سواهم، قالوا: لا نرضى إلّا حكم الله. قال: دعهم. فما راعه إلّا نداء الناس من كلّ جهة: لا حكم إلّا لله لا لك يا عليّ، لا نرضى بأن يحكم الرجال في دين الله، إنّ الله قد أمضى حكمه في معاوية وأصحابه: أن يُقتلوا أو يدخلوا في حكمنا عليهم، وقد كانت زلّة منّا حين رضينا بالحكَمين، فرجعنا وتبنا، فارجع أنت كما رجعنا، وإلّا برئنا منك. فقال عليه السلام: ويحكم! أبعد الرضا والعهد نرجع؟ أوَليس الله تعالى قال: ﴿أوفوا بالعقود﴾[1]، وقال: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا

---

(١) المائدة: ١.

الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إنّ الله يعلم ما تفعلون﴾[1].

فأبى عليّ عليه السلام أن يرجع، وأبت الخوارج إلّا تضليل التحكيم.

مع أنّ نصب الناس أميراً لهم أمرٌ فطري للبشر لا ينكره أحد: مبتدع وغيره، وكيف، والخوارج أنفهسم ـ من أوّلهم إلى آخرهم ـ كانوا يجعلون امراء لأنفسهم حتى يجمع كلمتهم؟

ففي (الطبري)[2]: أنّ علياً لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة، لقيت الخوارج بعضها بعضاً، فقال عبدالله بن وهب الراسبي: اخرجوا بنا ﴿من هذه القرية الظالم أهلها﴾[3]. فقال حمزة بن سنان الأسدي: الرأي ما رأيتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنّه لابدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها. فبايعوا عبدالله بن وهب وسار إلى النهروان، فقالوا: إن هلك ولّينا الأمر زيد بن حصين أو حرقوص بن زهير. وأمّا خوارج البصرة فاجتمعوا في خمسمائة رجل، وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي، وأقبل يعترض الناس ـ وعلى مقدمته الأشرس بن عوف الشيباني ـ حتى لحق عبدالله بالنهر.

«وإنّه لابد للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبيل ويؤخذ به للضعيف من القوي» هذا كلام في نفسه صحيح، وكيف لا، وبه قوام الدنيا ونظام العالم ومقتضى الحكمة؟ فلعلّه عليه السلام كان هذا الكلام منه عليه السلام، مع كلامه في الخوارج مذكورين في كتاب متواليين، فحصل الخلط بينهما، والأصل في الخلط المتقدم، وتبعه من تأخّر؛ ويستأنس لكونهما غير

(١) النحل: ٩١.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٧٤.

(٣) النساء: ٧٥.

مربوطين قوله في الرواية الثانية: «إنّه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال :حكم الله أنتظر فيكم. وقال: إمّا الإمرة البرّة فيعمل فيها التقي...» .

وكيف كان، ففي (صفين نصر)[1] قال عليّ عليه السلام لنرسا الذي أسند أهل السواد أمرهم إليه: أخبرني عن ملوك فارس؛ كم كانوا؟ قال: كانت ملوكهم في هذه المملكة الأخيرة اثنين وثلاثين ملكاً. قال: فكيف كانت سيرتهم؟ قال: ما زلت سيرتهم في عظم أمرهم واحدة حتى ملكنا كسرى بن هرمز، فاستأثر بالمال والأعمال، وخالف أولينا، وأخرب الذي للناس وعمر الذي له، واستخفّ بالناس فأوغر نفوس فارس حتى ثاروا إليه فقتلوه. فقال عليه السلام : يا نرسا إنّ الله تعالى خلق الخلق بالحق ولا يرضى من أحد إلّا بالحق، وفي سلطان الله تذكرة مما خول الله، وإنّها لا تقوم مملكة إلّا بتدبير، ولابد من امارة... .

وعنه عليه السلام : أسد خطوم خير من سلطان ظلوم، وسلطان ظلوم خير من فتن تدوم.

وعن الصادق عليه السلام -في قصة إبراهيم عليه السلام -: لما خرج سائراً بجميع ما معه خرج الملك القبطي يمشي خلف إبراهيم عليه السلام اعظاماً له، فأوحى الله تعالى: ألّا تمشِ قدام الجبار المتسلّط وامشِ خلفه، وعظّمه وهيّبه، ولابد للناس من إمرة في الأرض، برّة أو فاجرة.

وعن ابن مقفع: السلطان وما للناس من كثرة المنافع وكثرة المضار، كالشمس في النهار، وفساد الرعية بلا سلطان، كفاسد الجسم بلا روح.

وقال الافوه الأودي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّالهم سادوا
تهد الأمور بأهل الرأي ما صلحت فان تولت فبالأشرار تنقاد

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ١٤ .

والبيت لا يبتني إلّا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمع أوتاد وأعمدة فقد بلغوا الأمر الذي كادوا

هذا، وفي (المروج)[1] عن يحيى بن أكثم: دخل بعض الصوفية على المأمون فقال له: هذا المجلس الذي قد جلسته: أباجتماع من المسلمين عليك، أم بالمغالبة لهم بسلطانك؟ قال: لا بأحدهما، وإنّما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلي أحمده المسلمون، إمّا على رضا وإمّا على كره، فعقد لي ولآخر معي ولاية هذا الأمر بعده في أعناق من حضر، فأعطوا ذلك إمّا طائعين أو كارهين، فمضى الذي عقد له معي، فلما صار إلي علمت أنّي أحتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على الرضا، ثم نظرت فرأيت أنّي متى تخلّيت عن المسلمين، اضطرب حبل الاسلام وانتقضت أطرافه، وغلب الهرج والفتنة ووقع التنازع، فتعطلت أحكام الله سبحانه، ولم يحجّ أحد بيته ولم يجاهد في سبيله ولم يكن له سلطان يجمعهم ويسوسهم، وانقطعت السبل ولم يؤخذ لمظلوم من ظالم، فقمت بهذا الأمر حياطة للمسلمين ومجاهداً لعدوّهم، وضابطاً لسبلهم، وآخذاً على أيديهم إلى أن يجتمع المسلمون على رجل، تتفق كلمتهم عليه ـ على الرضا ـ به فأُسلّم الأمر إليه وأكون كرجل من المسلمين؛ وأنت أيها الرجل رسولي إلى جماعة المسلمين، فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به خرجت إليه من هذا الأمر. فقال ذاك الرجل: السلام عليكم. وقام فذهب، فبعث المأمون في أثره فانتهى الرسول إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلاً مثله، فقالوا له: لقيته؟ قال: نعم، ذكر أنّه ناظر في أُمور المسلمين إلى أن تأمن سبلهم ولا يعطل الأحكام، فإذا رضي المسلمون برجل يسلم الأمر إليه. فقالوا: ما نرى بهذا بأساً. فقال المأمون: كفينا مؤنتهم بأيسر الخطب.

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٩ ـ ٢٠.

«حتى يستريح بر» عن المدائني: قدم قادم على معاوية فقال له: من مغربة خبر؟ قال: نعم، نزلت بماء من مياه الأعراب، فبينا أنا عليه إذ أورد أعرابي إبله، فلمّا شربت ضرب على جنوبها وقال: عليك زيادا. فقلت له: ما أردت بهذا؟ قال: هي سدى ما قام لي بها راعٍ مذ ولي زياد.

«ويستراح من فاجر» عن الشعبي[١]: قال الحجاج: دلّوني على رجل للشرط: دائم العبوس، طويل الجلوس، سمين الأمانة، أعجف الخيانة، لا يحنق في الحق على جره، يهون عليه سبال الأشراف في الشفاعة. فقيل له: عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي. فأرسل إليه فقال له: لست أقبلها إلّا أن تكفيني ولدك وحاشيتك. قال: يا غلام نادِ في الناس: من طلب إليه من لدي وحاشيتي حاجة فقد برئت منه الذمة. قال الشعبي: فوالله ما رأيت صاحب شرطة قطّ مثله؛ كان لا يحبس إلّا في دين، وكان إذا أُتي برجل قد نقب على قوم وضع منقبة في بطنه حتى يخرج من ظهره، وإذا أُتي بنبّاش حفر له قبراً فدفنه فيه، وإذا أُتي برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحاً قطع يده، وإذا أُتي برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه، وإذا أُتي برجل يشكّ فيه ضربه ثلاثمائة سوط. قال الشعبي: فكان ربما أقام اربعين ليلة لا يُؤتى باحد، فضمّ إليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة.

قول المصنف: «وفي رواية أُخرى أنّه عليه السلام لمّا سمع تحكيمهم قال: حكم الله انتظر فيكم» قد عرفت أنّ المسعودي[٢] رواه عن الصلت بن بهرام، ورواه الطبري[٣] عن أبي كريب باسناده قال: جعل عليّ عليه السلام يقلب بيديه يقول هكذا

---

(١) العقد الفريد ١: ١٦.

(٢) المسعودي ٢: ٣٩٥.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٧٤.

وهو على المنبر، فقال: حكم الله عزّ وجلّ ينتظر فيكم ـ مرّتين ـ ان لكم عندنا ثلاثاً لا نمنعكم: صلاة في هذا المسجد....

ورواه ابن ديزيل في (صفينه)، هكذا قال: لمّا رجع عليّ عليه السلام من صفّين إلى الكوفة خرجوا إلى صحراء بالكوفة تسمى حروراء، فنادوا: لا حكم إلّا لله ولو كره المشركون، ألا إنّ علياً ومعاوية اشركا في حكم الله. فأرسل عليّ عليه السلام إليهم: ما هذا الذي احدثتم، وما تريدون؟ قالوا: نريد أن نخرج نحن وانت ومن كان منا بصفين ثلاث ليال، ونتوب إلى الله من أمر الحكمين، ثم نسير إلى معاوية فنقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينه، فقال عليّ عليه السلام: هذا حيث بعثنا الحكمين واخذنا منهم العهد وأعطيناهموه، هلا قلتم هذا قبل؟ قالوا: كنا قد طالت الحرب علينا واشتد البأس وكثر الجراح وحلا الكراع والسلاح. فقال لهم: افحين اشتد البأس عليكم عاهدتم، فلمّا وجدتم الحمام قلتم: ننقض العهد؛ ان النبيّ صلى الله عليه وآله كان يفي للمشركين، أفتأمرونني بنقضه؟ فمكثوا مكانهم لا يزال الواحد منهم يرجع إلى عليّ عليه السلام، ولا يزال الآخر يخرج من عند عليّ عليه السلام، فدخل واحد منهم عليه بالمسجد والناس حوله فصاح: لا حكم إلّا لله ولو كره المشركون، فتلفت الناس فنادى: لا حكم إلّا لله ولو كره المتلفتون. فرفع عليّ عليه السلام رأسه إليه فقال: لا اله إلّا الله ولو كره أبو حسن. فقال: ان أبا حسن لا يكره أن يكون الحكم إلّا لله. ثم قال: حكم الله أنتظر فيكم.

«وقال» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[1] ولكن في (ابن ميثم)[2]: «ثم قال».

«أمّا الامرة البَرّة فيعمل فيها التّقي، وأمّا الامرَة الفاجرة فيتمتع فيها الشّقي

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٧.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٠١.

إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته» قد عرفت خلو رواية المسعودي والطبري وابن ديزيل عن هذه الفقرات، ثم ان كان لقوله: «ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة الا لله...» في الرواية الأُولى ربط لفظي بقوله: «كلمة حق يراد بها باطل» فهنا ليس للفقرات ربط لفظي أيضاً بقوله: «حكم الله انتظر فيكم» كما لا يخفى. نعم هي في نفسها صحيحة كما عرفت.

وفي (صفين نصر)[1]: لمّا أراد عمرو اللحوق بمعاوية قال لغلامه وردان: أرحل أحط ياوردان؟ فقال له وردان: ان شئت انبأتك بما في نفسك: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك، فقلت: عليّ معه الآخرة في غير دنيا، وفي الآخرة عوض الدنيا، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة، وليس في الدنيا عوض من الآخرة، فأنت واقف بينهما. قال عمرو: ما أخطأت، فما ترى؟ قال: أرى أن تُقيم في بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك. فقال عمرو: الان وقد شهدت العرب مسيري إلى معاوية؟ فارتحل.

ثم الغريب أنّ ابن أبي الحديد[2] قال ـ بعد ذكر ـ: العنوان «هذا نصّ صريح منه عليه السلام بان الإمامة واجبة...» فإنّه ليس فيه تلويح إلى ما قال، فضلاً عن تصريح، فإنّ كلامه عليه السلام في الإمارة الدنيوية، سواء كان الناس أهل دين أو غير أهل دين.

قوله عليه السلام في الثالث: **«السلطان وزعة الله في أرضه»** هو نظير قوله عليه السلام: «لابد للناس من أمير» فقالوا: لابد للناس من وزعة؛ أي: من يكف أهل الفساد عنهم. وفي (الجمهرة): الوازع: الذي يتقدم الصف في الحرب فيصلحه، ويرد

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٠٧ـ٣٠٨.

المتقدم إلى مركزه. ويسمى الكلب وازعاً لأنّه يكف الذئب عن الغنم.

وفي (النهاية): الوزعة: جمع الوازع.

وفي (عيون القتيبي)[١] قال كسرى: لا ننزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جار.

ومثل[٢] مضار السلطان في جنب منافعه، مثل الغيث الذي هو سقيا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها، وقد يتأذّى به السفر ويتداعى له البنيان.

هذا، وكسر المغيرة أنف رجل أغلظ لأبي بكر وأدماه، فقال عمر لأبي بكر ـ كما في (النهاية)[٣] ـ: اقص هذا من هذا بأنفه. فقال: أنا لا اقص من وزعة الله فأمسك.

قلت: هو نظير عمله مع خالد بن الوليد لمّا قتل مالك بن نويرة ظلماً، فقال له عمر: اقد من خالد. فقال: لا أغمد سيفاً سلّه الله.

٧
الخطبة (١٨٢)

ومن كلام له عليه السلام قاله للبُرج بن مُسْهِر الطائيّ وقد قال له بحيث يسمعه: «لاحكمَ إلا ٱلله وكان من الخوارج:

اسْكُتْ قَبَحَكَ ٱللهُ يَا أَثْرَمُ! فَوَٱللهِ لَقَدْ ظَهَرَ ٱلْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ، خَفِيًّا صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ ٱلْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ المَاعِزِ.

قول المصنف: «ومن كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائي» الذي

---

(١) العيون للقتيبي ١: ٦.

(٢) العيون للقتيبي ١: ٣.

(٣) النهاية ٥: ١٨٠.

وقفت عليه في الخوارج: زرعة بن برج الطائي؛ ففي (الطبري)[١] عن عون بن أبي جحيفة: أنّ علياً لمّا أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زرعة بن برج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي، فدخلا عليه فقالا له: «لا حكم إلّا لله» فقال عليّ عليه السلام: «لا حكم إلّا لله» فقال حرقوص: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك، وأخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا. فقال لهم عليّ عليه السلام: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا، وقد قال عزّ وجلّ: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إنّ الله يعلم ما تفعلون﴾[٢]. فقال له حرقوص ذلك ذنب ينبغي أن نتوب منه. فقال عليّ عليه السلام: ما هو ذنب ولكنّه عجز من الرأي وضعف من الفعل، وقد تقدّمت إليه منكم في ما كان منه ونهيتكم عنه. فقال له زرعة بن البرج: اما والله يا علي، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عزّ وجلّ قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه. فقال له عليّ عليه السلام: بؤسا لك ما اشقاك! كأنّي بك قتيلا تسفي عليك الريح. قال: وددت أن كان ذلك. فقال له عليّ عليه السلام: لو كنت محقاً كان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا، إنّ الشيطان قد استهواكم فاتقوا الله عزّ وجلّ، إنّه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها. فخرجا من عنده عليه السلام يحكمان...

ولعلّ مَن ذكره المصنّف أبو مَن في خبر الطبري، وقف عليه في خبر آخر، ويؤيده اختلاف مكالمتهما.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٧٢.

(٢) النحل: ٩١.

وذكر (الأغاني)[1] في الحصين بن حمام المري الذي كان قبيل الاسلام: أنّ برج الجلاس الطائي كان نديماً له، فشرب البرج معه يوماً فسكر، فانصرف إلى اخته فافتضّها، فلمّا أفاق قال لقومه: إن علم بذلك أحد ركبت رأسي فلا تروني أبداً. لكن أخبر الحصين بذلك أمة من طي، فقال الحصين له:

لا تحسبن أخا العفاطة أنّني رجل بخبرك لست كالعلّام
فاستنزلوك وقد بللت نطاقها من بيت أُمك والذيول دوام

ـ والعفاطة اسم اخته ـ فقال لقومه: فضحتموني. فلحق ببلاد الروم فلم يعرف له خبر.

«وقد قال له» هكذا في طبعة (المصرية[2] وابن أبي الحديد)[3] وليس (له) في (ابن ميثم)[4] (والخطية) وقوله:

«بحيث يسمعه» ينفيه وفي (ابن ميثم)[5]: «يسمع».

«لا حكم إلّا لله وكان من الخوارج» قوله: «وكان من الخوارج» بعد ذكر قوله: «لا حكم إلّا لله» واضح، فذاك كان شعار الخوارج، ولو كان ذكره بعد قوله: «للبرج بن مسهر الطائي» كان وجيهاً.

«اسكت قبحك الله» يجوز فيه التخفيف والتشديد، أي: نحّاك الله عن الخير.

«يا أثرم» والأثرم من سقطت ثنيته.

«فو الله لقد ظهر الحق» قبل وقوع الإختلاف وجدّ الناس في الجهاد.

«فكنت فيه» أي: في ظهور الحق.

«ضئيلاً» أي: نحيفاً.

---

(١) الأغاني ١٤: ١٠.

(٢) الطبعة المصرية ٢: ١٣٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٣٠.

(٤ و ٥) شرح ابن ميثم ٣: ٤٠٨.

«شخصك» لم يظهر منك عمل.

«خفياً صوتك» لم يسمع منك كلام وقول، كالغائبين والأموات.

«حتى إذا نعر الباطل» شبّه عليه السلام الباطل ـ بدخول الشبهات والفتن فيه ـ بحمار دخل في أنفه نعرة؛ قال الجوهري: النعرة ـ كهمزة ـ: ذباب ضخم أزرق العين أخضر، له ابرة في طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحوافر خاصة، وربما دخل في أنف الحمار، فيركب في رأسه ولا يرده شيء تقول: منه نعر الحمار. بالكسر.

«نجمت» أي: طلعت وظهرت.

«نجوم» مصدر نجم.

«قرن الماعز» في (بديع ابن المعتز) عنه عليه السلام لبعض الخوارج: «والله ما عرفت حتى نعر الباطل، فنجمت نجوم قرن الماعز» الماعز: واحد المعز ـ مثل صاحب ـ وصحب والأشخاص اللئام، كما وصف عليه السلام هذا الرجل: في الحق ابترون وفي الباطل ذوو قرن طويل.

قال الحطيئة في أبيه:

لنعم الشيخ أنت لدى المخازي ... وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

وقال الوزير المغربي:

إذا ما الأمور اضطر بن اعتلى ... سفيه يضام العلى باعتلائه

وسأل سليمان بن عبدالملك ابن الاهتم عمن يصلح لخراسان، فكل من سمّاه ذكر سليمان له عيباً، إلى أن ذكر وكيع بن أبي الأسود فقال له سليمان: إنّ وكيعاً لم يجتمع له مائة عنان قط إلّا حدّث نفسه بغدرة، هو خامل في الجماعة، ثابت في الفتنة.

وفي رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان في ذكر أصناف الناس: ومن

صاحب للفتنة، خامل في الجماعة، رئيس في الفرقة، نعّاق في الهرج.

وفي (معارف ابن قتيبة) قال الحزين الدئلي في عمرو بن عمرو بن الزبير:

لو أنّ اللؤم مع الثريا تناول رأسه عمرو بن عمرو

وفي قصار الكتاب: وأتي عليه السلام بجانٍ ومعه غوغاء: فقال عليه السلام: لا مرحباً بوجوه لا تُرى إلّا عند كل سوأة.

هذا، وقد عرفت من خبر الطبري أنّه كان من الخوارج غير الطائي حرقوص السعدي، ومنهم حكيم البكالي؛ وفي (الطبري)[1]: أنّه أتى إليه عليه السلام وهو يخطب فقال ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾[2]. فقال عليّ عليه السلام: ﴿فاصبر إنّ وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾[3].

هذا وقال المسعودي في (مروجه)[4]: ظهر من فعل صاحب الزنج تصديق ما رُمي به من كونه على رأي الخوارج، من قتله النساء والأطفال والشيخ الفاني، وقال في خطبته: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلّا الله والله أكبر، لا حكم إلّا الله.

٨
الحكمة (٩٧)

وَقَدْ سَمِعَ رَجُلاً مِنَ الْحَرُورِيَّةِ يَتَهَجَّدُ وَيَقْرَأُ فَقَالَ: نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاَةٍ فِي شَكٍّ.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٧٤ ـ ٧٣.

(٢) الزمر: ٦٥.

(٣) الروم: ٦٠.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ٤: ١٩٤.

أقول: رواه سبط ابن الجوزي في (تذكرته) عن ابن عباس عنه عليه السلام.

قول المصنف: «وقد سمع» هكذا في (المصرية)[1] ولكن في (ابن أبي الحديد[2] والخطية): «وسمع» وفي نسخة ابن ميثم[3]: «وقال عليه السلام: وقد سمع».

«رجلا من الحرورية» في (كامل المبرد)[4]: ناظر عليّ عليه السلام الخوارج فرجع معه منهم الفان من حروراء ـ وكانوا تجمعوا بها ـ فقال لهم: ما نسميكم؟ ثم قال: أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء.

وفي (الكشي) عن المسيب بن نجبة: لمّا أتانا سلمان قادماً تلقيناه ـ إلى أن قال ـ ثم سار حتى انتهى إلى حروراء، فقال: ما تسمون هذه الأرض؟ قالوا: حروراء. فقال: خرج بحروراء شرّ الأولين، ويخرج بها شرّ الآخرين.

«يتهجد» أي: يصلي صلاة الليل. وفي (الصحاح): هجد وتهجد، أي: نام ليلاً، وهجد وتهجد، أي: سهر، وهو من الأضداد، ومنه قيل لصلاة الليل: التهجد.

في (كامل المبرد)[5]: لمّا صار ابن عباس إلى الخوارج رأى منهم جباهاً قرحة بطول السجود، وأيدياً كثفنات الإبل، عليهم قمص مرحضة، وهم مشمرون.

وفي (الطبري)[6]: أنّ القرّاء الذين أجبروا الأشتر على ترك القتال ثم صاروا خوارج، قال الأشتر ـ لهم لمّا رجع من الحرب ـ: يا أصحاب الجباه

(١) الطبعة المصرية ٣: ١٧٢.

(٢) ابن أبي الحديد ١٨: ٢٥٣.

(٣) شرح ابن ميثم ٥: ٢٨٩.

(٤) الكامل للمبرد ٢: ١٥٥.

(٥) الكامل للمبرد ٢: ١٧٥.

(٦) تاريخ الطبري ٥: ٥٠.

السود! كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقائه تعالى، فلا أرى فراركم إلّا إلى الدنيا من الموت، يا اشباه النيب الجلاّلة، قبحاً لكم! ما انتم برائين بعدها عزاً ابداً، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون.

«ويقرأ» أي: القرآن، وفي (ذيل الطبري)[1] عن أبي ذر قال: قال النبي: سيكون من اُمّتي قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون، فيه شرار الخلق والخليقة ....

«فقال: نوم على يقين خير من صلاة في شك» هو نظير قوله عليه السلام المذكور في الحكمة (١٤٥): «كم من صائم ليس له من صيامه إلّا الظمأ، وكم قائم ليس له من قيامه إلّا السهر، حبّذا نوم الأكياس وإفطارهم».

ومرّ في سابقه قوله عليه السلام لزرعة بن برج الطائي: «لو كنت محقاً كان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا».

وفي (المروج)[2] ضرب أبو أيوب عبدالله بن وهب الراسبي يوم النهر على كتفه فأبان يده، وضربه صعصعة ضربة أبان بها رجله، وأدركه بأُخرى في بطنه، ثم احتز رأسه واتيابه علياً عليه السلام وقالا: هذا رأس الفاسق المارق عبدالله بن وهب. فنظر عليه السلام إليه وقال: شاه هذا الوجه ـ حتى خُيّل إلينا أنّه يبكي ـ ثم قال: قد كان أخو راسب حافظاً لكتاب الله، تاركاً لحدود الله.

وفي (كامل المبرد)[3]: حمل رجل من الخوارج على صف عليّ عليه السلام ـ وكان عليه السلام قال: لا ابتدائهم ـ فقتل من أصحابه ثلاثة وهو يقول:

أقتلهم ولا أرى عليا ولو بدا أوجرته الخطيا

(١) تاريخ الطبري ١١: ٥٦٧.

(٢) المروج الذهب ٣: ٥٦.

(٣) الكامل للمبرد ٢: ١٥٩.

فخرج إليه عليّ عليه السلام فقتله، فلمّا خالطه السيف قال: حبّذا الروحة إلى الجنة. فقال عبدالله بن وهب: ما ادري أإلى الجنة أم إلى النار؟ فقال رجل من سعد: إنّما حضرت اغتراراً بهذا وأراه قد شكّ. فانخزل بجماعة من أصحابه.

وفي (اُدباء الحموي) في ترجمته عليه السلام: وكان الخوارج أربعة آلاف عليهم عبدالله بن وهب الراسبي من الازد، وليس براسب بن جرم بن ريان وليس في العرب غيرهما، فلمّا نزل عليّ عليه السلام بنهروان تفرقوا فبقي منهم ألف وثمانمائة، وقتل ألف وخمسمائة، وكان سبب تفرّقهم أنّهم عند الإحاطة بهم قالوا: أسرعوا الرواح إلى الجنة. فقال عبدالله بن وهب: ولعلها إلى النار. فقال من فارقه: نرانا نقاتل مع رجل شاكّ.

وفي (الطبري)[1]: لمّا خرج عليّ عليه السلام إلى النهروان رفع رايات أمان مع أبي أيوب فنادى أبو أيوب الخوارج: من جاء منكم ممّن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو المدائن، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن. فقال فروة بن نوفل الأشجعي: والله ما أدري على أي شيء نقاتل عليّاً؟ إلّا أن انصرف حتى تنفذ بصيرتي في قتاله أو أتباعه. فانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين والدسكره، وخرجت طائفة اُخرى متفرقين فنزلت الكوفة، وخرج إلى عليّ عليه السلام منهم نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف، فكان الذين بقوا مع عبدالله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة، زحفوا إلى عليّ عليه السلام ...

وروى (التهذيب)[2] في باب قتال أهل البغي، عن جميل بن دراج، قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الخوارج شكاك؟ فقال: نعم. فقال له بعض أصحابه: كيف

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٨٦.

(٢) التهذيب ٦: ١٤٥ ح ٢٥١.

وهم يدعون إلى البراز؟ قال: ذلك ممّا يجدون في أنفسهم.

هذا، وفي (بيان الجاحظ): كان مرّة الهمداني يقول: لمّا قُتل عثمان حمدت الله ألّا أكون دخلت في شيء من قتله فصليت مائة ركعة، فلمّا وقع الجمل وصفين حمدت الله إلّا اكون دخلت في شيء وزدت مائتي ركعة، فلمّا كانت وقعة النهروان حمدت الله إذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة، فلمّا كانت فتنة ابن الزبير حمدت الله إذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة. قال الجاحظ: لا نعرف فقيها من أهل الجماعة لا يستحل قتال الخوارج، كما لا نعرف أحداً منهم لا يستحل قتال اللصوص.

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): لمّا قتل عمّار عطش قاتله، قال ابن سعد: فأُتي بقدح من زجاج ـ وقال غيره من فضّة ـ فأبى الشرب فيه، فقال بعضهم: انظروا إلى هذا الأحمق، يمتنع من الشرب في هذا الإناء وينسى أنّه قتل عمّاراً، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله له: تقتلك الفئة الباغية!

(وفيه): لمّا لام ابن الزبير يوم الجمل أباه في تركه قتال عليّ عليه السلام، وقال له: لقد فضحتنا فضيحة لا نغسل منها رؤوسنا أبداً. قال له: حلفت ألّا أقاتله. فقال له: كفّر عن يمينك. فاعتق غلامه مكحولاً، فقال بعضهم:

يعتق مكحولاً لصون دينه كفارة لله عن يمينه

والنكث قد لاح على جبينه

٩

الكتاب (٧٧)

ومن وصيّة له عليه السلام لعبد الله بن العباس لمّا بعثه للاحتجاج إلى الخوارج:

لا تُخاصِمْهُمْ بالْقُرْآنَ، فإنَّ الْقُرآنَ حَمّالٌ ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ ويَقُولونَ،

ولَكِنْ حَاجِجْهُمْ بالسُّنَّةِ، فَإنّهمْ لَنْ يَجِدُوا عَنها مَحِيصاً.

قول المصنف: «ومن وصيّته له عليه السلام لعبد الله بن العباس لمّا بعثه للاحتجاج» الروايات في بعثه عليه السلام لابن عباس إلى الخوارج مختلفة؛ فروى الطبري[١] عن أبي رزين: أنّ علياً عليه السلام لمّا رجع من صفّين ودخل الكوفة ونزلت الخوارج بحروراء بعث إليهم ابن عباس، فرجع ولم يصنع شيئاً....

وعن[٢] عمارة بن ربيعة: بعث عليّ عليه السلام ابن عباس إليهم، وقال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك. فخرج إليهم حتى أتاهم فأقبلوا يُكلّمونه فلم يصبر حتى راجعهم، فقال: ما نقمتم من الحكمين وقد قال تعالى: ﴿إن يُريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾[٣] فكيف بأمّة محمّد صلى الله عليه وآله؟ فقالت الخوارج: قلنا: أمّا ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له، فهو إليهم كما أمر به، وما حكم فامضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه؛ حكم في الزاني مائة جلدة وفي السارق بقطع يده، فليس للعباد أن ينظروا فيه. قال: فإنّه تعالى يقول: ﴿...يحكم به ذوا عدل منكم...﴾[٤]. فقالوا: أوتجعل الحكم في الصيد، والحدث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين؟ فهذه الآية بيننا وبينك، أعدل عندك ابن العاص وهو بالامس يقاتلنا ويسفك دماءنا؟ فان كان عدلاً فلسنا بعدول ونحن أهل حربه، وقد حكّمتم في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله عزّ وجلّ حكمه في معاوية وحزبه أن يُقتلوا أو يرجعوا، وقبل ذلك دعوناهم إلى كتاب الله فأبوه، ثم كتبتم بينكم وبينه كتاباً وجعلتم بينكم وبينه الموادعة، ولا موادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت (براءة) إلّا مَن أقرّ

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٧٣.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٦٤.

(٣) النساء: ٣٥.

(٤) المائدة: ٩٥.

بالجزية ـ إلى أن قال ـ ثم خرج عليّ عليه السلام حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس، فقال: انته عن كلامهم؛ ألم أنهك رحمك الله؟ ثم قال: قال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. فقال عليه السلام: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتكم يوم صفين. قال: أنشدكم بالله أتعلمون حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله. قلت لكم: إنّي أعلم بالقوم منكم، إنّهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالا، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، امضوا على حقكم وصدقكم، فإنّما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهناً ومكيدة. فرددتم على رأيي وقلتم: لا بل نقبل منهم. فقلت لكم: إذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي. فلمّا أبيتم إلّا الكتاب اشترطت على الحكمين: أن يحييا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم بما في القرآن، وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء ـ قالوا له: أترى عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: انا لسنا حكّمنا الرجال إنّما حكمنا القرآن، وهذا القرآن فإنّما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق، إنّما يتكلّم به الرجال. قالوا: فخبّرنا عن الأجل: لِمَ جعلته في ما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل ويتثبّت العالم، ولعل الله عزّ وجلّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأُمّة ....

وفي (كامل المبرد)[1]: ذكر أهل العلم من غير وجه: أنّ علياً لمّا وجّه إليهم ابن عباس ليناظرهم قال لهم: ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين عليه السلام؟ قالوا: قد كان للمؤمنين أميراً فلمّا حكم في دين الله خرج من الإيمان، فليتب بعد إقراره بالكفر نعد له. فقال ابن عباس: لا ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك بأن يُقر على نفسه بالكفر. قالوا: إنّه قد حكم. قال: إنّ الله عزّ وجلّ قد أمرنا بالتحكيم

(١) الكامل للمبرد ٢: ١٤٢.

في قتل سيد، فقال عزّ وجلّ: ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾[١] فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين؟ فقالوا: إنّه قد حكم عليه فلم يرض. فقال: إنّ الحكومة كالإمامة ومتى فسق الإمام وجبت معصيته، وكذلك الحكمان لمّا خالفا نبذت أقاويلهما. فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فإنّ هذا من القوم الذين قال تعالى فيهم: ﴿بل هم قوم خصمون﴾[٢]، وقال ﴿وتنذر به قوماً لدا﴾[٣].

وفيه[٤]: وجه عليّ عليه السلام إليهم ابن العباس فرحبوا به وقالوا: ما جاء بك؟ قال: جئتكم من عند صهر النبيّ صلى الله عليه وآله وابن عمه وأعلمنا بربّه وسنّة نبيه، ومن عند المهاجرين والأنصار. فقالوا: إنّا أتينا عظيماً حين حكّمنا الرجال في دين الله فإن تاب كما تبنا رجعنا. فقال لهم: نشدتكم الله أما علمتم أنّ الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب يساوي درهماً، وفي شقاق رجل وامرأته، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية؟ قالوا: نعم ولكن محا نفسه من الإمارة. فقال لهم: وقد محا النبيّ صلى الله عليه وآله اسمه من النبوة، وقد أخذ عليّ عليه السلام على الحكمين ألّا يجورا ....

وروى (مسترشد محمد بن جرير الطبري): أنّه عليه السلام لمّا بعث ابن العباس قالوا له: نقمنا على صاحبك خصالاً: محا اسمه من إمارة المؤمنين، وشكّ في نفسه حيث قال للحكمين: «انظرا ان كان معاوية أحق بها منّي فأثبتاه»؛ وجعل الحكم إليه غيره وقد كان عندنا من أحكم الناس، وحكّم الرجال في دين الله ولم يكن ذاك إليه، وقسّم بيننا الكراع والسلاح يوم البصرة

---

(١) المائدة: ٩٥.

(٢) الزخرف: ٥٨.

(٣) مريم: ٩٧.

(٤) الكامل للمبرد ٢: ١٧٥.

ومنعنا النساء والذرية، وأنّه كان وصيّاً فضيع الوصية. فقال ابن عباس له عليه السلام: سمعت مقالتهم وأنت أحقّ بالجواب. فقال عليه السلام له: قل لهم: ألستم ترضون بحكم الله وحكم رسوله؟ قالوا: نعم. فقال: ابدأ على ما بدأتم: كنت أكتب للنبيّ صلى الله عليه وآله يوم صالح ابا سفيان وسهل بن عمرو، فكتبت: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله وسهيل بن عمرو وصخر بن حرب» فقال سهيل: إنّا لا نعرف (الرحمن الرحيم) ولا نُقرّ أنّك رسول الله. فأمرني النبيّ صلى الله عليه وآله فمحوت (الرحمن الرحيم) وكتبت: «باسمك اللهم» ومحوت (رسول الله) وكتبت: «محمد بن عبدالله» فقال لي: يا عليّ إنّك تُدعى إلى مثلها فتُجيب وأنت مكره. فقالوا: هذه لك قد خرجت منها. فقال: وأمّا قولكم: إنّي شككت في نفسي حيث قلت للحكمين: انظرا فان كان معاوية أحق بها مني؛ فإنّ ذلك لم يكن شكاً ولكنّه نصفاً من القول، وقد قال تعالى: ﴿وانا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين﴾[1]، وقد علم الله أنّ نبيّه كان على الحق. قالوا: وهذه لك أيضاً. قال: وأمّا قولكم: إنّي جعلت الحكم إلى غيري وقد كنت من احكم الناس؛ فهذا النبيّ صلى الله عليه وآله جعل الحكم إلى سعد بن معاذ يوم بني قريظة وقد كان أحكم الناس، وقد قال تعالى: ﴿ولكم في رسول الله أُسوة حسنة...﴾[2] فتأسيت به صلى الله عليه وآله. قالوا وهذه لك أيضاً ـ إلى أن قال ـ وأمّا قولكم: إنّي قسّمت يوم البصرة الكراع والسلاح ومنعتكم النساء والذرية؛ فإنّي مننت على أهل البصرة كما منّ النبيّ صلى الله عليه وآله على أهل مكة وقد عدوا علينا، فأخذناهم بذنوبهم ولم نأخذ صغيراً بكبير، وبعد فأيّكم يأخذ عايشة في سهمه؟ قالوا: وهذه قد خرجت منها أيضاً. قال: وأمّا قولكم: إنّي كنت وصياً فضيعت

(١) سبأ: ٢٤.

(٢) الأحزاب: ٢١.

الوصاية؛ فأنتم كفرتم بي وقدّمتم علَيّ غيري ولم أك أنا كفرت بكم، وليس على الأوصياء الدعاء إلى انفسهم وإنّما تدعو الأنبياء إلى انفسهم، والوصي مدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه، ذلك لمن آمن بالله ورسوله، وقد قال تعالى: ﴿...ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا...﴾[1]، فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت يكفر بتركهم إيّاه، ولكن يكفرون بتركه لأنّ الله تعالى قد نصبه لهم علماً، وكذلك نصّبني النبيّ صلى الله عليه وآله علماً حيث قال: أنت بمنزلة الكعبة. فخرج معه منهم أربعة آلاف.

ورواه اليعقوبي[2] مع زيادة ونقصان.

«إلى الخوارج» هكذا في (المصرية)[3] والصواب: (على الخوارج) كما في (ابن أبي الحديد[4] وابن ميثم[5] والخطية) وحينئذ فهو متعلق بالاحتجاج.

قوله عليه السلام: «لا تخاصمهم بالقرآن فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون»

حاج منصور بن حازم -وهو أحد أجلة أصحاب الصادق عليه السلام- مع الناس فقال لهم: من الحجّة على الخلق بعد النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فقالوا له: القرآن. فقال لهم: القرآن يخاصم به المُرجي والقدري بل الزنديق الذي لا يؤمن به، يخاصم به حتى يغلب الرجال بخصومته، فلابدّ أن القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيّم يكون كل شيء قال فيه يكون حقاً، فمن قيّمه؟ قالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، وعمر قد يعلم، وحذيفة قد يعلم. فقال لهم: يعلمون كلّه؟ قالوا: لا. قال لهم: فليس أحد يعرف القرآن كلّه إلّا عليّ عليه السلام فلابدّ أنّه قيم القرآن،

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٢.

(٣) الطبعة المصرية ٣: ١٥٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧١.

(٥) شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٤.

وأنّ طاعته مفروضة كالنبيّ صلى الله عليه وآله.

قال ابن أبي الحديد[1] قوله عليه السلام: «القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون» كلام لا نظير له في شرفه وعلو معناه، وذلك أنّ القرآن فيه مواضع يظن في الظاهر أنّها متناقضة نحو قوله: ﴿لا تدركه الأبصار...﴾[2] مع قوله ﴿إلى ربها ناظرة﴾[3]، وقوله: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾[4]، مع قوله: ﴿وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى...﴾[5] ونظائرها، وأمّا السنّة فليست كذلك ـ إلى أن قال ـ وقد كان في الصحابة من يسأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن كلمة في القرآن يفسره له تفسيراً موجزاً فلا يحصل له كلّ الفهم؛ ولمّا نزلت آية الكلالة ـ وفي آخرها ﴿...يبيّن الله لكم أن تضلّوا...﴾[6] ـ سأله عمر عن الكلالة: ما هو؟ فقال له: يكفيك آية الصيف. لم يُزد على ذلك، فلم يراجعه عمر وانصرف ولم يفهم مراده، وبقي عمر على ذلك إلى أن مات، وكان يقول بعد ذلك: اللهم مهما بيّنت فإنّ عمر لم يتبين. يشير إلى قوله تعالى: ﴿يبيّن الله لكم ان تضلّوا﴾...

بيان: آية الصيف، أي: آية نزلت في الصّيف، كما رواه (التبيان).

قلت: إذا كان فاروقهم نفسه لم يفهم المراد من القرآن في آية قال تعالى فيها: بيّنها لكم لئلا تضلّوا، وفسّرها النبيّ صلى الله عليه وآله، له كيف منع النبيّ صلى الله عليه وآله من الوصية وقال: حسبنا القرآن ولم نحتج إلى وصيّته؟

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧١.
(٢) الأنعام: ١٠٣.
(٣) القيامة: ٢٣.
(٤) يس: ٩.
(٥) فصّلت: ١٧.
(٦) النساء: ١٧٦.

ففي (طبقات كاتب الواقدي) ـ وكان ناصبياً ـ عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس، قال: لمّا حضرت النبيّ ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبيّ ﷺ: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده. فقال عمر: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من قال: قرّبوا يكتب لكم النبيّ؛ ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا كثر اللغط والاختلاف وغمر النبيّ ﷺ قال: قوموا عني. قال عبيدالله: فكان ابن عباس يقول: إنّ الرّزية كلّ الرّزية ما حال بين النبيّ ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

وروى عن عكرمة عن ابن عباس: أنّ النبيّ ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقال عمر: مَن لفلانة وفلانة ـ مدائن الروم ـ إنّ النبيّ ليس بميّت حتى نفتتحها، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى. فقالت زينب زوج النبيّ ﷺ: ألا تسمعون النبيّ ﷺ يعهد إليكم؟ فلغطوا فقال: قوموا عنّي. فلمّا قاموا قُبض النبيّ ﷺ مكانه.

وعن زيد بن اسلم عن أبيه عن عمر قال: كنا عند النبيّ ﷺ وبيننا وبين النساء حجاب فقال: غسّلوني بسبع قرب، وائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده ابداً. فقال النسوة: إيتوا النبيّ ﷺ بحاجته. قال عمر: فقلت: اسكتن فإنكن صواحبه، إذا مرض عصرتن أعينكن وإذ صح أخذتن بعنقه. فقال: هنّ خير منكم.

وعن سعيد بن جبير قال: إنّ ابن عباس كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ـ وكأنّي أنظر إلى دموعه كأنّها نظام اللؤلؤ ـ قال النبيّ ﷺ: إيتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً.

فقالوا: إنّما يهجر رسول الله.

كان فاروقهم يعلم أنّ القرآن لا يكفي الناس، وكيف لا، وهو الذي كان فاروقهم لا يفهم شيئاً من معارفه إلّا أنّه صد النبيّ ﷺ عن الوصية في تلك الساعة، لأنّه علم أنّ النبيّ ﷺ أراد أن يُعيّن أمير المؤمنين عليه السلام في الكتابة كما عيّنه في مقالاته يوم غدير خم وغيره، فلا يمكنه التشكيك فيها لأنّ الكتابة أمر ثابت؛ فروى أحمد بن أبي طاهر صاحب (تاريخ بغداد) في كتابه مسنداً عن ابن عباس قال: دخلت على عمر في أوّل خلافته فقال: هل بقي في نفس ابن عمك شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أيزعم أنّ النبي نَصّ عليه؟ قلت: نعم. قال: لقد أراد النبي في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطةً على الإسلام، لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لا نتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم النبيّ أنّي علمت ما في نفسه فأمسك .... .

إنّما منع منه إشفاقاً وحيطة على سلطنته وسلطنة صاحبه، وهل كان هو أشفق على الإسلام من رسول الله ﷺ؟ فكأنّ الله لا يعلم حيث يجعل رسالته، إذا كان هو أشفق على الإسلام ولم يُشفق نبيّه!

وقوله بعدم اجتماع قريش عليه كانتقاض العرب مغالطة، فقريش كانوا أعداء النبيّ ﷺ وإنّما وصلوا إلى ما وصلوا بمساعدة ومساعدته صاحبه، ولولا هما لكانوا يستسلمون له ويُسرون كفرهم، كما استسلموا للنبي وأسرّوا كفرهم، والعرب إنّما انتقضت على صاحبه حيث لم يجعل هو سلطان النبيّ ﷺ في أهل بيته، وقيام أهل الجمل وصفين عليه إنّما كان من قريش بسببه وسبب صاحبه.

وهب أنّ النبيّ ﷺ لم يُرد النصّ على أمير المؤمنين، ألم يكن حدوث هذه الفرق الضالة في الإسلام ـ ومنها الخوارج ـ من منع عمر للنبيّ ﷺ عن

الوصية؟ ألم يقل لهم: أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً؟

ثم إنّه مع منعه له عن الوصية ـ وهي الرّزية العظمى التي لو بُكي الدم منها كان قليلاً ـ لِمَ نَسَب الهجْر إليه؟ أليس الله تعالى قال في نبيه: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلّا وحي يوحى﴾[1]؟

ولِمَ قال: «إنّ النبيّ ﷺ لا يموت ولو أنّه مات يرجع»، فيصير سبباً لتولّد مذاهب فاسدة، كالكيسانية والناوسية والواقفية والإسماعيلية وغيرها، فليس منشأ شُبهات المذاهب الفاسدة التي تولّدت بعده إلّا شبهات مثله، كما اعترف به الشهرستاني[2] منهم.

ولِمَ يقول لنسائه: «اسكتن، إذا مرض عصرتن أعينكن، وإذا صحّ أخذتن بعنقه» بمعنى أنّ النبيّ ﷺ ليس له قابلية، وأنّه رجل زيري، والنساء غالبات عليهن.

وما نسبه إلى نسائه إنّما كان عمل بنته وبنت صاحبه اللتين قال تعالى فيهما: ﴿...وإن تظاهر عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين...﴾[3] دون النسوة التي قلن ـ كزينب وأُمّ سلمة ـ: إيتوا رسول الله ﷺ بحاجته. لكن يكفيه شرفاً أنّ النبيّ ﷺ قال له: هنّ خير منك.

هذا وممّا يناسب قوله عليه السلام: «حمال ذو وجوه» ما ورد: أنّ رجلاً قال لهشام القوطي: كم تعدّ؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأكثر. قال: لم أُرد هذا؛ كم تعدّ من السنّ؟ قال: اثنتين وثلاثين، ست عشرة من أعلى وست عشرة من أسفل. قال: لم أُرد هذا؛ كم لك؟ من السنين قال: والله مالي فيها شيء السنون

---

(١) النجم: ٣ ـ ٤.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١: ١٨ ـ ٢١.

(٣) التحريم: ٤.

كلّها لله تعالى. قال: يا هذا ما سنّك؟ قال: عظم. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن اثنين: رجل وامرأة. قال: كم أتى عليك؟ قال: لو أتى علي شيءٍ لقتلني. قال: فكيف أقول؟ قال: تقول: كم مضى من عمرك؟

«ولكن حاججهم بالسنّة، فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً» قال ابن أبي الحديد[1] لم يعمل ابن عباس بما أوصاه فلم يحاجّهم بالسنّة بل بالقرآن، ولذلك لم يرجعوا.

قلت: بل حاجّهم بالكتاب والسنة كما عرفت من رواياته، بل حاجّهم مرّتين: في أوّل خروجهم إلى حروراء، وبعد رجوعهم وخروجهم ثانياً، كما يظهر من خبر المبرد الثاني، بل قال المبرّد[2]: إنّه عليه السلام بعثه إلى خوارج النخيلة أيضاً بعد النهروان وقالوا له: إذا كان عليّ على حق لم يشكّ وحكّم مضطراً، فما باله حيث ظفر في الجمل لم يُسبِ؟ فقال لهم ابن عباس: سمعتم الجواب في التحكيم، فأمّا قولكم في السباء: أفكنتم سابين أُمّكم عايشة؟ فوضعوا أصابعهم في آذانهم وقالوا أمسك عنّا غرّب لسانك يا بن عباس، فإنّه طلق زلق غوّاص على موضع الحجة. وحاجّهم بالسنّة بتعليم أمير المؤمنين عليه السلام له في تحكيم النبيّ صلى الله عليه وآله سعد بن معاذ يوم بني قريظة، وغير ذلك ممّا مرّ في تلك الأخبار.

قال ابن أبي الحديد[3] إن قيل ما السنّة التي أمر عليه السلام ابن عباس أن يُحاجّ الخوارج؟ قلت: كان له عليه السلام في ذلك غرض صحيح وإليه أشار وحوله كان يطوف ويحرم، وذلك أنّه أراد أن يقول لهم: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «علي مع الحقّ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٦.

(٢) المبرد ٢: ١٩٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٢ ـ ٧٣.

والحقُّ مع عليّ يدور معه حيثما دار»، وقوله عليه السلام: «اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» ونحو ذلك من الأخبار التي كانت الصحابة قد سمعتها من فَلْق فيه صلى الله عليه وآله وقد بقي ممّن سمعها جماعة تقوم بهم الحجة وتثبت بنقلهم، ولو احتجّ بها على الخوارج في أنّه لا يحل مخالفته والعدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين عليه السلام في محاجّتهم، وأغراض أُخرى أرفع وأعلا منهم، فلم يقع بموجب ما أراد وقضى عليهم بالحرب حتى أكلتهم عن آخرهم ﴿...وكان أمر الله مفعولا﴾[1].

قلت: لو كان عليه السلام حاجّهم بأقوال النبيّ صلى الله عليه وآله فيه لصار أمر صديقهم وفاروقهم باطلاً، كما أنّ محمد بن أبي بكر لمّا حاج معاوية بذلك ناقضه معاوية بذلك.

ولم يدر الإنسان أيَّ شيء يقول في مثل هذه الأُمور؟

ألم يكن أمير المؤمنين عليه السلام أتمّ الحجّة عليهم بنفسه: بأنّي ما حكّمت الرجال بل حكّمت القرآن، ولكنّ القرآن خط مسطور لا ينطق، ينطق عنه الرجال، فان حكما بما فيه يُقبل وإلّا فيضرب حكمهما على رأسهما، ولم يجعلا حكما مطلقاً يحكمان بما يريدان، وأنّه وإن تبيّن للخوارج ـ كما كان متبيّناً له عليه السلام ولعارفي أصحابه ـ أنّه كان مكيدة إلّا أنّه لمّا كان كتب كتاب عهد وجب العمل به بمقتضى الكتاب والسنّة، بل وجوب الوفاء بالعهد يحكم به العقل، وكان جميع ملل الدنيا عملهم عليه؟

ثم أيّ شيء تصوّروا في قول معاوية ـ لمّا أمر برفع المصاحف ـ: «بيننا وبينكم كتاب الله»؟

ألم يعرفوا أنّ كتاب الله يقول في قوله تعالى: ﴿...فقاتلوا التي تبغي حتى

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

تفيء إلى امر الله...﴾[1] بوجوب قتال معاوية حتى يفيء إلى أمر الله ويصير تسليماً لأمير المؤمنين عليه السلام ـ كما قالوا ذلك لمّا أنكروا الحكمية ـ؟

ألم يعلموا أنّ معاوية من الفئة الباغية مع قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «عمّار تقتله الفئة الباغية» وقد كان قتل قبيل رفع المصاحف؟

وكيف هم لم يتفطّنوا وقد تفطّن كثير من أهل الشام، إلّا أغبياء قال لهم معاوية: «إنّا ما قتلناه وإنّما قتله عليّ الذي جاء به لحربنا»؟ ولحق به عليه السلام بعضُهم كعبد الله بن عمر العنسي لذلك، وقال:

قد كنت أسمع والأنباء شائعة — هذا الحديث فقلت: الكذب والزور
حتى تلقّيته من أهل عيبته — فاليوم أرجع والمغرور مغرور
واليوم أبرأ من عمرٍو وشيعتِه — ومن معاوية المحدو به العير

ألم يعلموا أنّ معاوية كان عدو النبيّ صلى الله عليه وآله، وقاتله حتى صار أسيراً فجعله من الطلقاء؟

ألم يعلموا أنّ معاوية كان لَعين النبيّ صلى الله عليه وآله في غير موطن، وأنّه كان مظهر كلّ كفر وفجور؟

ألم يعلموا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان المتصدي لجميع حروب النبيّ صلى الله عليه وآله وشريكه في شدائده في سبيل الإسلام، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يجعله بمنزلة نفسه، وأنّه كان مظهر الإيمان والعدالة والورع والتقوى، وأنّه كان أعلم الناس بالكتاب والسنة وشريعة الإسلام باجماع الأمّةُ حتى من صدّيقهم وفاروقهم؟

وألم يكن من العجب ألّا يقبلوا منه عليه السلام حكمية ابن عباس والأشتر والأحنف، ويُجبروه على أبي موسى، ويقبلوا من معاوية حكمية عمرو؟

---

(١) الحجرات: ٩.

ثم من أين أنّهم لم يكونوا سمعوا ما قاله النبيّ ﷺ فيه؟ بل رأوا ورووا جميع ذلك، إلّا أنّ تَقدّم الرجلين عليه جعل جميع أقوال النبيّ ﷺ فيه نسياً منسياً ـ روى محمد بن يعقوب في روضته[1] مسنداً: أنّ عبدالله بن نافع الأزرق كان يقول: لو أنّي علمت أنّ بين قطريها أحداً تبلغني إليه المطايا، يخصمني: أنّ عليّاً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم، لرحلت إليه. فقيل له: ولا ولده؟ فقال: أفي ولده عالم؟ فقيل له: هذا أوّل جهلك، أوهم يخلون من عالم؟ قال: فمن عالمهم اليوم؟ قيل: محمد بن علي بن الحسين بن علي. فرحل إليه في صناديد أصحابه حتى أتى المدينة فاستأذن عليه عليه‌السلام، وبعث أبو جعفر عليه‌السلام إلى جميع أبناء المهاجرين والأنصار فجمعهم، ثم خرج في ثوبين ممغرين كأنّه فلقة قمر وأقبل على الناس وقال ـ بعد الحمد والثناء ـ: يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار من كانت عنده منقبة في عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه فليقم وليحدّث. فقام الناس فسردوا تلك المناقب، فقال عبدالله بن نافع: أنا أروى لهذه المناقب من هؤلاء: وإنّما أحدث على الكفر بعد تحكيم الحكمين حتى انتهوا في المناقب إلى حديث خيبر: «لأُعطين الرّاية غدا رجلاً يُحب الله ورسوله ويُحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» فقال له أبو جعفر: ما تقول في هذا الحديث؟ فقال: هو حق لا شك فيه، ولكن أحدث الكفر بعد. فقال أبو جعفر عليه‌السلام له: ثكلتك أُمّك أخبرني عن الله تعالى: أحبَّ عليّاً يوم أحبّه وهو يعلم أنّه يَقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ قال ابن نافع: أعد علَيّ. فاعاده، فقال: إن قلت: لا؛ فقد كفرت. قال: فقل: قد علم. فقال: قد علم. قال فأحبّه الله على أن يعمل بطاعته أو يعمل بمعصيته؟ فقال: بل بطاعته. فقال: قم مخصوماً. فقام ابن نافع وهو يقول: ﴿حتّى يتبيّن لكم الخيط

---

(١) روضة الكافي لمحمّد بن يعقوب ٨ : ٣٤٩ ح ٥٤٨.

الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾[١] ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[٢].

هذا، وقال عليه السلام: حاجّوهم بسنة النبيّ صلى الله عليه وآله حتى تغلبوهم. وهم كانوا يُريدون منه عليه السلام سنّة أبي بكر وعمر فلا يقبلها منهم؛ وفي (الطبري)[٣]: لمّا خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً عليه السلام أصحابُه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت. فشرط لهم فيه سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله، فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي ـ وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم ـ فقال له بايع على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله. فقال ربيعة: على سنّة أبيبكر وعمر. فقل له عليّ عليه السلام: ويلك! لو أنّ أبابكر وعمر عملاً بغير كتاب اللّه وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله لم يكونا على شيء من الحق. فبايعه ربيعة ونظر إليه عليّ عليه السلام فقال: اما والله لكأنّي بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقُتلت وكأنّي بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها. فقتل يوم النهر....

وكان إخواننا السنّة يحاجّون الخوارج في احداث عثمان ـ بعدم جناح فيها ـ بسنة أبي بكر وعمر فيغلبونهم بذلك؛ قال مصعب الزبيري في (نسب قريشه): قال هشام بن عروة: قال عبدالله بن الزبير: لقيني ناس ممّن كان يطعن على عثمان ممّن يرى رأي الخوارج، فراجعوني في رأيهم وحاجّوني بالقرآن، فوالله ما قمت معهم ولا قعدت، فرجعت إلى الزبير منكسراً فذكرت ذلك له فقال: إنّ القرآن تأوّله كلّ قوم على رأيهم وحملوه عليه، ولعمر الله إنّ القرآن لمعتدل مستقيم وما التقصير إلّا من قبلهم، ومن طعنوا عليه من الناس فإنّهم لا يطعنون في أبي بكر وعمر، فخذهم بسنّتهما وسيرتهما. قال عبدالله:

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) الأنعام: ١٢٤.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٧٦.

فكأنّما أيقظني بذلك، فلقيتهم فحاججتهم بسنن أبي بكر، فلمّا أخذتهم بذلك قهرتهم، وضعف قولهم حتى كأنهم صبيان يمغثون ....

﴿...وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾[١]، ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾[٢] فإخواننا يُنكرون الأُمور الفطرية والقواعد العقلية، فكون أحداث عثمان أُموراً منكرة فطري كل موحد وملحد، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، فعليهم أن يقولوا ببطلان سنّة صدّيقهم وفاروقهم لبطلان سنّة ذي نوريهم، لا أن يجعلوا سنّة ذي نوريهم حقّاً بسنة صديقهم وفاروقهم!

فمن أعمال ذي نوريهم: نفي أبي‌ذر وكسر ضلع عمار، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله فيهما: أمرني الله تعالى بحبّهما، وأنّ الجنة لمشتاقة إليهما.

وتولية الوليد الذي صلّى الصبح بالناس سكران أربعاً وتغنى.

وتولية ابن أبي سرح الذي أهدر النبيّ صلى الله عليه وآله دمه.

وردّه الحكم الذي نفاه النبيّ صلى الله عليه وآله.

وأمره بقتل جمع من المؤمنين حتى أجمع المهاجرون والأنصار على قتله، وحتى إنّ أمير المؤمنين أباح قتله؛ فلمّا قال شرحبيل ـ الذي أرسله معاوية إليه عليه السلام له ـ: أتشهد أنّ عثمان قُتل مظلوماً؟ فقال: لا أشهد. فقال شرحبيل: فمن لم يزعم أنّ عثمان قُتل مظلوماً فنحن منه برآء وانصرف فقال عليه السلام: ﴿انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العُمي عن ضلالتهم ان تسمع إلّا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون﴾[٣]. وحتى قال هاشم بن عتبة المرقال للشامي الذي قال له: «إنّ

---

(١) آل عمران: ٢٤.

(٢) المؤمنون: ٥٤.

(٣) النمل: ٨٠ ـ ٨١.

صاحبكم قتل خليفتنا» ما أنت وابن عفان؟ إنّما قتله أصحاب محمّد وأبناء أصحابه وقرّاء الناس، حين أُحدث الأحداث وخالف حكم الكتاب. وحتى نّ عمّاراً لمّا قال له عمرو بن العاص: «لم قتلتم عثمان» قال: لأنّه أراد أن يغيّر ديننا، وأنّ الله قتله وعليّ معه. وعمر يعرف عثمان حتى قال له: كأنّي أراك تُولّي بني أبيك على رقاب الناس حتى يضطرّ الناس إلى ضرب رقبتك. ومع ذلك دبّر الأمر له بجعل صهره ابن عوف حكماً من الستة!

هذا والسنّة وإن كانت أوضح من الكتاب، إلّا أنّه لمّا كان ما بُيّن فيها محدوداً مثل ما بيّن في ظاهر الكتاب كانا غير كافيين في رفع اختلاف الناس، فكان واجباً على الله الحكيم أن يجعل معهما للناس حجة يكون كالنبيّ صلى الله عليه وآله ذا اتصال به تعالى، لا يقول ما يقول إلّا عنه تعالى، وأن يجعل عليه دلالة وآية؛ قال يونس بن يعقوب ـ كما في (الكافي)[1] ـ كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام وقال له عليه السلام: إنّي رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك. فقال عليه السلام: كلّم هذا الغلام ـ يعني هشام بن الحكم ـ. فقال له: يا غلام سلني في امامة هذا ـ يعني أبا عبدالله عليه السلام ـ: فغضب هشام حتى ارتعد، ثمّ قال له: أخبرني يا هذا أربك أنظر لخلقه أم هم لأنفسهم؟ فقال: بل ربي أنظر لخلقه. قال: ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا؟ قال: كلّفهم وأقام لهم حجة ودليلاً على ما كلّفهم، وأزاح في ذلك عللهم. فقال له هشام: فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟ قال: هو النبيّ صلى الله عليه وآله. قال: فمن بعده؟ قال: الكتاب والسنّة. قال: فهل ينفعنا اليوم الكتاب والسنّة في ما اختلفنا فيه، حتى يرفع عنّا الاختلاف ويمكّننا من الإتفاق؟ قال: نعم. قال: فلِمَ اختلفنا نحن وأنت وجئتنا من الشام تخالفنا، وتزعم أنّ الرأي طريق الدين وأنت تُقرّ بأنّ الرأي لا يجمع

---

(١) الكافي ١: ١٧١ ح ٤.

المختلفين على القول الواحد؟ فسكت كالمفكر فقال له أبو عبدالله عليه السلام: مالك لا تتكلم؟ قال: إن قلت: إنّا ما اختلفنا كابرت، وإن قلت: إنّ الكتاب والسنّة يرفعان الإختلاف أبطلت لانّهما يحتملان الوجوه، ولكن لي عليه مثل ذلك. فقال عليه السلام له: سَله تجده ملياً. فقال الشامي لهشام: من أنظر للخلق ربهم أم أنفسهم؟ قال هشام: بل ربّهم. فقال: فهل أقام لهم مَن يجمع كلمتهم ويرفع اختلافهم ويبيّن لهم حقهم من باطلهم؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: أمّا في ابتداء الشريعة فالنبي، وأمّا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله فغيره. قال: ومن غيره؟ قال: في وقتنا هذا أم قبله؟ قال: بل في وقتنا هذا. قال هشام: هذا الجالس ـ يعني أبا عبد الله ـ الذي يُشدّ إليه الرحال ويُخبرنا بأخبار السماء وراثة عن أب وجد. قال الشامي: وكيف لي بعلم ذلك؟ قال: سَله عمّا بدا لك. قال الشامي: قطعت عذري فعليّ السؤال. قال له أبو عبدالله عليه السلام: أنا أكفيك المسألة يا شامي، أُخبرك عن مسيرك وسفرك: خرجت يوم كذا وكان طريقك كذا ومررت على كذا ومرّ بك كذا. وأقبل الشامي كلما وصف عليه السلام له شيئاً من أمره يقول: صدقت والله. ثم قال الشامي: أسلمتُ لله الساعة. فقال له أبو عبدالله عليه السلام: بل آمنتَ به الساعة، إنّ الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، وعلى الإيمان يُثابون. قال الشامي: صدقت، فأنا الساعة أشهد ألّا إله إلّا الله وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله رسوله وأنّك وصيّ الأوصياء.

١٠
من الخطبة (١٩٠)

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي ٱللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَٱلنَّكْثِ وَٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ، فَأَمَّا ٱلنَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا ٱلْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ ٱلرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ، وَرَجَّةُ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ، وَلَئِنْ أَذِنَ ٱللهُ فِي ٱلْكَرَّةِ

عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ، إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ تَشَذُّراً.

«ألا وقد أمرني الله» في قوله تعالى: ﴿يا أيّها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنّم وبئس المصير﴾[1] ذكره في سورة التوبة وسورة التحريم، ولم يجاهد النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا الكفّار على تنزيل القرآن، وحيث إنّه عليه السلام كان بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله بمقتضى قوله تعالى: ﴿...وانفسنا...﴾[2] لابد أنّه عليه السلام كان المكلف بجهاد المنافقين على تأويل القرآن.

ويشهد له ما رواه (الأسد)[3]. مسنداً عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله فانقطع شسعه فأخذها عليّ عليه السلام يصلحه فمضى، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ منكم رجلاً يُقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله. فاستشرف لها القوم فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لكنّه خاصف النعل. فجاء فبشّرناه بذلك، فلم يرفع به رأساً كأنّه شيء قد سمعه من النبيّ صلى الله عليه وآله.

وما رواه أحمد بن حنبل في (فضائله) والترمذي في (سننه) ـ واللفظ للاول ـ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي، يُمضي فيهم أمري، يقتل المقاتلة ويسبي الذرية. قال أبو ذر: فما راعني إلّا برد كفّ عمر من خلفي، فقال: من تراه يعني؟ قلت: ما يعنيك وإنّما يعني خاصف النعل علي بن أبي طالب ـ إلى أن قال ـ فالتفت النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام وانتثل بيده وقال: هذا هو هذا هو ـ مرّتين ـ.

وكذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله لقريش ففي (تاريخ بغداد)[4]: أنّ سهيل بن عمرو لمّا قال للنبيّ صلى الله عليه وآله: خرج إليك ناس من أرقائنا فارددهم علينا. وقال: أبو بكر

---

(١) التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) الأسد للجزري ٤: ٣٢.

(٤) تاريخ بغداد ١: ١٣٣.

وعمر للنبيّ ﷺ: صدق سهيل. قال النبي: لن تنتهوا يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالايمان، يضرب أعناقكم وأنتم مجفلون عنه اجفال النعم. فقال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا. وقال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكنّه خاصف النعل.

وروى (التهذيب)[1] عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السلام: سأل رجل أبي عن حروب أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: بعث الله محمداً ﷺ بخمسة أسياف: ثلاثة منها شاهرة لا تُغمد ـ إلى أن قال ـ وأمّا السيف المكفوف فسيف أهل البغي والتأويل، قال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...﴾[2] فلمّا نزلت قال النبيّ ﷺ: إنّ منكم مَن يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل. فسُئل: من هو؟ فقال: هو خاصف النعل. يعني أمير المؤمنين عليه السلام ....

«بقتال أهل البغي» وهم معاوية وأصحابه.

«والنّكث» وهم طلحة والزبير وأصحابهما.

«والفساد في الأرض» وهم الخوارج يقتلون من يرون: الكبار والصغار والرجال والنساء.

ويشهد أيضاً لكونه مأموراً من الله تعالى بقتال الفرق الثلاث ما رواه الكنجي الشافعي مسنداً عن ابن عباس: أنّ النبيّ ﷺ قال لأُمّ سلمة: هذا عليّ بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي، يا أُمّ سلمة هذا عليّ أمير المؤمنين وسيد المرسلين ووعاء علمي ووصيي وبابي الذي أُوتى منه وأخي في الدنيا والآخرة ومعي في المقام إلّا على، يقتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

---

(١) التهذيب ٦: ١٣٦.

(٢) الحجرات: ٩.

وروى (الأُسد)[1] عن علي بن ربيعة قال: سمعت علياً على منبركم هذا يقول: عهد إليّ رسول الله ﷺ أن أُقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قال ابن أبي الحديد[2]: ثبت عن النبيّ ﷺ أنّه قال له عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين.

قلت: وكذلك ثبت أنّ النبيّ ﷺ قال لشيعته: إنّهم يقاتلون معه عليه السلام الفرق الثلاث؛ كأبي أيوب الأنصاري وعمّار وأبي سعيد الخدري؛ روى الكنجي الشافعي في (مناقبه) مسنداً عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا النبيّ ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلنا له ﷺ: أمرتنا بقتال هؤلاء فمع مَن؟ قال: مع عليّ بن أبي طالب، معه يُقتل عمّار.

ورواه الجزري في (أُسده)[3].

وروى هو وابن ديزيل في (صفينه) مسنداً عن مخنف بن سليم قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري فنزل ضيعتنا يعلف خيلاً له، فأتيناه فاهدينا له وقعدنا عنده فقلنا: يا أبا أيوب قاتلتَ المشركين بسيفك هذا مع النبيّ ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال: إنّ النبيّ ﷺ أمرني بقتال القاسطين والمارقين والناكثين، فقد قاتلت الناكثين وقاتلت القاسطين، وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالسعفات بالطرفات بالنهروات، وما أدري أين هي؟

وفي (صفين نصر)[4] ـ في حديث جمع ذي الكلاع بين عمّار وعمرو بن العاص، لأنّه سمع عمراً في إمارة عمر: أنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية ـ فقال عمرو لعمّار: علامَ تقاتلنا، أولسنا نعبد إلها واحداً؟ فقال له عمّار: سأُخبرك

---

(١) أُسد الغابة ٤: ٣٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٨٣.

(٣) الاسد للجزري ٤: ٣٣.

(٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٣٨.

علامَ أُقاتلك: أمرني النبيّ ﷺ أن أُقاتل الناكثين فقد فعلت وأمرني أن أُقاتل القاسطين فأنتم هم، وأمّا المارقون فما أدري أدركهم أم لا؟ ألم تعلم أيها الأبتر أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»؟ وأنا مولى الله ورسوله، وعليّ بعده وليس لك مولى....

قال ابن أبي الحديد[1]: قال تعالى في الناكثين: ﴿...ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه...﴾[2] أو في القاسطين: ﴿وأمّا القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾[3].

وقال النبيّ ﷺ في المارقين: يخرج من ضئضئي هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدكم في النصل فلا يجد شيئاً، فينظر في الفوق فلا يجد شيئاً. وهذا الخبر من اعلام نبوته ﷺ ومن اخباره المفصلة بالغيوب.

قلت: وكذا خبر كلاب الحوأب في الناكثين، وخبر قتل عمار في القاسطين من اعلام نبوة النبيّ ﷺ والكلّ من أعلام إمامة أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، ولم يذكر النبيّ ﷺ لأحد من المتقدّمين على أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً، مع وقوع فتوح كثيرة منهم وقتالهم مع الكفار، وإنّما قال إجمالاً إنّ أُمّته تفتح فارس والروم؛ حتى ظن عمر أنّ النبيّ ﷺ يفتتحها بنفسه، فاستند في منعه النبيّ ﷺ عن الوصية بأنّه قال لنا: يفتح فارس والروم؛ وما فتحهما بعد؛ فروى كاتب الواقدي في (طبقاته) عن الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمه عن ابن عباس: أنّ النبيّ ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: إيتوني بدواة وصحيفة

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٨٣.
(٢) الفتح: ١٠.
(٣) الجن: ١٥.

أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقال عمر: من لفلانة وفلانة ـ مدائن الروم ـ إنّ النبي ليس بميت حتى نفتتحها، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى ....

«**فأمّا الناكثون فقد قاتلت**» وفي (الطبري)[1] عن ابن أبي يعقوب: قتل عليّ عليه السلام يوم الجمل ألفين وخمسمائة: من الأزد ألف وثلاثمائة وخمسون، ومن بني ضبّة ثمانمائة، ومن ساير الناس ثلاثمائة وخمسون.

«**وأمّا القاسطون فقد جاهدت**» في (صفين نصر)[2] عن جابر الأنصاري قال: والله لكأنّي أسمع عليّاً يوم الهرير يقول: حتى متى نخلّي بين هذين الحيين ـ أي: مذحج من أصحابه والأشعريين من أصحاب معويه ـ قد فنيا وأنتم وقوف تنظرون إليهم، أما تخافون مقت الله ـ إلى أن قال ـ قال جابر: لا والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب عليه السلام، إنّه قتل ـ في ما ذكر العادّون ـ زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنياً فيقول: «معذرة إلى الله تعالى وإليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه ولكن حجزني عنه أنّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول كثيراً:

لا سيف إلّا ذوالفقـ ـار ولا فتىً إلّا علـيّ

وأنا أُقاتل به دونه» فكنا نأخذه فنقومه، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف ....

«**وأمّا المارقة فقد دوّخت**» أي: ذللتها؛ في (الطبري)[3] زحف الخوارج وهم

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٤٥.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧٧.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٨٦.

ألفان وثمانمائة إلى عليّ عليه السلام -إلى أن قال- فوالله ما لبثوا الرجال أن أناموهم، ثم إنّ صاحب خيلهم لمّا رأى الهلاك نادى أصحابه: أن انزلوا. فذهبوا لينزلوا فلم يتقاروا حتى أُهمدوا في الساعة.

«وأمّا شيطان الردهة» قال الجزري في (نهايته)[1]: في حديث عليّ عليه السلام ذكر ذا الثدية فقال: «شيطان الردهة يحتدره رجل من بجيلة» الردهة: النُّقرة في الجبل يستنقع فيها الماء، وقيل: قُلّة الرابية. وفي حديثه: «وأمّا شيطان الردهة فقد كفيته بصيحة سمعت لها وجيب قلبه» قيل: أراد به معاوية لمّا انهزم... وهو كما ترى.

وفي (المعجم)[2] في (ابن داب): قال مصعب الزبيري: شيطان الردهة وضعه ابن داب، وهو ذو الثدية في ما زعم. قال: جاءتَ أُمّه تستسقي ماء فوقع بها شيطان فحملته فولدته....

والظاهر أنّ المصعب أشار إلى الخبر الأوّل: «شيطان الردهة يحتدره رجل من بجيلة».

هذا، ويقال لنوشيروان الضرير البغدادي: شيطان العراق. وهو الذي قال:

تبّاً لشيطاني وما سولا ... لا انــزلني اربــلا

ثم قال:

قد تاب شيطاني وقد قال لي ... لاعدت أهجو بعدها اربلا

«فقد كفيته» في (ايضاح الفضل بن شاذان)[3]: ورويتم عن أبي خالد

---

(١) النهاية للجزري ٢: ٢٦٦.

(٢) المعجم ١٦: ١٦٢، في عين بن يزيد.

(٣) الإيضاح لابن شاذان: ٤٢.

الأحمر عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عايشة قالت: لعن الله عمرو بن العاص ما أكذبه لقوله: إنّه قتل ذا الثدية بمصر!

قلت: والظاهر أنّها قالته لمّا أخبرها أصحابه عليه السلام ـ بعد رجوعهم من النهروان ـ كيفية طلبه عليه السلام لذي الثدية في القتلى، كما يأتي في الخبر السادس والسابع من أخبار الخطيب العشرة.

هذا وروى (ذيل الطبري)[1]: أنّ الشياطين تحدّرت على النبيّ صلى الله عليه وآله من الجبال والأودية، وفيهم شيطان معه شعلة نار يُريد أنْ يحرق النبيّ صلى الله عليه وآله ففزع وجاءهُ جبرئيل فقال له: قل أعوذ بكلمات الله التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شرّ ما خلق وبرأ وذرأ، ومن شرّ ما ينزل من السماء، ومن شرّ ما يعرج فيها، ومن شرّ ما ذرأ في الأرض، ومن شرّ ما يخرج منها، ومن شرّ فتن الليل والنهار، ومن شرّ كلّ طارق إلّا طارقاً يطرق بخير يا رحمان. فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله.

«بصعقة» في (النهاية): الصعق: الغشوة من صوت شديد وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيراً.

«سمعت لها وجبة» أي: اضطراب.

«قلبه ورجّة» أي: اضطراب.

«صدره».

قال ابن أبي الحديد[2] شيطان الردهة: قال قوم: إنّه ذو الثدية صاحب النهروان، ورووا في ذلك خبراً عن النبيّ صلى الله عليه وآله يقولون: إنّ ذا الثدية لم يُقتل بسيف ولكنّ الله رماه يوم النهروان بصاعقة. وقال قوم: إنّه أحد الأبالسة

---

(١) تاريخ الطبري ١١: ٥٩٢ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٨٣ .

المردة من أعوان إبليس. ورووا في ذلك خبراً عن النبيّ ﷺ وأنّه كان يتعوذ منه. وقال قوم: إنّه مارد يتصور في صورة حيّة ويكون في الردهة، وإنّما أخذوا هذا من لفظ الشيطان لأنّ الشيطان الحيّة، ومنه قولهم: «شيطان الحماطة» والحماطة: شجرة مخصوصة، ويقال: إنّها كثيرة الحيّات.

قلت: الصحيح إرادته عليه السلام ذا الثدية وقد وردت فيه روايات:

الأولى: ما رواه الخطيب في أبي سليمان المرعشي مسنداً عنه قال: لمّا سار عليّ عليه السلام إلى النهر سرت معه، فلمّا نزلنا بحضرتهم أخذني غمّ لقتالهم لا يعلمه إلّا الله حتى سقطت في الماء ـ إلى أن قال ـ ثم حملوا الثالثة حتى ظن الناس أنّها الهزيمة فقال عليّ عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النّسمة لا يقتلون منكم عشرة ولا يبقى منهم عشرة. فلمّا سمع الناس ذلك حملوا عليهم فقتلوا، فقال: إنّ فيهم رجلاً مُخدَج اليد ـ أو مُودَن اليد ـ فأُتي به فقال عليه السلام: من رأى منكم هذا؟ فاسكت القوم، ثم قال: من رأى منكم هذا؟ فاسكت القوم، ثم قال من رأى منكم هذا؟ فقال رجل منهم: رأيته جاء لكذا وكذا. قال: كذبت ما رأيته، ولكنّ هذا أمير خارجة خرجت من الجن.

الثانية: وروى الخطيب في أبي مؤمن الوائلي مسنداً عنه قال: سمعت علياً عليه السلام حين قتل الحرورية يقول: انظروا فيهم رجلاً كأنّ ثدييه ثدي المرأة؛ أخبرني النبيّ ﷺ أنّي صاحبه. فقلبوا القتلى فلم يجدوه ـ إلى أن قال ـ فقالوا: سبعة منهم لم نقلبهم. فأتوهم فقلبوهم فوجدوه، قال أبو المؤمن: فرأيته حين جاؤوا به يجرّونه في رجله حبل، فرأيت علياً عليه السلام حين جاؤوا به خرّ ساجداً.

الثالثة: وروى الخطيب أيضاً في أبي كثير مولى الأنصار مسنداً عنه قال: كنت مع سيدي مع عليّ عليه السلام حين قتل أهل النهروان، فكأنّ الناس وجدوا في أنفسهم عليه من قتلهم، فقال عليه السلام: أيّها الناس إنّ النبيّ ﷺ قد حدّثنا

بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون فيه حتى يرجع السهم على فوقه، وأنّ آية ذلك أنّ فيهم رجلاً أسود مُخدَج اليد، إحدى يديه كثدي المرأة، بها حلمة كحلمة ثدي المرأة، حوله سبع هلبات، فالتمسوه فإنّي أراه فيهم. فالتمسوه فوجدوه في شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه فكبّر عليّ عليه السلام وقال: صدق الله ورسوله. وكان عليه السلام متقلّداً قوساً عربية فأخذها بيده، وجعل يطعن بها في مخدجته، وكبّر الناس حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون.

الرابعة: وروى[١] في كثير أبي الحسن البجلي ـ الأحمسي ـ مسنداً عنه قال: لمّا قتل عليّ عليه السلام أهل النهروان خطب فقال: ألا إنّ الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله حدّثني أنّ هؤلاء القوم يقولون الحق بأفواههم لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ألا وإنّ علامتهم ذو الخداجة. فطلبه الناس فلم يجدوا شيئاً فقال: عودوا فإنّي والله ما كذبت. ولا كذبت فعادوا فجيء به حتى أُلقي بين يديه، فنظرتُ إليه وفي يديه شعرات سود.

الخامسة: وروى[٢] في عباد بن نسيب أبي الوضيء مسنداً عنه قال: شهدت علياً عليه السلام يوم النهروان وهو يقول: اطلبوا المخدج فوالله ما كذبت ولا كذبت. ورواه ابن طلحة الشافعي عن مسند أبي داود ـ زاد ـ: قال أبو الوضيء: فكأنّي أنظر إلى المخدج: حبشي عليه قريطق، إحدى يديه مثل ثدي المرأة، عليها شعرات مثل ذنب اليربوع.

السادسة: وروى[٣] في عبدالله بن شدّاد بن الهاد مسنداً: أنّ عبدالله دخل

---

(١) الخطيب ١٢: ٤٨٠.

(٢) الخطيب ١١: ١٠١.

(٣) الخطيب ٩: ٤٧٤.

على عايشة مرجعه من العراق، ليالي قتل عليّ عليه السلام فقالت له: هل أنت صادقي عما اسألك؟ ما شيء بلغني عن أهل العراق يقولون: ذو الثدي ذوالثدي، هل رأيته وقمت مع عليّ عليه في القتلى؟ ـإلى أن قال ـ فدعا عليّ عليه السلام الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي. ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلّا ذاك ـ الخبر وفي النسخة سقط ـ.

السابعة: وروى[١] في أبي قتادة الأنصاري: أنّ علياً عليه السلام لمّا فرغ من قتال النهروان قفل أبو قتادة ومعه ستون أو سبعون من الأنصار، فبدأ بعايشة فقالت له: ماوراءك؟ فقال لها: لمّا تفرقت المحكمة من عسكره عليه السلام لحقناهم فقتلناهم ـإلى أن قال ـ فاقمنا ندور على القتلى حتى وقفت بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام راكبها، فقال: أقلبوا القتلى. فقلبناهم في نهر حتى خرج في آخرهم رجل أسود على كتفه مثل حلمة الثدي، فقال عليّ عليه السلام: «الله أكبر والله ما كذبت ولا كذبت، كنتُ مع النبيّ صلى الله عليه وآله وقد قسّم فيئاً، فجاء هذا فقال: يا محمد اعدل فو الله ما عدلت منذ اليوم. فقال: ثكلتك أُمّك ومَن يعدل إذا لم أعدل؟ فقال عمر: إلّا أقتله؟ قال: لا، دعه فإنّ له من يقتله» فقالت عايشة: يا أبا قتادة ما يمنعني ما بيني وبين عليّ أن أقول الحقّ: سمعتُ النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: تفترق أُمّتي على فرقتين تمرق بينهما فرقة: محلقون رؤوسهم، مُحفّون شواربهم، أُزرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبّهم إليّ وأحبهم إلى الله تعالى. قال أبو قتادة: فقلت: يا ام المؤمنين فأنت تعلمين هذا، فلِمَ كان الذي كان منك؟ قالت: وكان أمر الله قدرا مقدوراً وللقدر أسباب.

الثامنة: وروى[٢] في ابن عباس مسنداً عنه قال: لمّا أُصيب أهل

---

(١) الخطيب ١: ١٦٠.

(٢) الخطيب ١: ١٧٤.

النهروان خرج عليّ عليه السلام وأنا خلفه فجعل يقول: ويلكم التمسوه ـ يعني: المخدج ـ فالتمَسوه وقالوا: لم نجده. فعُرف ذلك في وجهه، فقال: ويلكم ضعوا عليهم القصب. فجاؤوا به فلمّا رآه خرّ ساجداً.

التاسعة: وروى[1] في أبي جحيفة السوائي مسنداً عنه قال: قال عليّ عليه السلام حين فرغنا من الحرورية: إنّ فيهم رجلاً مخدجاً ليس في عَضُده عظم، عضده حلمة كحلمة الثدي عليها شعرات طوال عقف. فالتمسوه فلم يوجد، وأنا في من يلتمس، فما رأيت علياً عليه السلام جزع جزعاً قط أشد من جزعه يومئذ، فقالوا: ما نجده. قال: ويلكم! ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان. قال: صدق الله ورسوله وكذبتم، إنّه لفيهم فالتمسوه. فالتمسناه في ساقية فنظرت إلى عضده: ليس فيها عظم، وعليها حلمة كحلمة ثدي المرأة، عليها شعرات طوال عقاف.

العاشرة: وروى[2] في عبدالله بن خباب مسنداً عن أبي الأحوص قال: كنّا مع عليّ عليه السلام يوم النهروان فجاءت الحرورية، فكانت من وراء النهر فقال: والله لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر ـ إلى أن قال ـ فمالبثوا أن قتلهم فقال: اطلبوا في القوم رجلاً يده كثدي المرأة. فطلبوه فقالوا: ما وجدنا. فقال: والله ما كذبت ولا كذبت، وإنّه لفي القوم. ثلاث مرّات يجيئونه فيقول لهم هذا القول، ثم قام هو بنفسه فجعل لا يمرّ بقتلى جميعاً إلّا بحثهم، فلا يجده فيهم حتى انتهى إلى حفرة من الأرض فيها قتلى كثير، فأمرهم فبحثوا فوجد فيهم.

وروى الطبري[3] عن عبدالملك بن أبي جرة: أنّ علياً خرج في طلب ذي

---

(١) الخطيب ١: ١٩٩.

(٢) الخطيب ١: ٢٠٥.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٨٨.

الثدية ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي ـأبو جبرة ـ والرّيان بن صبرة بن هودة، فوجده الريان في حفرة على شاطىء النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً فلمّا استخرج نظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة له حلمة عليها شعرات سود، فإذا مدّت امتدّت حتى تحاذي طول يده الأُخرى، ثم تترك فتعود إلى منكبه كثدي المرأة ....

وروى[1] عن أبي مريم قال: كان عليّ عليه السلام يحدثنا قبل خروج الحرورية إلى حروراء: أنّ قوماً يخرجون من الإسلام، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، علامتهم رجل مخدج اليد. سمعت ذلك مراراً وسمعه نافع المخدج أيضاً، حتى رأيته يتكرّه طعامه من كثرة ما سمعه يقول، وكان نافع معنا يصلّي في المسجد بالنهار ويبيت فيه بالليل، وقد كنت كسوته بُرنساً فلقيته من الغد فسألته: هل كان خرج مع الناس الذين خرجوا إلى حروراء؟ فقال: خرجت أُريدهم حتى إذا بلغت بني سعد، لقيني صبيان فنزعوا سلاحي وتلعّبوا بي فرجعت، حتى إذا كان الحول أو نحوه خرج أهل النهر وسار عليّ عليه السلام إليهم، فلم أخرج معه وخرج أخي أبو عبدالله فأخبرني: أنّ علياً عليه السلام سار إليهم حتى إذا كان حذاءهم على شط النهروان أرسل إليهم يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا؛ فلم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسوله، فلمّا رأى ذلك نهض إليهم فقاتلهم حتى فرغ منهم، ثم أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج فطلبوه ....

هذا، وصريح خبر الخطيب الأول كون ذي الثدية من الجنّ، ولم يره قبل أحد من الناس، وهو مفاد خبره السادس، ولكنّ خبره السابع تضمّن أنّه عليه السلام قال: إنّه جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وقت تقسيم فيء وقال له: ما عدلت. كما أنّ خبر

(١) تاريخ الطبري ٥: ٩١.

الطبري الثاني تضمّن أنّه كان مع الناس يُصلّي في المسجد واسمه نافع، ويمكن حمل الخبر الأخير من الخطيب على أنّه ظهر أيّام النبيّ ﷺ أيضاً وقتاً، ثم لم يُر بعد. وأمّا خبر الطبري الثاني فغير قابل للحمل، ورواه (سنن أبي داود)[1] مختصراً وقال: واسمه عند الناس حرقوس.

وروى أيضاً عن أبي سعيد الخدري قال: بعث عليّ عليه السلام إلى النبيّ ﷺ بذهية في تربتها، فقسمها بين الأقرع الحنظلي وعيينة الفزاري وزيد الخيل الطائي وعلقمة الكلابي، فغضبت قريش والأنصار وقالت: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا. فقال: إنّما اتالفهم فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتيء الجبين، كث اللحية، محلوق فقال: اتق الله يا محمّد. فقال: مَن يطع الله إذا عصيته؟ أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟ فسأل رجل قتله ـ احسبه خالد بن الوليد ـ فمنعه فلمّا ولّى قال: إنّ من ضئضي هذا ـ أو في عقب هذا ـ قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الاوثان، لئن أدركتهم قتلتهم قتل عاد.

«ولَئِن أذن الله في الكرة عليهم لأُديلن منهم» في (الصحاح): أدالنا الله من عدونا، من الدولة، والإدالة: الغلبة.

«إلّا ما يتشذّر في أطراف البلاد تشذّراً» أي: يتفرّق تفرّقاً، وليس (تشذرا) في نسخة ابن ميثم[2].

كتب معاوية ـ بعد قتل عثمان وانتقال الأمر إليه عليه السلام ـ إلى عبدالله بن عامر: وكأنّي بكم يا بني أُميّة شعارير كأوراق تقودها الحداة، أو كرخم

---

(١) السنن لأبي داود.

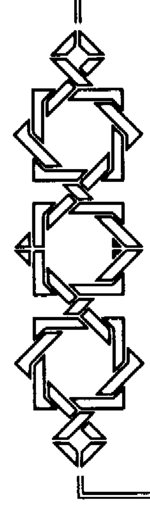
(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٣٠٦.

الخندمة تذرق خوف العقاب، فثب الآن قبل أن يستسري الفساد وندب السوط جديد والجرح لمّا يندمل، ومن قبل استضراء الأسد والتقاء لحييه على فريسته. وكتب إلى الوليد بن عقبة: فلو قد استتب هذا الأمر لمريده ألفيت كشريد النعام، يفزع من ظل الطائر، وعن قليل تشرب الرنق، وتستشعر الخوف.

ومرّ في (٧) من الفصل التاسع عنوانان، وفي (٨) منه عنوان، وفي (٩) عنوان.

الفصل الرابع والثلاثون

في ما يتعلق بالغارات



١
الخطبة (٢٥)

ومن خطبة له عليه السلام وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليمن، وهما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نِمْران لمّا غلب عليهما بسر بن أبي أرطاة، فقام عليه السلام على المنبر ضجراً بِتَثاقُل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له في الرأي، فقال:

مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ، أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا، إِنْ لَمْ تَكُوني إِلّا أَنْتِ، تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ، فَقَبَّحَكِ ٱللهُ.

وتمثّل بقول الشاعر:

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي   عَلَى وَضَرٍ ـ مِنْ ذَا الإِنَاءِ ـ قَلِيل

ثم قال عليه السلام:

انبِئْتُ بُسْراً قَدِ ٱطَّلَعَ اليَمَنَ، وَإِنِّي وَٱللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ

مِنكُمْ باجْتِماعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَـنْ حَـقِّكُمْ، وَبِـمَعْصِيَتِكُمْ إمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إمَامَهُمْ في ٱلْبَاطِلِ. وَبِأَدَائِهِم الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلَاحِهِمْ في بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ. فَـلَوِ ٱئْـتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ. ٱللَّهُم إِنِّي قَـدْ مَـلِلْتُهُمْ وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُوني، فَأَبْدِلْني بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بي شَـرّاً مِـنّي ٱللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كما يُمَاثُ الْمِلْحُ في ٱلْمَاءِ. أَمَا وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لي بِكُمْ أَلْفَ فارِسٍ مِنْ بَني فِرَاسِ بنِ غَنْمٍ:

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ ... فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ ٱلحَمِيمِ

* ثم نزل عليه السلام من المنبر.

قال الشّريف: «أقولُ: الأرْمِيَةُ جمع رَمِيٍّ، وَهو السـحابُ، وَالحـميمُ هاهنا: وَقتُ الصَّيفِ، وَإنّما خصَّ الشاعر سحابَ الصيفِ بـالذِّكـر لأنّه أشدُّ جفُولاً، وَأسرعُ خُفُوفاً لأنّه لا ماءَ فيه، وَإنّما يكون السحابُ ثَقِيلَ السَّيْرِ بالماءِ، وَذلك لا يكون في الأكثرِ إلّا زمانَ الشّتاءِ، وَإنّما أراد الشّاعر وَصفَهُمْ بـالسُّرْعةِ إذا دُعُـوا، وَالإغـاثةِ إذا ٱسْـتُغِيثُوا، وَالدليل على ذلك قوله: (هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ)».

أقول: رواها (مروج المسعودي)[1] مع اختلاف، روى عن المنقري عن عبدالعزيز بن الخطاب الكوفي عن فضيل بن مرزوق قال: لمّا غلب بسر على اليمن ـ وكان قتله لا بني عبيد الله بن العباس، ولأهل مكة والمدينة ما كان ـ قام عليّ عليه السلام خطيباً ثم قال: «إنّ بسر بن أرطاة قد غلب على اليمن، والله مـا أرى هؤلاء القوم إلّا سيغلبون على ما في أيديكم، وما ذلك بحق في أيديهم، ولكن بطاعتهم واستقامتهم (لمعاوية ـ ظ) ومعصيتكم لي، وتناصرهم وتخاذلكم،

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٤٢.

وإصلاح بلادهم وإفساد بلادكم، وتالله يا أهل الكوفة لوددت أنّي صرفتكم صرف الدنانير العشرة بواحد ـ ثم رفع يديه فقال ـ اللهم إنّي قد مللتهم وملّوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيراً وأبد لهم بي شرّاً مني. اللهم عجّل عليهم بالغلام الثقفي الذيال الميال، يأكل خضراها ويلبس فرواها ويحكم فيها بحكم الجاهلية، لا يقبل من مُحسنها ولا يتجاوز عن مسيئها» وما كان ولد الحجاج يومئذ.

وجعل البلاذري غارة بُسر الخامس من غارات معاوية، وروى عن أبي مخنف باسناده: أنّه عليه السلام لمّا بلغه خبر بسر صعد المنبر ثم قال: أمّا بعد فإنّي دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهراً، في الليل والنهار والغدو والآصال، فما زادكم دعائي إلّا فراراً وإدباراً، أما ينفعكم العظة والدعاء إلى الهدى؟ وإنّي لعالم بما يُصلحكم ويُقيم أودكم ولكنّي ـ والله ـ لا أرى إصلاحكم بفساد نفسي. إنّ من ذلّ المسلمين وهلاك هذا الدين أنّ ابن أبي سفيان يدعو الأشرار فيُجاب، وأدعوكم ـ وأنتم الأفضلون الأخيار ـ فتراوغون وتدافعون!

قول المصنف: «ومن خطبة له عليه السلام» وله عليه السلام خطبة أُخرى في مسير بسر إلى اليمن، رواها (الإرشاد)[1] فقال: ومن كلامه عليه السلام في استنفار القوم واستبطائهم عن الجهاد، وقد بلغه مسير بُسر إلى اليمن: «أمّا بعد أيّها الناس، فإنّ أوّل رفثكم وبدء نقضكم ذهابُ أُولي النُهى وأهل الرأي منكم، الذين كانوا يلقون فيصدقون، ويقولون فيعدلون، ويدعون فيجيبون، وإنّي والله قد دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهراً، وفي الليل والنهار والغدو والآصال، ما يزيدكم دعائي إلّا فراراً وإدباراً، اما ينفعكم العظة والدعاء إلى الهدى والحكمة؟ وإنّي لعالم بما يُصلحكم ويُقيم أودكم ولكنّي ـ والله ـ لا أُصلحكم

(١) الإرشاد: ١٤٥.

بفساد نفسي، ولكن أمهلوني قليلاً فكأنكم ـ والله ـ بامرئ قد جاءكم يحرمكم ويعذبكم، فيعذّبه الله كما يعذبكم! إنّ من ذل المسلمين وهلاك الدين أنّ ابن أبي سفيان يدعو الأرذال الأشرار فيُجاب، وأدعوكم ـ وأنتم الأفضلون الأخيار ـ فتراوغون وتدافعون! وما هذا بفعل المتقين»:

والظاهر أنّ هذه الخطبة كانت في أوّل مسير بُسر وخطبة المتن في آخره.

«وقد تواترت» قال ابن أبي الحديد[1]: عدّه بعضهم من أغلاط الخاصة. وقال: التواتر لا يكون إلّا مع فترات، فقوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى...﴾[2] ليس المراد أنّهم مترادفون، بل بين كل نبيين فترة لأنّ تترى: من الوتر.

قلت: ممّن قاله الثعالبي، وليس كما قال؛ ففي خبر نعي محمّد بن أبي بكر إليه عليه السلام حدثه الفزاري: أنّه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشراء من قبل عمرو بن العاص تترى ـ يتبع بعضها بعضاً ـ بفتح مصر وقتل محمّد.

وفي (الأغاني)[3] ـ قالت زوجة عبيد الله بن العباس في ابنيها اللذين قتلهما بُسر:

تتابع بين ولولة وبين مدامع تترى

«عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد» في (الطبري)[4]: في سنة (٣٩) كان تفريق معاوية جيوشه في أطراف عليّ عليه السلام فوجّه النعمان بن بشير في الفين إلى عين التمر، وبعث سفيان بن عوف في ستة آلاف إلى

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٣.
(٢) المؤمنون: ٤٤.
(٣) الأغاني ١٦: ٢٦٥.
(٤) تاريخ الطبري ٥: ١٣٣.

هيت والأنبار والمدائن، ووجّه عبدالله بن مَسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء، ووجّه الضحّاك بن قيس إلى واقصة والأعراب والثَعلبيّة والقَطقْطانة.

«وقدم عليه عاملاه على اليمن» الأوّل على صنعاء اليمن، والثاني على جند اليمن وجند أعظم من صنعاء.

«وهما عبيدالله بن عباس» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: (العباس) كما في (ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] والخطية).

وفي (الإستيعاب)[4]: كان عبيدالله أصغر من أخيه عبدالله بسنة، استعمله عليّ عليه السلام على اليمن وأمّره على الموسم، فحج بالناس سنة (٣٦) و(٣٧)، وكان أحد الأجواد وكان يقال: من أراد الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس. الجمال للفضل والفقه لعبدالله والسخاء لعبيد الله، وعبيد الله هو الذي ترك عسكر الحسن عليه السلام ولحق بمعاوية.

«وسعيد بن نِمران» كان سعيد من سبعة من أصحاب حُجْر نجوا من القتل، استشفع له إلى معاوية حمزة بن مالك، لكون كلّ منهما من همدان، فوهبه له.

وفي (الطبري)[5]: لمّا أقبل الأعور الذي بعثه معاوية لقتل حُجْر وأصحابه، قال كريم بن عفيف الخثعمي: حين رأى الأعور يقتل نصفنا وينجو نصفنا فقال سعيد بن نمران: اللهم اجعلني ممّن ينجو وأنت عنه راضٍ.

---

(١) المصرية ١: ٥٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٢.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٦.

(٤) الإستيعاب ٢: ٤٣٠.

(٥) تاريخ الطبري ٥: ٢٧٤.

وفي (الإستيعاب)[1]: كان سعيد كاتباً لعليّ عليه السلام.

«لمّا غلب عليهما» هكذا في (المصرية) والصواب: (عليها) أي: على اليمن كما في المدرك (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«بسر بن أبي أرطاة» كونه بسر بن أبي أرطاة في (الطبري[2] وانساب البلاذري). ورواه عن أبي مخنف، وبعضهم جعله ابن أرطاة.

وروى البلاذري: أنّ بسراً لمّا قتل عمرو بن أراكة ـ خليفة عبيد الله بن عباس على اليمن ـ قال أبوه:

لعمري لقد اردى ابن أرطاة فارساً بصنعاء كالليث الهزبر إلى اجر

وفي (الإستيعاب)[3]: بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة عويمر بن عمران من عامر بن لؤي.

وفيه ذكر ابن الكلبي في (صفينه): أنّ بسراً بارز علياً عليه السلام فطعنه عليّ عليه السلام فصرعه فكفّ عنه، كما عرض له عليه السلام مع عمرو بن العاص.

قال الحارث بن النضر السهمي:

أفي كل يومٍ فارس ليس ينتهي وعورته وسط العجاجة باديه

يكف لها عنه على سنانه ويضحك عنه في الخلاء معاويه

بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه وعورة بُسر مثلها حذو حاذيه

فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه

ولا تحمدا إلّا الحيا وخصاكما هما كانتا والله للنفس واقيه

وإنّما انصرف عليّ عليه السلام عنهما لأنّه كان يرى في قتال الباغين عليه ألّا

(١) الإستيعاب ٢: ١٤.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٣٩.

(٣) الإستيعاب ١: ١٥٤.

يتبع مدبراً، إلّا أنّ أبا حنيفة قال: ان انهزم الباغي إلى فئة أتبع وإلى غير فئة لم يُتبع.

قلت: لا يدري صاحب (الإستيعاب) ما يقول، فأبو حنيفة وغيره إنّما عرفوا أحكام جهاد الباغين من سيرته عليه السلام مع أهل الجمل وصفّين، فالنبيّ صلى الله عليه وآله لم يبيّن أحكامهم قولاً ولا اتّفق له ذلك فعلاً، وإنّما كف عن عمرو بن العاص وبسر بن ارطاة لانّهما كشفا دبرهما، لا أنّهما أدبرا من الحرب.

وفي (الإستيعاب)[1] عن أبي مخنف: لمّا توجّه بسر بن أرطاة إلى اليمن هرب عبيد الله، فأتى بسر بابني عبيد الله فذبحهما، فنال أُمّهما من ذلك أمر عظيم، فأنشأت تقول:

يا من أحس بابنيّ اللذين هما سمعي وعقلي فقلبي اليوم مزدهف
حدثت بسراً وما صدقت ما زعموا من فعلهم ومن الإثم الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابني مرهفة مشحوذة وكذاك الإثم يُقترف

ثم وسوست فكانت تقف في الموسم تنشد هذا الشعر، وتهيم على وجهها.

وفي (الأغاني)[2] قال الاصمعي: وسمع رجل من أهل اليمن ـ وقد قدم مكة ـ امرأة عبيد الله تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة بقولها: «يا من أحس...» فرقّ لها واتصل ببسر حتى وثق به، ثم احتال لقتل ابنيه فخرج بهما إلى وادي أوطاس، فقتلهما وهرب، وقال:

يا بسر بسر بني أرطاة ما طلعت شمس النهار ولا غابت على الناس
خير من الهاشميين الذين همو عين الهدى وسمام الأسوق القاس

(١) الإستيعاب ١: ١٥٦.
(٢) الأغاني ١٦: ٢٧٢.

مـــاذا أردت إلى طــفلي مــولّهة تبكي وتُنشد مَن انكلت في النـاس
إمّــا قــتلتهما ظــلما فـقد شـرقت من صاحبيك قناتي يـوم أوطـاس
فاشرب بكأسهما ثكلاً كما شَرِبت أمّ الصــبيين أو ذاق ابــن عـباس

وفي (المروج)(١): كان عليّ عليه السلام حين أُتاه خبر قتل بسر ابني عـبيدالله دعا على بسر فقال: اللهم اسلبه دينه وعقله. فخرف حتى ذهل عقله وكان لا يفارقه السيف، فجعل له سيف من خشب، وجعل في يديه زقّ مـنفوخ كـلمّا تخرّق أُبدل، فلم يزل يضـرب ذلك الزقّ بذلك السيف حتى مات ذاهـل العـقل يلعب بخرئه، وربّما كان يتناول ثم يقبل على من يراه فيقول: انـظروا كـيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيدالله. وكان ربّما شُدّت يداه إلى وراء منعاً من ذلك، فأنجى ذات يوم في مكانه ثم أهوى بفيه فتناول منه، فبادروا إلى منعه فقال: أنتم تمنعونني وعبدالرحمن وقثم ابني عبيدالله يطعماني. مات في أيام الوليد بن عبد الملك.

وفيه وفي (الأغاني)(٢): دخل عبيدالله يوماً على معاوية وعنده بسر بن أرطاة، فقال له عبيدالله: أنت قاتل الصبيين؟ قـال: نـعم. قـال: والله لوددت أنّ الأرض انبتتني عندك يومئذ. فقال له بسر: قد أنبتتك الساعة. فقال عبيدالله: ألا سيف؟ فقال: هاك سيفي. فلمّا أهوى عبيدالله إلى السيف ليتناوله قبض معاوية على يد عبيدالله قبل أن يقبض على السيف، ثم أقبل على بسر فقال: أخزاك الله من شيخ قد كبرت وذهل عقلك، تعمد إلى رجل موتور من بني هاشم فـتدفع إليه سيفك؟ إنّك لغافل عن قلوب بني هاشم؛ والله لو تمكن من السيف لبدأ بي قبلك. قال عبيدالله: ذلك والله أردت.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٧٢.

(٢) الأغاني ١٦: ٢٧٢.

قال ابن أبي الحديد[1]: إنّ الذي هاج معاوية على تسريح بُسر إلى اليمن: أنّ قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يُعظّمون قتله، ولكن لم يكن لهم رأس فبايعوا لعليّ عليه السلام على ما في أنفسهم، وعامله عليه السلام على صنعاء يومئذ عبيدالله، وعلى الجند سعيد، فلمّا اختلف الناس عليه بالعراق، وقتل محمّد بن أبي بكر بمصر، وكثرت غارات أهل الشام دعوا إلى الطلب بدم عثمان، فبلغ ذلك عبيدالله فأرسل إلى وجوههم فقال: ما الذي بلغني عنكم؟ قالوا: إنّا لم نزل ننكر قتل عثمان ونرى مجاهدة من سعى عليه. فحبسهم فكتبوا إلى من بالجند من أصحابهم، فثاروا بسعيد وأُخرجوه من الجند وأظهروا أمرهم، وخرج إليهم من كان بصنعاء وانضمّ إليهم كلّ من كان على رأيهم، ولحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم لكن ارادوا منع الصدقة، فالتقى عبيدالله وسعيد فقال عبيدالله لسعيد: لقد اجتمع هؤلاء وإنّهم لنا لمقاربون، وإن قاتلناهم لا ندري على مَن تكون الدبرة؟ فهلمّ فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بخبرهم فكتبا ذلك، فكتب عليه السلام إليهما:

أتاني كتابكما تذكران خروج هذه الخارجة وتعظّمان من شأنها صغيراً، وتكثّران من عددها قليلاً، وقد علمت أنّ نَخبَ أفئدتكما وصِغَر أنفسكما، وعدم ثبات رأيكما وسوء تدبيريكما هو الذي أفسد عليكما من لم يكن عليكما فاسداً، وجرّأ عليكما من كان عن لقائكما جباناً، فإذا قدِم رسولي عليكما فامضيا إلى القوم حتى تُقرئا عليهم كتابي، وتدعواهم إلى حظهم وتقوى ربهم، فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم، وان حاربوا استعنا بالله عليهم ونابذناهم على سواء، إنّ الله لا يحب الخائنين.

قالوا: وقال عليه السلام ليزيد بن قيس الأرحبي: ألا ترى إلى ما صنع قومك؟

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢.

فقال: إنّ ظنّي بقومي لحسن في طاعتك، فإن شئت خرجتُ إليهم فكففتهم، وإن شئت كتبتُ إليهم فننظر ما يجيبون؟ وكتب عليه السلام إليهم: من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى من شاقّ وغدر من أهل الجند وصنعاء؛ أمّا بعد، فإنّي أحمد الله الذي لا إله إلّا هو الذي لا يعقب له حكم، ولا يرد له قضاء ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين، وقد بلغني تجرّيكم وشقاقكم وإعراضكم عن دينكم بعد الطاعة وإعطاء البيعة، فسألت أهل الدين الخالص والورع الصادق واللب الراجح، عن بدء محرككم وما نويتم به وما أحمشكم له، فحُدثت عن ذلك بما لم أرَ لكم في شيء منه عذراً مبيناً، ولا مقالاً جميلاً ولا حجة ظاهرة، فإذا أتاكم رسولي فتفرقوا وانصرفوا إلى رحالكم، أعف عنكم وأصفح عن جاهلكم وأحفظ قاصيكم وأعمل فيكم بحكم الكتاب، فإن لم تفعلوا فاستعدوا لعدو من جيش جمّ الفرسان، عظيم الأركان يقصد لمن طغى وعصى فتُطحنوا كطحن الرحى، فمن أحسن فلنفسه ومن اساء فعليها ﴿...وما ربك بظلّام للعبيد﴾[1].

ووجّه الكتاب مع رجل من همدان فقدم عليهم بالكتاب فلم يجيبوه إلى خير، فقال لهم: إنّي تركت أمير المؤمنين عليه السلام يريد أن يوجّه إليكم يزيد بن قيس الأرحبي في جيش كثيف، فلم يمنعه إلّا انتظار جوابكم، فقالوا: نحن سامعون مطيعون إن عزل عنا هذين الرجلين: عبيدالله وسعيد. فرجع وأخبره عليه السلام.

قالوا وكتب تلك العصابة ـ حين جاءهم كتاب عليّ عليه السلام ـ إلى معاوية يخبرونه، وكتبوا في كتابهم:

معاوي ألّا تُسرع السير نحونا ... نبايع علياً أو يزيدَ اليمانيا

فلمّا قدِم كتابهم دعا بُسر بن أبي أرطاة ـ وكان قاسي القلب فظاً غليظاً سفّاكاً للدماء، لا رأفة عنده ولا رحمة ـ فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة

---

(١) فصّلت: ٤٦.

ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة عليّ إلّا بسطت عليهم لسانك، حتى يروا أنّهم لا نجاء لهم وأنّك محيط بهم، ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة عليّ حيث كانوا.

قال: وروى الثقفي[1] عن نمير بن وعلة عن أبي وداك قال: كنت عند عليّ عليه السلام حين قدم عليه سعيد فعتب عليه وعلى عبيدالله ألّا يكونا قاتلا بسراً، فقال سعيد: قد والله قاتلت ولكن ابن العباس خذلني وأبى أن يقاتل، ولقد خلوت به حين دنا منه بسر فقلت: إنّ ابن عمك لا يرضى مني ومنك بدون الجدّ في قتالهم. قال: لا والله ما لنا بهم من طاقة. فقمت في الناس وقلت: من كان في طاعتنا فإليّ. فأجابني منهم عصابة فقاتلت بهم قتالا ضعيفاً، وتفرّق الناس عني فانصرفت.

قال: وقال الثقفي[2]: روى عوانة عن الكلبي: أنّ بسراً لمّا خرج من المدينة إلى مكة قتل في طريقه رجالاً وأخذ أموالاً، وبلغ أهل مكة خبره فتنحى عنها عامّة أهلها، وتراضى الناس بشيبة بن عثمان أميراً لمّا خرج قثم بن العباس ـ عامل عليّ عليه السلام ـ عنها هارباً، فدخل مكة وخطبهم وقال: الحمد لله الذي أعزّ دعوتنا وأذلّ عدونا بالقتل والتشريد، هذا ابن أبي طالب بناحية العراق في ضنك وضيق قد ابتلاه الله بخطيئته وسلمه بجريرته، فتفرق عنه أصحابه ناقمين عليه وولي الأمر معاوية الطالب بدم عثمان فبايعوا. ووجه رجلاً من قريش إلى تباله وبها قوم من شيعة عليّ عليه السلام، وامر بقتلهم فأخذهم وكُلّم فيهم وقيل له: هؤلاء قومك فكفّ عنهم حتى نأتيك بكتاب من بسر بأمانهم. فحبسهم وخرج منيع الباهلي من عندهم إلى بسر وهو بالطائف

---

(١) الغارات للثقفي ٢: ٦١٩.

(٢) الغارات للثقفي ٢: ٦٠٨.

يستشفع إليه فيهم، فتحمّل عليه بقوم من الطائف فكلّموه فيهم وسألوه الكتاب بإطلاقهم، فوعدهم ومطلهم بالكتاب حتى ظن أنّه قتلهم القرشي المبعوث لقتلهم، وأنّ كتابه لا يصل إليهم حتى يقتلوا، ثم كتب لهم، فأتى منيع منزله وكان قد نزل على امرأة بالطائف ورحله عندها، فلم يجدها في منزلها فوطا على ناقته بردائه وركب، فسار يوم الجمعة وليلة السبت لم ينزل عن راحلته قط فأتاهم ضحوة وقد أخرج القوم ليقتلوا واستُبطئ كتاب بسر فيهم، فقُدّم رجل منهم فضربه شامي فانقطع سيفه، فقال الشاميون بعضهم لبعض: شيموا سيوفكم حتى تلين فهزوها. وتبصّر منيع الباهلي بريق السيوف فالمع بثوبه، فقال القوم: هذا راكب عنده خبر فكفوا. وقام به بعيره فنزل عنه وجاء على رجليه يشدو، فدفع الكتاب إليهم فأُطلقوا. وكان الرجل المُقدّم الذي ضُرب فانكسر السيف: أخاه.

وخرج بسر من الطائف حتى مرّ ببني كنانة وفيهم ابنا عبيدالله بن العباس وأُمّهما فطلبهما، فدخل رجل من بني كنانة ـ كان أبوهما أوصاه بهما ـ فأخذ السيف من بيته فخرج فقال له: بسر ما كنا أردنا قتلك فلِمَ عرّضت نفسك للقتل؟ قال: أُقتل دون جاري اعذر لي عندالله والناس. ثمّ شدّ على أصحاب بسر حاسراً وهو يرتجز:

آليت لا يمنع حافات الدار ... ولا يموت مصلتاً دون الجار

الّا فتى أروع غير غدّار

فضارب بسيفه حتى قُتل، ثم قدّم الغلامان فقتلا، فخرج نسوة من بني كنانة فقالت امرأة منهن: هذه الرجال تقتلها، فما بال الولدان؟ فو الله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام، والله إنّ سلطاناً لا يشتدّ إلّا بقتل الضرع الضعيف والشيخ الكبير، ورفع الرحمة وقطع الأرحام، لسلطان سوء. فقال

بسر: والله لهممت أن أضع فيكن السيف. قالت: والله إنّه لأحبّ إليّ إن فعلت.

وأتى نجران فقتل عبدالله بن عبد المدان وكان صهر العبيد الله بن العباس، وقتل ابنه مالكا ثمّ جمعهم وقال: يا أهل نجران يا معشر النصارى وإخوان القرود! أما والله إن بلغني عنكم ما أكره، لأعودنّ إليكم بالتي يقطع النسل ويُهلك الحرث وتخرب الديار.

ثم سار حتى أتى أرحب فقتل أبا كرب وكان يتشيع، ويقال: إنّه سيد من كان بالبادية من همدان؛ فقدّمه فقتله.

وأتى صنعاء وقد خرج عنها عبيدالله واستخلف عليها عمرو بن أراكة الثقفي، فمنع بسراً من دخوله وقاتله، فقتله بسر ودخل فقتل منها قوماً، وأتاه وفد مأرب فقتلهم، فلم ينج منهم إلّا رجل واحد رجع إلى قومه وقال: «انعى قتلانا شيوخاً وشباناً».

ثمّ خرج من صنعاء فأتى أهل حبسان ـ وهم شيعة عليّ عليه السلام ـ فقاتلهم وقاتلوه، فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً.

ثمّ رجع إلى صنعاء فقتل بها مائة شيخ من ابناء فارس، لإنّ ابني عبيدالله كانا مستترين في بيت امرأة من أبناء فارس تُعرف بابنة بزرج. وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً، وحرق قوماً بالنار.

قال ابن أبي الحديد[1]: كان مسلم بن عقبة ليزيد وما عمل بالمدينة في وقعة الحرة، كما كان بسر لمعاوية وما عمل في الحجاز واليمن «ومن أشبه اباه فما ظلم».

قلت: ومعاوية أشبه صدّيقهم وفاروقهم؛ فكتب إلى محمد بن أبي بكر

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨.

ـكما في (المروج)[١] وغيره ـ: وقد كنّا وأبوك معنا في حياة نبيّنا نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا وفضله مبرزا علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده وأتمّ له ما وعده وأظهر دعوته وافلج حجته قبضه إليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه وخالفه وعلى ذلك اتّفقا واتّسقا، ثم دعواه إلى انفسهما فابطأ عنهما وتلكّأ عليهما، فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم فبايع وسلّم لهما، ولا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضا وانقضى أمرهما ـإلى أن قال ـ فخذ حذرك ـيابن أبي بكر ـوقس شبرك بفترك تقصر من أن توازي من تزن الجبال حلمه، الذي أبوك مهد مهاده وبنى ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله، وإن يكن جوراً فأبوك أسّه ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا وبفعله اقتدينا، ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب وأسلمنا له، لكنّا رأينا أباك فعل ذلك فاحتذينا بمثاله واقتدينا بفعاله، فعب أباك ما بدا لك أو دع.

وفي (الإستيعاب)[٢]: ذكر أبو عمرو الشيباني أنّ بسراً في هذه الخرجة أغار على همدان وقتل وسبى نساءهم، فكن أوّل مسلمات سُبين في الإسلام.

وروى (الإستيعاب) مسنداً عن أبي الرباب وصاحب له: أنّهما سمعا أباذر يتعوّذ في صلاة صلّاها، فسألناه مم تعوذت؟ فقال: من يوم البلاء ويوم العورة ـإلى أن قال ـ وأمّا يوم العورة فإنّ نساء من المسلمات يُسبين فيكشف عن سوقهن، فأيتهن كانت أعظم ساقاً اشتُريت على عِظَم ساقها، فدعوت الله ألّا يدركني هذا الزمان، ولعلكما تدركانه. قالا: فقتل عثمان ثم أرسل معاوية بسراً إلى اليمن، فسبى نساء من المسلمات فأقمن في السوق.

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢١.

(٢) الإستيعاب ١: ١٥٧.

وفي (الطبري)[1]: ممّا كان في سنة أربعين توجيه معاويه بسراً في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز، فذكر عن زياد البكائي عن عوانة قال: أرسل معاويه بعد تحكيم الحكمين بسراً ـ وهو رجل من بني عامر بن لؤي ـ في جيش فسار حتى قدم المدينة، وعامل عليّ عليه السلام على المدينة يومئذ أبو أيوب ففرّ وأتى الكوفة، فصعد بسر منبر المدينة ونادى: يا دينار يا نجار يا زريق شيخي شيخي! عهدي به بالامس فأين هو؟ ـ يعني عثمان ـ.

ثمّ قال: يا أهل المدينة لولا ما عهد اليّ معاوية ما تركت بها محتلماً إلّا قتلته. ثم بايع أهل المدينة، وأرسل إلى بني سلمة فقال: مالكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبدالله. فانطلق جابر إلى أُمّ سلمة وقال لها: ماذا ترين، خشيت أن أُقتل وهذه بيعة ضلالة؟ قالت: أرى أن تُبايع. فإنّي قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع، وأمرت ختني عبدالله بن زمعة أن يبايع. فأتاه جابر فبايعه؛ وهدم بسر دوراً بالمدينة ثم مضى حتى أتى مكة ـ إلى أن قال ـ ولقي بسر ثقل عبيدالله باليمن فذبح ابنيه، وقيل: وجدهما عند رجل من بني كنانة من أهل البادية، فلمّا أراد قتلهما قال الكناني: إن كنت قاتلهما فاقتلني معهما. قال: أفعل. فبدأ به ثم بهما، وقيل: إنّ الكناني قاتل عنهما حتى قُتل.

وقَتل في مسيره ذلك جماعة كثيره من شيعة عليّ عليه السلام باليمن، وبلغ علياً عليه السلام خبر بسر فوجّه جارية بن قدامة في ألفين، ووهب بن مسعود في ألفين، فسار جارية حتى أتى نجران فحرق بها، وأخذ ناساً من شيعة عثمان فقتلهم، وهرب بسر وأصحابه منه واتبعهم حتى بلغ مكة، فقال لهم: بايعونا. فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع؟

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٣٩.

وفي (الأغاني)[١]: ومضى بسر من المدينة إلى مكة فقتل نفراً من آل أبي لهب، ثم أتى السراة فقتل من بها من أصحابه، وأتى نجران فقتل عبدالله بن عبد المدان الحارثي وابنه، وكانا من أصهار عبيدالله بن عباس ـ إلى أن قال ـ فسرّح عليّ عليه السلام جارية بن قدامة السعدي في طلبه فخرج مسرعاً، فلمّا وصل المدينة انتهى إليه قتل عليّ عليه السلام ومعه الحسن عليه السلام، فركب في السلاح ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن عليه السلام فامتنعوا، فقال: والله لتبايعن ولو باستاهكم. فلمّا رأى أهل المدينة ذلك بايعوا الحسن عليه السلام....

«فقام عليه السلام على المنبر» هكذا في المصرية[٢] والصواب: (إلى المنبر) كما في (ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم)[٤].

«ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم في الرأي» قال ابن أبي الحديد[٥]: روى (غارات الثقفي)[٦] عن يزيد بن جابر الأزدي قال: سمعت عبدالرحمن بن مسعدة الفزاري يحدث في خلافة عبدالملك قال: لمّا دخلت سنة أربعين تحدّث الناس بالشام أنّ علياً يستنفر الناس بالعراق فلا ينفرون، وتذاكروا أن قد اختلفت اهواؤهم ووقعت الفرقة بينهم، فقمت في نفر من أهل الشام إلى الوليد بن عقبة فقلنا له: إنّ الناس لا يشكّون في اختلاف الناس على عليّ بالعراق، فادخل إلى صاحبك فمرّه فليسر بنا إليهم قبل أن يجتمعوا بعد تفرقهم، أو يصلح لصاحبهم ما قد فسد عليه من أمره. فقال: لقد قاولته في ذلك

---

(١) الأغاني ١٦: ٢٧١.
(٢) الطبعة المصرية ١: ٥٩.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٢.
(٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٦.
(٦) الغارات للثقفي ٢: ٥٩٩.

وراجعته حتى لقد برم بي، وايم الله على ذلك ما ادع أن ابلغه ما مشيتم إليّ فيه. فدخل عليه فخبّره بمجيئنا إليه ومقالتنا له، فأذن لنا فدخلنا عليه فقلنا: هذا خبر في الناس سائر فشمّر واهتبل الفرصة، فإنّك لا تدري متى تقدر على عدوك. فقال: إنّ هؤلاء الذين يذكرون تفرّقهم على صاحبهم واختلاف أهوائهم لم يبلغ عندي بهم أن أكون أطمع في استيصالهم، وأن أسير إليهم مخاطراً بجندي لا أدري عليّ تكون الدائرة أم لي؟ فإيّاكم واستبطائي! فإنّي آخذ بكم في وجه هو أرفق وأبلغ في هلاكهم؛ قد شننت عليهم الغارات من كل جانب، فخيلي مرّة بالجزيرة ومرّة بالحجاز، وقد فتح الله ما بين ذلك: مصر، عزّ بفتحها وليّنا وأذل به عدوّنا وأشراف أهل العراق لمّا يرون من حسن صنيع الله لنا يأتوننا على قلائصهم في كل أيام، وهذا ممّا يُزيدكم وينقصهم ويقويكم ويُضعفهم، فلا تعجلوا فإنّي لو رأيت فرصة لا هتبلتها. فخرجنا من عنده ونحن نعرف الفضل في ما ذكر. وبعث عند خروجنا من عنده بسراً إلى اليمن وقال له: تمرّ بالمدينة ـ إلى أن قال ـ فقال الوليد: أشرنا على معاوية برأينا أن يسير إلى الكوفة، فبعث الجيش إلى المدينة، فمثلنا ومثله كما قال الأوّل: أُريها السّهى وتريني القمر. فبلغ ذلك معاوية وقال: والله لقد هممت بمساءة هذا الأحمق الذي لا يدري ولا يُحسن سياسة الأُمور.

«فقال» هو توكيد بعد قوله: «ومن خطبة له» وزاد ابن ميثم[1] وابن أبي الحديد[2]: «عليه السّلام» بعده.

قوله عليه السلام: «ما هي» أي: مملكتي أو بلادي؛ وقال ابن ميثم[3]: الضمير

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٢.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٩.

للكوفة ولا معنى له. هذا، وكذلك صار الأمر في أواخر العباسيين.

ففي (الدميري) في خلافة الراضي بن المقتدر: كانت البصرة وواسط والأهواز في يد عبدالله البريدي وأخويه، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه، والموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مضر في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد الاخشيد بن طغج، والمغرب وإفريقية في يد المهدي، والأندلس في يد بني أُمّية، وخراسان وما والاها في يد نصر بن أحمد الساماني، واليمامة وهجر والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، ولم يبق في يد الراضي سوى بغداد وما والاها.

«إلّا الكوفة» قال الحموي: سُمّيت الكوفة كوفة لا ستدارتها، أخذاً من قولهم: رأيت كوفاناً ـ بالضم والفتح ـ للرملة المستديرة، وقيل: لاجتماع الناس بها، من قولهم: تكوّف الرمل. وقيل: من قولهم: القوم في كوفان؛ أي: في بلاء وشرّ أو أمر يجمعهم. وقيل: من قولهم: اعطيت فلاناً كيفة، أي: قطعة، فأعلت، وقيل: سمّيت بجبل صغير في وسطها كان يقال له: كوفان، وعليه اختطت مهره موضعها. وقيل: سمّيت بموضعها لأنّ كلّ رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة. وقيل: لأنّ جبل ساتيدما يحيط بها كالكفاف عليها.

قلت: الأخير باطل قطعاً لأنّ (الكوف) غير (الكف) والثاني والثالث والرابع ظاهراً، فكلُّ بلد يجتمع فيه الناس ولم يكونوا في بلاء، ولا موجب لمعنى القطعة.

وفي (الجمهرة) قال المفضل: قال سعد: لمّا ارتاد للناس موضع الكوفة كوّفوا هذا الرمل، أي: نحّوا رمله.

في (المعجم) كتب عمر إلى سعد: أن اختط موضع المسجد الجامع على عدة مقاتلتكم؛ فخطّ على أربعين ألف إنسان، فلمّا قدم زياد زاد فيه عشرين

ألف إنسان، وجاء بالآجر وجاء بأساطينه من الأهواز، وذكر بشر مولى بني أُمّية قدر الكوفة فكانت ستة عشر ميلاً وثلثي ميل.

«أقبضها وأبسطها» قال ابن ميثم[١] ـ وتبعه الخوئي ـ: «أقبضها وأبسطها» خبر ثان لقوله: «ما هي» أو خبر لـ(أنا) محذوف.

قلت: بل بدل اشتمال لقوله: «الكوفة» نظير قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه...﴾[٢] ولو كان خبراً ثانياً لكان معنى «ما هي إلّا الكوفة» تاماً وليس كذلك، فكان تحت يده عليه السلام بلاد العراق والحجاز واليمن كلّها، فكيف يقول: «ما هي إلّا الكوفة» وإنّما المراد: ما هي إلّا قبض الكوفة وبسطها.

قال ابن ميثم[٣]: «أقبضها وأبسطها» كنايتان عن وجوه التصرف فيها.

قلت: بل كناية واحدة.

وقال الخوئي: يحتمل أن يكون المراد: عدم التمكن التام من التصرّف في الكوفة، كمن لا يقدر على لبس ثوب بل على قبضه وبسطه.

قلت: بل لا مجال لمّا ذكر، وإنّما المراد: أنّ استيلاءه التام منحصر بالكوفة مركزه، كما يشهد له قوله عليه السلام بعد: «ان لم تكوني إلّا أنت فقبحك الله» ولذا كان معاوية لا يجسر أن يغير عليها، كما في باقي البلاد ممّا بيده عليه السلام.

وقد عرفت في خبر الثقفي المتقدّم تصريح معاوية لمن أشار عليه بقصد الكوفة بذلك.

«إن لم تكوني إلّا أنت» في (الأغاني)[٤]: بعث معاوية بعد تحكيم الحكمين

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

(٢) البقرة: ٢١٧.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٩.

(٤) الأغاني ١٦: ٢٦٦.

بسر ابن أرطاة والضحّاك بن قيس الفهري وغيرهما كلّاً في جيش، وأمرهم ان يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعته عليه السلام وأصحابه، وأن يغيروا على ساير اعماله ويقتلوا أصحابه، ولا يكفّوا أيديهم عن النساء والصبيان.

«تهبّ أعاصيرك» جمع الإعصار: ريح تثير الغبار فترتفع إلى السماء كأنّه عمود؛ قال الشاعر في نعامة وظليم أرادا الرواح إلى بيضهما سريعاً:

إذا اجتهدا الترويح مداعجاجة   أعاصير ممّا تستثير خطاهما

والجملة معترضة لبيان مزيد عيبها، فإنّ هبوب الرياح والأعاصير دائماً في بلد عيب له، وقالوا إنّ قرية (اجر) ذات عيوب، منها: ريحها العاصفة، فقالوا: إذا جئت اجر فعجل، فإنّ فيه حجراً يبري وأسداً يفري وريحاً تذري.

وقال مطيع بن اياس في بغداد:

بلدة يمطر التراب على النّا   س كما يمطر السماء الرذاذا

«فقبّحك الله» أي: أبعدك الله؛ وقال ابن أبي الحديد[1]: معنى قوله عليه السلام: «ان لم تكوني إلّا أنت تهبّ أعاصيرك فقبّحك الله»: ان لم يكن لي من الدنيا ملك إلّا ملك الكوفة ذات الفتن والآراء المختلفة فأبعدها الله، شبّه عليه السلام ما كان يحدث من أهلها من الإختلاف والشقاق بالأعاصير لإثارتها التراب. وتبعه الخوئي.

وهو كما ترى، فجعله قوله عليه السلام: «تهب أعاصيرك» استعارة تحتاج إلى قرينة ولا قرينة.

«وتمثّل بقول الشاعر» كذا في (المصرية)[2] وهو غلط والصواب: (ثم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٢) الطبعة المصرية ١: ٦٠.

تمثل) بدون زيادة كما في (ابن أبي الحديد[١] وابن ميثم)[٢] وكذا (الخطية).

«لعمر أبيك الخير يا عمرو إنني على وضرٍ ـ من ذا الإناء ـ قليل» الوضر: الدسم؛ قال الشاعر:

أباريق لم يعلق بها وضر الزبد

وعن أبي عمرو: الوضر: ما يشمّه الإنسان من ريح يجده من طعام فاسد. و (قليل): صفة (وضر)، والأصل: على وضرٍ قليلٍ من هذا الإناء.

ولمّا عصى أهل قلعة اردمشت ـ قرب جزيرة ابن عمر شرقي دجلة الموصل على جبل الجودي ـ على المعتضد وتحصّنوا بها قصدها بنفسه، فلمّا افتتحها ـ بعد أن أعيت أصحابه ـ وشاهد قلّة دخلها أمر بخرابها، وأُنشد فيها:

إنّ أبا الوبر لصعب المقتنص   وهو إذا حصّل ريح في قفص

ونظير ما تمثّل به عليه السلام قول آخر:

وأصبحت من ليلى الغداة كناظر   مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

وقول الوزير المغربي:

كفى حزنا أنّي مقيم ببلدة   يعللني بعد الأحبة داهر

أي: عبده.

يحدّثني ممّا يجمّع عقله   أحاديث منها مستقيم وحائر

وقول الآخر:

وأصبحت من ليلى الغداة كقابضٍ   على الماء خانته فروج الأصابع

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٢.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

«ثم قال عليه السلام» ليست الفقرة في نسخة ابن ميثم[1].

«أُنبئت» أي: اخبرت.

«بُسراً قد اطلع» افتعل من (طلع) والأصل من قولهم: طلع الكوكب.

«اليمن، وإنّي والله لأظنّ أنّ» هكذا في (المصرية)[2] وكلمة (أنّ) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد[3] وابن ميثم والخطية).

«هؤلاء القوم» أي: أهل الشام.

«سيُدالون منكم» أي: يغلبونكم ويصير إليهم الدولة منكم.

«باجتماعهم على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم» في (صفين نصر)[4]: لمّا قُتل عثمان خرجت الرّكبان إلى الشام بقتله، فبينما معاوية إذ اقبل رجل متلفف فكشف عن وجهه وخاطبه بالامرة وقال: أتعرفني؟ قال: نعم، أنت الحجاج بن خزيمة، فأين تُريد؟ قال: إليك القربان أنعى إليك ابن عفّان، إنّك تقوى على عليّ بدون ما يقوى به عليك، لأنّ معك قوم لايقولون إذا قلت ولا يسألون إذا امرت، وأنّ مع عليّ قوم يقولون إذا قال ويسألون إذا أمر، فقليل ممّن معك خير من كثير ممّن معه.

وكتب ابن عامر إلى معاوية في حثه على الطلب بدم عثمان: إنّ الناس في هذا الأمر تسعة لك، وواحد عليك.

«وبمعصيتكم إمامكم في الحقّ وطاعتهم إمامهم في الباطل». في (صفّين نصر)[5]: بويع معاوية على الخلافة، فبايعه الناس على كتاب الله وسنة نبيّه

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

(٢) المصرية ١: ٦٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٢.

(٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٧٧.

(٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٨٠.

فأقبل مالك بن هبيرة الكندي فقام خطيباً ـ وكان غائباً من البيعة ـ فقال لمعاوية: أخرجت هذا الملك وأفسدت الناس وجعلت للسفهاء مقالاً، وقد علمت العرب أنّا حيّ فعال ولسنا بحي مقال، وأنّا نأتي بعظيم فعالنا على قليل مقالنا، فأبسط يدك أُبايعك على ما أحببنا وكرهنا. فكان أوّل العرب بايع عليها.

وقال الزبرقان السكوني في ذلك:

معاوي أخذت الخلافة بالتي ... شرطت فقد بوّى لك الملك مالك

ببيعة فصل ليس فيها غميزة ... ألا كلّ ملك ضمّه الشرط هالك

وكانت كبيت العنكبوت مذبذبا ... فأصبح محجوباً عليه الأرائك

وأصبح لا يرجوه راجٍ لعلّة ... ولا تنتحى فيه الرجال الصعالك

وما خير ملك يا معاوي مخدَج ... تجرّع فيه الغيظ والوجه حالك

إذا شاء ردته السكون وحمير ... وهمدان والحي الخفاف السكاسك

«وبادائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم» وزاد ابن أبي الحديد[1]: «لصاحبكم».

«وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم» في (كامل المبرد)[2]: قال معاوية أعنت على عليّ بأربع: كنتُ رجلاً أكتم سري وكان رجلا ظهرة، وكنتُ في أطوع جند وأصلحه وكان في أخبث جند وأعصاه، وتركته وأصحاب الجمل، وقلت: إن ظفروا به كانوا أهون عليّ منه، وإن ظفرَ بهم اعتدت بها عليه في دينه، وكنت أحب إلى قريش منه؛ فيالك من جامع لي ومفرّق عنه.

وفي (الطبري)[3]: بعث عليّ عليه السلام في اجتماع الحكمين أربعمائة رجل

---

(١) ابن أبي الحديد ١: ٣٣٢.

(٢) الكامل للمبرد ٢: ٢٣.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٦٧.

عليهم شريح بن هاني الحارثي، وبعث معهم ابن عباس وهو يصلّي بهم ويلي أمورهم، وأبو موسى معهم، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام حتى توافوا بدومة الجندل، فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدري بما جاء به ولا بما رجع به، ولا يسأله أهل الشام عن شيء؛ وإذا جاء رسول عليّ عليه السلام جاؤوا إلى ابن عباس فسألوه: ما كتب إليك؟ فإن كتم ظنوا به الظنون، وقالوا: ما نراه إلّا كتب بكذا وكذا. فقال لهم ابن عباس: أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم بما جاء به ويرجع لا يعلم بما رجع به، ولا يُسمع لهم صياح ولا لغط، وانتم عندي كلّ يوم تظنّون بي الظنون!

«فلو ائتمنت احدكم على قعبٍ» أي: قدح من خشب مقعّر. ومن أمثالهم:

اتاك ريان بقعب من لبن

«لخشيت أن يذهب بعلاقته» بالكسر، أي: حبله.

«اللّهمّ إنّي قد مللتهم» هكذا في (المصرية)[1] وسقط منها: «وملوني» كما يشهد به ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] و(الخطية).

«وسئمتهم وسئموني» في (مقاتل أبي الفرج)[4]: لمّا قرب أن يغلب أبو السرايا على هرثمة صاح هرثمة: يا أهل الكوفة إن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس، انصبوا إمامكم واتفقوا معنا نتناظر فيه، ولا تقتلونا وأنفسكم. فأمسك أهل الكوفة عن الحرب فغضب أبو السرايا وقال لهم: إنّ هذه حيلة منهم فاحملوا عليهم. فقالوا: لا يحلّ لنا قتالهم: فقال: يا أهل الكوفة يا قتلة عليّ

(١) الطبعة المصرية ١: ٦١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٢.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

(٤) المقاتل لأبي الفرج: ٣٦٣.

وخذلة الحسين إنّ المغتر بكم لمغرور، وإنّ المعتمد على نصركم لمخذول، وإنّ الذليل لمن اعززتموه، والله ما حمد عليّ أمركم في حمده ولا رضي مذهبكم، ولقد حكّمكم فحكمتم عليه، وائتمنكم وخنتم أمانته، ووثق بكم فحلتم عن ثقتة ثم لم تنفكّوا عليه مختلفين ولطاعته ناكثين؛ إن قام قعدتم وإن قعد قمتم، وإن تقدّم تأخّرتم وان تأخّر تقدمتم خلافاً عليه وعصياناً لأمره، حتى سبقت فيكم دعوته وخذلكم الله بخذلانكم إيّاه.

«فأبدلني بهم خيراً» عن (غارات الثقفي)[1] قال أبو صالح الحنفي: رأيت عليّاً عليه السلام يخطب وقد وضع المصحف على رأسه، حتى رأيت الورق يتقعقع على رأسه وهو يقول: اللهم قد منعوني ما فيه فأعطني ما فيه. اللهم قد أبغضتهم وأبغضوني ومللتهم وملوني، وحملوني على غير خُلُقي وطبيعتي، وأخلاق لم تكن تُعرف لي. اللهم فأبدلني بهم خيراً ....

«وأبدلهم بي شرّاً» في (تنبيه البكري) على (أوهام القالي) قال أبو العباس: كان عليّ عليه السلام يأخذ البيعة على أصحابه فجعلوا يقولون: نعام ـ يريدون نعم ـ: فقال عليّ عليه السلام: إنّ النعام والباقر في الصحراء لكثير، مالكم؟ أبدلكم الله مني من هو شرّ لكم منّي، وأبدلني الله منكم من هو خير لي منكم.

وفي خطبة أبي السرايا المتقدمة: اما والله لاستبدلن بكم قوماً يعرفون الله حق معرفته، ويحفظون محمداً صلى الله عليه وآله في عترته ـ ثم قال ـ:

ومارست أقطار البلاد فلم أجد ... لكم شبهاً في ما وطئت من الأرض
خلافاً وجهلاً وانتشار عزيمة ... ووهناً وعجزاً في الشدائد والخفض
لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة ... فلا فيكمُ راضٍ ولا فيكمُ مرضي
سأبعد داري عن قلى من دياركم ... فذوقوا إذا ولّيت عاقبة النقض

---

(١) الغارات للثقفي ٢: ٤٥٨.

ومرّ أنّ (المروج) روى: أنّه عليه السلام قال بعد قوله: «وأبدلهم بي شرّاً مني»: «اللهم عجّل عليهم بالغلام الثقفي الذيّال الميّال، يأكل خضراها ويلبس فرواها ويحكم فيها بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسنها ولا يتجاوز عن مسيئها» يعني عليه السلام: الحجّاج. وما كان الحجّاج ولد يومئذ.

قال ابن أبي الحديد[1]: بعد قوله عليه السلام: فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شرّاً منّي»: لم يكن خير فيهم ولا شرّ فيه عليه السلام، وإنّ أفعل هاهنا بمنزلة قوله تعالى: ﴿...أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة...﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿...أذلك خير أم جنة الخلد...﴾[3].

قلت: (أفعل) إذا كان بعده (من) يكون للافضلية لا غير، بخلاف ما إذا لم يكن، وفي الآيتين لم تكن (من) بخلاف كلامه عليه السلام، وإنّما كلامه عليه السلام بمنزلة قوله تعالى: ﴿وجزاء سيّئة مثلها...﴾[4]، مع أنّ الجزاء ليس بسيّئة، وإنّما أُطلق عليه السيّئة لكونه في شكل السيّئة وعلى صورتها، وحيث إنّه عليه السلام كان يكلّفهم بجهاد العدو ويؤنّبهم على تقاعدهم ـ وكان ذلك كلفة عليهم ـ فكأنّهم اعتقدوا أنّ فيه عليه السلام شرّاً بذلك، فدعا عليه السلام عليهم أن يبدّلهم الله منه عليه السلام بمن لم يقنع منهم على التحريض والتأنيب، بل ينكّلهم باقسام النكال، كزياد وابنه عبيدالله والحجاج وابن عمه يوسف بن عمر.

وأمّا قول ابن ميثم[5] والخوئي: «يحتمل أن يكون المراد بمن هو شرّ غيري» ففي غاية السقوط.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٧.

(٢) فصّلت: ٤٠.

(٣) الفرقان: ١٥.

(٤) الشورى: ٤٠.

(٥) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

«اللهم مث قلوبهم كما يُماث الملح في الماء» أي: كما يذاب فيه. اقتدى عليه السلام في الدعاء عليهم بنبيين: نوح عليه السلام حيث قال: ﴿...ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً﴾[1]، وموسى عليه السلام حيث قال: ﴿...ربّنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم...﴾[2]. وأشار أبو السرايا إلى دعائه عليه السلام عليهم في قوله:

لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة

كما مرّ، ويحتمل أن يكون أبو السرايا أشار إلى دعاء الحسين عليه السلام عليهم، فإنّه عليه السلام أيضاً دعا على أهل الكوفة كأبيه، ويُقرّ به مصراعه الأخير:

فلا فيكم راضٍ ولا فيكم مرضي.

فإنّه عليه السلام دعا عليهم بعدم رضاء الولاة عنهم.

«أما والله لوددت أنّ لي بكم ألف فارس» قال رجل من بني العنبر:

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا ... شنّوا الإغارة فرساناً وركبانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال بُرهانا
لكن يطيرون أشتاتا إذا فزعوا ... وينفرون إلى الغارات وحدانا

ومن هذه الأبيات:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذن لقام بنصري معشر خشن ... عند الكريهة إن ذو لوثة لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذَيْهِ لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا
لكنّ قومي ـ وإن كانوا ذوي عدد ـ ... ليسوا من الشرّ في شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأنّ ربك لم يخلق لخشيته ... سواهمُ من جميع الناس إنسانا

---

(١) نوح: ٢٦.

(٢) يونس: ٨٨.

وفي (اللسان) قال عبيد بن الأبرص:

دعا معاشر فاستكّت مسامعهم   يالهف نفسيَ لو يدعو بني أسد

وفي (الجمهرة) قال الراجز:

لقد علمت يا بن أُمّ صحصح   أنّنا إذا صيح بنا لم نبرح

حتى ترى جماجماً تطوح   إنّ الحديد بالحديد يقلح

أي: يشقّ ويقطع.

«من بني فرس» هكذا في (المصرية)[١] والصواب: (فراس) كما في (ابن أبي الحديد[٢] وابن ميثم[٣] والخطية).

«بن غنم» ـ بالفتح فالسكون ـ: حي في كنانة؛ وقال ابن قتيبة: ومن بني فراس بن غنم بنو القعقاع بن حكيم الذين يكونون بالبصرة، ومنهم بنو بحر الأطباء بالكوفة.

وفي (العقد)[٤]: وبنو مالك من كنانة بطن، منهم: جندل الطعان، ومن ولد جندل الطعان ربيعة بن مكدم، وهو أشجع بيت في العرب، وفيهم يقول عليّ عليه السلام لأهل الكوفة: «وددت ـ والله ـ أن لي بمائة ألف منكم ثلاثمائة من فراس بن غنم بن ثعلبة».

وفي (البيان)[٥]: قالت امرأة من غامد في هزيمة ربيعة بن مكدم لغامد وحده:

ألاهل أتاها على نايها   بما فضحت قومها غامد

---

(١) الطبعة المصرية ١: ٦١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٣.

(٣) ابن ميثم ٢: ١٧.

(٤) العقد ١: ١٠٥.

(٥) البيان ١: ٢٦٨.

تمنيتم مائتي فارس فردكم فارس واحد
فليت لنا بارتباط الخيول ضانا لها حالب قاعد

وربيعة بن مكدم هو الذي قالوا فيه: هو حامي الظعن حيّاً وميتا، ولم يحمِ ميت الحريمَ غيره؛ عرض له فارسان من بني سليم ومعه ظعائن من أهله يحميهم وحده، فطاعنهم فرماه أحدهما بسهم أصاب قلبه، فنصب رمحه في الأرض واعتمد عليه وهو ثابت في سرجه، وأشار إلى الظعائن بالرواح فسرن حتى بلغن بيوت الحي، وبنو سليم قائم بإزائه لا يقدمون عليه ويظنّونه حيّاً حتى قال قائل منهم: إنّي لا أراه إلّا ميتاً ولو كان حيّاً لتحرّك. فرموا فرسه بسهم فوثبت فوقع، وفاتتهم الظعائن.

هذا وفي السمعاني: فراس بن غنم بن مالك بن كنانة. مع أنّه فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة كما في (العقد).

وفي (ابن أبي الحديد)[1] في طبعين منه: «وبنو فراس بن غنم بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر» ولا معنى له، ولعل (بن خزيمة) مصحف (من خزيمة) بالميم، مع أنّه كالتعريف بالجنس البعيد، فإنّهم قالوا: إنّ فراسا من كنانة وهو جعله من أبيه خزيمة.

وفي (ابن ميثم): «وفراس ابن غنم بن تغلب بن وائل» وهو خطاء منه فإنّه من غنم كنانة لا غنم تغلب، ومنشأ خطئه اقتصار (الصحاح) على غنم تغلب.

وفي (الصحاح) و(القاموس) في (غنم): «وغنم ابن تغلب بن وائل» واقتصرا عليه وهو خبط، فلم ينحصر (غنم) بغنم تغلب؛ فقال السمعاني: غنم: اسم لعدة بطون من قبائل شتى. وعدّ منها غنم الأزد غنم بن دوس، وغنم طي

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٠.

غنم بن ثوب، وغنم الأنصار غنم بن سرى، وغنم أسد بن خزيمة غنم بن دودان، وغنم كندة غنم بن عوز.

وقال الجزري في (لبابه): فاته غنم الخزرج غنم بن مالك، وغنم عبدالقيس بن وديعة.

قلت: وفات الجزري أيضاً هذا غنم كنانة.

«هنا لك لو دعوك أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم»

كأنّ هنا سقطاً والأصل: (ثم تمثّل) كما في بيت قبله؛ قال ابن أبي الحديد[1] البيت لأبي جندب الهذلي، وأول الأبيات:

ألا يا أُمّ زنباع أقيمي صدور العيس نحو بني تميم

قلت: وفي (الأساس) أيضاً نسب البيت إلى أبي جندب الهذلي، وقريب من البيت قول الشاعر في نهار بن عامر من مراد:

لو كنت جار بني نهار لم ترم داري وقوتل دونها بسلاح

وقول سلامة بن جندل:

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظّنابيب

وقول بشامة النهشلي في وصف قومه:

إنّا بني نهشل لا ندعى لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا

إنّا لمن معشر أفنى أوائلَهم قيل الكماة ألا أين المحامونا

لو كان في الألف منا واحد فدعوا من فارس خالهم إيّاه يعنونا

قوله: «ثم نزل عليه السلام من المنبر» إنّما في (ابن ميثم)[2]: «ثم نزل».

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٤٨.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

في (تاريخ أعثم): لمّا أنّبهم عليه السلام فلم يجيبوه قال لهم: إنّي وإيّاكم كنوح وقومه كما حكى تعالى عنه: ﴿...ربّ إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدهم دعائي إلّا فراراً﴾[1]. مالكم صموت كالحوت ﴿إن شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون﴾[2].

«قال الشريف» هكذا في (المصرية)[3]، وفي (ابن أبي الحديد)[4]: «قال الرضي» وفي (ابن ميثم[5] والخطية): «قال السيد» وهو دليل على أنّ أصل الكلام ليس من المصنف.

«أقول» هكذا في (المصرية) وهو زائد، فليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«الأرمية جمع رمي وهو السحاب» وفي (الجمهرة): رمي: ضرب من سحاب الخريف سود؛ قال أبو ذؤيب الهذلي:

يمانية احيالها مظّ مائد وآل قراس صوب ارمية كحل

وقال الجوهري: الرّمي: السقيّ وهي السحابة العظيمة القطر، الشديدة الوقع من سحائب الحميم والخريف؛ قال أبو ذؤيب يصف عسلا يمانية: ـ ونقل بيت (الجمهرة) ـ.

وفي (الأساس): الرّمي: السحاب الخريفي العظيم القطر ـ ونقل بيت العنوان وبيتاً آخر:

حنين اليماني هاجه بعد سلوه وميضُ رميّ آخر الليل يبرق

---

(١) نوح: ٥ ـ ٦.

(٢) الأنفال: ٢٢.

(٣) الطبعة المصرية ١: ٦١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٣.

(٥) شرح ابن ميثم ٢: ١٨.

«والحميم هاهنا» ليس (هاهنا) في نسخة ابن ميثم.

«وقت الصيف» ويأتي بمعنى الماء الحار، كما في قوله تعالى: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾[١]، والصديق الصميمي، كما في قوله تعالى: ﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾[٢].

«وإنّما خصّ الشاعر سحاب الصيف بالذكر لانه أشد جفولا» أي: إسراعاً.

«وأسرع خفوفاً» أي: قلة.

«لأنّه لا ماء فيه» لكن عرفت أنّ الجوهري والزمخشري جعلا (الأرمية) سحاباً عظيم القطر، والأصح ما قاله المصنّف، ولا ينافيه كلام ابن دريد.

«وإنّما يكون السحاب ثقيل السير» هكذا في (المصرية)[٣] ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم): «ثقيلا» وإنّما نسب الأول «ثقيل السير» إلى نسخة.

«لامتلائه بالماء، وذلك لا يكون في الأكثر إلّا زمان الشتاء» هكذا في (المصرية)[٤] ولكن في (ابن أبي الحديد والخطية): «إلّا في أزمان الشتاء» وفي (ابن ميثم): «إلّا في الشتاء».

«وإنّما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا والإغاثة إذا استغيثوا، والدليل على ذلك قوله (هنالك لو دعوت أتاك منهم)» ليس في (ابن ميثم)[٥] قوله: «والدليل...» رأساً.

---

(١) الرحمن: ٤٤.

(٢) المعارج: ١٠.

(٣) الطبعة المصرية ١: ٦٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) شرح ابن ميثم ٢: ١٨.

٢
الخطبة (١١٧)

ومن كلام له عليه السلام وقد جمع الناس وحضّهم على الجهاد فسكتوا ملياً، فقال عليه السلام:

أَمُخْرَسُونَ أَنتُم؟

فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ. فقال عليه السلام:

مَا بَالُكُمْ لَاسُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ؟ أَفِي مِثْلِ هَـذَا يَـنْبَغِي أَنْ أَخْرُجَ؟ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شجعانكم وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ المِصْرَ وَالْـجُنْدَ وَبَـيْتَ المَـالِ وَجِـبَايَةَ ٱلْأَرْضِ وَٱلْقَضَاءَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ المُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى، أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ ٱلْقِدْحِ فِي ٱلْجَفِيرِ ٱلْفَارِغِ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحى تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُها ٱسْتَحَارَ مَدَارُهَـا، وَٱضْطَرَبَ ثِفَالُهَا، هَـذَا لَـعَمْرُ ٱللهِ الرَّأْيُ السُّـوءُ، وَٱللهِ لَـوْلَا رَجَـائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي ٱلْعَدُوَّ ـ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ ـ لَـقَرَّبْتُ رِكَـابِي ثُـمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ، فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا ٱخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ، إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ ٱجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ، لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ، مَنِ ٱسْتَقَامَ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ.

أقول: لم يتفطّن الشراح ابن أبي الحديد وغيره ـ أنّ هذا العنوان فـي أيّ غارة صدر، فقالوا: «قاله عليه السلام في بعض غارات أهل الشام على اطراف اعماله بالعراق»، وإنّما قاله عليه السلام في غارة بُسر على الحجاز.

ففي (غارات الثقفي)[1]: من حديث الكوفيين عن نمير بن وعلة عن أبي الوداك قال: قدم زرارة بن قيس فخبر علياً عليه السلام بالعدّة التي خرج فيها بسر، فصعد المنبر -إلى أن قال- «إنّ بسر بن أرطاة وجّه إلى الحجاز، وما بسر لينتدب إليه منكم عصابة حتى تردوه عن شننه، فإنّما خرج في ستمائة أو يزيدون. فسكت الناس ملياً لا ينطقون، فقال عليه السلام: «مالكم أمخرسون أنتم لا تتكلمون؟» فذكر عن الحرث بن حضيرة عن مسافر بن عفيف قال: قام أبو بردة بن عوف الأزدي فقال له: إن سرتَ سِرنا معك. فقال: «مالكم لا سُدّدتم لمقال الرشد؟ أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج؟ إنّما يخرج في مثل ذلك رجل ممّن ترضون من فرسانكم وشجعانكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق الناس، ثم أخرج في كتيبة أتبع أُخرى في الفلوات وشعف الجبال، هذا والله الرأي السوء، والله لولا رجائي (الشهادة -ظ) عند لقائهم -لو قد حُمّ لقاؤهم- لضربت ركابي ثم لشخصت عنكم، فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال، والله إنّ فراقكم لراحة للنفس والبدن». فقام إليه جارية بن قدامة السعدي فقال له عليه السلام: لا أعدمنا الله نفسك ولا أرانا فراقك، أنا لهؤلاء القوم فسرحني إليهم. قال: فتجهّز فإنّك ما علمتُ: ميمون النقيبة. وقام إليه وهب بن مسعود الخثعمي فقال له عليه السلام: أنا انتدب إليهم. فقال عليه السلام: فانتدب بارك الله فيك. فنزل ودعا جارية فأمره أن يسير إلى البصرة ويخرج منها في الفين، وندب مع الخثعمي من الكوفة ألفين وقال لهما: أخرجا في طلب بسر حتى تلحقاه، وأينما لحقتماه فناجزاه، فإذا التقيتما فجارية على الناس.

نقله في عنوان: «مسير جارية بن قدامة» في خبره الثاني، ورواه في

---

(١) الغارات للثقفي ٢: ٦٢٤.

خبره الأوّل عن الكلبي وأبي مخنف بلفظ أخصر، فروى عنهما: أنّه عليه السلام ندب الناس فتثاقلوا عنه فقال: «اتريدون أن أخرج بنفسي في كتيبة تتبع كتيبة في الفيافي والجبال؟ ذهب والله أُولو النهى والفضل الذين كانوا يدعون فيجيبون ويؤمرون فيطيعون، لقد هممت أن أخرج عنكم فلا أطلب بنصركم ما اختلف الجديدان».

قول المصنف: «ومن كلام له عليه السلام وقد جمع الناس وحضهم» أي: رغبهم.

«على الجهاد» مع سرايا معاوية في سرية بُسر.

«فسكتوا ملياً» أي: زمناً طويلا؛ قال تعالى: ﴿...واهجرني مليّاً﴾[1].

«فقال عليه السلام » توكيد بعد قوله: «ومن كلام له عليه السلام ».

قوله عليه السلام : «أمخرسون أنتم» أي: صرتم أخرسين، حيث لم يجيبوه عليه السلام بشيء.

«فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين إن سرت سرنا معك» قد عرفت من رواية الثقفي أنّ القائل له عليه السلام : «ان سرت سرنا معك» إنّما هو أبو بردة بن عوف الأزدي، وكان منافقاً يكاتب باخباره عليه السلام إلى معاوية كما في (صفين نصر بن مزاحم)[2].

«فقال عليه السلام : ما بالكم» وفي (ابن ميثم)[3]: «مالكم» وهو لفظ مستنده.

«لا سُدّدتم لرشد ولا هُديتم لقصد» حيث تشيرون عليَّ هكذا.

«أفي مثل هذا» خروج بسر من قبل معاوية.

---

(١) مريم: ٤٦ .

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤ .

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١٠ .

«ينبغي» وزاد ابن أبي الحديد[١] و (الخطية): «لي» وهو الموافق مستنده.

«أن أخرج» كما خرج عليه‌السلام في قبال طلحة والزبير، وفي قبال معاوية.

«إنّما يخرج في مثل هذا رجل ممّن أرضاه من شجعانكم» كجارية السعدي ووهب الخثعمي اللذين أجاباه إلى الخروج، ونظرائهما.

«ولا ينبغي لي أن أدع المصر والجند» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: (الجند والمصر) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[٣] والخطية) وكما في مستنده. والمراد بالمصر: الكوفة.

«وبيت المال» فيكون في معرض النّهب.

«وجباية الأرض» فتكون في معرض التّعطيل.

«والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين» فتصير أُمور الناس مختلّة؛ أدع جميع ذلك؟

«ثم أخرج في كتيبة» في (القاموس): الكتيبة: الجيش أو الجماعة المستخيرة من الخيل، أو جماعة الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف.

«أتبع أُخرى» أي: كتيبة أُخرى من العدو.

«أتقلقل» أي: اضطرب.

«تقلقل القدح» ـ بالكسر ـ: السهم قبل أن يُراش ويُركّب عليه نصله.

«في الجفير» في (القاموس): الجفير: جعبة من جلود لا خشب فيها، أو من خشب لا جلود فيها.

«الفارغ» أي: الخالي.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٨٥.

(٢) الطبعة المصرية ١: ٢٣١.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١١.

«وإنّما أنا قطب الرحى» استعارة عن كون مدار أُمور الناس عليه.

«تدور علي وأنا بمكاني» فما دام الوالي في المركز تكون أُمور المملكة منظمة.

«فإذا فارقتها» هكذا في (المصرية)[1] وهو غلط، والصواب: (فارقته) كما في (ابن أبي الحديد)[2] وابن ميثم[3] والخطية) أي: فارقت الرحى القطب.

«استحار» أي: صار حائراً.

«مدارها واضطرب ثفالها» بالكسر، أي: الحجر الأسفل من الرحى الذي يصبّ عليه الدّقيق.

«هذا لعمر الله الرأي السوء» رأيتموه لي.

«والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو» وكان عدوّه يومئذ معاوية.

«لو قد حُمّ» أي: قُدّر.

«لي لقاؤه» لكن لم يكن مقدّراً، فأراد عليه السلام الشخوص إليه وخرج عسكره إلى ظاهر البلاد، فضربه اللعين ابن ملجم.

«لقرّبت ركابي» الركاب: الإبل التي يُسار عليها.

«ثم شخصت» أي: ارتحلت.

«عنكم» إلى غيركم.

«فلا أطلبكم ماختلف جنوب وشمال» أي: أبد الآبدين.

ثم الغريب أنّ ابن ميثم اقتصر من العنوان إلى هنا، وأنّ ابن أبي الحديد[4] زاد على العنوان ـ بعد ما مرّ ـ: «طعّانين عيّابين حيّادين روّاغين».

---

(١) الطبعة المصرية ١: ٢٣١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٨٦.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٨٥.

ونسخة ابن ميثم وإن كانت بخط المصنّف ـ كما صرح به مراراً ـ لكن لا يبعد أنّها كانت النسخة الأولى، وأنّ ابن أبي الحديد نقل من نسخة ثانية ـ كتبها المصنّف ـ وزاد ونقّص.

وعليه فما زاده ابن أبي الحديد زيادة بيان لعلّة شخوصه عليه السلام عنهم وعدم طلبه عليه السلام لهم، بكونهم ذوي هذه الرذائل الأربع، مضافاً إلى ما يأتي من قوله عليه السلام.

«إنّه لا غناء في كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم» فرجلان متّفقان قلباً أكثر غناء من ألف مختلفين.

«لقد حملتكم على الطريق الواضح التي لا يهلك عليها» أي: على مخالفتها ومجاوزتها.

«إلّا هالك» كونه عليه السلام كذلك لا يحتاج إلى بيان، وقد أقرّ به عمر يوم شوراه.

وروى الخطيب[1] في (يوسف بن محمد بن علي) عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أُمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً عليه السلام وقالت: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة».

«من استقام فإلى الجنّة، ومن زلّ فإلى النار» ﴿فأمّا من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإنّ الجحيم هي المأوى * وأمّا مَن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[2].

(١) الخطيب ١٤: ٣٢١.

(٢) النازعات: ٣٧ ـ ٤١.

٣
الخطبة (٢٧)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ فَتَحَهُ ٱللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ ٱلتَّقْوى، وَدِرْعُ ٱللهِ ٱلْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ ٱلْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ ٱللهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ وَشَمِلَتْهُ ٱلْبَلَاءُ، وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَٱلْقَمَاءِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ، وَأُدِيلَ ٱلْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ ٱلْجِهَادِ، وَسِيمَ ٱلْخَسْفَ وَمُنِعَ ٱلنَّصَفَ. أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً وَسِرّاً وَإِعْلَاناً، وَقُلْتُ لَهُمْ: أغزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ ما غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا؛ فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ ٱلْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَوْطَانُ. وَهذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ ٱلْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ ٱلْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ٱلرَّجُلَ مِنْهُمْ يَدْخُلُ عَلَى ٱلْمَرْأَةِ ٱلْمُسْلِمَةِ وَٱلْأُخْرَى ٱلْمُعَاهِدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرُعَاثَهَا، مَا تَمْنع مِنْهُ إِلَّا بِالاسْتِرْجَاعِ، وَٱلاسْتِرْحَام ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَآفِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً، مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً، فَيَاعَجَباً وَاللهِ يُمِيتُ ٱلْقَلْبَ وَيَجْلِبُ ٱلْهَمَّ ٱجْتِمَاعُ، هَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى ٱللهُ وَتَرْضَوْنَ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ ٱلصَّيف قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمَارَّةُ ٱلْقَيْظِ، أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا ٱلْحَرُّ؛ وَإِذَا أَمَرْتُكمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي ٱلشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَّةُ ٱلْقُرِّ،

أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا ٱلْبَرْدُ. كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ ٱلحرِّ وَٱلْقُرِّ، فَأَنْتُمْ وَٱللهِ مِن ٱلسَّيْفِ أَفَرُّ! يَاأَشْبَاهَ ٱلرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ! حَلُومُ ٱلْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً ـ وَٱللهِ ـ جَرَّتْ نَدَماً وَأَعْقَبَتْ سَدَماً. قَاتَلَكُمُ ٱللهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ ٱلتَّهْمَامِ أَنْفَاساً، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَٱلْخِذْلَانِ حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ. لِلهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً، وَأَقْدَمُ فِيهَا مُقَاماً مِنِّي؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ ٱلْعِشْرِينَ، وَها أَنَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى ٱلسِّتِّينَ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ.

والحكمة (٢٦١)

بعد فصل غريبه: انقضى هذا الفصل ورجع إلى سنن الغرض الأول.

وقال عليه السلام ـ لمّا بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النُّخَيْلَة فأدركه الناس، وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم. فقال:

مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ، فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ؟ إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا وَإِنَّنِي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي، كَأَنَّنِيَ الْمَقُودُ وَهُمُ الْقَادَةُ، أَوِ الْمَوْزُوعُ وَهُمُ الْوَزَعَةُ!

فلمّا قال عليه السلام هذا القول ـ في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب ـ تقدّم إليه رجلان من أصحابه، فقال أحدهما: إنّي ﴿لا أملك إلّا نفسي وأخي﴾[1] فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين ننقد له. فقال عليه السلام:

---

(١) المائدة: ٢٥.

وأيْنَ تَقَعَانِ ممّا أُرِيدُ؟

أقول: رواه الخطيب في (تاريخ بغداده)[١] في عنوان (ربيعة بن ناجذ الأسدي)، ورواه البلاذري في (أنسابه) في عنوان (أمر الغارات بين علي ومعاوية)، فذكر الأوّل غارة الضحّاك بن قيس الفهري، وجعل غارة الغامدي هذا الثاني منها فقال: قالوا: ودعا معاوية سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي، فسرّحه في ستة آلاف من أهل الشام ذوي بأس، وأمره أن يلزم جانب الفرات الغربي حتى يأتي هيت، فيُغير على مسالح عليّ عليه السلام وأصحابه بها وبنواحيها، ثم يأتي الأنبار فيفعل بها مثل ذلك حتى ينتهي إلى المدائن، وحذّره أن يقرب الكوفة وقال له: إنّ الغارة تنخب قلوبهم وتكسر حدهم وتقوّي أنفس أوليائنا ومنتهم. فشخص سفيان في الستة آلاف المضمومين إليه، فلمّا بلغ أهل هيت قربه قطعوا الفرات إلى العبر الشرقي، فلم يجد بها أحداً، وأتى الأنبار فأغار عليها فقاتله من بها من قبل عليّ عليه السلام فأتى على كثير منهم وأخذ أموال الناس، وقتل أشرس بن حسان البكري عامل عليّ عليه السلام ثم انصرف، وأتى علياً عليه السلام علج فأخبره الخبر، وكان عليلاً لا يمكنه الخطبة فكتب كتاباً قرئ على الناس، وقد أدنى عليّ عليه السلام من السدة التي كان يخرج منها ليسمع القراءة، وكانت نسخة الكتاب: أمّا بعد، فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة...

وذكره (الأغاني)[٢] في عنوان (ذكر الخبر في مقتل ابني عبيدالله بن العباس) في جزئه الخامس عشر، وروى مسنداً عن أبيعمر الوقاصي: أنّ معاوية بعث إلى بسر بن أرطاة ـ بعد تحكيم الحكمين ـ وبعث معه جيشاً، ووجه برجل آخر من غامد ضم إليه جيشاً آخر، ووجه الضحّاك بن قيس

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب ٨ : ٤٢٠.

(٢) الأغاني ١٦: ٢٦٦.

الفهري في جيش آخر، وأمرهم: أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوا من شيعة عليّ عليه السلام وأصحابه، وأنْ يغيروا على ساير أعماله ويقتلوا أصحابه، ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان، فمرّ بسر لذلك على وجهه -إلى أن قال -وفعل مثل ذلك ساير من بعث، فقصد الغامدي إلى الأنبار -إلى أن روى مسنداً عن أبي صادقة - قال: أغارت خيل لمعاوية على الأنبار فقتلوا عاملاً لعليّ عليه السلام يقال له: حسّان بن حسّان، وقتلوا رجالاً كثيراً ونساء، فبلغ ذلك علياً عليه السلام فخرج حتى أتى المنبر فرقيه -إلى أن قال بعد ذكر خطبته عليه السلام - فقام إليه رجل وقال: أنا كما قال تعالى: ﴿...لا أملك إلّا نفسي وأخي...﴾[1] فمرنا بأمرك، فلنُطيعنّك ولو حال بيننا وبينك جمر الغضى وشوك القتاد. قال: وأين تبلغان ممّا أُريد؟

ورواه المبرّد في أوائل (كامله)[2] بعد ذكر كلمات عن النبيّ صلى الله عليه وآله ثم عن الثلاثة، فقال: وتحدّث ابن عايشة في اسناد ذكره: أنّ علياً رضي الله عنه انتهى إليه أنّ خيلاً لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عاملاً له، يقال له: حسّان بن حسّان؛ فخرج مغضباً يجر ثوبه حتى أتى النُّخيلة واتّبعه الناس، فرقى رَباوة من الأرض -إلى أن قال -: ولكن لا رأي لمن لا يطاع. -يقولها ثلاثاً - فقام إليه رجل ومعه أخوه -الرجل وأخوه يعرفان بابني عفيف من الأنصار - فقال: أنا وأخي هذا كما قال تعالى: ﴿...رب إنّي لا أملك إلّا نفسي وأخي...﴾ فمرنا بأمرك، فو الله لننتهين إليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضى وشوك القتاد. فدعا لهما بخير ثم قال لهما: وأين تقعان...

---

(١) المائدة: ٢٥.

(٢) الكامل للمبرد ١: ٢٢ ـ ٢٥.

ورواه إبراهيم الثقفي في (غاراته)[١] في عنوان: «غارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار، ولقيه أشرس بن حسّان البكري وسعيد بن قيس». وروى عن عبدالله بن يزيد عن أبي الكنود عن سفيان الغامدي قال: دعاني معاوية ـ إلى أن قال ـ وقتل صاحبهم في رجال من أصحابه.

ثم روى[٢] عن جندب بن عفيف قال: والله إنّي لفي جند الأنبار مع أشرس ابن حسّان البكري إذ صبحنا سفيان بن عوف ـ إلى أن قال ـ ثم نزل صاحبنا وهو يتلو ﴿...فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾[٣]. ثم قال لنا: من كان لايريد لقاء الله ولايطيب نفساً بالموت، فليخرج عن القرية مادمنا نقاتلهم، فإنّ قتالنا إيّاهم شاغل لهم عن طلب هارب، ومن أراد ما عندالله فما عند الله خير للابرار. ثمّ نزل في ثلاثين رجلاً. قال: فهممت والله بالنزول ثم إنّ نفسي أبت ...

ثمّ روى[٤] عن محمد بن مخنف: أنّ سفيان بن عوف لمّا أغار على الأنبار قدِم علج من أهلها على عليّ عليه السلام فأخبره الخبر فصعد المنبر فقال: أيّها الناس إنّ أخاكم البكري قد أُصيب بالأنبار وهو معتز لا يخاف ما كان، فاختار ما عندالله على الدنيا، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم ـ إلى أن قال ـ فلمّا رأى صمتهم نزل فخرج يمشي راجلاً حتّى أتى النّخيلة، والناس يمشون خلفه حتى أُحاط به قوم من أشرافهم فقالوا: ارجع نحن نكفيك. فقال: ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله وهو واجم كئيب، ودعا سعيد بن قيس الهمداني فبعثه من النّخيلة بثمانية آلاف ـ إلى أن قال ـ فلبث

---

(١) الغارات لإبراهيم الثقفي ٢: ٤٦٤ ـ ٤٦٨.

(٢) الغارات لإبراهيم الثقفي ٢: ٤٦٩.

(٣) الأحزاب: ٢٣.

(٤) الغارات لإبراهيم الثقفي ٢: ٤٧٠.

عليّ عليه السلام ترى فيه الكآبة والحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس، فكتب كتاباً، وكان في تلك الأيّام عليلاً فلم يُطق على القيام في الناس بكل ما أراد من القول، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد ومعه الحسنان عليهما السلام وعبدالله بن جعفر، فدعا سعداً مولاه فدفع الكتاب إليه فأمره أن يقرأه، فقام سعد بحيث يسمع عليّ عليه السلام قراءته وما يردّ عليه الناس -إلى أن قال فيه - أمّا بعد، فإنّي قد عاتبتكم في رشدكم حتى سئمت (و - ظ). ارجعتموني بالهزء من قولكم حتى برمت، هزء من القول لا يعاديه، وخطل لا يعز أهله، ولو وجدت بدّاً من خطابكم والعتاب إليكم ما فعلت، وهذا كتابي يُقرأ عليكم فردّوا خيراً وافعلوه، وما أظنّ أن تفعلوا، فالله المستعان، أيّها الناس إنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصة أوليائه -إلى أن قال - وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار فقتل بها أشرس بن حسّان -إلى أن قال - فأنتم والله من حرّ السيوف أفرّ، لا والذي نفس ابن أبي طالب بيده السيف تحيدون، فحتّى متى؟ وإلى متى يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الأحلام أحلام الأطفال! -إلى أن قال - فقام إليه رجل من الأزد يقال له: حبيب بن عفيف، آخذاً بيد ابن أخ له يقال له: عبدالرحمن بن عبدالله بن عفيف، فأقبل يمشي حتى استقبل أمير المؤمنين عليه السلام بباب السدة وقال: ها أنذا لا أملك إلّا نفسي وأخي فمرنا بأمرك....

ورواه الجاحظ في (بيانه)[1] في جزئه الثاني فقال: ومن خطب عليّ أيضاً عليه السلام: قالوا: أغار سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي على الأنبار، وعليها ابن حسّان أو حسّان البكري فقتله، وأزال تلك الخيل عن مسالحها، فخرج علي حتى جلس على باب السدّة ثم قال: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة -إلى - وقتل حسّان -أو ابن حسّان - البكري وأزال خيلكم عن

---

(١) البيان للجاحظ ٢: ٥١.

مسالحها، وقتل منكم رجالاً صالحين ـ إلى أن قال ـ فقام رجل من الأزد يُقال له فلان بن عفيف ثم أخذ بيد أخ له...

وذكره ابن قتيبة في (عيونه)[١] فقال: خطب عليه‌السلام حين قتل عامله بالأنبار فقال: يا عجباً من جدّ هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقكم! فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يُرمي...

وذكره أبو حنيفة الدينوري في (طواله)[٢] فقال ولمّا رأى عليّ عليه‌السلام تثاقل أهل الكوفة عن المسير معه إلى قتال أهل الشّام، وانتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار وقتلهم مسلحته بها والغارة عليها، كتب ودفع ما كتب إلى رجل يقرؤه يوم الجمعة إذا فرغوا من الصلاة: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة ـ إلى أن قال ـ وقتل ابن حسّان البكري...

وذكره ابن عبد ربه في (عقده)[٣] فقال: لمّا أغار سفيان بن عوف على الأنبار، وعليها حسّان البكري فقتله وأزال الخيل عن مسالحها، خرج عليّ عليه‌السلام حتى جلس على باب السدة ثم قال ـ بعد الحمد ـ: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة...

ورواه (الكافي)[٤] في الباب الأوّل من كتاب جهاده مسنداً عن أبي عبدالرحمن السّلمي، قال: قال أمير المؤمنين عليه‌السلام: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة ـ إلى أن قال ـ وقتل حسّان بن حسّان الكبري....

ورواه (معاني أخبار الصدوق)[٥] في بابه (١٦١) مسنداً عن ابن عايشة

---

(١) العيون لأبن قتيبة ٢: ٢٣٦.

(٢) الطوال للدينوري: ٢١١.

(٣) العقد لأبن عبد ربه ٤: ١٦٠.

(٤) الكافي ٥: ٤ ح ٦.

(٥) معاني الأخبار للصدوق: ٣٠٩.

باسناد ذكره: أنّ علياً عليه السلام أُنهي إليه أنّ خيلاً لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسّان بن حسّان، فخرج مغضباً يجر ثوبه حتى أتى النّخيلة واتّبعه الناس فرقى رباوة من الأرض ثم قال ـ بعد الحمد ـ: إنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة....

وروى (إرشاد المفيد)[١] كلاماً طويلاً عنه عليه السلام في عنوان: «فصل ومن كلامه عليه السلام في مقام آخر». وفيه: فقبحاً لكم يا أشباه الرّجال ولا رجال! حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال! ـ إلى أن قال ـ والله لوددت أنّي لم أعرفكم ولم تعرفوني، فإنّها معرفة جرّت ندماً، لقد وزئتم صدري غيظاً، وأفسدتم عليّ أمري بالخذلان والعصيان حتى لقد قالت قريش: إنّ علياً رجل شجاع لكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! هل كان فيهم أحد أطول لها مراساً منّي، وأشدّ لها مقاساة؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أناذا قد ذرفت على الستين ولكن لا أمر لمن لايُطاع، أما والله لودِدت أنّ ربي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه، وأنّ المنيّة لترصدني فما يمنع أشقاها أن يخضبها ـ وترك يده على رأسه ولحيته ـ عهداً عهده إلي النبي الأمّي ﴿...وقد خاب من افترى﴾[٢] ونجا من اتّقى وصدّق بالحسنى.

يا أهل الكوفة دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسرّاً وإعلاناً وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنّه ما غُزي قوم قطّ في عقر دارهم إلّا ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي واستصعب عليكم أمري، واتخذتموه وراءكم ظهريّا حتى شنت عليكم الغارات، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات، تُمسيكم وتُصبحكم كما فُعل بأهل المثلات من قبلكم، حيث أخبر

(١) الإرشاد للمفيد: ٢٧٩.

(٢) طه: ٦١.

الله عن الجبابرة العتاة الطغاة، والمستضعفين من الغواة في قوله عزّ وجلّ: ﴿...يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاءٌ من ربّكم عظيم﴾[١] ـإلى أن قال ـإذا قلتُ لكم: انفروا في الشتاء. قلتم: هذا أوان قر وصرد. وإن قلتُ لكم: انفروا في الصيف. قلتم: هذا حمارّة القيظ انظرنا ينصرم عنا الحرّ. كل ذلك فراراً عن الجنّة، إذا كنتم عن الحرّ والبرد تعجزون فأنتم ـوالله ـ عن حرارة السيف أعجز وأعجز، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، قد أتاني الصريخ يخبرني: أنّ أخا غامد قد نزل الأنبار على أهلها ليلاً في أربعة آلاف، فأغار عليهم كما يُغار على الروم والخزر، فقتل بها عاملي حسّان وقتل معه رجالاً صالحين ذوي فضل وعبادة ونجدة، بوّأ الله لهم جنات النعيم، وأنّه أباحها، ولقد بلغني أنّ العصبة من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأُخرى المعاهدة، فيهتكون سترها ويأخذون القناع من رأسها والخرص من أذنها والاوضاح من يديها ورجليها وعضديها والخلخال والميزر عن سوقها، فما تمتنع إلّا بالاسترجاع والنداء: يا للمسلمين! فلا يُغيثها مغيث ولا ينصرها ناصر، فلو أنّ مؤمناً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي ملوماً، بل كان عندي بارّاً محسناً، واعجبا كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقكم! قد صرتم غرضاً يُرمى ولا ترمون وتُغزون ولا تغزون، ويُعصى الله وترضون، تربت أيديكم، أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلّما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب.

«أمّا بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنه فتحه الله لخاصة اوليائه» روى (باب فضل جهاد الكافي)[٢]: أنّ النبيّ ﷺ قال: للجنة باب يقال له: باب

---

(١) البقرة: ٤٩.

(٢) الكافي ٥: ٢ح ٢.

المجاهدين، يمضون إليه، فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف، والملائكة ترحب بهم.

والجهاد معاملة ثمنها الجنّة، وقبالتها الكتب السماوية، ومسجلها هو تعالى عزّ اسمه، قال سبحانه ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[١].

«وهو لباس التقوى» في (الكافي)[٢] عن الصادق عليه السلام: أنّ الله تعالى بعث رسوله بالإسلام إلى النّاس عشر سنين، فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال، فالخير بالسّيف وتحت السّيف، والأمر يعود كما بدأ.

«ودرع الله الحصينة وجنّته الوثيقة» في (الكافي) عنه عليه السلام: أنّ الله تعالى فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصره وناصره، والله ما صلحت دنيا ولا دين إلّا به.

«فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذّل، وشملة» هكذا في (المصرية)[٣] والصواب: (وشمله) بلفظ الفعل والمفعول كما في (ابن أبي الحديد[٤] وابن ميثم[٥] والخطية).

«البلاء وديث» أي: ذُلل.

«بالصغار والقماء» أي: الذلة؛ في (الأغاني): ذكر مؤرج السدوسي أنّ

---

(١) التوبة: ١١١.

(٢) الكافي ٥: ٧ ح ٧.

(٣) الطبعة المصرية ١: ٦٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٤.

(٥) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩.

أعشى همدان كان في حرب ابن الأشعث شديد التحرض على الحجاج، فجال أهل العراق جولة ثم غاروا، فنزل الأعشى عن سرجه ونزعه عن فرسه، ونزع درعه فوضعها فوق السرج، ثم جلس عليها فأحدث والناس يرونه، ثم أقبل عليهم فقال لهم: لعلّكم أنكرتم ما صنعت؟ قالوا: أو ليس هذا موضع نكير؟ فقال: كلكم سلح في سرجه ودرعه خوفاً وفرقاً، ولكنكم سترتموه وأظهرته. ونسب بعضهم هذا العمل إلى ابن حلّزة اليشكري.

«وضرب على قلبه بالاسداد» هكذا في (المصرية) ومثله رواية (الكافي)[١]، ولكن في المدرك (ابن أبي الحديد وابن ميثم): «بالاسهاب»، فلابدّ كون النهج كذلك.

وفي (الجمهرة): أسهب الرجل من لدغ الحية، وهو ذهاب العقل، وليس في كلامهم (أفعل فهو مفعل) أي: بالفتح إلّا ثلاثة: أسهب هذا، وأفلج، وأحصن؛ قال الراجز:

فمات عطشاناً وعاش مسهباً.

«وأُديل الحقّ منه» أي: يجعل الكرّة للحق عليه؛ وفي مثل: يدال من البقاع كما يدال من الرجال.

«بتضييع الجهاد» أي: بسبب تضييعه له.

«وسيم الخسف» في (الصحاح): سامه الخسف، أي: أولاه الذّل.

ثم قد عرفت أنّ الجاحظ والدينوري نقلاه مثل المتن وكذا (الكافي) ورواه المبرد[٢] والصدوق[٣]، واسنادهما واحد عن ابن عايشة بلفظ: «ألبسه

(١) الكافي ٥: ٤ ح ٦.

(٢) المبرد ١: ٢٣.

(٣) معاني الأخبار للصدوق: ٣٠٩.

الله الذل وسيماء الخسف» وعليه يكون (سيماء) عطفاً على (الذل) كما أنّ ما كان بلفظ «وسيم» يكون عطفاً على (ألبسه).

ولذا قال المبرد: وسماعه سيماء، ومعناه العلامة، وأظنّه سيم.

وقول ابن أبي الحديد: «سماع المبرد غير مرضٍ» في غير محله، فإنّ سماعه إنّما يكون غير مرضٍ إذا كان بلفظ النهج وليس في روايته أيضاً بعده «ومنع منه النصف»، فاستدلاله لكونه (سيم) بافعال قبله وبعده كما ترى.

«ومنع النصف» أي: لا يُعمل معه بالانصاف.

«ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسرّاً وإعلاناً» هو نظير قول نوح عليه السلام: ﴿...ربّ إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾[1].

«وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم» ومن أمثالهم: تغد به قبل ان يتعشى بك.

«فوالله ما غزي قوم» وزاد ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] و (الخطية): «قط» ففي (المصرية)[4] سقط.

«في عقر» أي: أصل.

«دارهم إلّا ذلّوا فتواكلتم» أي: وكل هذا إلى ذاك، وذاك إلى هذا، فلم يتولّه أحد.

«وتخاذلتم حتى شنّت» أي: صبت، والأصل فيه: شن عليه الماء.

«الغارات عليكم» هكذا في (المصرية) والصواب: (عليكم الغارات) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

---

(١) نوح: ٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٤.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩.

(٤) الطبعة المصرية ١: ٦٤.

«وملكت عليكم الأوطان» ومنها مصر.

«وهذا» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن ميثم والخطية): «هذا» وفي (ابن أبي الحديد): «فهذا».

«أخو» بيان لهذا لا خبر.

«غامد» قد عرفت من رواية (العقد) أنّ الغامدي ذاك سفيان بن عوف، وقال المبرد[١]: كان سفيان من بني غامد بن نصر بن الأزد، وفي هذه القبيلة يقول القائل:

ألا هل أتاها على نايها … بما فضحت قومها غامد

تمنيتم مائتي فارس … فردكم فارس واحد

فليت لها بارتباط الخيول … ضانا لها حالب قاعد

وفي (الجمهرة) اختلفوا في اشتقاق غامد، فقال ابن الكلبي سُمّي به لأنّه تغمّد أمراً كان في عشيرته، فسمّاه ملك من ملوك حمير: غامداً. فقال غامد:

تغمّدت أمراً كان بين عشيرتي … فاسمّاني القيل الحضوري غامدا

وقال الأصمعي: سُمّي غامد من قولهم: غمدت البئر، إذا كثر ماؤها، وغمدت ليلتنا: إذا اظلمت، وأُنشد:

وليلة غامدة غمودا … ظلماء تغشي النجم والفرقودا

يعني: الفرقد.

«وقد وردت» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: (قد وردت) كما في (ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم[٤] والخطية) ولأنّه خبر: «وهذا اخو غامد».

---

(١) المبرد ١: ٢٦.

(٢) الطبعة المصرية ١: ٦٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٤.

(٤) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩.

«خيله الأنبار» في (المعجم): الأنبار: مدينة في غربي بغداد بعشرة فراسخ، وكان أول من عمّرها سابور ذو الإكتاف ثم جددها السفاح، فتحت أيام أبي‌بكر على يد خالد؛ قال البلاذري: مرّ عليّ عليه السلام بالأنبار فخرج إليه أهلها بالهدايا إلى معكسره فقال: اجمعوا الهدايا واجعلوها باجاً واحداً. ففعلوا فسمي موضع معسكره بالأنبار الباج إلى الآن.

وفي (الصحاح): باجاً واحداً، أي: ضرباً واحداً ولوناً واحداً.

«وقد قتل حسّان بن حسّان البكري» قال ابن أبي الحديد[١]: قال إبراهيم الثقفي[٢]: كان اسم عامل عليّ عليه السلام على مسلحة الأنبار أشرس بن حسّان.

قلت: لا خلاف في أنّ اسم أبيه حسّان، وأمّا اسمه فاختلف فيه بحسّان وأشرس، فخبر الثقفي الذي نقله ابن أبي الحديد[٣] وخبر عوانة الآتي وأنساب البلاذري وتاريخ أعثم كلها تضمن (أشرس).

وخبر ابن عايشة المروي في (كامل المبرد) و(معاني الصدوق) وخبر (الأغاني) ورواية (الكافي) كلها مثل النهج بلفظ حسّان بن حسّان، وكذا (الإرشاد) و(العقد) سمّياه حساناً، و(الأخبار الطوال) عبر عنه بابن حسّان، و(بيان الجاحظ) تردد فقال: حسّان أو ابن حسّان، و(الصحيح): أشرس، وأنّ الناقلين (حسّان) رأوا ابن حسّان فقرؤه (حسّان).

«وأزال خيلكم عن مسالحها» في (الصحاح): المسلحة: قوم ذوو سلاح، والمسلحة كالثغر والمرقب، وفي الحديث: كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨٥.

(٢) الغارات للثقفي ٢: ٤٦٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨٥.

«ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأُخرى المعاهدة فينتزع حجلها» أي: خلخالها.

«وقلبها» بالضم السوار؛ قال خالد بن يزيد:

تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا

«وقلائدها» جمع القلادة.

«ورعاثها» جع رعثة: القرط؛ وكان بشار الشاعر يلقب بالمرعث، لرعثة كانت له في صغره.

«ما تمنع» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: (ما تمتنع) كما في (ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] والخطية).

«إلّا بالاسترجاع» أي: قول ﴿...إنّا لله وأنا إليه راجعون﴾[4].

«والإسترحام» أي: طلب الترحم عليها؛ وقال ابن أبي الحديد[5] وابن ميثم: أي مناشدة الرحم. وهو كما ترى فلم يعلم رحم بين نساء الأنبار ورجال الشام حتى يناشدهم به.

«ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم» أي: جراحة.

«ولا اريق لهم» هكذا في (المصرية)[6] والصواب: (له) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية) دم.

---

(١) الطبعة المصرية ١: ٦٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٤.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩.

(٤) البقرة: ١٥٦.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٨.

(٦) الطبعة المصرية ١: ٦٥.

في (الطبري)[١] قال عوانة: وجّه معاوية سنة (٣٩) سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل، وأمره أن يأتي هيت فيقطعها وأن يغير عليها، ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها؛ فسار حتى اتى هيت فلم يجد بها أحداً، ثم أتى الأنبار وبها مسلحة لعليّ عليه السلام تكون خمسمائة رجل وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلّا مائة رجل، فقاتلهم فصبر لهم أصحاب عليّ عليه السلام مع قلّتهم، ثم حملت عليهم الخيل والرجّالة فقتلوا صاحب المسلحة، وهو أشرس بن حسّان البكري في ثلاثين رجلاً، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال واحتملوا، أموال أهلها ورجعوا -إلى أن قال- وسرّح عليّ عليه السلام سعيد بن قيس في أثر القوم، فخرج في طلبهم فلم يلحقهم فرجع.

وروى (غارات الثقفي)[٢] عن سفيان بن عوف الغامدي قال: دعاني معاوية فقال: إنّي باعثك في جيش كثيف ذي أداة وجلادة، فالزم جانب الفرات حتى تمرّ بهيت فتقطعها، فإن وجدت جنداً فأغر عليهم، وإلّا فامض حتّى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتّى توغل المدائن، ثم أقبل إلي واتق أن تقرب الكوفة، واعلم أنّك إن أغرت على الأنبار وأهل المدائن فكأنّك أغرت على الكوفة، إنّ هذه الغارات -يا سفيان- على أهل العراق تُرعب قلوبهم وتُفرح كلّ من له فينا هوى، ويدعو إلينا كلّ من له فينا هوى وخاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممّن ليس هو على مثل رأيك، وأخرب كلّ ما مررت به من القرى واحرب الأموال، فإنّ حرب الأموال شبيه بالقتل وهو أوجع للقلب. قال سفيان: فخرجت من عنده فعسكرت، وقام معاوية في الناس فخطبهم فقال: انتدبوا مع سفيان فإنّه وجه فيه أجر عظيم وسريعة أوبتكم. ثم نزل فما مرّت ثالثة حتى

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٣٤.

(٢) الغارات للثقفي ٢: ٤٦٤.

خرجتُ في ستة آلاف، ثم لزمت شاطئ الفرات فأغذذت السير حتى أمرّ بهيت، فبلغهم أنّي قد غشيتهم فقطعوا الفرات، فمررتُ بها وما بها غريب كأنها لم تحلل قط، فوطئتها حتى أمرّ بصندوداء ففروا فلم ألق بها أحداً، فأمضي حتى أفتتح الأنبار ـ وقد أُنذروا بي ـ فخرج صاحب المسلحة إليَّ فوقف لي فلم أقدم عليه، حتى أخذت غلماناً من أهل القرية فقلت لهم: أخبروني كم بالأنبار من أصحاب عليّ؟ قالوا: عدة رجال المسلحة خمسمائة ولكنهم قد تبددوا ورجعوا إلى الكوفة، ولا ندري الذي يكون فيها قد يكون مائتي رجل. فنزلت فكتّبت أصحابي كتائب ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة، فنقاتلهم ونطاردهم ويطاردون في الأزقة، فلمّا رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين وأتبعتهم الخيل، فلمّا حملت عليهم الخيل وأمامها الرجالة تمشي لم يكن شيء حتى تفرّقوا، وقتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلاً، وحملنا ما كان من الأنبار من الأموال ثم انصرفت، فوالله ما غزوت غزاة كانت أقرّ للعيون منها، وبلغني أنّها رعبت الناس؛ فلمّا عدت إلى معاوية حدّثته الحديث على وجهه، فقال: كنتَ عند ظنّي بك، لا تنزل في بلد من بلداني إلّا قضيت فيه ما يقضي أميره، وإن أحببت أن تولّاه وليتك. فما لبثنا إلّا يسيراً حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الإبل هرباً من عسكر علي.

«فلو أنّ امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي» وفي (ابن ميثم)[1]: «بل كان عندي به».

«جديراً» ومرّ في سابقه أنّ أباذر أخبر بسبي نساء مسلمات في غارات بسر، واستعاذ بالله من إدراكه ذاك الزمان.

وممّن مات أسفا مروان بن عبدالملك بن مروان، ففي (نسب قريش

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩.

مصعب الزبيري) حج مروان مع أخيه الوليد ـ وهو خليفة ـ فلمّا كانا بوادي القرى جرى بينهما محاورة فغضب الوليد فامصه، فتفوّه مروان بالردّ عليه فأمسك عمر بن عبدالعزيز على فيه فمنعه من ذلك، فقال مروان لعمر: قتلتني رددت غيظي في جوفي. فما راحوا من وادي القرى حتى دفنوه[١].

«فيا عجباً والله يُميت القلب ويجلب الهمّ اجتماع هؤلاء القوم» هكذا في (المصرية)[٢] وفيها زيادة ونقيصة، ففي (ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم)[٤]: «فياعجباً عجباً والله يميت القلب ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء».

«على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم» في (خلفاء ابن قتيبة)[٥] ـ بعد ذكر هزيمة زحر ابن قيس من قبله عليه السلام للضحاك بن قيس من قبل معاوية ـ: أنّ معاوية جمع الناس وقال لهم: أتاني خبر من ناحية من نواحي أمر شديد. فقالوا: لسنا في شيء ممّا أتاك، إنّما علينا السمع والطاعة. وبلغ علياً عليه السلام قول معاوية وقول أهل الشام، فأراد أن يعلم ما رأي أهل العراق؟ فجمعهم فقال: أيّها الناس أتاني خبر من ناحية من نواحي. فقال ابن الكواء وأصحابه: إنّ لنا في كل أمر رأياً في ما أتاك، فأطلعنا عليه حتى نشير عليك. فبكى عليه السلام ثم قال: ظفر والله ابن هند باجتماع أهل الشام له واختلافكم علَيَّ، والله ليغلبنّ باطله حقكم، إنّما أتاني أنّ زحر بن قيس ظفر بالضحاك وقطع الميرة، وأتى معاوية هزيمة صاحبه فقال: يا أهل الشام، إنّه أتاني أمر شديد. فقلّدوه أمرهم واختلفتم عليّ.

---

(١) نسب قريش لمصعب الزبيري: ١٦٢.

(٢) الطبعة المصرية ١: ٦٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٤.

(٤) شرح ابن ميثم ٢: ٣٠.

(٥) الخلفاء لأبن قتيبة: ١٠٧.

وفي (صفين نصر)[١] قال النجاشي:

كفى حزناً أنّا عصينا إمامنا ... علياً وأنّ القوم طاعوا معاويه

وأنّ لأهل الشام في ذلك فضلهم ... علينا بما قالوه فالعين باكيه

أيُعصى إمام أوجب الله حقّه ... علينا وأهل الشام طوع لطاغيه

«قبحاً لكم وترحاً» أي: بعداً لكم وحزنا.

«حين صرتم غرضاً» أي: هدفاً.

«يُرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويُعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيّام الصيف» هكذا في (المصرية)[٢]، والصواب: (الحر) كما في (ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم[٤] والخطية).

«قلتم: هذه حمارّة» ـ بتشديد الراء ـ: شدة حر الصيف، وأمّا بتشديد الميم فبمعنى أصحاب الحمير في السّفر.

«القيظ» أي: الصيف.

«أمهلنا يسبّخ» أي: يخف ويفتر.

«عنا الحر. وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارّة» بتشديد الراء: شدة البرد.

«القُرّ» أي: البرد.

«أمهلنا ينسلخ» أي: ينقضي.

«عنّا البرد. كل هذا» وفي (ابن ميثم): «أكلّ هذا».

«فراراً» مفعول له.

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٣.

(٢) الطبعة المصرية ١: ٦٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٤.

(٤) شرح ابن ميثم ٢: ٣٠.

«من الحرّ والقر» بالفتح.

«فأنتم والله من السّيف أفر» هكذا في (المصرية) وفيه سقط، ففي (ابن أبي الحديد[١] وابن ميثم): «فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرون، فأنتم والله من السيف أفرّ».

في (غارات الثقفي)[٢] عن المنهال بن عمرو قال: سمعت علياً عليه السلام ونحن بمسكن يقول: «يا معشر المهاجرين ﴿ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ولا ترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾[٣]. فبكوا وقالوا: البرد شديد. وكان غزاتهم في البرد، فقال: إنّ القوم يجدون البرد كما تجدون. فلم يفعلوا وأبوا فلمّا رأى ذلك منهم قال: أُفّ لكم إنّها سنّة جرت عليكم.

وعن فرقد البجلي عنه عليه السلام في كلام له عليه السلام: إن قلت لكم: انفروا إلى عدوّكم. قلتم: القرّ يمنعنا. أفترون عدوّكم لا يجدون القرّ كما تجدونه؟ ولكنّكم أشبهتم قوماً قال لهم النبيّ صلى الله عليه وآله: «انفروا في سبيل الله». فقال كبراؤهم: «لا تنفروا في الحر» فقال تعالى لنبيه: ﴿...قل نار جهنم أشد حرّاً لو كانوا يفقهون﴾[٤].

«يا أشباه الرجال ولا رجال» في (كامل المبرد): يروى أنّ رجلاً من الخوارج يوم سلى، حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه، فلمّا خالطه الرمح صاح: يا أمّاه. فصاح به المهلب: لا كثّر الله بمثلك المسلمين. فضحك الخارجي وقال:

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٥.

(٢) الغارات للثقفي ١: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) المائدة: ٢١.

(٤) التوبة: ٨١.

أمّك خير لك مني صاحبا ... تُسقيك محضاً وتعل رائبا[١]

وفي (تفسير القمي): كانت هند بنت عتبة يوم أُحد في وسط العسكر، فكلّما انهزم رجل من قريش رفعت إليه ميلاً ومكحلة وقالت له: إنّما أنت امرأة فاكتحل بهذا[٢].

وفي (تنبيه البكرى): قتل رجل من مازن سعد العشيرة أخا عمرو بن معديكرب، وطلبوا من عمرو قبول الدية لكون القاتل سكران، فقبل عمرو فقالت اخته كبشة:

فإن أنتم لم تقتلوا واتديتمو ... فمشّوا باذان النعام المصلم

ولا تشربوا إلّا فضول نسائكم ... إذا أنهلت اعقابهن من الدم

فأكب عمرو بالغارة عليهم فأوجع فيهم[٣].

وفي (الأغاني)[٤]: كان عمليق الطمسي أمر ألّا تُزوج بكر من جديس حتى يفترعها هو قبل زوجها ليلة زفافها. فلمّا تزوّجت الشموس ـ وهي عفيرة بنت عباد، اخت الأسود الذي وقع إلى جبل طي، فقتله طي وسكنوا الجبل من بعده ـ انطلقوا بها إلى عمليق فافترعها، فخرجت إلى قومها في دماء شاقة درعها من قبل ومن دبر والدم يسيل، وهي في أقبح منظر، وهي تقول:

أيجمل ما يؤتى إلى فتياتكم ... وأنتم رجال فيكم عدد النمل

ولو أنّنا كنا رجالاً وكنتمُ ... نساءً لكنّا لا نُقرّ بذا الفعل

وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساءً لا تعاب من الكحل

ودونكم طيب العروس فإنّما ... خُلقتم لأثواب العروس وللنسل

---

(١) الكامل للمبرد ٢: ٢٣٧ مؤسسة المعارف ـ بيروت .

(٢) تفسير القمّي ١: ١١٦ .

(٣) ذيل الأمالي للقالي: ١٩٠ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

(٤) الأغاني ١١: ١٦٥ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

فبعداً وسُحقاً للذي ليس دافعاً ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

«حلوم الأطفال» أي: لهم عقول كعقول الأطفال؛ قال الشاعر:

ترى الفتيان كالنخل وما يُدريك ما الدخل

وقال حسّان:

إنّي رأيت من المكارم حسبكم أن تلبسوا حر الثّياب وتشبعوا

وقال آخر:

الا طعان الا فرسان عادية الا تجشؤكم حول التنانير

«وعقول ربات الحجال» في (الصحاح): الحجلة ـ بالتحريك ـ: واحدة حجال العروس، وهي بيت بالثياب والاسرة والستور.

وفي (الجزري): قال عبيدالله بن الحر الجعفي في قصيدة له:

ألم تر قيساً قيس عيلان برقعت لحاها وباعت نبلها بالمغازل

وقالوا: قال أبو العتاهية في ابن معن بن زائدة:

فما تصنع بالسّيف إذا لم تك قتّالا

فكسّر حلية السّيف وضعها لك خلخالا

فكان ابن معن إذا تقلّد السيف ورمقه واحد تبيّن الخجل عليه.

وقال المبرّد[1]: نسبهم عليه السلام في قوله هذا إلى ضعف النساء؛ قال تعالى: ﴿أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾[2].

وقال الشاعر:

متى ترعيني مالك وجرانه وجنبيه تعلم أنّه غير ثائر

حضج كأُمّ التوأمين توكّأت على مرفقيها مستهلة عاشر

---

(١) المبرد ١: ٢٨.

(٢) الزخرف: ١٨.

«لوددت أنّي لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرّت ندماً وأعقبت سدماً» أي: حزناً، قالوا: نادم سادم؛ وفي (الجمهرة): قال قوم: السّادم مأخوذ من المياه الاسدام، وهي المندفنة التي تغيرت لطول المكث، يقال: ماء أسدام ومياه أسدام. وهو ما وصف واحده بصفة الجمع.

وفي (الطبري)[1] ـ بعد ذكر إعطاء محمد بن الأشعث الأمان لمسلم وتسليمه ـ: قال مسلم له: إنّي أراك ستعجز عن أماني، فهل تستطيع أن تبعث رجلاً إلى الحسين عليه السلام يقول له: «ارجع بأهل بيتك ولا يغررك أهل الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمني فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة كذّبوك وكذّبوني وليس لمكذوب رأي»؟

«قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً» بالفتح: ماء يخرج من الجرح بدون الدم، وفي (الجمهرة): قاح الجرح، يقيح ويقوح، وأقاح يقيح.

«وشحنتم» أي: ملأتم صدري.

«غيظاً، وجرّعتموني نُغب» جمع النُغبة بالضم، أي: جرع.

«التهمام» أي: الهم؛ قال ابن أبي الحديد[2] التَّهمام بفتح التاء، وكذلك كلّ تفعال، كالترداد والتكرار والتجوال، إلّا التِّبيان والتِّلقاء فإنّهما بالكسر.

قلت: أخذه من (الصحاح) في (بين) فقال: «تبيان مصدر وهو شاذ، لإنّ المصادر إنّما تجيء على تفعال» بفتح التاء، مثل التَّذكار والتّكرار والتوكاف ولم يجئ بالكسر إلّا التِّبيان والتِّلقاء ولكنّه ـ كما ترى ـ قال: كلّ مصدر على تفعال إنّما هو بالفتح سوى حرفين لاكلّ تفعال بالفتح كما قال وان لم يكن مصدراً، فعن أبي عمرو: «تفعال بالفتح مصدر، وتفعال بالكسر اسم» وفي

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٧٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨٠.

كلامه عليه السلام ليس بمصدر بل اسماً كالهم، مع أنّ (الجمهرة) لم يذكر تفعال بالفتح بل بالكسر، وعدّ في صيغه التّكلام والتّلقام والتّمساح والتّضراب والتّمراد والتّلفاق والتّجفاف والتّمثال والتّهواء والتّعشار والتّبراك والتّنبال والتّلعاب والتّقصار والتّعمار، كما عدّ التّبيان والتّلقاء.

«أنفاساً» أي: نفساً نفساً.

«أفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب» في (المروج)[1]: بلغ علياً عليه السلام عن أناس من قريش ممّن قعد عن بيعته ونافق في خلافته كلام كثير، فقال عليه السلام: «وقد زعمت قريش أنّ ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب. تربت أيديهم وهل فيهم أشدّ مراساً لها منّي؟ لقد نهضت فيها وما بلغت الثلاثين، وهاأناذا قد أربيت على نيف وستين».

«لله أبوه! وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً» أي: ممارسة.

«وأقدم فيها مقاماً مني» وكيف لا علم له عليه السلام بالحرب وقد بيّن عليه السلام آداب الحرب للناس؟

«لقد نهضت» أي: قمت.

«فيها وما بلغت العشرين» قد عرفت أنّ الكليني والصدوق والمفيد والجاحظ أيضاً رووه كذلك، ولكن المسعودي رواه: «وما بلغت الثلاثين» والظّاهر صحّته؛ فأوّل حروبه عليه السلام الرّسمية حرب بدر، وكانت في السّنة الثانية من الهجرة وكان عليه السلام وقت البعثة ابن عشر على الأصح، وكان مقام النبيّ صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة.

«وها أنا اليوم قد ذرّفت» بالتشديد، أي: زدت.

---

(١) مروج الذهب ٢: ٤١٤.

«على الستين» وقد عرفت أنّ الدينوري رواه: «جنفت الستين»، والمسعودي: «قد أربيت على نيف وستين».

«ولكن» هكذا في (المصرية) ونسخة ابن ميثم[١]، ولكن في ابن أبي الحديد[٢] والخطية): «ولكنه».

«لا رأي لمن لا يطاع» لإنّه يذهب رأيه هدراً.

قول المصنف في العنوان الثاني «وقال عليه السلام لمّا بلغه إغارة أصحاب معاوية» بقيادة سفيان بن عوف الغامدي.

«على الأنبار فخرج بنفسه ماشياً» لمّا ندبهم إلى الخروج إليه ودفعه ولم يجيبوه.

«حتى أتى النّخيلة» ونزلها عليه السلام في طريقه إلى صفّين أيضاً، ودلّهم على قبر يهودا وقبر هود كما رواه نصر بن مزاحم في (صفينه)[٣].

«فأدركه الناس وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم. فقال عليه السلام: ما تكفونني» هكذا في (المصرية)، والصواب: (والله ما تكفونني) كما في (ابن أبي الحديد[٤] وابن ميثم[٥] والخطية).

«أنفسكم فكيف تكفونني غيركم؟» قالوا: إنّ قوماً أُغير عليهم فاستصرخوا بني عمّهم، فأبطأوا عنهم حتى أُسروا وذهب بهم ثم جاؤوا يسألون عنهم، فقيل لهم: «أسائر اليوم وقد زال الظهر» فصار مثلا، أي: أتطمع وقد بان اليأس؟

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ٣٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٥.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم: ١٢٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨٨.

(٥) شرح ابن ميثم ٢: ٣١.

«إن» مخففة من المثقلة.

«كانت الرّعايا قبلي لتشكو حيف» أي: ظلم.

«رعاتها» جمع الراعي.

«وإنّني اليوم لأشكو حيف رعيّتي كأنني المقود وهم القادة أو الموزوع» أي: المكفوف.

«وهم الوزعة» أي: الكافة؛ قال الحسن البصري: لا بد للناس من وزاع. أي: سلطان يكفهم.

«فلمّا قال عليه السلام هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب» في (٢٦) منها.

«تقدم إليه رجلان من أصحابه» قد عرفت من رواية المبرد والجاحظ أنّ الرجلين كانا أُخوين، وفي (الكامل) للمبرد: الرجل وأخوه يعرفان با بني عفيف من الأنصار، وفي (بيان الجاحظ): «فلان بن عفيف، ثم أُخذ بيد أخ له»: ومن رواية الثقفي أنّهما كانا عمّاً وابن أخ، اسم الأوّل حبيب بن عفيف، والثاني عبدالرحمن بن عبدالله.

«فقال أحدهما: اني (لا أملك إلّا نفسي وأخي) فمرنا بأمرك ننقد» هكذا في (المصرية) والصواب: (ننفذ). كما في غيرها: «له». وقالا: لنضربنّ دونك وإن حال جمر الغضا وشوك القتاد.

«فقال عليه السلام : وأين تقعان ممّا أُريد؟» بعد أن أثنى عليهما ودعا لهما.

٤
الخطبة (٣٤)

ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشّام:

أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾[1]

---

(١) التوبة: ٣٨.

عِوَضاً؟ وَبِالذُّلِّ مِنَ العِزِّ خَلَفاً؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنَ المَوْتِ فِي غَمْرَةٍ، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ، يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حِوَارِي فَتَعْمَهُونَ، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ، فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلُونَ. مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرَ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ. مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ، لَبِئْسَ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ سُعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ! تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ، لاَ يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُون، غُلِبَ ـ وَاللهِ ـ المُتَخَاذِلُونَ، وَايْمُ اللهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى، وَاسْتَحَرَّ المَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طالب انْفِرَاجَ الرَّأس. وَاللهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَه، وَيَهْشِمُ عَظْمَه، وَيَفْرِي جِلْدَهُ، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِه. أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ، فَأَمَّا أَنَا فَوَاللهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِك ضَرْبٌ بِالمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَام، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالأَقْدَام، وَيَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا؛ وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي المَشْهَدِ وَالْمغيبِ، وَالإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ.

أقول: قال ابن أبي الحديد[1]: خطب عليه السلام بها بعد فراغه من الخوارج، وقد كان قام بالنهروان وقال: إنّ الله قد أحسن نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام. فقالوا: نفدت نبالنا وكلّت سيوفنا وانصلت أسنّة

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١١٩.

رماحنا؛ ارجع بنا إلى مصرنا نستعد بأحسن عدتنا، ولعلّ يزيد في عددنا مثل من هلك منا، فإنّه أقوى لنا على عدونا.

قلت: رواه الثقفي في (غاراته)[1] في عنوان: «قدوم عليّ عليه السلام إلى الكوفة عن حرب الخوارج» مسنداً عن أبي الوداك وزاد في آخره: «وكان الذي ولي كلام الناس الأشعث بن قيس». وقال ابن أبي الحديد[2] ـ بعد ما مرّ ـ: فكان جوابه عليه السلام ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين﴾[3] فتلكأوا عليه وقالوا: إنّ البرد شديد. فقال: إنّهم يجدونه كما تجدون. فابوا، فقال: أُفّ لكم إنّها سُنّة جرت. ثم تلا: ﴿قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإنْ يخرجوا منها فإنّا داخلون﴾[4]. فقام منهم جمع فقالوا: الجراح فاشٍ في الناس ـ وكان الخوارج قد أكثروا الجراح في أصحابه عليه السلام ـ فارجع بنا إلى الكوفة فأقم أيّاماً ثم أخرج بنا. فرجع عليه السلام إلى الكوفة من غير رضا.

قلت: ورواه (غارات الثقفي)[5] عن معلى بن السكن في خبرين وزاد الرواية عن طارق بن شهاب: أنّه عليه السلام لمّا رجع إلى الكوفة وأقام أيّاما وتفرّق عنه ناس كثير، فمنهم من أقام يرى رأي الخوارج، ومنهم من أقام شاكاً في أمره. وروى عن أبي الوداك: أنّه عليه السلام لمّا نزل النّخيلة أخذ النّاس يتسللون، فلا مَن دخل الكوفة خرج إليه، ولا من أقام معه صبر، فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة.

قال: وروى نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير بن وعلة عن أبي

---

(١) الغارات للثقفي ١: ٢٣ ـ ٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٣.

(٣) المائدة: ٢١.

(٤) المائدة: ٢٢.

(٥) الغارات للثقفي ١: ٣٠ ـ ٣١.

وداك قال: لمّا كرِه القوم المسير إلى الشّام بعد النهروان أقبل عليه السلام بهم فأنزلهم النّخيلة وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم، ويوطّنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلّوا زيارة نسائهم وأبنائهم حتى يسير بهم إلى عدوهم ـ وكان ذلك هو الرأي لو فعلوه ـ وأقبلوا يتسللون ويدخلون الكوفة فتركوه عليه السلام وما معه من الناس إلّا رجالاً من وجوههم قليل، وبقي المعسكر خالياً فلا من دخل الكوفة خرج إليه ولا من أقام معه صبر، فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس ـ وهي أوّل خطبة خطبها بعد قدومه من حرب الخوارج ـ فقال: أيّها النّاس استعدوا لقتال عدو في جهادهم القربة إلى الله عزّ وجلّ ودرك الوسيلة عنده، قوم حيارى عن الحق لا يُبصرونه، موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به، جفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويتسكّعون في غمرة الضلال، ﴿فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾[1] وتوكلوا ﴿على الله وكفى بالله وكيلاً﴾[2]. فلم ينفروا فتركهم أيّاماً ثم خطبهم فقال: «أُف لكم لقد سئِمت عتابكم ﴿أرضيتم بالحياوة الدنيا من الآخرة﴾[3] عوضاً» إلى آخر الفصل، وزاد: أنتم أُسود الشرى في الدّعة، وثعالب رواغة حين البأس. إنّ أخا الحرب اليقظان، ألا إنّ المغلوب مقهور ومسلوب.

قال: وروى الأعمش عن الحكم بن عتيبة عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت علياً عليه السلام على منبر الكوفة وهو يقول: يا أبناء المهاجرين، انفروا إلى أئمة الكفر وبقية الأحزاب وأولياء الشيطان، انفروا إلى مَن يقاتل على دم حمّال الخطايا، فوالله الذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم

---

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) النساء: ٨١.

(٣) التوبة: ٣٨.

القيامة ولا ينقص من أوزارهم شيئاً.

وأوّله على أنّ المراد بمن يقاتل على دم حمال الخطايا: أهل الشام الذين يقاتلون على دم معاوية، لا معاوية الذي يقاتل على دم عثمان.

قلت: وهو كما ترى، ثم ما يفعل بقول عمّار يوم صفّين: اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان ويزعمون أنّه قتل مظلوماً، والله ان كان إلّا ظالماً لنفسه حاكماً بغير ما أنزل الله ... ﴿فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[1].

ورواه الثقفي في (غاراته)[2] عن بكر بن عيسى عن الأعمش ... مثله.

وكيف كان، فروى الثقفي[3] في (غاراته) كما في المجلس الثامن عشر من (أمالي المفيد)[4] ـ عن محمّد بن إسماعيل عن زيد بن المعدّل عن يحيى بن صالح عن الحرث بن حضيرة عن أبي صادق عن جندب بن عبدالله الأزدي قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول لأصحابه ـ وقد استنفرهم أيّاماً إلى الجهاد فلم ينفروا أيّها الناس، إنّي قد استنفرتكم فلم تنفروا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أنتم شهود كاغياب، وصم ذوو أسماع؛ أتلو عليكم الحكمة وأعظكم بالموعظة الحسنة وأحثّكم على جهاد عدوّكم الباغين، فما آتي على آخر منطقي حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ، فإذا أنا كففت عنكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً عزين، تضربون الأمثال وتتناشدون الأشعار وتسألون عن الأخبار، وقد نسيتم الاستعداد للحرب وشغلتم قلوبكم بالأباطيل، تربت أيديكم اغزوا القوم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر ديارهم إلّا ذلوا، وايم الله ما

(١) الحج: ٤٦.

(٢) الغارات للثقفي ١: ٤٠.

(٣) الغارات للثقفي ٢: ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

(٤) الأمالي للمفيد: ١٤٥ ـ ١٤٦، المجلس ١٨.

أراكم تفعلون حتى يفعلوا، ولوددت أنّي لقيتهم على نيّتي وبصيرتي فاسترحت من مقاساتكم،فما أنتم إلّا كأبل جمّة ضلّ راعيها، فكلّما ضمّت من جانب انتشرت من جانب آخر، والله لكأنّي بكم لو حمي الوغى وحم البأس قد انفرجتم عن علي بن أبي طالب (انفراج الرأس وظ) انفراج المرأة عن قبلها.

فقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فقال له: فهلّا فعلت كما فعل ابن عفان؟ فقال عليه السلام له: يا عرف النار ويلك! إنّ فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له ولا حجّة معه، فكيف وأنا على بيّنة من ربي والحق في يدي؟! والله إنّ امرأ يمكّن عدوّه من نفسه يجدع لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده ويسفك دمه، لضعيف ما ضمّت عليه جوارح صدره. أنت فكن كذلك إن أحببت، أمّا أنا فدون أن أُعطي ذلك ضرباً بالمشرفي، وتطيح منه الأكفّ والمعاصم، ويفعل الله بعدمايشاء.

فقام أبو أيوب الأنصاري ـ صاحب منزل النبي صلى الله عليه وآله ـ فقال: أيّها الناس، إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أسمع مَن كانت له أُذن واعية وقلب حفيظ، إنّ الله قد أكرمكم بكرامة لم تقبلوها حقّ قبولها: إنّه نزّل بين أظهركم ابن عمّ نبيّكم وسيّد المسلمين من بعده، يفقّهكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد الملحدين، فكأنكم صمّ لا تسمعون، أو على قلوبكم غلف مطبوع عليها فأنتم لا تعقلون، أفلا تستحيون؟ عباد الله، أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس قد شمل البلاء وشاع في البلاد، فذو حق محروم وملطوم وجهه، وموطوء بطنه وملقى بالعراء يسفى عليه الأعاصير، لا يكنه من الحرّ والقرّ وصهر الشمس والضح إلّا الأثواب الهامدة وبيوت الشعر البالية، حتّى جاءكم الله بأمير المؤمنين عليه السلام فصدع بالحقّ ونشر العدل وعمل بما في الكتاب، يا قوم فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تولوا مدبرين ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا

يسمعون﴾[١] اشحذوا السيوف واستعدوا لجهاد عدوّكم، وإذا دُعيتم فأجيبوا وإذا أمرتم فاسمعوا واطيعوا....

وفي (الطبري)[٢]: قال أبو مخنف عمّن ذكره عن زيد بن وهب: إنّ علياً عليه السلام قال للناس -وهو أوّل كلام قاله لهم بعد النهر-:

أيّها الناس، استعدوا للمسير إلى عدوّ في جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده، حيارى في الحق، جفاة عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان ويتسكعون في غمرة الضلال، ﴿فأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل﴾[٣] وتوكلوا على الله ﴿وكفى بالله وليّاً وكفى بالله نصيراً﴾[٤]. فلا هم نفروا ولا تيسروا، فتركهم أيّاماً حتى إذا أيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم فسألهم عن رأيهم وما الذي ينظرهم، فمنهم المعتل ومنهم المكره وأقلّهم من نشط، فقام فيهم خطيباً فقال: عباد الله ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا ﴿اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾[٥]، وبالذلّ والهوان من العزّ؟ أوكلّما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنّكم من الموت في سكرة، وكأنّ قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون، وكأنّ أبصاركم أكمه فأنتم لا تبصرون؟ لله أنتم! ما أنتم إلّا أُسود الشرى في الدّعة وثعالب روّاغة حين تدعون إلى الناس، ما أنتم لي بثقة سجيسَ الليالي، ما أنتم بركب يصال بكم ولا ذي عز يُعتصم اليه، لعمر الله لبئس حشاش الحرب أنتم! إنّكم تكادون ولا تكيدون، ينتقض أطرافكم ولا تتحاشون، ولا ينام عنكم وأنتم في

---

(١) الأنفال: ٢١.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٩٠.

(٣) الأنفال: ٦٠.

(٤) النساء: ٤٥.

(٥) التوبة: ٣٨.

غفلة ساهون. إنّ أخا الحرب اليقظان ذو عقل، وثاب لذلّ من وادع، وغلب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب.

ثمّ قال عليه السلام: أما بعد، فإنّ لي عليكم حقاً وإنّ لكم عليّ حقاً، فأمّا حقكم عليّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فيئكم، وتعليمكم كيما لا تجهلون، وتأديبكم كي تعلموا؛ وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح لي في الغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم. والطاعة حين آمركم، فإن يُرد الله بكم خيراً وترتدعوا عمّا أكره وتراجعوا إلى ما أُحبّ، تنالوا ما تطلبون وتدركوا ما تأملون.

ورواه مثله (غارات الثقفي)[1] باسناده عن زيد بن وهب.

ورواه ابن قتيبة[2] مع زيادات: ـإلى أن قال ـ ويحكم! ما أنتم إلّا كإبل جامحة ضلّ عنها رعاؤها، فكلّما ضمّت من جانب انتشرت من جانب، والله لكأنّي أنظر إليكم ـ وقد حمي الوطيس ـ لقد انفرجتم عليّ انفراج الرأس، وانفراج المرأة عن قبلها. فقام إليه الأشعث فقال: فهلّا فعلت كما فعل عثمان؟ فقال عليه السلام له: ويلك: وكما فعل عثمان رأيتني فعلت؟ عائذاً بالله من شر ما تقول، والله إنّ الذي فعل عثمان لمخزاة على من لا دين له ولا حجّة معه، فكيف وأنا على بيّنة من ربي والحق معي؟ والله إنّ امرأً مكّن عدوّه من نفسه فنهش عظمه وسفك دمه، لعظيم عجزه وضعيف قلبه. أنت يا بن قيس فكن ذلك، فأمّا أنا فوالله دون أن أُعطي ذلك ضرباً بالمشرفي يطير له فراش الرأس، وتطيح منه الأكفّ والمعاصم وتجذبه الغلاصم، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

«أُفّ لكم» في (الجمهرة): يقال: أتانا على أُفّ ذلك. أي: أبانه. وأُفّ لك: إذا

---

(١) الغارات للثقفي ١: ٣٣ ـ ٣٨.

(٢) خلفاء ابن قتيبة: ١٥٠ ـ ١٥١.

تضجّرت منه، وقال أبو زيد في قولهم: أُف وتف: (اف) الأظفار، و (تف) وسخها. وفي (الصحاح): أفاً له. أي: قذراً، والتنوين للتنكير.

«لقد سئمت» أي: مللت.

«عتابكم» أي: لومكم، وإنّما سئم عليه‌السلام من عتابهم لأنّه كان يعاتبهم مرة بعد مرة على الشخوص إلى العدوّ ـ بعد الفراغ من الخوارج، وفي النخيلة وفي الكوفة ـ فيتقاعدون.

«﴿أرضيتم بالحياوة الدّنيا من الآخرة﴾ عوضاً» قال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدّنيا في الآخرة إلّا قليل﴾[1].

«وبالذل من العز خلفاً» وكان أهل العراق أعزاء قبل رجوعهم من صفّين، وصاروا أذلّاء بعده بتركهم القتال مع أهل الشام.

«إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم كأنّكم من الموت في غمرة» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿...فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت...﴾[2].

«ومن الذهول» أي: الغفلة.

«في سَكرة» فلا تعقلون ما يقال لكم.

«يُرتج» من: ارتجت الباب: إذا أغلقته.

«عليكم حواري» بالكسر من المحاورة، أي: خطابي.

«فتعمهون» أي: تتحيّرون.

---

(١) التوبة: ٣٨.

(٢) الأحزاب: ١٩.

«فكأنّ» وفي (ابن ميثم)[1]: «وكأن».

«قلوبكم مألوسة» في (الجمهرة): الألس والآلاس: ذهاب العقل؛ رجل مألوس: إذا كان كذلك.

«فأنتم لا تعقلون» فمن أُخذ قلبه وذهب عقله، كيف يعقل؟

«ما أنتم لي بثقة سجيسَ الليالي» كناية عن الأبد؛ قال الشاعر:

هنالك لا أرجو حياة تسرني   سجيس الليالي مبسلاً بالجرائر

ومثله سجيس الدهر؛ قال:

ولولا ظلمه مازلت أبكي   سجيس الدّهر ما طلع النجوم

قال ابن دريد يقال: لا آتيك سجيس الليالي، كما يقال: طوال الليالي، وطوال الدهر.

«وما أنتم بركن يُمال بكم» قالوا في قوله تعالى: ﴿...أو آوي إلى ركن شديد﴾[2] أي عزّ ومنعة. وركن الشيء جانبه الأقوى.

«ولا زوافر» أي: أسباب.

«عزّ يُفتقر إليكم» لمّا كان الحجاج يقاتل شبيب الخارجي، وأمدّه عبدالملك بسفيان بن الأبرد الكلبي قام الحجاج على المنبر وقال، يا أهل الكوفة، لا أعزّ الله من أراد بكم العزّ، ولا نصر من أراد بكم النّصر، أخرجوا عنّا ولا تشهدوا معنا قتال عدوّنا، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى.

وقال أعشى همدان في انهزام أهل العراق مع ابن الأشعث:

وينزل ذلاً بالعراق وأهله كما   نقضوا العهد الوثيق المؤكّدا

فكيف رأيت الله فرّق جمعهم   ومزّقهم عرض البلاد وشرّدا

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ٧٦.

(٢) هود: ٨٠.

بـما نكـثوا مـن بـيعة بـعد بـيعة إذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غـدا
ومـا أحـدثوا مـن بـدعة وعـظيمة من القول لم تصعد إلى الله مصعدا

«ما أنتم إلّا كابل ضلّ رعاتها» الرعاة: جمع الراعي.

«فكلّما جُمعت من جانب انتشرت من آخر» وقد عرفت أنّ في رواية الثقفي: «فما أنتم إلّا كإبل جمّة ضل راعيها...» وفي رواية القتيبي: «ما أنتم إلّا كأبل جامحة ضلّ عنها رعاؤها، فكلّما ضمت من جانب انتشرت من جانب».

«لبئس لعمر الله سُعّر» بالضم والتشديد، جمع ساعر من: سعرت النار: إذا أوقدتها؛ قرئ ﴿وإذا الجحيم سُعّرت﴾[1] بالتشديد والتخفيف.

وسمّي شاعر أسعر بقوله:

فلا يدْعني الأقوام من آل مالكٍ إذا أنا لم أسعر عليهم واثـقب

«نار الحرب أنـتم! تُكـادون ولا تكـيدون وتُـنقص» هكـذا فـي (المـصرية) والصواب: (وتنتقص) كما في (ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] والخطية).

«أطرافكم فلا تمتعضون» أي: لا يشق عليكم فتغضبون.

«لا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون» أي: مساهلون.

«غُلب» بالضم، أي: يصير مغلوباً.

«والله المتخاذلون. وايم الله» بمعنى يمين الله.

«إنّي لأظنّ أن لو حمس» أي: اشتدّ.

«الوغى» أي: الحرب.

«واستحر» مثل حر، بمعنى اشتد.

---

(١) التكوير: ١٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٩.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ٧٦.

«الموت» والمراد القتل.

«قد انفرجتم» أي: انفصلتم.

«عن ابن أبي طالب انفراج الرأس» قال الشاعر:

تفرّقت القبائل عن رباح تفرّق بيضة عن ذي جناح

قال ابن أبي الحديد[1]: معنى انفراج الرأس: أي كما ينفلق الرأس، فيذهب نصفه يمنة ونصفه شامة. وقال الرّاوندي: معناه انفراج من أدنى رأسه إلى غيره ثم حرف رأسه عنه. وقال ابن ميثم: انفراج الرّأس مثل، قيل: أوّل من تكلّم به أكثم بن صيفي في وصيته لبنيه: لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرّأس، فإنّكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ. قال ابن دريد: معناه أنّ الرّأس إذا انفرج عن البدن لا يعود إليه. وقال المفضّل: الرّأس اسم رجل ينسب إليه قرية من قرى الشام يقال لها: بيت الرّأس يباع فيه الخمر. قال حسّان:

كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

وهذا الرّجل قد انفرج عن قومه ولم يعد، فضرب به المثل. وقيل: معناه أنّ الرّأس إذا انفرج بعض عظامه كان بعيد الالتيام. وقيل: معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع؛ كما في قوله عليه السلام في موضع آخر: «انفراج المرأة عن قبلها».

قلت: الأصح قول ابن دريد، وأمّا ما عن المفضّل فيختلف تعريفاً وتنكيراً، وأمّا الأخير فيردّه أنّ الثقفي والقتيبي جمعا بينهما في روايتيهما.

«والله إنّ امرأ يمكّن عدوّه من نفسه يعرق لحمه» أي: يأكل جميع لحمه من عظمه. وسمّي شاعر طائي عارقاً بقوله:

إن لم يغير بعض ما قد صنعتم لأنتحين للعظم ذو انا عارقه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩١.

«ويهشم عظمه» أي: يدقه، من: هشم الثريد، ومنه سُمّي هاشم، واسمه عمرو؛ قال الشاعر:

عمرو الذي هشَم الثريد لقومه ورجالُ مكة مسنتون عجاف

«ويفري جلده» من: أفريت الأديم: قطعته على جهة الإفساد، وأمّا فريته فقطعة على الإصلاح.

«لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح» جمع جانحة: الاضلاع المحيطة بالصدر.

«صدره» أي: ضعيف قلبه؛ في (عيون القتيبي)[1]: قال الحرسي: استثرنا من مزرعة في بلاد الشام رجلين يذريان حنطة، أحدهما أصيفر أحيمس والآخر مثل الجمل عظماً، فقاتلنا الأصيفر بالمذري لا تدنو منه دابة إلّا نخس أنفها وضربها حتى شق علينا، فقُتل ولم نصل إلى الآخر حتى مات فرقاً، فأمرت بهما فوقرت بطونهما، فإذا فؤاد الضّخم يابس مثل الحشفة، وفؤاد الأُصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء.

وأُخرج شبيب الخارجي من الماء ـ بعد غرقه ـ فشقّ بطنه وأُخرج فؤاده، فاذا هو مثل الكوز، فجعلوا يضربون به الأرض فينزو.

«وأنت فكن ذاك إن شئت» قد عرفت من رواية الثقفي ورواية القتيبي أنّ المخاطب له عليه السلام بهذا الكلام: الأشعث بن قيس لمّا قام إليه في خطبته تلك وقال له: هلّا فعلت كما فعل عثمان؟ فزجره عليه السلام وقال له: إنّ الذي فعل لمخزاة على من لا دين له ولا حجّة معه، فكيف وأنا على بيّنة من ربّي والحق معي؟ والله ان امرأً مكّن عدوّه... وفي رواية الثاني: «أنت يابن قيس فكن ذلك».

(١) العيون للقتيبي ١: ١٧٢.

قال أبو عبيدة: سألت بعض بني كليب: ما أشد ما هجيتم به؟ قال قول البعيث:

ألست كليبياً إذا سيم خطة أقرّ كإقرار الحليلة للبعل

وكلّ كليبيّ صحيفة وجهه أذلّ لأقدام الرّجال من النعل

«فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفيّة» أي: سيوف منسوبةمشارف قرية بها تُعمل السيوف.

«تطير منه فراش» أي: عظام دقاق.

«الهام» أي: الرأس؛ في (القاموس): لقب ناجية الجرمي: معود الفتيان لأنّه ضرب مصدق نجدة الخارجي فخرق بناجية، فضربه بالسيف وقتله وقال:

أُعوّدها الفتيان بعدي ليفعلوا كفعلي إذا ما جار في الحكم تابع

«وتطيح» أي: تهلك وتسقط.

«السواعد» سواعد اليد.

«والأقدام» أخذ كلامه عليه السلام ثابت قطنة فكتب إلى يزيد بن المهلب يحرّضه على القتال:

إنّ امرأً حدبت ربيعة حوله والحيّ من يمن وهاب كؤدا

لضعيف ما ضمنت جوانح صدره إن لم يلف إلى الجنود جنودا

أيزيد كن في الحرب إذ هيجتها كأبيك لا رعشاً ولا رعديدا

شاورت أكرم من تناول ماجداً فرأيت همّك في الهموم بعيدا

ما كان في أبويك قادح هجنة فيكون زندك في الصلود زنودا

إنّا ضاربون في حمس الوغى رأس المتوج إذ أراد صدودا

وترى إذا كثر العجاج ترى لنا في كلّ معركة فوارس صيدا

يا ليت اسرتك الذين تغيبوا   كانوا ليومك بالعراق شهودا
وترى مواطنهم إذا اختلف القنا   والمشرفية يلتظين وقودا

فلمّا قر يزيد كتابه قال: إنّ ثابتاً لغافل عمّا نحن فيه، لاطيعنّه وسيرى ما يكون[١].

في (صفّين نصر)[٢]: ذكر معاوية يوماً صفّين بعد عام الجماعة ـ إلى أن قال ـ فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: أمّا والله لقد رأيت يوماً من الأيام وقد غشينا ثعبان مثل الطود الأرعن قد أثار قسطلا حال بيننا وبين الأفق، وهو على أدهم سائل يضربهم بسيفه ضرب غرائب الإبل، كاشراً عن أنيابه كشر الحذر الحرب. فقال معاوية: والله إنّه كان يجالد ويقاتل عن ترة له وعليه، أراه يعني عليّاً.

وممّن لم يمكن عدوّه من نفسه المختار؛ ففي (الطبري)[٣]: أنّ المختار لمّا حوصر خرج في تسعة عشر رجلاً فقال لهم: أتؤمنوني وأخرج إليكم؟ فقالوا: لا إلّا على الحكم. فقال: لا أُحكّمكم في نفسي أبداً. فضارب بسيفه حتى قُتل، وقد كان قال لأصحابه ـ حين أبوا أن يتابعوه على الخروج معه ـ: إذا أنا خرجت إليهم فقُتلت لم تزدادوا إلّا ضعفاً وذلاً فإن نزلتم على حكمهم وثب أعداؤكم الذين قد وترتموهم، فقال كلّ رجل منهم لبعضكم: هذا عنده ثأري. فيقتل وبعضكم ينظر إلى مصارع بعض فتقولون: ياليتنا أطعنا المختار وعملنا برأيه، ولو أنّكم خرجتم كنتم إن أخطأتم الظفر متّم كراماً، وإن هرب منكم هارب فدخل في عشيرته يكن أذلّ من على ظهر الأرض ـ فكان كما قال ـ

(١) الأغاني ١٤: ٢٧٧ ـ ٢٧٨.
(٢) صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٨٧.
(٣) تاريخ الطبري ٦: ١٠٧.

ولمّا كان الغد من قتل المختار قال بجير المسلي من أصحابه لباقيهم: يا قوم قد كان صاحبكم بالأمس أشار عليكم بالرأي فما أطعتموه، يا قوم إنكم إن نزلتم على حكم القوم ذُبحتم كما تُذبح الغنم، أخرجوا بأسيافكم حتى تموتوا كراماً. فقالوا: لقد أمرنا بهذا من كان أطوع عندنا فعصيناه. فأمكنوا من أنفسهم ونزلوا إلى الحكم، فبعث مصعب إليهم عباد الحبطي فكان هو يخرجهم مكتّفين ـ إلى أن قال ـ فقال بجير لمصعب: إنّ حاجتي إليك ألّا أُقتل مع هؤلاء، إنّي أمرتهم أن يخرجوا مع أسيافهم فيقاتلوا حتى يموتوا كراماً فعصوني. فقدّم فقُتل، وقال مسافر بن سعيد بن نمران لمصعب لمّا أبى إلّا قتلهم: قبّح الله قوماً أمرتهم أن يخرجوا ليلاً على حرس سكّة من هذه السكك، فنطردهم ثم نلحق بعشائرنا فعصوني حتى حملوني على أن أعطيت التي هي أنقص وأدنى، وأبوا إلّا أن يموتوا ميتة العبيد، فأنا أسألك ألّا تخلط دمي بدمائهم. فقدّم فقُتل ناحية.

وفيه: لمّا حُمل عبد الجبار الأزدي إلى المنصور بعد خروجه عليه قال له: قتلة كريمة قد تركتها وراءك يابن اللخناء.

وفيه[1]: إنّ معديكرب بن ذي يزن لمّا استجار بكسرى لينصره حتى يخرج الحبشة من بلاده، أمر بمن كان في سجنه فأُحصوا فبلغوا ثمانمائة، فقوّد عليهم قائداً من أساورته يقال له: وهرز، كان كسرى يعدله بألف أسوار، وأمر بحملهم في ثماني سفائن في كلّ سفينة مائة، فغرقت سفينتان وسلمت ست فخرجوا ساحل حضرموت، وسار إليهم مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وحمير والأعراب، ونزل وهرز على سِيف البحر وجعل البحر وراء ظهره، فلمّا نظر مسروق الحبشي إلى قلّتهم طمع فيهم فأرسل إلى وهرز:

---

(١) تاريخ الطبري: ١٤٠.

ما جاء بك وليس معك إلّا من أرى ومعي مَن ترى؟ لقد غررت بنفسك وأصحابك فإن أحببت أذنت لك فرجعت، وإن أحببت ناجزتك السّاعة، وإن أحببت أجّلتك حتى تنظر أمرك. فرأى وهرز أنّه لا طاقة له بهم فقال: بل تضرب بيني وبينك أجلاً -إلى أن قال- فلمّا انقضى الأجل إلّا يوماً أمر بالسّفن التي كانوا فيها فأُحرقت بالنار، وأمر بما كان معهم من فضل كسوة فأُحرق، ولم يدع منه إلّا ما كان على أجسادهم، ثم دعا بكل زاد معهم فقال لأصحابه. كلوا هذا الزاد. فأكلوا فلمّا انتهوا أمر بفضله فأُلقي في البحر، ثم قام فيهم خطيباً فقال: أمّا أن أحرقتم سفنكم فأردت أنّه لا سبيل لكم إلى بلادكم أبداً، وأمّا أن أحرقت من ثيابكم فإنّه كان يغيظني إن ظفروا بكم أن يصير ذلك إليهم، وأمّا ما ألقيت من زادكم في البحر فإنّي كرهت أن يطمع أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوماً واحداً، فإن كنتم تقاتلون معي وتصبرون أعلمتموني ذلك، وإن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي هذا حتى يخرج من ظهري، فإنّي لم أكن أُمكّنهم من نفسي أبداً. فقالوا: بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا أو نظفر. فلمّا كان صبح اليوم الذي انقضى فيه الأُجل عبّأ أصحابه وجعل البحر خلفه، وأقبل عليهم يحضّهم على الصبر ويُعلمهم أنّهم معه بين خلّتين: إما ظفروا بعدوّهم وإمّا ماتوا كراماً، وأمرهم أن تكون قسيهم موترة وقال: إذا أمرتكم أن ترموا فارموهم رشقاً بالبنجكان. -ولم يكن أهل اليمن رأوا النشّاب قبل ذلك- وأقبل مسروق في جمع لا يُرى طرفاه على فيل، وعلى رأسه تاج بين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة لايرى أنّ دون الظفر شيئاً، وكان وهرز قد كلّ بصره، فقال: أروني عظيمهم. فقالوا: هو صاحب الفيل. ثم لم يلبث مسروق أن نزل فركب فرساً، فقالوا: قد ركب فرساً. فقال: ارفعوا لي حاجبي. وكانا قد سقطا على عينيه من الكبر، فرفعوهما بعصابة ثم أخرج نشابه

فوضعها في كبد قوسه وقال: أشيروا لي إلى مسروق. فأشاروا حتى أثبته ثم قال: ارموا فرموا. ونزع في قوسه حتى إذا ملأها سرّح النشابة فأقبلت كأنها رشا حتى صكت جبهته فسقط عن دابته، وقتل في ذلك الرشق منهم جماعة كثيرة، وانقضّ صفهم لمّا رأوا صاحبهم صريعاً فلم يكن دون الهزيمة شيء، وغنم من عسكرهم ما لا يحصى، وجعل الأسوار يأخذ من الحبشة ومن حمير والأعراب الخمسين والستين فيسوقهم مكتّفين.

«ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء»:

سأغسل عنّي العار بالسّيف جالباً — عليّ قضاء الله ما كان جالبا
وأذهل عن داري وأجعل هدمها — لعرضي من باقي المذمة حاجبا
ويصغر في عيني تلادي إذا انثنت — يميني بإدراك الذي كنت طالبا

ولابن المفرغ:

لا ذعرت السوام في فلق الصبح — مغيراً ولا دعيت يزيدا
يوم أُعطي من المهانة ضيماً — والمنايا يرصدنني أن أحيدا

وللعدواني:

إنّي أبيّ أبيّ ذو محافظة — وابن أبيّ أبيّ من أبيين
وأنتم معشر زيد ما على مائة — فأجمعوا كيدكم طراً فكيدوني

هذا ومدح جريد الحجاج بقصيدة ـ إلى أن قال ـ:

قل للجبان إذا تأخّر سرجه — هل أنت من شرك المنية ناج

فقال له الحجاج: يابن اللخناء جرّأت عليّ الناس. فقال: ما ألقيت لها بالاً إلّا وقتي هذا.

هذا، وقد قيل في التشجيع نظماً ونثراً عربياً وفارسياً وأكثروا، وأحسن ما قيل في ذلك أبيات الفردوسي المعروف بالفارسية التي منها:

اگر جز بكـام مـن آيـد جـواب من و گرز و ميدان و افراسياب

ولمّا سمعه السلطان محمود الغزنوي قال: لمن هذا البيت الذي يـقطر منه ماء الشجاعة؟ إلّا إنّه ـ لعمري ـ أين ذاك البيت من كلامه عليه السلام: «وان امرؤٌ يمكّن عدوّه ـ إلى ـ ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء»؟

«أيّها النّاس ان لي عليكم حقاً ولكم عليّ حقّ، فأما حقّكم عليّ فالنصيحة لكم، وتوفير» أي: استيفاء.

«فيئكم» أي: غنائمكم.

«عليكم، وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب» وكان عليه السلام يؤدّي حقّهم إليهم أكثر ممّا لهم، وكانوا يقصّرون في أداء حقّه.

وفي (الطبري)[1]: وجّه معاوية في سنة (٣٩) عبدالله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء، وأمره أن يتصدّق مـن مـرّ بـه مـن أهـل البوادي، وأن يقتل من امتنع من الإعطاء، ثم يأتي مكة والمدينة والحجاز يفعل ذلك واجتمع إليه بشر كثير من قومه، فلمّا بلغ ذلك علياً عليه السلام وجّه المسيّب بن نجبة الفزاري فسار حتى لحقه بتيماء، فاقتتلوا ذلك اليوم حتى زالت الشمس، وحمل المسيّب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات كلّ ذلك لا يلتمس قتله، ويقول له: النجاء النجاء. فدخل ابن مسعدة وعامّة من معه الحصن وهـرب الباقون نحو الشام، وانتهب الأعراب إبل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة، وحصره المسيب ثلاثة أيام ثم ألقى الحطب على الباب وألقى النيران فيه حتى احترق فلمّا أحسّوا بالهلاك اشرفوا على المسيب فـقالوا: يـا مسـيب قـومك قومك. فكره هلاكهم فأمر بالنار فأُطفئت، وقال لأُصحابه: قد جاءتني عـيون فأخبروني أنّ جنداً قد أقبل إليكم من الشام، فانضموا في مكان واحد: فخرج

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٣٤.

ابن مسعدة في أصحابه ليلاً حتى لحقوا بالشام، فقال له عبد الرحمن بن شبيب: سر بنا في طلبهم فأبى المسيب، فقال له: غششت أمير المؤمنين وداهنت.

٥
الخطبة (٢٩)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱلْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُم، ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُكُمْ يُوهِي ٱلصُّمَّ ٱلصِّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ ٱلْأَعْدَاءَ؛ تَقُولُونَ فِي ٱلْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ؛ فَإِذَا جَاءَ ٱلْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ. مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا ٱسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ. أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ، دِفَاعُ ذِي ٱلدَّيْنِ المَطُول، لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ ٱلذَّلِيلُ، وَلَا يُدْرَكُ ٱلْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ؟ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ ٱلْمَغْرُورُ وَٱللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَٱللهِ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ؛ أَصْبَحْتُ وَٱللهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوعِدُ ٱلْعَدُوَّ بِكُمْ، مَا بَالُكُمْ مَا دَوَاؤُكُمْ مَا طِبُّكُمْ؟ ٱلْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ، أَقَوْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ، وَطَمَعاً في غَيْرِ حَقٍّ.

قال ابن أبي الحديد[١]: روى محمد بن يعقوب الكليني: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام استصرخ الناس عقيب غارة الضحّاك على أطراف أعماله، فتقاعدوا عنه فخطبهم فقال: «ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم...».

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١١٧ .

قلت: وفي (بيان الجاحظ)[1] ـ بعد ذكر خطبته عليه السلام في غارة سفيان الغامدي على الأنبار ـ: وله عليه السلام خطبة أُخرى بهذا الاسناد شبية بهذا المعنى، قام فيهم خطيباً فقال: «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم، تقولون في المجالس: كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد. ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، وسألتموني التأخير، دفاع ذي الدين المطول، هيهات لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلّا بالجد. أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ أم مع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، أصبحت والله لا أُصدق قولكم، ولا أطمع في نصرتكم، فرّق الله بيني وبينكم وأعقبني بكم مَن هو خير لي منكم، ولوددت أنّ لي بكلّ عشرة منكم رجلاً من بني فراس من غنم، صرف الدينار بالدرهم».

ورواه ابن عبد ربه في (عقده) مثل (بيان الجاظ) إلّا أنّ فيه: «أعاليل بأباطيل» وفيه: «دفاع ذي الدين الممطول لا يدفع الضيم».

وفي (مطالب سؤول ابن طلحة الشافعي): ومن ذمّه عليه السلام في أهل الكوفة: «أيّها الفئة المجتمعة أبدانهم، المتفرّقة أديانهم، إنّه والله ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهن الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوّكم المرتاب، إذا دعوتكم إلى أمر فيه صلاحكم والذبّ عن حريمكم اعتراكم الفشل وجئتم بالعلل، ثم قلتم: كيت وكيت، وذيت وذيت. أعاليل وأضاليل في أقوال الأباطيل، ثم سألتموني دفاع ذي الدين المطول، هيهات هيهات، إنّه لا يدفع الضيم الذلّ، ولا يدرك الحقّ إلّا الجدّ، فخبروني يا

---

(١) بيان الجاحظ ٢: ٥٤.

أهل العراق مع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟ أم أيّة دار تمنعون؟ الذليل والله من نصرتموه، والمغرور من غررتموه. أصبحت لا أطمع في نصركم ولا أصدق قولكم، فرّق الله بيني وبينكم، وأبدلكم بي غيري، وأبدلني بكم من هو خير لي منكم، أما ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيوفاً قاطعة، واثرة قبيحة يتّخذها الظالمون عليكم سنّة، فتبكي عيونكم ويدخل الفقر بيوتكم وقلوبكم، وتمنون في بعض حالاتهم أنكم رأيتموني فنصرتموني وأرقتم دماءكم دوني، ولا يبعد الله إلّا من ظلم، يا أهل الكوفة أعظكم فلا تتعظون، وأُوقظكم فلا تستيقظون! إنّ من فاز بكم فقد فاز بالخيبة، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل».

ورواه ابن قتيبة في (خلفائه)[1] جزء الخطبة السابقة في النّخيلة بعد الفراغ من الخوارج وأمرهم بالخروج إلى معاوية، فقال: قال عليه السلام: «استعدوا للمسير إلى عدوّ جهاده القربة ـ إلى أن قال ـ أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهي الصمّ، وفعلكم يطمع فيكم عدوّكم، إذا أمرتكم بالمسير قلتم: كيت وكيت، أعاليل بأضاليل، هيهات لا يدرك الحق إلّا بالجد والصبر، أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه ومن فازَ بكم فاز بالسهم الأخيب، أصبحت لا أطمع في نصرتكم، ولا أُصدّق قولَكم، فرّق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من خير لي، وأعقبكم بعدي من شرّ لكم مني، أما إنّكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاتلاً واثرة يتخذها الظالمون بعدي عليكم سنّة، تفرّق جماعتكم وتبكي عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم...».

---

(١) الخلفاء لابن قتيبة: ١٥٠ .

ونقله (أنساب البلاذري) ورواه باسناده عن أبي مخنف عن الحرث بن حصيرة عن أبي صادق عن جندب الأزدي: أنّ علياً عليه السلام خطبهم حين استنفرهم إلى الشّام بعدالنهروان فلم ينفروا، فقال: «أيّها الناس المجتمعة أبدانهم...».

ورواه (الاحتجاج)[١] جزء خطبته عليه السلام في لومهم في تثاقلهم عن قتال معاوية ففيه: «أما والله أيّها الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، والمختلفة أهواؤهم، ما أعزّ الله نصر من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، ولا قرّت عين من آواكم، كلامكم يُوهن الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب، ويحكم أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، أصبحت لا أطمع في نصرتكم، ولا أُصدق قولكم، فرّق الله بيني وبينكم...».

ورواه المفيد في (إرشاده)[٢] فقال: ومن كلامه عليه السلام في استبطاء من قعد عن نصرته: «أيّها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوّكم المرتاب، تقولون في المجالس: كيت وكيت؛ فاذا جاء القتال، قلتم: حيدي حياد. ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل أضاليل، سألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول، لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلّا بالجدّ. أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ أم مع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، أصبحت والله لا أُصدّق قولكم، ولا أطمع في نصرتكم، فرّق الله بيني وبينكم، وأبدلني بكم من هو خير لي منكم، والله

---

(١) الاحتجاج: ١٧٤ .

(٢) الارشاد للمفيد: ١٤٦ .

لوددت أن لي بكلّ عشرة منكم رجلاً من بني فراس ابن غنم، صرف الدينار بالدرهم».

هذا، وقال ابن أبي الحديد[١]: خطب عليه السلام بهذه الخطبة في غارة الضحاك بن قيس. روى غارات الثقفي[٢]: أنّ غارة الضحاك كانت بعد الحكمين وقبل النهر، وذلك أنّ معاوية لمّا بلغه أنّ علياً عليه السلام بعد واقعة الحكمين تحمّل إليه مقبلاً هاله ذلك، فخرج من دمشق معسكراً وبعث إلى كور الشام فصاح فيها: إنّ علياً قد سار إليكم؛ وكتب إليهم نسخة واحدة فقرئت على الناس: أمّا بعد، فإنّا كتبنا كتاباً بيننا وبين عليّ وشرطنا فيه شروطاً، وحكّمنا رجلين يحكمان علَيّ وعليه بحكم الكتاب لا يعدوانه، وجعلنا عهد الله وميثاقه على من نكث العهد ولم يُمض الحكم، وإنّ حَكَمي الذي كنتُ حكّمته أثبتني، وإنّ حَكَمه خلعه وقد أقبل إليكم ظالماً، تجهّزوا للحرب وأقبلوا خفافاً وثقالاً. واجتمع إليه الناس من كلّ كور وأرادوا المسير إلى صفّين، فاستشارهم وقال: إنّ علياً قد خرج من الكوفة وعهد العاهد به أنّه فارق النخيلة. فقال حبيب بن مسلمة: فإنّي أرى أن تخرج حتى تنزل منزلنا الذي كنّا فيه فانّه منزل مبارك. وقال عمرو بن العاص: إنّي أرى لك أن تسير بالجنود حتى توغلها في سلطانهم من أرض الجزيرة، فإنّ ذلك أقوى لجندك وأذلّ لأهل حربك. فقال معاوية: ان جهد الناس أن يبلغوا منزلهم الذي كانوا به ـ يعني صفّين ـ فمكثوا يومين أو ثلاثة يجيلون الرأي حتى قدمت عليهم عيونهم وأخبروهم: أنّ علياً عليه السلام اختلف عليه أصحابه، ففارقته فرقة أنكرت أمر الحكومة، وأنّه قد رجع عنكم إليهم. فكبّر الناس سروراً لانصرافه عنهم وما ألقى من الخلاف بينهم، فلم يزل معاوية

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١١٣.

(٢) الغارات للثقفي ٢: ٤١٦.

معسكراً في مكانه منتظراً لمّا يكون من عليّ عليه السلام وهل يقبل بالناس أم لا؟ فما برح حتى جاء الخبر: أنّ علياً قد قتل أُولئك الخوارج وأنّه أراد بعد قتلهم أن يُقبل بالناس، وأنّهم استنظروه ودافعوه فسرّ بذلك، فدعا الضحّاك بن قيس الفهري وقال له: سر حتى تمرّ بناحية الكوفة وترفع عنها ما استطعت، فمن وجدت من الأعراب في طاعة عليّ فأغر عليه، وإن وجدتَ له مسلحة أو خيلاً فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أُخرى، ولا تُقيمنّ لخيل بلغك أنّها قد سُرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرّحه في ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة، فأقبل الضحّاك فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب، حتى مرّ بالثعلبية فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس الذهلي ابن أخي ابن مسعود، فقتله عند القطقطانة وقتل معه ناساً من أصحابه؛ فروى إبراهيم بن المبارك البجلي عن أبيه عن بكر بن عيسى عن ابن روق عن أبيه: سمع علياً عليه السلام ـ وقد خرج إلى النّاس ـ على المنبر: يا أهل الكوفة أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس وإلى جيوش لكم قد أُصيب منهم طرف، أخرجوا فامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين. فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً ورأى منهم عجزاً وفشلاً، فقال: والله لوددت أنّ لي بكلّ ثمانية منكم رجلاً منهم، ويحكم! أخرجوا معي ثمّ فرّوا عنّي ما بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيّتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم... ثمّ نزل فخرج يمشي حتى بلغ الغريين، ثمّ دعا حجر بن عدي فعقد له على أربعة آلاف، فخرج حجر حتى مرّ بالسماوة ـ وهي أرض كلب ـ فلقي بها امرأ القيس الكلبي وهم أصهار الحسين عليه السلام فكانوا أدلّاءه في الطريق وعلى المياه، فلم يزل مغذّاً في أثر الضحاك حتى لقيه بناحية تدمر فوافقه، فاقتتلوا ساعة فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ومن أصحاب حجر رجلان، وحجز الليل

بينهم فمضى الضحّاك، فلمّا أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً.

قلت: إنّ ابن أبي الحديد كما ترى خلط وخبط، فقال: إنّ (غارات الثقفي) روى: أنّ غارة الضحّاك كانت قبل النهر. ثم نقل عن (الغارات) أنّ الخبر لمّا جاء معاوية: أنّ علياً قتل أُولئك الخوارج وبعد قتلهم أراد الشخوص إليه فامتنع عليه أصحابه، دعا حينئذ الضحّاك وبعثه ووصاه بما مرّ، وكون غارة الضحّاك بعد ممّا لا ريب فيه، فواقعة النهروان كانت في سنة (٣٧) وجعل الطبري غارة الضحّاك في سنة (٣٩) وقال: لكنّ أكثر أهل السير ذكروها في سنة (٣٨)... فجعل الاختلاف في سنة غارة الضحّاك دون كونها بعد النهر.

وكيف كان، فكون الخطبة في غارة الضحّاك كما قال غير معلوم، إنّما كانت خطبته عليه السلام في غارة الضحاك: «أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس، وإلى جيوش لكم قد أُصيب منهم طرف» إلى آخره كما مرّ عن (غارات الثقفي) وكما صرّح به (إرشاد المفيد) وإنّما نسب كون العنوان في غارة الضحاك الكليني ولم نتحققه فليس في (الكافي)، وقد عرفت أنّ الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربّه وابن طلحة منهم، والمفيد والطبرسي منّا رووه ولم يُشر أحد منهم إلى كون الخطبة في غارة الضحاك، بل صرّح بعضهم بكونها في غيرها على ما مرّ.

وبالجملة لاريب في كون غارة الضحّاك أوّل غارات معاوية؛ فروى الثقفي[1]: أنّه خطب على منبر الكوفة وقال: أمّا إنّي صاحبكم الذي أغرت على بلادكم، فكنتُ أوّل من غزاها من الإسلام، وشرب من ماء الثعلبية ومن شاطئ الفرات ـ إلى أن قال ـ أنا الضحاك بن قيس، أنا أبو أنيس، أنا قاتل عمرو بن عميس. إلّا أنّ كون هذه الخطبة في غاراته غير معلوم، ولم يكن غارته بتلك

---

(١) الغارات للثقفي ٢: ٤٣٧.

الأهميّة؛ فروى الثقفي أيضاً: أنّه لمّا خطب بما مرّ قام إليه رجل وقال له: ما أعرفنا بما ذكرت! ولقد لقيناك بغربي تدمر فوجدناك شجاعاً مجريا. فخزي الضحّاك؛ وروى أيضاً: أنّه عليه السلام كتب إلى أخيه عقيل في جوابه في قصّة الضحّاك: «فأمّا ما ذكرت من غارة الضحّاك على أهل الحيرة، فهو أقلّ وأذلّ من أن يلم بها أو يدنو منها، ولكنّه قد أقبل في جريدة خيل فأخذ على السماوة، حتى مرّ بواقصة وشراف والقطقطانة ممّا وإلى ذلك الصقع، فوجّهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك فرّ هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن، وكان ذلك حين رجعت الشمس للاياب فتناوشوا القتال، كلّا ولا فلم يصبر لوقع المشرفية وولّى هارباً، وقُتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا جريضاً بعدما اخذ عنه بالمخنق» لكن يأتي في العنوان (١٢) أنّ للضحاك غارتين، إحدهما قبل الجمل ـ وفيه كتاب عقيل ـ والأُخرى بعد النهروان، وأنّ الثقفي خلط في جعل كتاب عقيل في الأُخيرة.

«أيّها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم» كتب عبدالله بن الحسن إلى زيد بن علي لمّا أراد الخروج: يا بن عمّ، إنّ أهل الكوفة نفخ العلانية، خور السريرة، هرج في الرجاء، جزع في اللقاء، تقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم، لا يبيتون بعدة في الأحداث، ولا ينيؤن بدولة مرجوة.

ولمحمود الوراق:

يا ناظراً يرنو بعيني راقد ومشاهداً للأمر غير مشاهد

وقد أخذ معنى كلامه عليه السلام أبو تمام فدخل على ابن داود في مجلس حكمه وأنشد أبياتاً، فقال له: سيأتيك ثوابها. ثم اشتغل بتوقيعات في يده فأحفظ ذلك أبا تمام فقال له، احضر أيّدك الله فانّك غائب، واجتمع فانّك متفرّق. ثم أنشده:

إنّ حـراماً قبول مـدحتنا　　　وترك ما يرتجى من الصفد
كما الدنـانير والدراهـم فـي　　　الصـرف حـرام إلّا يـداً بـيد

فأمر بتوفير حبائه وتعجيل عطائه.

«كلامكم يوهي» أي: يوهن.

«الصمّ الصلاب» أي: الصخر الغلاظ الصلاب، أو الجبال الغلاظ الصلاب.

«وفعلكم يُطمع فيكم الأعداء» فـي (عـيون القـتيبي)[1]: كـان لأبـي حـيّة النميري سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان يسمّيه لعاب المنيّة، قـال جار له: أشرفت عليه ليلة وقد انتضاه وشمّر وهـو يـقول: أيّـها المـغترّ بـنا والمجتري علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صقيل، لعاب المنيّة الذي سمعت به مشهور ضربته، ولا تخاف نبوته، أخرج بالعفو عـنك وإلّا دخلت بالعقوبة عليك، إنّي والله إن أدع قيساً تملأ الأرض خيلاً ورجلاً، يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها! ثم فتح الباب فاذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مسخَك كلباً وكفاني حرباً.

وكان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له: عروة بن مرثد، ويكنّى أبا الأغر، ينزل ببني أُخت له في سكّة بني مازن، وبنو اخته من قـريش، فـخرج رجالهم إلى ضياعهم في شهر رمضان، وخرج النساء يصلين في مسجدهم فلم يبق في الدار إلّا الاماء، فدخل كلب يعتس فرأى بيتاً فدخله وانصفق الباب، فسمع الحركة بعض الاماء فظنّوا أنّ لصاً دخل الدار، فذهبت احداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتغي اللص؟ ثم أخذ عصاه فجاء فـوقف على باب البيت وقال: إيه يا ملامان أما والله إنك بي لعارف، فهل أنت إلّا مـن لصوص بني مازن، شربت حامضاً خبيثاً حتى إذا دارت القـدوح فـي رأسك

ـــــــــــ

(١) العيون للقتيبي ١: ١٦٨.

منتك نفسك الأماني وقلت: أطرق ديار بني عمرو والرجال خلوف والنساء يصلين في مسجدهن فأسرقهم. سوأة لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وايم الله لتخرجنّ أو لأهتفن هتفة مشؤمة يلتقي فيها الحيان: عمرو وحنظلة، وتجيء سعد بعدد الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا وهاهنا، ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود. فلمّا رأى أنّه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال: أخرج بأبي وأمي، أنت مستور، إنّي والله ما أراك تعرفني ولو عرفتني لقنعت بقولي واطمأننت إليّ أنا ـ فديتك ـ أبو الأغر النهشلي، وأنا خال القوم وجلدة بين أعينهم لا يعصونني، ولن تضار الليلة فأخرج فأنت في ذمّتي، وعندي قوصرتان أهداهما إليّ ابن أختي البار الوصول، فخذ إحداهما فانتبذها حلالاً من الله ورسوله. وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق، وإذا سكت وثب يزيغ المخرج، فتهاتف أبو الأغر ثم تضاحك وقال: يا ألأم الناس وأوضعهم، لا أرى إلّا أني لك الليلة في واد وأنت في واد، أقلب السوداء والبيضاء فتصيح وتطرق وإذا سكتّ عنك وثبت تزيغ المخرج، والله لتخرج أو لأولجن عليك البيت. فلمّا طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت: أعرابي مجنون والله ما أرى في البيت شيئاً. فدفعت الباب فخرج الكلب شدا، وحاد عنه أبو الأغر ساقطاً على قفاه.

«**تقولون في المجالس: كيت وكيت**» قال الجوهري: قال أبو عبيدة: كان من الأمر كيت وكيت، بالفتح والكسر، والتاء فيهما هاء في الأصل، فصارت تاء في الوصل. وفي (القاموس) معناهما كذا وكذا.

«**فاذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد**» أي: مل عني مل عني؛ وقال الجوهري: حيدي حياد: كقولهم: فيحي فياح.

ولابدّ أنّه أراد في الوزن وإلّا فحيدي حياد يقوله المدبر عن الشيء، فقال نفسه: فياح مثل قطام: اسم للغارة، وكان أهل الجاهلية يقولون: فيحي فياح،

أي: اتسعي. قال:

دفعنا الخيل سائلة عليهم وقلنا بالضحى فيحي فياح

وتوهّم ابن ميثم[1] أنّ مراده أنّه بمعناه، فقال: معنى حيدي حياد: اعدلي عن الغارة أيّتها الحرب.

في (الأغاني)[2] هجا دعبل المطلب بن عبدالله وكان والياً على المصر، فقال:

تُعلّق مصر بك المخزيات وتبصق في وجهك الموصل

وعاديت قوماً فما ضرّهم وشرّفت قوماً فلم ينبلوا

شعارك عند الحروب النجا وصاحبك الأخور الأفشل

فأنت إذا ما التقوا آخر وأنت إذا ما انهربوا أوّل

ولبعضهم: ما فيهم إلّا مشغول بنفسه، منكب على مجلس أُنسه، يرى السلامة غنيمة، وإذا عنّ له وصف الحرب لم يسأل إلّا عن طرق الهزيمة، أموال تنهب وممالك تذهب، لا يبالون بما سُلبوا، وهو كما قيل: إن قاتلوا قُتلوا أو طاردوا طُردوا أو حاربوا حُربوا أو غالبوا غُلبوا.

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه وليس إلى داعي الندى بسريع

ولقد أجاد من قال في وصف مثلهم بالفارسية:

ما همه شيريم ولى شير علم حمله مان از باد باشدني قدم

وبالعربية:

ولو أنّ حرقوصاً على ظهر قملة يكرّ على صفّي تميم لولّت

قالوا: الحرقوص دويبة أكبر من البرغوث أو عضّها أشدّ من عضّه،

(١) شرح ابن ميثم ٢: ٥٠.

(٢) الأغاني ٢٠: ١٦٠.

وأكثر ما يعض أحراح النساء وخصي الرجال.

في السير: لمّا توجه الخوارج إلى الكوفة وخالطوا سوادها في أيام القباع ـ وكان جباناً ـ تثاقل عن الخروج، فذمره إبراهيم بن الأشتر ولامه الناس، فخرج متحاملاً حتى أتى النخيلة. ففي ذلك يقول الشاعر:

إنّ القباع سار سيراً نكرا ... يسير يوماً ويقيم شهرا

أيضاً:

إنّ القباع سار سيراً ملسا ... بين دباها ودبيري خمسا

وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج، والخوارج يعيثون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها ثم أرادوا قتلها ـ وكانت جميلة ـ فقالت: أتقتلون ﴿...من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾[1]. فقال أحدهم: دعوها. فقالوا له: قد فتنتك. ثم قدّموها فقتلوها ثمّ قدّموا أُخرى فقتلوها، وهم بحذاء القباع والجسر معقود بينهم، وهو في ستة آلاف والمرأة تستغيث، والناس ينفلتون إلى الخوارج والقباع يمنعهم، فلمّا خاف أن يعصوه أمر بقطع الجسر، وأقام بين دباها ودبيري خمسة أيام والخوارج بقربه، وهو يقول للناس في كلّ يوم: إذا لقيتم العدو غداً فأثبتوا أقدامكم واصبروا فإنّ الحرب أوّلها الترامي، ثم اشراع الرماح ثم سلّة السيوف، فثكلت رجلاً أُمّه فرّ من الزحف. فقال بعضهم ـ لمّا أكثر عليهم ـ: أمّا الصفة فقد سمعناها، وأمّا الفعل فمتى يقع؟ فأخذت الخوارج حاجتهم وكان شأن البقاع التحصّن منهم[2].

وفيها: بعث المهلّب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أن يخندق وعلى أصحابه من الخوارج، فأجابه: أنّهم أهون عليه من ضرطة الجمل، فبيّته

---

(١) الزخرف: ١٨.

(٢) نهج البلاغة ٤: ١٦٣ ـ ١٦٤.

قطري فقتل من أصحابه خمسمائة وفرّ لايلوي على أحد، فقالوا فيه:

تركت ولدانـنا تدمى نحورهم   وجئت منهزماً يا ضرطة الجمل[١]

وفيها: فرّ أُميّة بن عبد الله بن خالد بن أُسيد من أبي فديك الخارجي، فسار من البحرين إلى البصرة في ثلاثة أيام، فقال يوماً: سرت على فرسي من البحرين إلى البصرة في المهرجان في ثلاثة أيّام. فقال له: بعضهم فلو ركبت في النيروز لسرت إليها في يوم واحد.

وأتى الحجاج بدواب من دواب أُميّة هذا، وقد وسم على أفخاذها: «عده» فأمر أن يكتب تحت «عده» «للفرار». وقال الشاعر فيه:

إذا صوّت العصفور طار فؤاده   وليث حديد النّاب عن الثرائد[٢]

وفي (الأغاني)[٣] في خروج عبدالله بن يحيى طالب الحق زمن مروان الحمار، وتوجيهه جيشاً من مكة إلى المدينة، قال رجل من قريش: لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء لكنّهم داهنوا، والله ان ظفرنا لنسيرنّ إلى أهل الطائف فلنسبينّهم. ثم قال: من يشتري مني سبي أهل الطائف؟ فلمّا انهزم الناس رجع ذاك القرشي في أول المنهزمين، فدخل منزله وأراد أن يقول لجاريته: اغلقي الباب، فقال لها: «غاق باق». دهشاً، ولم تفهم الجارية قوله حتى أومأ إليها بيده فأغلقت الباب، فلقّبه أهل المدينة بذلك: (غاق باق).

وفيه: أنّ زيد بن علي لمّا خرج كتب إلى الكميت: أخرج معنا يا أُعيمش، ألست القائل:

ما أُبالي إذا حفظت أبا القا   سم فيكم ملامة اللوام

---

(١) نهج البلاغة ٤: ١٨٧.

(٢) نهج البلاغة ٦: ١٠٧.

(٣) الأغاني ٢٣: ٢٣١.

فكتب إليه الكميت:

تجود لكم نفسي بما دون وثبة   تظلّ لها الغربان حولي تحجل

ولقد قالت الشعراء في هذا المعنى فأكثروا، منها:

تمنيتم مائتي فارس   فردكم فارس واحد

يشمّر للج عن ساقه   ويغمره الموج في الساحل

وأنت أخو السلام وكيف أنتم   ولست أخا الملمات الشداد

أي: أنت أخو السلام اللفظي، وسؤال كيف أنتم؟ في المقال دون الفعال.

إذا كان صلح تبخترت فيه   وإن كان هيج دخلت الثقب

أفي السلم أعياراً جفاء وغلظة   وفي الحرب أشباه النساء العوارك

أي: الحائضات.

أفي الولائم أولاد الواحدة   وفي العبادة أولاد العلات

هذا، وفي (القاموس) في (عروس): مات زوج أسماء العذرية ـ واسمه عروس ـ عنها، فتزوّجها رجل أعسر أبخر بخيل دميم، فلمّا أراد أن يظعن بها قالت: لو أذنت لي رثيت ابن عمي. فقال: افعلي. فقالت:

أبكيك يا عروس الأعراس

يا ثعلباً في أهله وأسداً عند الباس

مع أشياء ليس يعلمها الناس

قال: وما تلك الأشياء؟ قالت:

كان عن الهمة غير نعاس   ويعمل السيف صبيحات الباس

ثم قالت:

يا عروس الأغر الأزهر   الطيب الخِيم الكريم المخصر

مع أشياء له لا تذكر.

قال: وما تلك الأشياء؟ قالت:

كان عيوفاً للخنا والمنكر طيب النكهة غير أبخر

أيسر غير أعسر

فعرف أنّها تعرض له، فلمّا رحل بها قال: ضمّي إليك عطرك. وقد نظرقشوة عطرها مطروحة فقالت: «لا عطر بعد عروس».

وفي (محاسن الجاحظ) في الشجاعة الضدّ قيل: هو أجبن من المنزوف ضرطاً؛ وكان من حديثه أنّ نسوة من العرب لم يكن لهنّ رجل، فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام إلى الضحى، فإذا انتبه ضربنه وقلن له: قم فاصطبح. فيقول: «لو لعادية نبهتنني». أي: خيل عادية عليكن مغيرة، فأدحضها عنكن. ففرحن وقلن: إنّ صاحبنا لشجاع. ثم قلن: تعالين نجرّبه. فأتينه كما كنّ يأتينه فأيقظنه فقال: لو لعادية نبهتنني. فقلن له: نواصي الخيل معك. فجعل يقول: الخيل الخيل. ويضرط حتى مات.

وفيه: قال الحجاج لحميد الأرقط ـ وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب ـ: يا حميد هل قاتلت قط؟ قال: لا أيّها الأمير إلّا في النوم. قال: وكيف كانت وقعتك؟ قال: انتبهت وأنا منهزم.

«ما عزّت» أي: لا صارت عزيزة.

«دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم» يمكن أن يكون هو، و (ما عزت) دعاء وان يكونا اخباراً.

«أعاليل بأضاليل» أي: تعتلّون بعلل هي ضلال وباطل؛ يقال للباطل: ضلّ بتضلال. كان عليه السلام لمّا فرغ من أهل النهروان قال لهم: إنّ الله قد أحسن بكم وأعزّ نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم. فقالوا: نفدت نبالنا وكلّت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا.

«دفاع» مفعول مطلق لعامل مدلول عليه بالمقام.

«ذي الدين» أي: المديون.

«المطول» أي: المماطل. (المطول) فعول من: مطل الدين. والأصل في (مطل الدين): مطل الحديدة، إذا ضربها لتطول؛ ومواعيد عرقوب معروفة. كان عرقوب من العماليق فأتاه أخوه يسأله، فقال: إذا طلعت هذه النخلة فلك طلعها. فأتاه للعدة، فقال له: دعها حتى تصير بلحاً. فلمّا أبلحت قال له: حتى تصير رطباً. فلمّا أرطبت قال له: حتى تصير تمراً. فلمّا أتمرت عمد إليها فجزّها ولم يُعطه شيئاً.

«لا يمنع الضيم» مفعول مقدم، أي: الذلّة.

«الذليل ولا يُدرك الحق إلّا بالجدّ» في الأمر؛ قال الشاعر:

متى تجمع القلب الذّكي وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

وباهِ بقيس في الرّخاء ولا تكن أخاها إذا ما المشرفيّة سلّت

«أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون» كتب عدي بن ارطاة عمر بن عبد العزيز يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة، فوقع في كتابه: لا تطلب طاعة من خذل علياً عليه السلام وكان اماماً مرضياً.

وشكا عامل الكوفة إلى الحجاج من أهلها، فوقع: ما ظنّك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه؟

«المغرور» الحقيقي.

«والله من غررتموه» في (فتوح البلاذري): لمّا مات المنذر بن ساوي بعد النبي صلى الله عليه وآله بقليل، ارتدّ مَن بالبحرين من قيس بن ثعلبة، وارتدّ ربيعة وأمّروا عليهم ابناً للنعمان بن المنذر، وكان يسمّى الغرور، فلمّا ظهر المسلمون عليهم قال: لست بالغرور ولكنّي المغرور.

«ومن فاز بكم فقد فاز بالسّهم الأخيب» الفوز بالسّهم الأخيب أحسن استعارة، كقوله تعالى: ﴿...فبشّرهم بعذاب اليم﴾[1]. والسّهم الأخيب من سهام الميسر الذي فيه الغرم، وهو شرّ السّهام، ففي بعضها الغنم وفي بعضها لا غنم ولا غرم.

«ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل» أي: بسهم منكسر لا نصل فيه.

«أصبحت والله لا أصدق قولكم» بعد أن رأيت منكم عدم الفعل كراراً.

«ولا أطمع في نصركم» بعد أن شاهدت منكم الخذلان مراراً.

«ولا أوعد بكم العدو» بعد أن ما وفّيتم بوعدكم لوليّكم؛ قال الشاعر:

ولقد طويتكم على بلالاتكم ... وعرفت ما فيكم من الأذراب

«ما بالكم» أي: نفسكم وحالكم.

«ما دواؤكم» من مرضكم المزمن.

«ما طبّكم» أي: علاجكم، والأصل في الطب الكسر، ويجوز فيه الفتح والضم.

«القوم رجال أمثالكم» لمّا كان المغلوب يتوهم من ضعف نفسه أنّ الغالب جنس آخر رد عليه السلام عليهم هذا الوهم؛ وكانت الفرس في قتال العرب يظنّون أنّهم ما يموتون، كما أنّ العرب في قتال التتر كانوا كذلك، حتى رأى بعضهم موت بعضهم فتعجّب.

«أقولاً بغير علم وغفلة من غير ورع وطمعاً في غير حقّ» وفي (الإرشاد)[2]: قال عليه السلام لهم: حتى إذا تفرّقتم تسألون عن الأشعار جهلة من غير علم، وغفلة من غير ورع، وتثبطاً من غير خوف، نسيتم الحرب والاستعداد لها ... .

---

(١) آل عمران: ٢١، والتوبة: ٣٤، والانشقاق: ٢٤.

(٢) الإرشاد ١: ٢٧٨.

٦
الخطبة (٣٩)

ومن خطبة له عليه السلام:

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُون بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ؟ أَقُومُ فِيكُمْ مستَصْرِخاً، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرا، حَتَّى تكشَّفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَأْرٌ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَام، دَعَوْتُكُم إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ، فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ، ﴿... كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[1].

«قال الشريف: أقول: قوله عليه السلام (متذائب) أي: مضطرب من قولهم: (تذاءبت الريح) أي: اضطرب هبوبها، ومنه يُسمّى الذئب ذئباً لاضطراب مشيته».

أقول: هذه الخطبة خطب عليه السلام بها في فتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر؛ روى الطبري[2] عن أبي مخنف عن جندب عن عبدالله بن فقيم عن الحارث بن كعب: أنّ علياً عليه السلام قام في الناس فقال: أمّا بعد، فإنّ هذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر، وقد سار إليهم ابن النابغة عدوّ الله وولي من عادى الله، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم، والركون إلى سبيل الطاغوت، أشدّ اجتماعاً منكم على حقّكم هذا، فإنّهم قد بدؤكم وإخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر، عباد الله إنّ مصر أعظم من الشام وأكثر خيراً وخير

---

(١) الأنفال: ٦.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٠٦.

أهلاً، فلا تغلبوا على أهل مصر فإنّ بقاء مصر في أيدكم عزٌّ لكم وكبت لعدوّكم، أخرجوا إلى الجرعة ـ بين الحيرة والكوفة ـ فوافوني بها هناك غداً. فلمّا كان من الغد خرج يمشي فنزلها بكرة، فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه منهم واحد فرجع، فلمّا كان من العشي بعث إلى أشراف الناس، فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب فقال: الحمد لله على ما قضى من أمري وقدّر من فعلي، وابتلاني بكم أيّتها الفرقة ممّن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقّكم؟ الموت والذلّ لكم في هذه الدنيا على غير الحق؟ فوالله لئن جاء الموت ـ وليأتين ـ ليفرقنّ بيني وبينكم وأنا لصحبتكم قال وبكم غير ضنين، لله أنتم! لا دين يجمعكم ولا حمية تحميكم إذا أنتم سمعتم بعدوّكم يرد بلادكم ويشنّ الغارة عليكم، أوَليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة، ويجيبونه في السنة مرتين والثلاث إلى أي وجه شاء، وأنا أدعوكم ـ وأنتم أُولو النهى وبقية الناس على المعونة ـ فتقومون عني وتعصونني وتختلفون عليّ؟! ـ إلى أن قال عليه السلام بعد ذكر مجيء الخبر بقتل محمد بن أبي بكر وفتح مصر وخطبته الناس واخبارهم بذلك ـ: إنّي والله ما ألوم نفسي على التقصير وإنّي لمقاساة الحرب مجدّ خبير، وإنّي لأقدم على الأمر وأعرف وجه الحزم وأقوم فيكم بالرأي المصيب، فأستصرخكم معلناً وأُناديكم نداء المستغيث معرباً، فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً حتى تصير بي الأُمور إلى عواقب المساءة، فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر ولا ينقض بكم الأوتار، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة، فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نيّة في جهاد العدو ولا اكتساب الأجر، ثم خرج اليّ منكم جنيد متذائب ﴿كأنّما يساقون إلى

الموت وهم ينظرون﴾[١] فافٍّ لكم....

ومثله الثقفي في (غاراته)[٢] ورواه ابن بكار في (موفقياته) عن محمد بن الضحّاك عن أبيه: أنّ ابن غزية الأنصاري ـ ثم النجاري ـ قدم على علي عليه السلام من مصر، وقدم عليه عبد الرحمن بن شبيب الفزاري من الشام وكان عيناً لعليّ عليه السلام بها، فأمّا الأنصاري فكان مع محمد بن أبي بكر؛ وحدّثه الفزاري: إنّه لم يخرج من الشام حتى قدمت الرسل والبشرى من قبل عمرو بن العاص تترى، يتبع بعضها بعضاً بفتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر، حتى آذن معاوية بقتله على المنبر. وقال له عليه السلام: ما رأيت سرور قوم قط أظهر من سرور رأيته بالشام حين أتاهم قتل محمد بن أبي بكر. فقال له عليه السلام: حزننا على قتله على قدر سرورهم بقتله، لا بل يزيد أضعافاً. وحزن على قتله حزناً شديداً حتى رئي في وجهه وتبيّن فيه؛ وقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال عليه السلام:

ألا وإنّ محمد بن أبي بكر أُصيب رحمه الله وعند الله نحتسبه، أما والله أن كان ممّن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب هدى المؤمنين، ألا والله لا ألوم نفسي في تقصير ولا عجز، إنّي بمقاساة الحرب لجدّ خبير، وإنّي لأتقدم في الأمر فأعرف وجه الحزم، فأقوم فيكم بالرأي المصيب معلناً وأناديكم نداء المستغيث، فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً حتى تصير بي الأُمور عواقب الفساد، وأنتم لا يدرك بكم الأوتار ولا يشفى بكم الغل، دعوتكم إلى غياث إخوتكم منذ بضع وخمسين ليلة، فخرجتم جرجرة الجمل الأُسر، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نيّة في جهاد

---

(١) الأنفال: ٦.

(٢) الغارات للثقفي ١: ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

العدو ولا احتساب الأجر، ثم خرج منكم جنيد ضعيف ﴿كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ فأُفّ لكم. ثم نزل فدخل رحله.

وقال ابن أبي الحديد: خطب عليه السلام بها في غارة النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر وتبعه ابن ميثم[١] والخوئي.

قال ابن أبي الحديد[٢]: ذكر صاحب (الغارات)[٣] أنّ النعمان قدم هو وأبو هريرة على علي عليه السلام من عند معاوية بعد أبي مسلم الخولاني، يسألانه: أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية ليقيدهم بعثمان لعلّ الحرب أن يطفأ. وإنّما أراد معاوية أن يرجع مثل النّعمان وأبي هريرة من عند عليّ عليه السلام إلى الناس وهم لمعاوية عاذرون ولعليّ عليه السلام لائمون، وقد علم معاوية أنّ علياً عليه السلام لايدفع قتلة عثمان إليه فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشام بذلك، فقال لهما: ائتيا علياً. فأتياه عليه السلام فقال له أبو هريرة: إنّ الله قد جعل لك في الإسلام فضلاً وشرفاً ـ إلى أن قال عليه السلام ـ فقال لهما دعا الكلام: في هذا؛ حدّثني عنك يا نعمان أنت أهدى قومك ـ يعني الأنصار ـ سبيلاً؟ قال: لا. قال: فكلّ قومك اتّبعني إلّا شذاذاً منهم ثلاثة أو أربعة فتكون أنت من الشذاذ؟ فقال: إنّما جئت لأن أكون معك وألزمك وقد كان معاوية سألني أن أؤدي هذا الكلام. ولحق أبو هريرة بالشام وأقام النعمان ثم خرج فارّاً، حتى إذا مرّ بعين التّمر أخذه مالك بن كعب الأرحبي ـ وهو عامله عليه السلام على عين التمر ـ فقال له ما مرّ بك هاهنا؟ قال: إنّما أنا رسول بلّغت رسالة صاحبي ثم انصرفت. فحبسه وقال له: كن حتى أكتب فيك إلى علي عليه السلام. فأرسل النّعمان إلى قرظة بن كعب

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ٩٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٠١.

(٣) الغارات للثقفي ٢: ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

الأنصاري ـ وهو كاتب عين التمر ـ فجاءه مسرعاً فقال لمالك: خل سبيل ابن عمي. فقال له: اتّق الله ولا تتكلّم في هذا، فإنّه لو كان من عبّاد الأنصار لمّا هرب من أمير المؤمنين إلى أمير المنافقين. فلم يزل يُقسم عليه حتى خلّى سبيله وقال له: لك الأمان اليوم والغد، فإن أدركتك بعد لأضربنّ عنقك. فخرج لا يلوي على شيء، أين هو من الأرض ثلاثة أيام، حتى سمع امرأة تطحن وتقول:

شربت مع الجوزاء كأساً ردية   وأُخرى مع الشعرى إذا ما استقلت

معتقة كانت قريش تصونها   فلمّا استحلوا قتل عثمان حلّت

فعلم أنّه عند حي من أصحاب معاوية، ثم قدم على معاوية فخبره بما لقي، ثم غزا الضحّاك بن قيس أرض العراق ثم انصرف، فقال معاوية: أما من رجل أبعث معه بجريدة خيل حتى يغير على شاطئ الفرات؟ فإنّ الله يرعب بها أهل العراق فقال له النّعمان: فابعثني. فندب معه ألفي رجل وأوصاه: أن يجتنب المدن والجماعات، وألّا يغير إلّا على مسلحة، وأن يعجل الرجوع. فأقبل النّعمان حتى دنا من عين التمر، وبها مالك بن كعب الأرحبي الذي جرى له معه ما ذكرنا، ومع مالك ألف رجل وقد إذن لهم فرجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلّا مائة، فكتب إلى عليّ عليه السلام: إنّ النعمان نزل بي في جمع كثيف. فصعد عليه السلام المنبر وقال لهم: أخرجوا إلى مالك أخيكم فإنّ النّعمان قد نزل به في جمع من أهل الشام، فانهضوا لعلّ الله أن يقطع بكم من الكافرين طرفاً. ثم نزل فلم يخرجوا فأرسل إلى وجوههم: أن ينهضوا ويحثّوا الناس على المسير. فلم يصنعوا شيئاً واجتمع نحو ثلاثمائة فارس أو دونها، فقال عليه السلام: «ألا إنّي منيت بمن لا يطيع ...».

ثم نزل فدخل منزله فقام عدي بن حاتم فقال: هذا والله الخذلان، على هذا بايعنا أمير المؤمنين. ثم دخل إليه فقال له: إنّ معي من طيّ ألف رجل لا

يعصونني فإن شئت سرتُ إليهم. فقال عليه السلام: ما كنت لأعرض قبيلة واحدة للناس، ولكن اخرج إلى النّخيلة وعسّكر بهم. وفرض عليه السلام لكلّ رجل سبعمائة فاجتمع إليه ألف فارس عدا طيّ أصحاب عدي، وورد الخبر بهزيمة النّعمان ونصرة مالك، فقرأ الكتاب ثمّ نظر إلى الناس وقال: هذا بحمد الله وذمّ أكثركم.

فأمّا خبر مالك مع النّعمان فقال عبدالله بن حوزة الأزدي: كنت مع مالك حين نزل بنا النّعمان وهو في ألفين وما نحن إلّا مائة، فقال لنا: قاتلوهم في القرية واجعلوا الجدر في ظهوركم ﴿ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[1]، واعلموا أنّ الله تعالى ينصر العشرة على المائة، والمائة على الألف، والقليل على الكثير. ثم قال: إنّ من أقرب مَن هاهنا إلينا من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وعمّا له قرظة بن كعب ومخنف بن سليم، فاركض إليهما واعلمهما حالنا. فمررت بقرظة فقال: إنّما أنا صاحب خراج وليس عندي من أعينه به. فمضيت إلى مخنف فأخبرته فسرّح معي عبدالرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً، وكان مالك قاتل النّعمان إلى العصر، فأتيناه وقد كسر هو وأصحابه جفون سيوفهم واستسلموا للموت، فما هو إلّا أن رآنا أهل الشّام فأخذوا ينكصون، ورآنا مالك وأصحابه فشدّوا عليهم حتى دفعوهم عن القرية، فاستعرضناهم فصرعنا منهم رجالاً ثلاثة، وارتفعوا عنّا وظنّوا أنّ وراءنا مدداً، ولو ظنّوا أنّه ليس غيرنا لأقبلوا علينا وأهلكونا، وحال الليل بيننا فانصرفوا إلى منازلهم، وكتب مالك إلى عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فإنّه نزل بنا النّعمان في جمع من أهل الشام كالظاهر علينا، وكان عُظْم أصحابي متفرّقين، وكنّا للذي كان منهم آمنين، فخرجنا إليهم رجالاً مصلتين فقاتلناهم حتى المساء، واستصرخنا مخنف بن سليم فبعث إلينا رجالاً من شيعة أمير المؤمنين وولده، فنعم الفتى ونعم

---

(١) البقرة: ١٩٥.

الأنصار كانوا، فحملنا عليهم فأنزل الله تعالى علينا نصره وهزم عدوّه.

وقال ابن أبي الحديد[1]: وروى محمد بن فرات الجرميّ عن زيد بن عليّ في هذه الخطبة: أيها النّاس، إنّي دعوتكم إلى الحقّ فتوليتم عنّي، وضربتكم بالدِرَّة فأعييتموني، أما إنّه سيليكم بعدي ولاة لا يرضون منكم بذلك حتى يعذّبوكم بالسياط وبالحديد، فأمّا أنا فلا أُعذّبكم بهما، إنّه من عذّب النّاس في الدّنيا عذّبه الله في الآخرة، وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتّى يحلّ بين أظهركم فيأخذ العمّال وعمّال (ظ) العمّال، رجل يقال له: يوسف بن عمر، ويقوم عند ذلك رجل منّا أهل البيت فانصروه فإنّه داع إلى الحق. وكان الناس يتحدّثون: أنّ ذلك الرجل هو زيد.

قلت: ولابد أنّ ابن أبي الحديد خلط ولم ينقل لفظ الثقفي في الخطبة، بل قال: قال: «إنّي منيت بمن لا يطيع إلى آخر الفصل. وكيف، وقد عرفت أنّ الثقفي روى العنوان في قتل محمد بن أبي بكر، وقد نقله ابن أبي الحديد ثمة عنه هنا، وإن غفل عنه هنا، وأيضاً فقرات العنوان تشهد لعدم كونها في غارة النّعمان، فقوله: «دعوتكم إلى نصر إخوانكم...» يدل أنّه عليه السلام كان قبل دعاهم، فخرج منهم من لم يكن أثر فيه حتى وقع ما خافه، ولم يكن ذاك إلّا في قتل محمّد بن أبي‌بكر؛ وأمّا في غارة النّعمان فبنقله: خرج جمع كثير برياسة عدي وأتاه الخبر بالفتح.

وبالجملة لاريب في كون العنوان في قتل محمد بن أبي‌بكر، وأنّ من قوله عليه السلام: «مُنيت» إلى «ولا حميّة تُحمشكم» مأخوذ من خطبته عليه السلام في الدّعاء والحثّ إلى الخروج إلى نصر محمّد بن أبي بكر، ومن قوله: «أقوم فيكم مستصرخاً» إلى آخر العنوان، مأخوذ من خطبته عليه السلام بعد مجيء الخبر بقتله

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٠٦.

وفتح مصر، كما عرفته من رواية الطبري، والمصنّف جمع بينهما كما هو دأبه في الكتاب؛ وأمّا خطبته عليه السلام في غارة النّعمان على عين التمر فشيء آخر. راجع الغارات صفحة (٤٥١)[1].

«مُنيت» أي: ابتُليت.

«بمن لا يُطيع إذا أمرت» وذلك بلاء عظيم؛ وفي (حيوان الجاحظ)[2] قال يزيد بن الصعق لبني سليم حين صنعوا بسيّدهم العباس ما صنعوا ـ وكانوا توّجوه وملّكوه فلمّا خالفهم في بعض الأمر وثبوا عليه لقلّة رهطه ـ:

وإن الله ذاق حلوم قيس فلمّا ذاق خفّتها قلاها

رآها لا تطيع لها أميراً فخلّاها تردد في خلاها

«ولا يجيب إذا دعوت»

فما من تهتفين به لنصر بأسرع إجابة لك من هذيل

وفي (أمثال الكرماني) ـ بعد ذكر البيت ـ: زعمت العرب أنّ هذيلاً كان فرخاً على عهد نوح فصاده جارح، فما من حمامة إلّا وهي تبكيه وتدعوه فلا يجيبها.

«أما دين يجمعكم» فالدين يجمع بين العرب والعجم، وأهل المشرق والمغرب.

«ولا حمية تُحمشكم» أي: تُغضبكم.

«أقوم فيكم ـ إلى ـ عن عواقب المساءة» لقتل مثل محمّد بن أبي بكر، وتصرّف العدوّ مثل مصر.

«فما يُدرك بكم ثأر» لعدم حمية لكم.

---

(١) الغارات: ٢: ٤٥١.

(٢) الحيوان للجاحظ ٥: ٣٠.

«ولا يبلغ بكم مرام» أي: مقصد.

«دعوتكم إلى نصر إخوانكم» من أهل مصر.

«فجرجرتم» الجرجرة: صوت يُردّده البعير في حنجرته.

«جرجرة الجمل الأسر» قال الجوهري: بعير أسر إذا كانت بكركرته دبرة؛ قال الشاعر:

إن جنبي عن الفراش لنابٍ كتجافي الأسر فوق الظراب

«وتثاقلتم تثاقل النِّضو» البعير المهزول.

«الأدبر» كالدَّبِر ذو القرحة. قال: وهان على الأملس ما لاقى الدَّبر.

«ثم خرج إليّ منكم جُنيد» تصغير الجند.

«متذائب ضعيف» وفي نسخة ابن ميثم[1]: «ضعيف متذائب».

«﴿كأنّما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾» اقتباس من قوله تعالى: ﴿يجادلونك في الحقّ بعدما تبيّن كأنّما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾[2].

في (البلاذري) سار القباع لقتال الخوارج من الكوفة إلى باجوا شهراً؛ فقال الشاعر:

سار بنا القباع سيراً نكرا يسير يوماً ويقيم شهرا

قول المصنف: «قال الشريف» هكذا في (المصرية)[3] وفي (ابن أبي الحديد)[4]: «قال الرضي ﷺ»، وفي (الخطية): «قال السيد».

«أقول» هكذا في (المصرية) وهو زائد لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد والخطية).

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ٩٩.

(٢) الأنفال: ٦.

(٣) الطبعة المصرية ١: ٨٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٠٠.

«قوله عليه السلام (متذائب) أي: مضطرب من قولهم: (تذاءبت الريح) أي: اضطرب هبوبها» ومن قولهم: «تذاءبت الريح» أيضاً سمّيت الذؤابة بالذؤابة، كما صرّح به في (الجمهرة).

«ومنه يُسمّى» هكذا في (المصرية) والصواب: (سُمّي) كما في (ابن أبي الحديد والخطية).

«الذئب ذئباً» هكذا في (المصرية) وليس (ذئباً) في (الخطية) وفي (أصل ابن أبي الحديد) وإنّما كتب في الحاشية.

«لاضطراب مشيته» والأصمعي عكس. قال الجوهري: تذاءبت الريح أي: اختلفت وجاءت مرّة كذا ومرّة كذا. قال الأصمعي أخذ من فعل (الذئب) لأنّه يأتي كذلك.

هذا، وليس في (ابن ميثم) بيان الرضي هنا رأساً، كما في الشقشقية، هذا ويأتي في الآتي أنّ الأصل في هذا وذاك واحد.

٧
الخطبة (١٧٨)

ومن خطبة له عليه السلام في ذم أصحابه:

أَحْمَدُ ٱللهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ٱبْتِلاَئِي بِكُمْ، أَيَّتُهَا ٱلْفِرْقَةُ الَّتِي إذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ، إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ، وَإِنِ ٱجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ. لاَ أَبَا لِغَيْرِكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ وَٱلْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ؟ المَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ؟ فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي ـ وَلَيَأْتِيَنِّي ـ لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ قَالٍ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ. لِلّهِ أَنْتُمْ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلاَ حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ؟ أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ

يَدْعُو ٱلْجُفَاةَ الطَّغَامَ، فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ -وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ ٱلْاسْلَامِ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ -إِلَى المَعُونَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ ٱلْعَطَاءِ، فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ؟ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضاً فَتَرْضَوْنَهُ، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوتُ، قَدْ دَارَسْتُكُمُ ٱلْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمُ ٱلْحِجَاجَ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ. لَوْ كَانَ ٱلْأَعْمَى يَلْحَظُ أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ! وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدِّبُهُمُ ٱبْنُ النَّابِغَةِ!

أقول: الأصل فيه وفي سابقه واحد، لكنّه لمّا اختلفت الرواية في نقل كلامه عليه السلام اختلفا.

قال المصنّف في أول الكتاب: «إنّ روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافاً شديداً» وهو وان قال: «إنّه قد يعيد كلامه عليه السلام استظهاراً للاختيار وغيرة على عقايل الكلام» إلّا أنه لم يتفطّن هنا وغفل، كما قال: «وربّما بعد العهد بما اختير أولا فاعيد بعضه سهواً ونسياناً». ولم يتفطّن الشرّاح أيضاً، وإنّما زاد المصنّف ثمة كلامه عليه السلام بعد مجيء الخبر بقتل محمد بن أبي بكر وأصحابه، من قوله: «دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأسر، وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر، ثم خرج إليّ منكم جنيد متذائب...» وهنا زاد أموراً أخر.

ونقلنا الأصل في العنوان ثمة من خبر الطبري، وننقله هنا من خبر الثقفي، والأصل في الخبرين واحد؛ روى الثقفي[1] عن المدائني عن الحرث بن كعب عن جندب بن عبدالله قال: والله إنّي لعند عليّ عليه السلام -إلى أن قال- قال عليه السلام

(١) الغارات للثقفي ١: ٢٩٠.

على المنبر: فهذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر قد سار إليهم ابن النابغة - إلى أن قال - فقال عليه السلام: الحمد لله على ما قضى وقدر من فعل، وابتلائي بكم أيتها الفرقة التي لا تطيع إذا أمرتها ولا تُجيب إذا دعوتها، لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم؟ الموت خير من الذل في هذه الدنيا بغير الحق، والله إن جاءني الموت - وليأتينّي - ويفرّقن بيني وبينكم وإنّي لصحبتكم لقالٍ، ألا دينٌ يجمعكم؟ ألا حمية تغيظكم؟ ألا تسمعون بعدوكم ينتقض بلادكم ويشن الغارة عليكم؟ أوَليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطغاة الظلمة، فيتّبعونه على غير عطاء ولا معونة، فيجيبونه في السنة المرّة والمرتين والثلاث إلى أي وجه شاء، ثم أنا أدعوكم وأنتم - أُولو النهى وبقية الناس - تختلفون وتفترقون عنّي وتعصونني وتخالفون عليّ....

قول المصنف: «ومن خطبة له عليه السلام» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: (ومن كلام له عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] والخطية).

«الحمد لله على ما قضى من أمر وقدّر من فعل» لأنّه يجب حمده في الضرّاء كما في السرّاء، والمراد على ما قضى وقدر من فتح العدو لمصر وقتل عامله وشيعته.

«وعلى ابتلائي بكم، أيّتها الفرقة التي إذا أمرت» بلفظة المتكلّم المعلوم.

«لم تُطع، وإذا دعوت لم تُجب» عن (غارات الثقفي)[4]: كان لعليّ عليه السلام صديق يكنّى أبا مريم من أهل المدينة، فلمّا سمع بتشتت الناس عليه أتاه، فلمّا رآه قال عليه السلام: أبو مريم؟ قال: نعم. قال: ما جاء بك؟ قال: لم آتك لحاجة، ولكنّي

---

(١) الطبعة المصرية ٢: ١٢١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٦٧.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٥.

(٤) الغارات للثقفي ١: ٦٨.

أرى لو ولوك أمر هذه الأمّة أجزأته. قال: يا أبامريم، أنا صاحبك الذي عهدت، ولكنّي مُنيت بأخبث قوم على وجه الأرض، أدعوهم إلى الأمر فلا يتّبعوني، فإذا تابعتهم على ما يُريدون تفرّقوا عنّي.

«إن أُمهلتم خُضتم» الأصل في الخوض: الدخول في الماء، ويأتي للدخول في حديث الناس.

«وإن حوربتم خُرتم» من: خار يخور، أي: ضعفتم وانكسرتم.

«وإن اجتمع النّاس على إمام طعنتم» وفي نسخة ابن ميثم[1]: «ظعنتم».

«وإن أُجئتم» أي: جيء بكم.

«إلى مشاقّة» أي: مخالطة العدو.

«نكصتم» أي: رجعتم على أعقابكم.

«لا أبا لغيركم» أي: الرداءة لغيركم.

«ما تنظرون» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ما تنتظرون) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«بنصركم ربّكم» هكذا في (المصرية)، وكلمة (ربّكم) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«والجهاد على حقكم» لأنّهم كانوا هم المسلمين دون معاوية وأصحابه، فبلاد الإسلام كان واجباً أن تكون تحت أيديهم، يعني مع إمارته عليه السلام.

«لئن جاء يومي» جاء عليه السلام بـ(إن) الموضوعة للشك لكون جوابه «ليفرّقن...» غير متحقق الوقوع دون شرطه، ولذا جاء بالاستدراك وقال:

«وليأتينّي» بالتشديد.

«ليفرّقن بيني وبنيكم وأنا» الواو للحالية.

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٥.

«لكم» هكذا في (المصرية)[1]، والصواب: (لصحبتكم) كما في (ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] والخطية).

«قالٍ» من القلى، أي: مبغض.

«وبكم غير كثير» قال الكراجكي في (كنزه): روى أنّ هذه الأبيات له عليه السلام:

أخذتكمُ درعاً حصيناً لتدفعوا	سهام العدى عنّي فكنتم نصالها
فإن أنتمُ لم تحفظوا لمودّتي	ذماماً فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقف المعذور عنّي بجانب	وخلّوا بنا للعدى ونبالها

«لله أنتم! أما دين يجمعكم، ولا حمية تشحذكم» من: شحذت السكين، إذا حددته، ومرّ في سابقه بلفظ «تحمشكم».

«أوليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة» جمع الجافي، أي: الغلاظ.

«الطغام» أرذال الناس وأوغادهم؛ قال:

فما فضل اللبيب على الطغام

«فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء» قال ابن أبي الحديد[4]: المعونة للجند: شيء يسير برسم ترميم أسلحتهم وإصلاح دوابّهم، ويكون ذلك خارجاً عن العطاء المفروض شهراً فشهراً.

قلت: العطاء أيضاً أعمّ من فرض الشهر، إنّما فرض الشهر يقال له: الرزق، ولازم ما قال من كون العطاء الشيء المفروض أن يكون جند معاوية بدون أرزاق، وهو غير ممكن، وإنّما لم يكن يُعطيهم عطايا زائدة ومعونات زائدة.

---

(١) الطبعة المصرية ٢: ١٢١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٦٧.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٧٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٧١.

«وأنا أدعوكم وأنتم تريكة الإسلام» قال ابن أبي الحديد[١]: التريكة: بيضة النعام تتركها في مجتمها؛ أي: أنتم خلف الإسلام وبقيّته كالبيضة التي يتركها النعامة.

وتبعه من تأخّر عنه وهو خطأ، فبيضة النعامة رذيلة لا فضيلة؛ فمن أمثال العرب: أرذل من بيضة النعامة. قال الكرماني في (أمثاله) تترك النعامة بيضتها في فلاة من الأرض فلا ترجع إليها....

والصواب: أنّها بمعنى البقيّة؛ ففي (النهاية)[٢] في حديث الحسن: «(إنّ لله ترائك في خلقه) أراد أُموراً أبقاها الله في العباد...» فيكون المعنى: أنتم الذين تركّكم الإسلام من أفراده وملّته.

«وبقية الناس» قال ابن أبي الحديد[٣]: هذا الكلام في غاية اللطف، ومعناه: أنّ باقي الناس غير اتباعه لا يُقال لهم: الناس، لعدم وجود الإنسانية فيهم، فكأنّ الناس انقرضوا إلّا أتباعه عليه السلام فهم بقيّتهم التي بقوا منهم.

«إلى المعونة وطائفة من العطاء، فتتفرقون عنّي وتختلفون عليّ» روى (غارات الثقفي)[٤] خطبته عليه السلام في غارة بسر -إلى أن قال- إنّ من ذلّ المسلمين وهلاك الدين أنّ ابن أبي سفيان يدعو الأرذال والأشرار فيُجاب، وأدعوكم -وأنتم الأفضلون الأخيار- فتراوغون وتدافعون، ما هذا بفعل المتّقين.

قال ابن أبي الحديد[٥]: كان معاوية يُعطي الرؤساء ولا يُعطي الأتباع،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٧١.

(٢) النهاية ١: ١٨٨.

(٣) لم نعثر على نص العبارة في الفصل.

(٤) الغارات للثقفي ٢: ٦٢٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٧١.

وأمّا هو عليه السلام فكان يقسم بين الرؤساء والأتباع، ولا يرى لشريف على مشروف فضلاً.

قلت: روى الثقفي[١]: أنّ أشراف الكوفة كانوا غاشّين له عليه السلام وكان هواهم مع معاوية لأنّه عليه السلام كان لا يُعطي أحداً من الفيء أكثر من حقّه، وكان معاوية جعل الشرف في العطاء ألفي درهم.

ثمّ كان عجباً كما قال عليه السلام وفوق العجب أنّ معاوية ـ وكان مَعْدِن كلّ فجور وكفر، ومنكراً للكتاب والسنّة ـ لمّا أراد بالصورة والخدعة أن يبايعه الناس على الكتاب والسنة يقول له مالك بن هبيرة الكندي ـ من رجال الشام ـ:

جعلت للسفهاء مقالاً، ابسط يدك أُبايعك على ما أحببنا وكرهنا:

ألا كلّ ملك ضمّه الشرط هالك

ويُنكر جمع منهم بيعة عدّة له عليه السلام على أنّهم أولياء من والى وأعداء من عادى، مع أنّه عليه السلام كان مظهر الكتاب والسنّة قولاً وعملاً.

«إنّه لا يخرج إليكم من أمري رضا فترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه» قال ابن أبي الحديد[٢]: يعني أنّكم لا تقبلون ممّا أقول لكم شيئاً، سواء كان ممّا يُرضيكم أو يُسخطكم.

قلت: بل يعني عليه السلام أنّه كلّ ما خرج إليكم من أمري شيء فيه رضاي، وكان الواجب عليكم الرضا به لا ترضونه، وكلّ ما خرج إليكم من أمري شيء فيه سخطي، وكان الواجب عليكم أن تسخطوا منه جميعاً لا تجتمعون على السخط منه؛ وما قاله من عدم رضاهم بما يرضيهم لا معنى له.

---

(١) الغارات للثقفي ١: ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ٧١.

وروى (غارات الثقفي)[١] في غارة الغامدي: أنّه عليه السلام قال في خطبته: قد عاتبتكم في رشدكم حتى سئمت، وراجعتموني بالهزء من قولكم حتى برمت، هزء من القول لا يعاذ به، وخطل لا يعزّ أهله، ولو وجدت بُدّاً من خطابكم والعتاب إليكم ما فعلت، فردوا خيراً وافعلوه، وما أظن أن تفعلوا.

«وإنّ أحبّ ما أنا لاقٍ إليّ الموت» هكذا في النسخ، وكأنّه محرف: (وإنّ أحب ما أنا لاقيه الموت).

وكيف كان، ففي (العقد) قالت الحكماء: أشدّ من الموت ما إذا نزل بك أحببت له الموت، وأطيب من العيش ما إذا فارقته أبغضت له العيش.

«قد دارستكم الكتاب» قال ابن أبي الحديد[٢]: أي دارسته عليكم. دارست الكتب وتدارستها وادرستها ودرستها بمعنى، وهي من الألفاظ القرآنية.

قلت: لم نقف على من ذكر (ادرس) وإنّما في القرآن مجردة: (درست ودرسوا وتدرسون) ثم الظاهر أنّ المراد: علّمتكم درس القرآن وتفسيره، فإنّ الأصل في تفسيره هو عليه السلام.

«وفاتحتكم الحجاج» أي: فتحت لكم أبواب المحاجّة في الدين، وهو عليه السلام أوّل من علّم الناس الاحتجاج في دين الله؛ وقال ابن أبي الحديد[٣]: أي حاكمتكم بالمحاجّة، وهو كما ترى.

«وعرّفتكم ما أنكرتم» ممّا لبسه المتقدّمون عليه، على الناس.

«وسوغتكم» الأصل فيه: ساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق.

«ما مججتم» والأصل في المج: مج الشراب من فيه، إذا رمى به، والمراد:

---

(١) الغارات للثقفي ٢: ٤٧٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٧٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٧٢.

ردّهم إلى السنن من بدع المتقدّمين عليه.

«لو كان الأعمى يلحظ» أي: يُبصر.

«والنائم يستيقظ» أي: يسمع ويفهم، أي: كما أنّ لحظ الأعمى وتيقّظ النائم محال، كذلك محال أن تفهموا ـ بعد أن دارستكم الكتاب، وفاتحتكم الحجاج وعرّفتكم ما أنكرتم وسوّغتكم ما مججتم ـ مقامي وأنّي مَن جعله الله إماماً للناس، وأنّ المتقدّمين عليه كانوا ضالّين ﴿...أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يُتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون﴾[1].

وقال ابن أبي الحديد[2]: أيضاً: معنى الكلام قد فعلت معكم ما يقتضي حصول الاعتقادات الحقيقية في أذهانكم، لو أزلتم عن قلوبكم ما يمنع من حصولها، من الهوى والعصبية والإصرار على اللجاج، ومحبّة نصرة عقيدة قد سبقت إلى القلب، وزرعها فيه التعصّب ومشقّة مفارقة الاسلاف الذين قد انغرس في النفس تعظيمهم، ومالت القلوب إلى تقليدهم لحسن الظن بهم.

«وأقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معْويه، ومؤدّبهم ابن النابغة» أي: عمرو بن العاص؛ وفي (الطبري)[3] عن زيد بن وهب: مرّ عليّ عليه السلام في صفّين على جماعة من أهل الشام ـ فيهم الوليد بن عقبة ـ وهم يشتمونه، فخبر بذلك فوقف في من يليهم من أصحابه فقال: انهدوا إليهم وعليكم السكينة ووقار الإسلام وسيماء الصالحين، فوالله لأقرب قوم من الجهل قوم قائدهم ومؤدبهم معاوية وابن النابغة وأبو أعور السلمي، وابن أبي معط شارب الخمر المجلود حدّاً في الإسلام، وهم أوّل من يقومون فينقصونني.

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٧٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٤٥.

وفي (طرائف ابن طاووس) عن بعضهم في معاوية وعمرو في تغييرهما السنّة في التختم من اليمين إلى الشمال:

سنّ التختّم في اليمين محمّد ... للقائلين بدعوة الإخلاص
فسعى ابن هند في إزالة رسمه ... وأعانه في ذلك ابن العاص

هذا، ولابن أبي نعيم في يحيى بن أكثم القاضي والخليفة العباسي وامرائهم:

أميرنا يرتشي وحاكمنا ... يلوط والراس شرّ ما راس
قاضٍ يرى الحدّ في الزنا ولا ... يرى على من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضي وعلى ... الأمّة والٍ من بني العبّاس

٨
الخطبة (٦٦)

ومن كلام له عليه السلام لمّا قلّد محمّد بن أبي بكر مصر فمُلكت عليه فقُتل:
وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ ٱلْعَرْصَةَ، وَلاَ أَنْهَزَهُم ٱلْفُرْصَةَ، بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّد بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً، وَكَانَ لِي رَبِيباً.

أقول: قال ابن أبي الحديد[1]: روى المدائني: أنّ علياً عليه السلام قال: رحم الله محمداً، كان غلاماً حدثاً، لقد كنت أردت أن أولّي المرقال هاشم بن عتبة مصراً، فإنّه والله لو وليها ما خلّى لابن العاص وأعوانه العرصة، ولا قتل إلّا وسيفه في يده، بلا ذمّ لمحمّد، فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه.

قلت: وروى الطبري[2] عن أبي مخنف مثله، لكن فيه: «وأعوانه الفجرة»،

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٩٣.
(٢) تاريخ الطبري ٥: ١١٠.

وفيه: «فقد اجتهد نفسه».

قول المصنف: «ومن كلام له عليه السلام لمّا قلّد» قال الجوهري: «قلّدت المرأة فتقلدت هي». ومنه التقليد في الدين، وتقليد الولاة الأعمال.

«محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه فقتل» هكذا في (المصرية)[١] والصواب: (وقتل) كما في (ابن أبي الحديد[٢] وابن ميثم[٣] والخطية).

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد[٤] نقل مقتله من (غارات الثقفي)[٥]، وأنقله من (تاريخ الطبري)[٦]؛ فروى عن أبي مخنف: أنّ أهل الشام لمّا انصرفوا من صفّين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكمان، فلمّا انصرفا وتفرّقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزدد إلّا قوّة، واختلف الناس بالعراق على علي عليه السلام، فما كان لمعاوية هم إلّا مصر، وكان لأهلها خائفاً لقربهم منه وشدّتهم على من كان على رأي عثمان، وقد كان على ذلك علم أنّ بها قوماً ساءهم قتل عثمان وخالفوا علياً عليه السلام، وكان يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب عليّ لعظم خراجها، فدعا من كان معه من قريش: عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبُسر بن أبي أرطاة والضحّاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ومن غيرهم: أبا الأعور السلمي وحمزة بن مالك الهمداني وشرحبيل الكندي، فقال لهم: أتدرون لِمَ دعوتكم؟ فقال عمرو: أهمّك أمر هذه البلاد الكثير خراجها والكثير عددها، فاعزم واقدم، ونعم الرأي رأيت.

---

(١) الطبعة المصرية ١: ١١٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٥٣.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٨٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٨٤ ـ ٨٧.

(٥) الغارات للثقفي ١: ٢٧٠.

(٦) تاريخ الطبري ٥: ٩٧.

فقال معاوية: رأيتم كيف صنع الله بكم؟ جاءكم عدوّكم وهم لا يرون إلّا أنّهم سيقيضون بيضتكم ويخرّبون بلادكم. فكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري وإلى معاوية بن حديج الكندي ـ وكانا خالفا عليّاً عليه السلام ـ: فاصبروا وصابروا عدوّكما، وادعوا المدبر هداكما وكأن الجيش قد أظل عليكما، فانقشع كلّ ما تكرهان وكان كلّ ما تهويان ـ إلى أن قال في جواب مسلمة لمعاوية ـ عجّل علينا خيلك ورجلك فإنّ عدوّنا قد كان علينا حرباً وكنّا فيهم قليلاً، فقد أصبحوا لنا هائبين وأصبحنا لهم مقرنين، فإن يأتنا الله بمدد من قبلك يفتح الله عليكم ـ إلى أن قال ـ فبعث معاوية عمراً في ستة آلاف رجل فخرج يسير حتى نزل أدنى أرض مصر، فاجتمعت العثمانية إليه فأقام بهم وكتب إلى محمّد بن أبي بكر: تنَحّ عنّي بدمك يا بن أبي بكر فإنّي لا أُحب أن يُصيبك منّي ظفر، إنّ النّاس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتباعك، فهم مسلّموك لو قد التقت حلقتا البطان فاخرج منها فإنّي لك من الناصحين. وبعث عمرو كتابه مع كتاب معاوية إلى محمّد، وفي كتاب معاوية: إنّ غب البغي والظلم عظيم الوبال، وإنّ سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا ومن التبعة الموبقة في الآخرة، وإنّا لا نعلم أحداً كان على عثمان أعظم بغياً ولا أسوأ له عيباً ولا أشدّ خلافاً عليه منك، سعيت عليه في الساعين وسكفت دمه في السافكين، ثمّ تظنّ أنّي عنك نائم أو ناسٍ لك، حتى تؤمّر فتأمر على بلادٍ أنت فيها جاري وجلّ أهلها أنصاري، يرون رأيي ويرقبون قولي ويستصرخوني عليك؟ وقد بعثت إليك أقواماً حناقاً عليك، يستسقون دمك وقد أعطوا الله عهداً ليمثّلن بك، ولو لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذّرتك ولا أنذرتك ولا أحببت أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعدوك على عثمان، يوم تطعن بمشاقصك بين خششائه وأوداجه، ولكن

أكره أن أُمثّل بقرشي، ولن يسلّمك الله من القصاص أبداً أينما كنت. فطوى محمد بن أبي بكر كتابيهما وبعث بهما إلى عليّ عليه السلام وكتب معهما: إنّ ابن العاص قد نزل أدنى أرض مصر في لجب من جيش خرب، وإنّ مَن كان بها على مثل رأيه خرج إليه، وقد رأيت ممّن قبلي بعض الفشل، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فأمدني بالرجال والأموال. فكتب إليه عليّ عليه السلام: جاءني كتابك تذكر أنّ ابن العاص نزل بأدنى أرض مصر، وأنّ مَن كان بها على مثل رأيه خرج إليه، وخروج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك، وذكرت أنّك قد رأيت في بعض ممّن قبلك فشلاً، فلا تفشل وإن فشلوا، حصّن قريتك واضمم إليك شيعتك، واندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنّصيحة والنجدة والبأس، فإنّي نادب إليك النّاس على الصعب والذلول، فاصبر لعدوّك وامض على بصيرتك، وقاتلهم على نيّتك وجاهدهم صابراً محتسباً، وإن كانت فئتك أقل الفئتين فإنّ الله قد يعزّ القليل ويخذل الكثير. وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية والفاجر ابن الكافر عمرو، المتحابّين في عمل المعصية والمتوافقين المرتشين في الحكومة، المنكرين في الدنيا (قد استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم)[1]، فلا يهلك إرعادهما وإبراقهما وأجبهما، إن كنت لم تجبهما بما هما أهله فإنّك تجد مقالاً ما شئت.

فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه: أتاني كتابك تذكّرني من أمر عثمان أمراً لا أعتذر إليك منه، وتأمرني بالتنحّي عنك كأنّك لي ناصح، وتخوّفني المثلة كأنّك شفيق، وأنا أرجو أن تكون لي الدائرة عليكم فأجتاحكم في الوقعة، وأن تؤتوا النصر ويكن لكم الأمر في الدينا، فكم لعمري ما من

---

(١) اقتباس من سورة التوبة: ٦٩.

ظالم قد نصرتم، وكم من مؤمن قد قتلتم ومثّلتم به، وإلى الله مصيركم ومصيرهم، وإلى الله مرد الأُمور وهو أرحم الراحمين وهو المستعان على ما تصفون.

وكتب إلى عمرو: زعمت أنّك تكره أن يُصيبني منك ظفر، وأشهد أنّك من المبطلين، وتزعم انّك لي نصيح، وأُقسم أنك عندي ظنين، وتزعم أنّ أهل البلد قد رفضوا رأيي وندموا على اتباعي، فأُولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء، وحسبنا الله رب العالمين.

فأقبل عمرو حتى قصد مصر، فقام محمد في الناس فقال: معاشر المسلمين والمؤمنين، إنّ القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمة وينعشون الضلال، ويشبّون نار الفتنة ويتسلّطون بالجبرية، قد نصبوا لكم العداوة وساروا إليكم بالجنود. عباد الله، فمن أراد الجنّة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم. فلمّا دنا عمرو من كنانة سرّح الكتائب كتيبة بعد كتيبة، فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة إلّا شدّ عليها بمن معه حتى يقربها بعمرو، ففعل ذلك مراراً، فلمّا رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج فأتاه في مثل الدَّهم، فأحاط بكنانة وأصحابه واجتمع أهل الشام عليهم من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك كنانة نزل عن فرسه ونزل أصحابه وكنانة يقول: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجّلاً ومن يُرد ثواب الدنيا نؤتِه منها ومن يُرد ثواب الآخرة نؤتِه منها وسنَجزي الشاكرين﴾[1]. فضاربهم بسيفه حتى استشهد.

وأقبل عمرو نحو محمّد وقد تفرّق عنه أصحابه ـ لمّا بلغهم قتل كنانة ـ حتى بقي وما معه أحد من أُصحابه، فلمّا رأى ذلك خرج يمشي في الطريق حتى انتهى إلى خَربة في ناحية الطريق فأوى إليها، وجاء عمرو حتى دخل

---

(١) آل عمران: ١٤٥.

الفسطاط، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج في قارعة الطريق، فسألهم: هل مرّ بكم أحد تنكرونه؟ فقال أحدهم: إنّي دخلت تلك الخربة فإذا أنا برجل فيها جالس. فقال ابن حديج: هو وربّ الكعبة. فانطلقوا يركضون حتى دخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، فأقبلوا به نحو فسطاط مصر، ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو ـ وكان في جنده ـ فقال: أتقتل أخي صبراً؟ ابعث إلى ابن حديج فانهه. فبعث إليه عمرو يأمره أن يأتيه بمحمد، فقال: قتلتم كنانة وأُخلّي أنا عن محمد؟ هيهات ﴿أكفاركم خير من أُولئكم أم لكم براءة في الزبر﴾[1]؟ فقال لهم محمد: اسقوني. فقال ابن حديج: لا سقاه الله ان سقاك قطرة أبداً، إنّكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً، فتلقاه الله بالرحيق المختوم، والله لأقتلنّك يا بن أبي بكر فيُسقيك الله الحميم والغسّاق. فقال له محمد: يابن اليهودية النسّاجة، ليس ذلك إليك ولا إلى من ذكرت، إنّما ذلك إلى الله عزوجل، يسقي أولياءه ويظمئ أعداءه أنت وضرباؤك ومن تولاه، أما والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم منّي هذا. قال له ابن حديج: أتدري ما أصنع بك؟ أُدخلك في جوف حمار ثم أُحرقه عليك بالنار. فقال له محمد: إن فعلتم ذلك بي فطالما فُعل ذلك بأولياء الله، وإنّي لأرجو هذه النار التي تُحرقني بها، أن يجعلها الله عليّ برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم عليه السلام، وإن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه، إنّ الله يُحرقك ومن ذكرته قبل ـ يعني: عثمان ـ وامامك ـ يعني: معاوية ـ وهذا ـ وأشار إلى عمرو ـ بنار تلظى عليكم كلّما خبت زادها الله سعيراً. قال له ابن حديج: إنّي إنّما أقتلك بعثمان. قال له محمد. وما أنت وعثمان؟ إنّ عثمان عمل بالجور ونبذ حكم القرآن، وقد قال

(١) القمر: ٤٣.

تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الفاسقون﴾[١] فنقمنا عليه ذلك، وحسنت أنت ونظراؤك له ذلك، فقد برّأنا الله تعالى من ذنبه، وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه وجاعلك على مثاله. فغضب ابن حديج فقدمه فقتله، ثمّ ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه بالنار.

قوله عليه السلام: «وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة» إنّ هاشماً وإن كان قتل في صفّين سنة (٣٧) وقتل محمّد بن أبي بكر في مصر كان في سنة (٣٨) إلّا أنّ توليته عليه السلام لمحمّد كان قبل صفّين بعد عزل قيس بن سعد بن عبادة عنها، وأراد عليه السلام تولية هاشم فطلب منه عليه السلام ابن أخيه عبدالله بن جعفر ـ أخو محمّد لأمّه ـ تولية محمّد.

«ولو ولّيته» أي: هاشماً.

«إيّاها» يعني: مصر.

«لما خلّى لهم العرصَة» قال ابن دريد: عرصة الدار: ما لا بناء فيه. ومثله الجوهري، وفي (الأساس): قال النضر: لو جلست في بيت من بيوت الدار كنت جالساً في العرصة، بعد ألّا تكون في العلو.

وكيف كان، فعدم تخلية العرصة كناية عن عدم اعطائهم المهلة.

«ولا أنهزهم الفرصة» يعني: لا يعطيهم فرصة يغتنمونها؛ هذا، وقد عرفت أنّ الطبري والمدائني رويا بدل «ولا أنهزهم الفرصة»: «ولمّا قتل إلّا وسيفه في يده».

هذا، وهاشم ابن أخي سعد بن أبي وقاص ـ وفي (الاستيعاب)[٢] ـ كانت راية عليّ عليه السلام على الرجّالة يوم صفّين بيده، وهو القائل يوم صفّين:

(١) المائدة: ٤٧.

(٢) الاستيعاب ٣: ٦١٩ ـ ٦٢٠.

أعور يبغي أهله محلّا قد عالج الحياة حتى ملّا

لابد أن يفلّ أو يفلّا

وقطعت رجله يومئذ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول:

الفحل يحمي شوله معقولا

وقاتل حتى قتل.

وفي (صفّين نصر)[1]: ولمّا سقط هاشم من طعنة شقّت بطنه رفع رأسه فاذا هو بعبيدالله بن عمر بن الخطاب قتيلاً إلى جانبه، فجثا حتى دنا منه فعضّ على ثديه حتى تبيّنت فيه أنيابه، ثمّ مات وهو على صدر عبيد الله.

وفيه[2]: كان عليّ عليه السلام قال لهاشم ـ كهيئة المازح ـ: أبا هاشم، أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً؟ فقال: ستعلم يا أمير المؤمنين، والله لألفنّ بين جماجم القوم لفّ رجل ينوي الآخرة....

وفيه[3]: مرّ عليّ عليه السلام يوم صفّين على هاشم وعلى عصابة من أسلم من القراء أُصيبوا معه فقال:

جزى الله خيراً عصبة أسلمية صِباح الوجوه صُرّعوا حول هاشم

وفي (الاستيعاب)[4]: فُقئت عينه يوم اليرموك، وافتتح جلولاء الذي يقال له: فتح الفتوح، وكان سبب الفتح على المسلمين في القادسية.

«بلا ذم لمحمّد» لأنّه جاهد حتى لم يبق معه أحد.

«فلقد كان إليَّ حبيباً وكان لي ربيباً» هكذا رواية المصنّف، وقد عرفت أنّ المدائني والطبري رويا بدل هذا الكلام: «فلقد اجتهد نفسه وقضى ما عليه»

---

(١) صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٥٥.

(٢) صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٢٧.

(٣) صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٥٦.

(٤) الاستيعاب ٣: ٦١٧.

وهو الأنسب بقوله: «بلا ذم لمحمّد» دون ما نقله المصنّف، فحبيب الإنسان كربيبه قد يكون مذموماً، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿إنّك لا تهدي من أحببت...﴾[1].

والظاهر أنّه عليه السلام قال هذا الكلام؛ غير متصل بذلك الكلام فقال المدائني: قيل لعليّ عليه السلام: لقد جزعت على محمّد بن أبي بكر؟ فقال: وما يمنعني؟ إنّه كان لي ربيباً، وكان لي أخاً، وكنت له والداً. أعدّه ولداً ومثله المسعودي[2] فقال: قال عليه السلام: ما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعي عليه، كان لي ربيباً وكنت أعدّه ولداً، كان بي برّاً...

وكيف كان، كان محمّد ربيبه عليه السلام لأنّه تزوّج بأمّه أسماء بنت عميس وربّاه عليه السلام لأنّه كان يوم موت أبيه ابن ثلاث، وفي (الكشي): كانت نجابته من قبل أمّه أسماء.

وفي (المروج)[3]: لمّا وصل محمّد إلى مصر بعد قيس كتب إلى معاوية -بعد ذكر بعث الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله -: فكان أوّل من أجاب وأناب وآمن وصدّق وأسلم وسلّم: أخوه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب، صدّقه بالغيب المكتوم وآثره على كلّ حميم، ووقاه بنفسه كلّ هول وحارب حربه وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع، حتى برز سابقاً لانظير له في مَن اتّبعه ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو، أصدق الناس نيّة وأفضل الناس ذرية، وخير الناس زوجة وأفضل الناس ابن عمّ وأخوه الشاري بنفسه يوم موته، وعمّه سيد الشهداء

(١) القصص: ٥٦.

(٢) المسعودي ٢: ٤٠٩.

(٣) مروج الذهب ٣: ١١.

يوم أُحد وأبوه الذابّ عن النبي صلى الله عليه وآله وعن حوزته، وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان للنبي صلى الله عليه وآله الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله، تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلّبان عليه القبائل، على ذلك مات أبوك وعليه خلفته، والشهيد عليك من يدنى ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤساء النفاق، والشاهد لعليّ عليه السلام ـ مع فضله المبين القديم ـ انصاره الذين معه، الذين ذكرهم الله بفضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فكيف ـ يالك الويل ـ تعدل نفسك بعليّ عليه السلام وهو وارث النبي صلى الله عليه وآله ووصيّه وأبو ولده، أوّل الناس له اتباعاً وأقربهم به عهداً، يخبره بسرّه ويطلعه على أمره، وأنت عدوّه؟ فتمتّع في دنياك ما استطعت بباطلك وليمددك ابن العاص في غوايتك، فكأنّ أجلك قد انقضى ـ إلى أن قال ـ فكتب: من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر: أتاني كتابك ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته إلى النبي صلى الله عليه وآله ومواساته إيّاه في كلّ هول وخوف، فقد كنّا ـ وأبوك فينا ـ نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا، فلمّا قبض الله نبيّه كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه حقّه وخالفه على أمره، على ذلك اتّفقا واتّسقا ثم إنّهما دعواه إلى بيعتهما، فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم، ثم إنّه بايع لهما وسلّم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرّهما حتى قبضا، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما ـ إلى أن قال ـ وقس شبرك بفترك تقصر أن توازن من يزن الجبال بحلمه، أبوك مهّد مهاده وبنى له ملكه وشاده، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك استبد به ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلّمنا إليه، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثاله، فعب أباك بما بدا لك، أو دع ذلك.

٩
الكتاب (٣٥)

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمّد بن أبي‌بكر:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ قَدِ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً، وَعَامِلاً كَادِحاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَرُكْناً دَافِعاً، وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً، وَعَوْداً وَبَدْءاً. فَمِنْهُمُ الآتِي كَارِهاً، وَمِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً، وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلاً، وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً، فَوَاللهِ لَوْلَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ، وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ، لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَبْقَى مَعَ هٰؤُلَاءِ يَوْماً وَاحِداً، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً.

أقول: رواه الطبري في (تاريخه)[1] والثقفي في (غاراته)[2] بدون قوله: «ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً».

ورويا[3] أيضاً جواب ابن عباس لكتابه عليه السلام: رحم الله محمّد بن أبي بكر وآجرك فيه، وقد سألت الله أن يجعل لك من رعيتك التي ابتُليت بها فرجاً ومخرجاً، وأن يعزّك بالملائكة عاجلاً بالنصرة، فإنّ الله صانع لك ذلك ومعزّك ومجيب دعوتك وكابت عدوّك، أُخبرك يا أمير المؤمنين أنّ الناس ربّما تثاقلوا ثم ينشطون، فارفق بهم. قال الثاني وروي أنّ ابن عباس قدم

---

(١) التاريخ للطبري ٥: ١٠٩.

(٢) الغارات للثقفي ١: ٢٩٩.

(٣) الغارات للثقفي ١: ٣٠٠.

من البصرة عليه عليه السلام فعزّاه به.

وروينا[١] أيضاً: أنّه عليه السلام قام في الناس خطيباً وقال: ألا إنّ مصر قد افتتحها الفجرة أُولو الجور والظلم، الذين صدوا عن سبيل الإسلام وبغوا الإسلام عوجاً، ألا وإنّ محمّد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله فعند الله نحتسبه، أما والله أن كان ما علمت: لممّن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب هدى المؤمن.

وروى الكليني في (رسائله): أنّ الناس سألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان فغضب عليه السلام وقال: قد تفرغتم للسؤال عمّا لا يعنيكم، وهذه مصر قد افتُتحت وقتل معاوية بن حديج محمّد بن أبي بكر، فيالها من مصيبة ما أعظمها! فوالله ما كان إلّا كبعض بني. وقريب منه في (خلفاء القتيبي).

قول المصنف: «ومن كتاب له عليه السلام إلى عبدالله بن العباس» هكذا في (المصرية)[٢] وزاد ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم[٤] بعده: «رحمه الله».

«بعد مقتل محمّد بن أبي بكر» هكذا في (المصرية) وفيها سقط فزاد (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية) بعده: «بمصر».

قوله عليه السلام: «أمّا بعد، فإنّ مصر قد افتتحت» وكان فتحها في سنة (٣٨).

«ومحمّد بن أبي بكر قد استشهد» قتل صبراً ثم أُحرق، وإنّما قتلوه هكذا لكونه شيعته، وما دافع عنه أخوه لأبيه عبد الرحمن بن أبي بكر لذلك، وإنّما قال لفظاً لابن العاص: أتقتلون أخي صبراً. ولو لم يكن شيعته عليه السلام لمّا قتلوه لكونه ابن أبي بكر ولأخيه عبد الرحمن ولأُخته عايشة.

---

(١) الغارات للثقفي ١: ٢٩٥.

(٢) الطبعة المصرية ٣: ٦٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٥.

(٤) شرح ابن ميثم ٥: ٧٦.

«فعند الله نحتسبه» فقد عرفت أنّ مصيبته كانت عليه عليه السلام عظيمة حتى رؤي ذلك في وجهه.

«ولداً ناصحاً» فإنّ الربيب كالولد.

«وعاملاً كادحاً» أي: مجدّاً.

«وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً» كما عرفت في سابقه من كتابه إلى معاوية في شأنه.

«وقد كنت حثثت النّاس على لحاقه» ودركه.

«وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة» أي: إيقاع العدوّ به.

«ودعوتهم سرّاً وجهراً وعوداً وبدءاً» فقال عليه السلام لهم لمّا جاءه صريخ محمّد: أخرجوا إلى الجرعة -وهي قرية بين الحيرة والكوفة- فوافوني بها هناك غداً. ثم خرج عليه السلام يمشي من الغد بكرة إلى الجرعة فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه أحد، فرجع بالعشي إلى أشرافهم وأنّبهم، فقام مالك بن كعب الأرحبي وقال: اندب الناس معي. فأمر مناديه أن ينتدبوا فخرج معه قليل نحو ألفي رجل، فقال عليه السلام له: سر فوالله ما أخالك تدركوا القوم حتى ينقضي أمرهم. وقال عليه السلام في خطبته بعد شهادة محمّد وأصحابه: وقد دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة، فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق.

«فمنهم الآتي كارهاً ومنهم المعتل» أي: الآتي بالعلّة لتخلّفه كاذباً.

«ومنهم القاعد خاذلاً وأسأل الله» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: (اسأل الله) كما في (ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم)[3].

---

(١) الطبعة المصرية ٣: ٦٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٥.

(٣) شرح ابن ميثم ٥: ٧٦.

«أن يجعل منهم» هكذا في (المصرية) والصواب: (أن يجعل لي منهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم).

«فرجاً عاجلاً، فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوّي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية» أي: الموت.

«لأحببت ألّا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً، ولا التقي بهم أبداً» وكان عليه السلام غير مسرور من الناس بعد عملهم معه يوم السقيفة ولو كانوا مجدين معه، فقال عليه السلام: «لولا ما أخذ الله على العلماء ألّا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أوّلها» وكيف وقد عاملوه عليه السلام تلك المعاملة، وكان عملهم جزاء من الله تعالى لهم بعملهم في السقيفة وفي يوم الدار ﴿...وما ربك بظلام للعبيد﴾[1] فأبدلهم الله به وبأهل بيته ـ أهل بيت الرحمة ـ بني أُميّة الشجرة الملعونة في القرآن.

١٠
الخطبة (٦٧)

ومن كلام له عليه السلام:

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَما تُدَارَى ٱلبِكَارُ العَمِدَةُ، وَالثِّيَابُ المُتَدَاعِيَةُ! كُلَّما حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَر، أكُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مِنْسَرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَٱنْجَحَرَ ٱنْـجِحَارَ الضَّـبَّة فِـي جُحْرِهَا وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا؟ الذَّلِيلُ وَٱللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوه، وَمَنْ رُمِـيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ، إِنَّكُمْ وَٱللهِ لَكَثِيرٌ فِي ٱلْبَاحَات، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَات، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، وَيُـقِيمُ أَوَدَكُـمْ، وَلَكِـنِّي لاَ أَرَى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي. أَضْرَعَ ٱللهُ خُدُودَكُمْ، وَأَتْعَسَ جُدُودَكُـمْ! لاَ

(١) فصّلت: ٤٦.

تَعْرِفُونَ الحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُم ٱلْبَاطِل، وَلاَ تُبْطِلُونَ ٱلْبَاطِلَ كَإبْطَالِكُم الحَقَّ.

أقول: لم يهتد أحد من الشرّاح إلى الأصل في هذه الخطبة، وقد عرفت في السادس أنّ الأصل فيها في غارة النّعمان بن بشير على عين التمر، وأنّ ابن أبي الحديد توهّم أنّ تلك الخطبة كانت في غارة النّعمان، مع أنّ تلك كانت في مقتل محمّد بن أبي بكر في فتح مصر.

روى اليعقوبي في (تاريخه)[1]: أنّ معاوية وجّه النّعمان بن بشير فأغار على مالك بن كعب الأرحبي، وكان عامل عليّ عليه السلام على مسلحة عين التمر، فندب عليّ عليه السلام الناس فقال: يا أهل الكوفة انتدبوا إلى أخيكم مالك بن كعب، فإنّ النّعمان بن بشير قد نزل به في جمع ليس بكثير، لعلّ الله أن يقطع من الظالمين طرفا. فأبطؤوا ولم يخرجوا فصعد المنبر فتكلّم كلاماً خفيّاً لم يُسمع، فظنّ الناس أنّه عليه السلام يدعو الله، ثم رفع صوته فقال: أما بعد، يا أهل الكوفة، أكلّما أقبل منسر من مناسر أهل الشام أغلق كلّ امرئ منكم بابه، وانجحر في بيته انجحار الضب والضبع في وجاره؟ أُفّ لكم! لقد لقيت منكم برحاً، يوماً أُناجيكم ويوماً أُناديكم، فلا إخوان عند النجاء ولا أحرار عند النداء. ثم دخل بيته فقام عدي بن حاتم وقال للناس: هذا والله الخذلان القبيح.

وروى الطبري[2] مسنداً عن شيخ من بني فزارة قال: بعث معاوية النّعمان بن بشير في ألفين فأتوا عين التمر ـ إلى أن قال ـ فانتهيت إلى عليّ عليه السلام على المنبر، وقد سبقني بالتشهد وهو يقول: يا أهل الكوفة، كلّما سمعتم بمنسر من مناسر أهل الشام أظلكم الجحر كلّ امرئ منكم في بيته وأغلق بابه، انجحار الضب في جحره والضبع في وجارها، المغرور من غررتموه

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٥.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٣٣.

ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب؛ لا أحرار عند اللقاء ولا إخوان ثقة عند النجاء، ماذا منيت به منكم؟ عُمي لا تُبصرون وبكم لا تنطقون وصمّ لا تستمعون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

لكنّ المستندين خاليان من صدر العنوان إلى «تهتكت من آخر» وإنّما ذكره (الإرشاد)[1] في غارة الضحّاك لا هنا.

«ومن كلام له عليه السلام» هكذا في (المصرية)[2] وفيها سقط، فبعده «في ذمّ أصحابه» كما يشهد له ابن أبي الحديد[3] وابن ميثم[4] و (الخطية).

قوله عليه السلام: «كم أُداريكم كما تدارى البكار» بالكسر: جمع البَكر، بالفتح: الفتي من الإبل.

«العمدة» أي: المنفضخ داخل سنامها من الركوب وظاهره صحيح؛ خص عليه السلام من الإبل البكار المريضة لأن مداراتها أشدّ من مداراة المسنّة المريضة، وقد شبّههم عليه السلام في موضع آخر بالآبال من حيث آخر فقال: يا أشباه الإبل غاب عنها رعاؤها، كلّما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب.

«والثياب المتداعية» أي: ثياب تدعو كلّ قطعة منها الأُخرى إلى الخرق.

«كلّما حيصت» أي: خيطت.

«من جانب تهتكت» أي: تخرّقت.

«من آخر» أي: من جانب آخر، وللحمدوني في وصف طيلسان خرق منعق.

طيلسان لابن حربٍ يتداعى لا مساسا

---

(١) الإرشاد ١: ٢٧١.

(٢) الطبعة المصرية ١: ١١٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٠٢.

(٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٨٨.

قد طوى قرناً فقرناً وأُناساً فأُناسا
كبس الأيّام حتى لم يدع فيه لباسا

ولمّا خاف نصر بن مسلم ـ عامل مروان بن محمّد على خراسان ـ خروج أبي مسلم كتب إلى مروان يستنصره، فأبطأ فأعاد عليه:

والثوب إن أنهج فيه البلى أعيى على ذي الحيلة الصانع
كنّا نداريها فقد مزّقت واتسع الخرق على الراقع

«كلّما أطل» بالمهملة، أي: أشرف؛ قال الشاعر:

انا البازي المطل على نمير

«عليكم مِنسر» ـ بالكسر ـ: قطعة من الجيش يمرّ قدام الجيش الكثير، قاله الجوهري. وقال ابن دريد: المنسر: ما بين الأربعين إلى الخمسين من الخيل.

«من مناسر أهل الشام أغلق كلّ رجل منكم بابه» وفي (الأغاني)[1] في وقعة ذي قار: أقبلت الأعاجم يسيرون على تعبيد، فلمّا رأتهم بنو قيس بن ثعلبة انصرفوا فلحقوا بالحي، فاستخفوا فسُمّي حي بني قيس بن ثعلبة: خفيا.

«وانجحر» بتقديم الجيم، أي: اختفى.

«انجحار الضبة في جحرها» ـ بتقديم الجيم ـ: ثقبتها في الأرض التي تأوي إليها.

«والضبع في وجارها» ـ بالكسر والفتح ـ: سرب الضبع في الأرض؛ وفي (أنساب البلاذري) خرج الياس بن مضر منتجعاً ومعه أهله وماله، فدخلت بين إبله أرنب فنفرت الإبل، فخرج عمرو بن الياس في طلبها فأدركها، فسمّاه أبوه: مدركة؛ وخرجت ليلى خلف ابنها مهرولة فقال لها إلياس: إلى اين تخندفين؟ فسمّيت: خندف؛ وخرج عامر في طلب الأرنب فصادها وطبخها، فقال له أبوه:

---

(١) الأغاني ٢٤: ٦٨.

أنت طابخة؛ ورأى عميراً قد انقمع في المظلّة فهو يخرج رأسه منها، فقال له: أنت قمعة.

«والذليل والله من نصرتموه، ومن رُمي بكم فقد رُمي بأفوق ناصل» ومرّ في العنوان الخامس: «المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسّهم الأخيب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل» ومرّ أنّ معنى أفوق ناصل: سهم منكسر لا نصل فيه.

في (الأغاني): قال الحجاج يوماً لجلسائه: ما حرّض علَيّ أحد في خروج ابن الأشعث علَيّ كما حرض أبو كلدة، فإنّه نزل عن سرجه في وسط عسكر ابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه وسلح فوقه والناس ينظرون إليه، فقالوا له ويلك! أجننت؟ ما هذا الفعل؟ قال: كلكم قد فعلتم مثل هذا إلّا أنّكم سترتموه وأظهرته. فشتموه وحملوا عليّ، فما أنساهم وهو يقدمهم ويقول:

نحن جلبنا الخيل من زرنجا مالك يا حجاج منّا منجى

لتبعجنّ بالسيوف بعجا أو لنفرقن بذاك أحجى

فلقد كاد أهل الشام يومئذ يتضعضعون.

«وإنكم» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: (إنكم) كما في (ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] والخطية).

«والله لكثير في الباحات» أي: ساحات الديار.

«قليل تحت الرايات» قال ابن أبي الحديد[4]: نظيره قول عويف القوافي:

ألستم أقلّ الناس عند لوائهم وأكثرهم عند الذبيحة والقدر

(١) الطبعة المصرية ١: ١١٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٠٢.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٨٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٠٦.

وخرج[1] ابن سعيد العجلي في ثلاثين رجلاً بظهر الكوفة فعطعطوا، وخالد القسري أمير العراق يخطب على المنبر ففَرِق وجعل يقول: اطعموني ماء. فقال ابن نوفل:

أخالد لا جزاك الله خيراً وايرفي حرامك من أمير
تروم الفخر في أعراب قسر كأنّك من سراة بني جرير
جرير من ذوي يمن أصيل كريم الأصل ذو خطر كثير
وأُمّك علجة وأبوك وغد وما الأذناب عِدل للصدور
وكنتَ لدى المغيرة عبد سوء تبول من المخافة للسرير
لا علاج ثمانية وشيخ كبير السن ليس بذي ضرير
صرخت من المخافة اطعموني شراباً ثم بلت على السرير

قلت: وقال الفرزدق كما في (الأساس):

يستيقظون إلى نهاق حميرهم وتنام أعينهم عن الأوتار

وقال ابن حرثان في أُميّة بن خالد بن عبدالله بن أُسيد:

إذا هتف العصفور طار فؤاده وليث حديد النّاب عند الثّرائد

وقال ثابت قطنة ـ كما في (الأغاني)[2] ـ في مَن فر عن يزيد بن المهلب حتى قتل:

عصافير تنزو في الفساد وفي الوغى
إذا راعها روع جماميح بروق
فأنتم على الأدنى أُسود مخيفة
وأنتم على الأعداء خزان سملق

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١١١.

(٢) الأغاني ١٤: ٢٨٠.

وفي (كامل المبرد)[١]: يروى أنّ أسدياً وهذلياً تفاخرا فرضيا برجل فقال: إنّي ما أقضي بينكما إلّا أن تجعلا لي عقداً وثيقاً: ألا تشتماني ولا تضرباني، فإنّي لست في بلاد قومي. ففعلا فقال: أمّا أنت يا أخا بني أسد فكيف تفاخر العرب وأنت تعلم أنّه ليس حي أحبّ إلى الجيش ولا أبغض إلى الضيف ولا أقلّ تحت الرايات منكم؟ وأمّا أنت يا أخا هذيل فكيف تكلّم الناس وفيكم خلال ثلاث: كان منكم دليل الحبشة على الكعبة، ومنكم خولة ذات النحيين، وسألتم النبي صلى الله عليه وآله أن يحل لكم الزّنا؟ ولكن إن أردتما بيتي مضر فعليكما بهذين الحيين من تميم وقيس، قوما في غير حفظ الله.

هذا، ووصف النبي صلى الله عليه وآله ـ كما في الخبر ـ الأنصار بضد ما وصف عليه السلام أهل الكوفة، فقال لهم: إنّكم لتكثرون عند الفزع، وتقلّون عند الطمع.

«وإنّي لعالم بما يُصلحكم ويُقيم أودكم» أي: عوجكم؛ قالوا: كان عمر ومن بعده ـ إلى زياد ـ إذا أخذوا العصاة نزعوا عمائمهم وأقاموهم للناس، وأمّا زياد فيضربهم بالسياط، فجاء بعده مصعب فحلق مع الضرب بالسياط، فجاء بعده بشر بن مروان فكان يصلب تحت الإبطين ويضرب الأكفّ بالمسامير؛ فأخرج بشر رجلاً إلى الرّي فكتب أهله إليه يتشوّقونه، فأجابهم:

لولا مخافة بشر أو عقوبته ... أو أن يرى شانئي كفي بمسمار
إذن لعطّلت ثغري ثم زرتكمُ ... إنّ المحبّ المعنّى جدّ زوار[٢]

فلمّا جاء الحجاج قال: كلّ هذا لعب. فقتل العصاة بالسيف، فلمّا ولي في سنة (٧٥) العراق دخل الكوفة قبل البصرة فخطبهم وتهددهم، ثم قال: ما كانت الولاة تفعل بالعصاة قبلي؟ فقالوا: كانت تضرب وتحبس. فقال: ولكن ليس

---

(١) الكامل للمبرد ١: ٤٠٧.

(٢) نهج البلاغة ١٢: ٤٥.

لهم عندي إلّا السيف، إنّ المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون، ولو ساغت المعصية لأهلها ما كان قوتل عدو ولا جبي فيء. ثم جلس لتوجيه الناس فقال: قد أجّلتكم ثلاثاً وأُقسم بالله لا يتخلّف أحد من أصحاب المهلب بعدها ولا من أهل الثغور إلّا قتلته. ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطته: إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذا سيوفكما. فجاءه عمير بن صابئ البرجميّ بابنه فقال: إنّ هذا أنفع لكم منّي، هو أشدّ بني تميم أيداً وأجمعهم سلاحاً وأربطهم جأشاً، وأنا شيخ كبير عليل. واستشهد جلساءه، فقال الحجاج: عذرك لواضح، وإنّ ضعفك لبيّن ولكنّي أكره أن يجترئ بك الناس عليّ، وبعد فأنت ابن صاحب عثمان. ثم أمر به فقُتل، فاحتمل الناس وأنّ أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه، وأتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشدّ إلحاحاً ـ وقد كان أتاهم خبره بالكوفة ـ فتحمّل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بني يشكر ـ وقد كان شيخاً كبيراً أعور، وكان يجعل على عينه العوراء صوفة، فكان يلقّب ذا الكرسفة ـ فقال للحجاج: إنّ بي فتقاً وقد عذرني بشر، وقد رددت العطاء. فقال: إنّك عندي لصادق. ثم أمر به فضربت عنقه، ففي ذلك قال الشاعر:

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة تقرقر منها بطن كلّ عريف[1]

وعن ابن سبرة قال: إنّا لنتغدّى مع الحجاج إذ جاءه رجل من سليم برجل يقوده، فقال له: إنّ هذا لعاص. فقال: أنشدك الله في دمي، فوالله ما قبضت ديواناً قط ولا شهدت عسكراً، وإنّي لحائك اخذت من تحت الخف. فقال الحجاج: اضربوا عنقه. فلمّا أحسّ بالسّيف سجد فلحقه السّيف وهو ساجد، فأمسكنا عن الطعام فأقبل علينا فقال: ما لي صفرت أيديكم واصفرت

(١) نهج البلاغة ٤: ١٨٤.

وجوهكم وحدّ نظركم من قتل رجل واحد[١].

«ولكنّي» هكذا في (المصرية)[٢] ولكن في (ابن ميثم والخطية): «ولكني والله».

«لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي» وفي (الإرشاد)[٣] قال عليه السلام: وما كنت متحرّياً صلاحكم بإفساد نفسي، ولكن سيسلّط عليكم بعدي سلطان صعب، لا يوقر كبيركم ولا يرحم صغيركم ولا يكرم عالمكم ولا يقسم الفيء بالسوية بينكم، وليضربنكم وليذلنكم ويجهزنكم في المغازي وليقطعنّ سبيلكم، وليحجبنكم على بابه حتى يأكل قويكم ضعيفكم، ثم لا يبعد الله إلّا من ظلم منكم، ولقلمّا أدبر شيء ثم أقبل، وإنّي لأظنّكم في فترة وما عليّ إلّا النصح لكم.

وروى (غارات الثقفي)[٤] عن فرقد البجلي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: يا معاشر أهل الكوفة، والله لقد ضربتكم بالدِرَّة التي أعظ بها السفهاء فما أراكم تنتهون، ولقد ضربتكم بالسياط التي أُقيم بها الحدود فما أراكم ترعوون، فما بقي إلّا سيفي، وإنّي لأعلم الذي يقوّمكم بإذن الله، ولكنّي لا أُحب أن آتي تلك منكم.

وروى (روضة الكافي)[٥] عن الأصبغ قال أتى ابن عمر وولد أبي بكر وسعد بن أبي وقاص إلى عليّ عليه السلام وطلبوا منه التفضيل لهم، فصعد المنبر وقال في خطبته: فلا يقولنّ رجال غمرتهم الدنيا ـ إلى أن قال ـ وقد عاتبتكم بدرّتي التي أُعاتب بها أهلي فلم تتالوا، وضربتكم بسوطي الذي أُقيم به حدود

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الطبعة المصرية ١: ١١٤.

(٣) الإرشاد ١: ٢٨١.

(٤) الغارات للثقفي ١: ٤٢.

(٥) روضة الكافي ٨: ٣٦٠ ـ ح٥٥١.

ربي فلم ترعووا، وتُريدون أن أضربكم بسيفي، أما إنّي أعلم الذي تـريدون ويقيم أودكم، ولكن لا أشتري صلاحكم بفساد نفسي، بل يسلّط الله عليكم قوماً فينتقم لي منكم، فلا دنيا استمتعتم بها ولا آخرة صرتم إليها، فبعداً وسحقاً لأصحاب السعير.

وروى الثقفي[١] عن زيد بن عليّ قال: قال عليّ عليه السلام: إنّي دعوتكم إلى الحقّ فتولّيتم عني، وضربتكم بالدِرّة فأعييتموني، أما إنّه سيليكم بعدي ولاة لا يرضون منكم بذلك حتى يعذبوكم بالسياط وبالحديد، فأمّا انا فلا أُعذّبكم بهما، إنّه من عذّب النّاس في الدنيا عذّبه الله في الآخرة، وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتى يحلّ بين أظهركم فيأخذ العمال وعمال العمال رجل يقال له يوسف بن عمر، ويقوم عند ذلك رجل منّا أهل البيت....

«أضرعَ الله» أي: أذلّ الله.

«خدودكم» الخدّ: يمين الوجه وشماله.

«وأتعس جدودكم» هكذا في (المصرية)[٢] وليست الفقرة في (ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم)[٤] رأساً.

وكيف كان، فمعناها أهلك الله حظوظكم. وأصل التعس: الكب ضد الانتعاش؛ قال مجمع:

تقول وقد أفردتها من حليلها   تعست كما أتعستني يا مجمع

«لا تعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كابطالكم الحق» هذا الكلام لا قيمة له ولا يعادله كلام، فإنّ أهل الدنيا يكونون في كلّ عصر كذلك،

---

(١) الغارات للثقفي ٢: ٤٥٨.

(٢) الطبعة المصرية ١: ١١٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٠٢.

(٤) شرح ابن ميثم ٢: ١٨٨.

ولهذه العلّة يتقدّم أهل الباطل ويتأخّر أهل الحق؛ ففرعون كان يقول للناس: ﴿أنا ربّكم الأعلى﴾[1]. فقبلوا منه، وقال لهم موسى: إنّي رسول ربكم. وأراهم تسع آيات بيّنات فلم يقبلوا منه؛ والثلاثة المتقدمون على أمير المؤمنين عليه السلام جاؤوا بتلك البدع المذكورة في مطاعنهم، ولم ينكروا عليهم.

وأمّا إنكارهم على ثالثهم أخيراً فإنّما كان لأنّه خص الأموال والولايات بأقاربه وبني أُميّة، وإلّا فلو كان فعل أضعاف ما فعل، وكان يُشرك النّاس معهم فيهما لمّا أنكروا عليه أصلاً، كما أنّهم اليوم مع تواتر تلك الشنايع التي يتورّع عنها الفجّار والكفّار يقبلون إمامته.

وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فمع كونه مظهر كلّ فضيلة كالنبي صلى الله عليه وآله ـ حتى إنّه لم ير أحد منه لفظة أو لحظة على خلاف الشريعة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وفي أيّام الثلاثة وفي أيّامه عليه السلام، وكيف وهو نفس النبي صلى الله عليه وآله بنص القرآن، ورأوا منه عليه السلام آيات بيّنات، لا سيّما في الجمل في قصة كلاب الحوأب، وفي صفّين في قصة عمار، وفي النهروان في قصة ذي الثدية؟ فكانوا يعاملون معه عليه السلام تلك المعاملة، فذاك خوارجهم وهذا دواخلهم.

١١
من الخطبة (٩٥)

ومن خطبة له عليه السلام:

وَلَئِنْ أَمْهَلَ ٱلظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِـالْمِرْصَادِ عَـلَى مَـجَازِ طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ. أَمَا وَٱلَّـذِي نَـفْسِي بِـيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِـنْكُمْ، وَلٰكِـنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي. وَلَـقَدْ أَصْـبَحَتِ

---

(١) النازعات: ٢٤.

ٱلْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي؛ ٱسْتَنفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلوا. أشُهُودٌ كَغُيَّابٍ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ؟! أَتْلُو عَلَيْكُمُ ٱلْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ ٱلْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ، فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ الْقَوْلِ حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَأَ. تَرْجِعُونَ إلى مَجَالِسِكُمْ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ؛ أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً، كَظَهْرِ ٱلْحَيَّةِ، عَجَزَ ٱلْمُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ ٱلْمُقَوَّمُ.

أَيُّهَا ٱلشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ. ٱلْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ. ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ٱلْمُبْتَلى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ ٱللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ ٱلشَّامِ يَعْصِي ٱللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ؛ لَوَدِدْتُ وَٱللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ ٱلدِّينارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطانِي رَجُلاً مِنْهُمْ.

يَا أَهْلَ ٱلْكُوفَةِ، مُنِيتُ مِنكُمْ بِثَلَاثٍ وَٱثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ ٱلْبَلَاءِ؛ تَرِبَتْ أيديكُمْ! يَا أَشْبَاهَ ٱلْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا! كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَٱللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِي مَا إِخَالُ: أن لَوْ حَمِسَ ٱلْوَغَى وَحَمِيَ ٱلضِّرَابُ، وقَدِ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ ٱلْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِها. وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً.

قول المصنف: «ومن خطبة له عليه السلام» هكذا في (المصرية)[1] والصواب:

---

(١) الطبعة المصرية ١: ١٨٨.

(ومن كلام له عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد[١] وابن ميثم[٢] والخطية).

قوله عليه السلام: «ولئن أمهل» هكذا في (المصرية) والصواب: (ولئن أمهل الله) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«الظالم فلن يفوت أخذه» ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون إنّما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾[٣].

وعن الصادق عليه السلام: أنّ الله عزوجل أهبط ملكاً إلى الأرض فلبث فيها دهراً ثم عرج، فقيل له: ما رأيت؟ فقال: رأيت عجائب! ومن أعجب ما رأيت: أنّي رأيت عبداً متقلّباً في نعمتك، يأكل رزقك وادّعى الربوبية، فعجبت من جرأته عليك ومن حلمك عنه! فقال تعالى: فمن حلمي عجبت؟ قد امهلته أربعمائة سنة، لا يضرب عليه عرق ولا يريد شيئاً من الدنيا إلّا ناله، ولا يتغيّر عليه فيها مطعم ولا مشرب[٤].

«وهو له بالمرصاد» قال ابن دريد: فلان لفلان بمرصد ومرصاد، أي: حيث يرقبه ويرى فعله.

«على مجاز» أي: مسلك.

«طريقه وبموضع الشّجا» قال الجوهري: الشّجا ما ينشب في الحلق من عظم وغيره.

«من مساغ» قال الجوهري: ساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق.

«ريقه» ماء فمه؛ قال تعالى: ﴿...ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧٠.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ٤٠٢.

(٣) إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٣.

(٤) البحار ٧٣: ٣٨١.

والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون...﴾[١].

والأصل في العنوان إلى هنا ما رواه (الإرشاد)[٢]: أنّ معاوية لمّا نقض شرط الموادعة وأقبل يشنّ الغارات على أهل العراق قال عليه‌السلام: قاتل الله معاوية، لقد أرادني على أمر عظيم: أراد أن أفعل كما يفعل، فأكون قد هتكت ذمتي ونقضت عهدي، فيتّخذها عليَّ حجّة فيكون عليّ شيناً إلى يوم القيامة كلّما ذكرت، فإن قيل له: أنت بدأت. قال: ما علمت ولا امرت. فمن قائل يقول: صدق. ومن قائل يقول: كذب. أم والله إنّ الله لذو أناة وحلم عظيم، لقد حلم عن كثير من فراعنة الأولين وعاقب فراعنة، فإن يمهله الله فلن يفوته، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه؛ فليصنع ما بدا له، فإنّا غير غادرين بذمّتنا ولا ناقضين لعهدنا، ولا مروعين لمسلم ولا معاهد حتى ينقضي شرط الموادعة بيننا.

«أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنّهم أولى بالحق منكم ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقي» روى أبو مخنف في قصة يوم الحرة: أنّ مسلم بن عقبة ركب فرساً فأخذ يسير في أهل الشام ويحرّضهم ويقول: يا أهل الشام إنّكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها، ولا أكثرها عدداً ولا أوسعها بلداً، ولم يخصصكم الله بالذي خصّكم به من النصر على عدوّكم، وحسن المنزلة عند أئمتكم إلّا بطاعتكم واستقامتكم، وإنّ هؤلاء القوم أشباههم من العرب غيّروا فغيّر الله بهم -إلى أن قال- قال ابن الغسيل لأهل المدينة: والله ما أظن ربّكم أصبح عن أهل بلد من

(١) الأنعام: ٩٣.

(٢) الإرشاد ١: ٢٧٥.

بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم، ولا على أهل بلد من بلدان العرب بأسخط من هؤلاء القوم الذين كانوا يقاتلونكم.

«ولقد أصبحت الأُمم تخاف ظلم رعاتها» جمع الراعي.

«وأصبحت أخاف ظلم رعيتي» في (المروج)[1] كان المعتمد أوّل خليفة قهر وحجر عليه، وكان أخوه الموفق غلب على الأُمور، وكان المعتمد هرب الموصل فبعث الموفق من رده ووكل به في فم الصلح.

«واستنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرّاً وجهراً فلم تستجيبوا» هو نظير قول نوح عليه السلام ﴿...ربِّ إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدهم دعائي إلّا فراراً﴾[2].

«ونصحت لكم فلم تقبلوا» كان عليه السلام ناصحاً للناس كالأنبياء؛ قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم...﴾[3].

«أشهود كغياب» حيث لا يحصل منكم جواب.

«وعبيد كأرباب» حيث لا تبالون العتاب ولا تخافون العقاب.

«أتلو عليكم الحِكَم» ـ بالكسر فالفتح ـ: جمع الحكمة.

«فتنفرون منها» قال تعالى: ﴿كأنّهم حمر مستنفرة * فرّت من قسورة﴾[4].

«وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها» قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿...وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾[5].

---

(١) المروج ٤: ٢١١.

(٢) نوح: ٥ ـ ٦.

(٣) هود: ٣٤.

(٤) المدّثر: ٥٠ ـ ٥١.

(٥) النساء: ٦٣.

«وأحثّكم» أي: أرغّبكم.

«على جهاد أهل البغي» كما أمر الله تعالى به: ﴿...فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله...﴾[1].

«فما آتي على آخر القول» هكذا في (المصرية)[2]، والصواب: (قولي) كما في (ابن أبي الحديد[3] وابن ميثم[4] والخطية).

«حتى أراكم متفرّقين أيادي سبأ» قال الجوهري: سبأ: اسم رجل ولد عامة قبائل اليمن، يصرف ولا يصرف، وقولهم: ذهبوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ، أي: متفرّقين اسمان جعلا واحداً.

وفي (الميداني)، روى عن النبي ﷺ: ولد سبأ عشرة، تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة، فأمّا الذين تيامنوا: فالأزد و كندة ومذحج والأشعرون وانمار منهم بجيلة؛ وأمّا الذين تشاءموا: فعاملة وغسان ولخم وجذام وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم؛ وذلك أنّ الماء كان يأتي أرض سبأ من الشجر وأودية اليمن، فردموا ردماً بين جبلين وحبسوا الماء، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم الثالث، فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلمّا كذّبوا رسولهم بعث الله جرذاً نقبت ذلك الردم حتى انتقض، فدخل الماء جنّتيهم فغرقهم ودفن السيل بيوتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿...فأرسلنا عليهم سيل العرم...﴾[5].

وروى عن أبي صالح قال: ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر

---

(١) الحجرات: ٩.

(٢) الطبعة المصرية ١: ١٨٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧٠.

(٤) شرح ابن ميثم ٢: ٤٠٣.

(٥) سبأ: ١٦.

ـ الذي يقال له: مزيقيا بن ماء السماء ـ أنّ سد مأرب سيخرب، وأنّه سيأتي سيل العرم فيخرّب الجنّتين، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة، فأقاموا بمكة وما حولها، فأصابتهم الحمّى وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى؟ فدعوا طريفة فشكوا إليها الذي أصابهم، فقالت لهم: قد أصابني الذي تشكون وهو مفرّق بيننا. قالوا: فماذا تأمرين؟ قالت: من كان منكم ذا همّ بعيد وحمل شديد ومزاد حديد فليلحق بقصر عمان المشيد ـ فكانت أزد عمان ـ ثم قالت: من منكم ذا جلد وقسر وصبر على أزمات الدهر فعليه بالاراك من بطن مرّ ـ فكانت خزاعة ـ ثم قالت: من كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل ـ فكانت الأوس والخزرج ـ ثم قالت: من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير ويلبس الديباج والحرير فليلحق ببصرى وغوير ـ وهما من أرض الشام، وكان الذي سكنوها آل جفنة من غسان ـ ثم قالت: من كان منكم يريد الثياب الرقاق والنخيل العتاق وكنوز الأرزاق والدم المهراق فليلحق بأرض العراق. فكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش ومن كان بالحيرة وآل محرق.

«ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم» وتجعلونها أساطير.

«أُقوّمكم» أي: أجعلكم مستقيماً.

«غدوة» أي: صباحاً.

«وترجعون إليّ عشية» أي: مساء.

«كظهر الحية» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: (الحنية) أي: القوس، كما في (ابن أبي الحديد[2] وابن ميثم[3] والخطية).

---

(١) الطبعة المصرية ١: ١٨٨ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧٠ .

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ٤٠٣ .

«عجز المقوّم» والمراد نفسه عليه السلام عن التقويم.

«وأعضل» أي: أشكل.

«المقوَّم» والمراد أصحابه عن قبول التقويم؛ في (العقد)[1] قال نافع بن كليب: دخلت الكوفة للتسليم على عليّ عليه السلام فإنّي لجالس تحت منبره وعليه عمامة سوداء -إلى أن قال- ثم نزل عليه السلام تدمع عيناه فقال: ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾[2] أقوّمهم والله غدوة ويرجعون إليّ عشية مثل ظهر الحنية، حتى متى، وإلى متى؟

«أيّها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم امراؤهم» مرّ في العنوان (٥): «أيّها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم».

«صاحبكم يُطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشّام يَعصي الله وهم يُطيعونه» ومرّ في الأوّل: «وبمعصيتكم إمامكم في الحقّ، وطاعتهم إمامهم في الباطل».

«لوددت والله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم» فكان الصرف بين الدينار والدرهم في عصره عليه السلام كذلك، ثم صعد الدينار؛ وفي (البلدان)[3] -في الجعفري-: كان في أيّام المتوكل كلّ خمسة وعشرين درهماً بدينار.

ومرّ في الأول قوله عليه السلام: لوددت أنّ لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم.

---

(١) العقد ٤: ١٦٢.

(٢) البقرة: ١٥٦.

(٣) البلدان ٢: ١٤٣.

هنالك لو دعوت أتاك منهم　　فوارس مثل أرمية الحميم

وقال ابن أبي الحديد[1] أخذ ابن الزبير لفظه عليه السلام هنا؛ فلمّا وفد أهل البصرة وفيهم الأحنف تكلّم منهم أبو حاضر الأسدي ـ وكان خطيباً جميلاً ـ فقال له ابن الزبير: اسكت، فوالله لوددت أنّ لي بكلّ عشرة من أهل العراق واحداً من أهل الشام، صرف الدينار بالدرهم. فقال له: إنّ لنا ولك مثلاً قولَ الأعشى:

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً　　غيري وعلق أُخرى غيرها الرجل

أحبّك أهل العراق، وأحببت أهل الشام، وأحبّ أهل الشام عبدالملك.

هذا، وفي (الأذكياء): سئل أبو العيناء عن حماد بن زيد بن درهم، وحمّاد بن سلمة بن دينار، فقال: بينهما في القدر ما بين آبائهما في الصرف.

قلت: أي: ما بين جديهما درهم ودينار.

وفي (المعجم) كان الحسن بن الرجاء وأحمد بن هشام وعليّ بن هشام ودينار بن عبدالله ويحيى بن أكثم ينزلون المخرم ـ محلّة ببغداد ـ فقال دعبل الخزاعي يهجوهم:

ألا فاشتروا منّي دروب المخرم　　أبع حسناً وابني هشام بدرهم

وأُعطي رجاء بعد ذاك زيادة　　وأدفع ديناراً بغير تندم

فإن رُدّ من عيب عليّ جميعهم　　فليس يرد العيب يحيى بن أكثم

قلت: ولابد أنّه هجا أبا الحسن بن رجاء أيضاً لقوله: «وأُعطي رجاء» ولم يذكره الحموي.

«يا أهل الكوفة مُنيت منكم بثلاث واثنتين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء» قال ابن أبي

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧٥.

الحديد[1]: لم يقل عليه السلام: بخمس، لأنّ الثلاث إيجابية والاثنتين سلبية، فأحبّ أن يفرّق بين الإثبات والنفي.

قلت: ليس التفريق من حيث الإثبات والنفي، بل من حيث إنّ الثلاث من واد والاثنتين من آخر، وفي مثله مقتضى البلاغة أن يفرّق بينهما.

روى الكليني[2] والصدوق[3] في أسانيد: أن عمر لمّا استخلف أقبل يهودي فسأله عن مسائل عجز عن جوابها، فأُرشد إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عليه السلام: أخبرني عن ثلاث وثلاث وواحدة: أخبرني عن أوّل حجر وضع في الأرض، وأوّل شجرة غُرست على وجه الأرض، وأوّل عين نبعت على وجه الأرض، وأخبرني كم لهذه الأُمّة من إمام هدى؟ وأين منزل نبيّكم في الجنّة؟ ومَن معه في منزله؟ وأخبرني عن وصيّ: محمّد كم يعيش بعده؟...

فكلّها إيجابية إلّا أنّها لاختلاف ثلاث منها مع أُخرى، واختلاف واحدة منها معهما، فرّق بينهما بما فيه.

«تربت أيديكم» سقطت هذه الفقرة من (المصرية)[4] بدليل (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية والخوئي).

هذا، وفي (الطبري)[5]: رفع إلى المنصور أنّ أهل الكوفة لا تزال الجماعة منهم يطعنون على عاملهم، ويتظلّمون من أميرهم، ويتكلّمون في سلطانهم. فقال للربيع: أخرج إلى مَن بالباب من أهل الكوفة فقل لهم: إنّ الخليفة يقول لكم: لئن اجتمع اثنان منكم في موضع لأحلقن رؤوسهما ولحاهما ولأضربن

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧٦.

(٢) الكليني ١: ٥٣١ ح ٨.

(٣) الخصال للصدوق ٢: ٤٧٦ ـ ح ٤٠.

(٤) الطبعة المصرية ١: ١٨٩.

(٥) تاريخ الطبري ٨: ٧٩.

ظهورهما، فالزموا منازلكم وأبقوا على أنفسكم. فخرج اليهم الربيع بهذه الرسالة، فقال له ابن عيّاش: يا شبه عيسى بن مريم! أبلغ الخليفة عنّا كما أبلغتنا عنه، فقل له: والله مالنا بالضرب طاقة، فأمّا حلق اللحى ـ وكان ابن عياش منتوفاً، كما كان الربيع لقيطاً ـ فاذا شئت. فأبلغه فضحك فقال: قاتله الله ما أدهاه وأخبثه.

«يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلّما جمعت من جانب تفرّقت من جانب آخر» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد)[1]: «من آخر» وفي (ابن ميثم)[2]: «من جانب».

وكيف كان، فمرّ أيضاً: «ما أنتم إلّا كإبل ضلّ رعاتها، فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر».

«والله لكأنّي بكم في ما اخال» أي: أظن.

«أن لو» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن ميثم والخطية): «لو» بدون (أن) وفي (ابن أبي الحديد): «الو» بدون النون، وقال: «أصله أن لو».

«حمس» أي: اشتد.

«الوغى» أي: الحرب.

«وحمي» ـ بالكسر ـ من: حمي التنور: اشتدّ حرّه.

«الضّراب» مصدر ضارب، أي: المجالدة في الحرب.

«وقد» هكذا في (المصرية)[3] والصواب: (قد) كما في (ابن أبي الحديد[4]

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧١.

(٢) ابن ميثم ٢: ٤٠٣.

(٣) الطبعة المصرية ١: ١٨٩.

(٤) ابن أبي الحديد ٧: ٧١.

وابن ميثم[١] والخطية) ولأنّه جواب (لو).

«انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها» مرّ في العنوان الرابع عنه عليه السلام: «وايم الله إنّي لأظن بكم أن لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس».

ومرّ عن (غارات الثقفي)[٢] عنه عليه السلام: «والله لكأني بكم لو حمس الوغى واحمرّ البأس قد انفرجتم عن عليّ انفراج الرأس وانفراج المرأة عن قبلها».

ومرّ قريباً منه عن (خلفاء القتيبي) ومرّ ثمة المراد به.

وممّا قيل في الانفراج عن الرئيس قولُ دختنوس ـ بنت لقيط بن زرارة ـ في تخلية بني أسد وهوازن أباها؛ وقول شاعر في تخلية أصحاب زيد الشهيد له:

فـرّت بـنو أسـد فـرا	ر الطير عـن أربـابها
وهـوازن أصـحابهم	كـالفأر فـي أذنـابها

أولاد درزة أسلموك وطاروا

«وإنّي» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية): «اني».

«لعلى بيّنة من ربّي» هذا صريح في إمامته عليه السلام بالمعنى الذي يقوله الإمامية من كون الإمام كالنبي صلى الله عليه وآله من قبل الله لا من قبل الناس، وقد قال تعالى في نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربه...﴾[٣].

«ومنهاج» أي: طريق واضح.

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ٤٠٤.

(٢) الغارات للثقفي ٢: ٤٩٥.

(٣) هود: ١٧.

«من نبيي» فإنّه عليه السلام كان يسلك بعد النبي صلى الله عليه وآله على حسب دستوره قدماً بقدم، فأخبره بأنّ الأمّة ستغدر به بعده، وأمره بالتسليم أيّام الثلاثة، وبيّن صلى الله عليه وآله له قيام الناكثين والقاسطين والمارقين عليه، وأمره بقتالهم فامتثل ما مثل له، وكل ذلك ممّا يشهد لغير المكابر كونه عليه السلام حجّة من قبل الله تعالى.

«وإنّي لعلى الطريق الواضح» وقد أقرّ فاروقهم أنّه لو ولي الخلافة ليحملنّ النّاس على المحجّة البيضاء.

«ألقُطه لقطاً» قال ابن أبي الحديد[1]: يريد أنّ الضلال غالب على الهدى، فيلتقط طريق الهدى من بين طرق الضلال، كما يسلك الانسان طريقاً دقيقة قد اكتنفها الشوك والعوسج من جانبيها كليهما، فهو يلتقط المنهج التقاطاً.

قلت: يمكن أن يكون الضمير في (ألقطه) إلى الحق المفهوم من المقام، بمعنى: أنّه عليه السلام يلقط الحقّ كما يلقط السّنبل.

١٢
من الكتاب (٣٦)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أخيه عَقِيل بن أبي طالب، في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل:

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِباً، وَنَكَصَ نَادِماً، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَقَد طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ، فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلَا وَلَا، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً بَعْدَمَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ، وَلَمْ يَبْقَ منهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلَأْياً بِلَأْيٍ مَا نَجَا.

قول المصنف: «ومن كتاب له عليه السلام ...» هكذا في (المصرية)[2] والصواب:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٧٦.

(٢) الطبعة المصرية ٣: ١٦٧.

في ما (ابن أبي الحديد[١] وابن ميثم)[٢]: «ومن كتاب له عليه السلام في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، وهو جواب كتاب كتبه إليه أخوه عقيل بن أبي طالب».

«في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء» وهو الضحّاك بن قيس؛ وروي: أنّ عقيلاً ورد على معاوية وحوله عمرو وأبو موسى والضحّاك، فقال لمعاوية لمّا سأله عنهم: استقبلني قوم من المنافقين ممّن نفّر بالنبي صلى الله عليه وآله ليلة العقبة ـ إلى أن قال ـ وأمّا الضحّاك منهم فقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيوس.

وفي كتاب عقيل إليه: «فأُفٍّ لحياة في دهر جرؤ عليك الضحّاك، وما الضحّاك الا فقع بقرقر» أي: كمأة رخوة في قاع أملس تطأها كلّ دابة.

«وهو جواب كتاب كتبه إليه أخوه عقيل» المفهوم من ابن قتيبة[٣] أنّ عقيلاً كتب إليه في أوّل خلافته كتاباً فأجابه بما في العنوان؛ ففي (خلفائه)[٤] ذكروا أنّ علياً عليه السلام تردد بالمدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية فأتاه على غير ما يجب، فشخص من المدينة في تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والأنصار، فلمّا كان في بعض الطريق أتاه كتاب أخيه عقيل: إنّي خرجت معتمراً فلقيت عايشة معها طلحة والزبير، قد أظهروا الخلاف ونكثوا البيعة، ثمّ مرّ ابن أبي سرح في نحو من أربعين راكباً من أبناء الطلقاء من بني أُمية ليلحقوا بمعاوية، ثم قدمت مكة فسمعت أهلها يتحدّثون: أنّ الضحّاك بن قيس أغار على الحيرة واليمامة فأصاب ما شاء من أموالهما، ثم انكفأ راجعاً إلى الشّام ـ إلى أن قال في جواب كتابه عليه السلام له ـ وأمّا ما ذكرت من غارة الضحّاك

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٨.

(٢) شرح ابن ميثم ٥: ٧٧.

(٣ و ٤) الخلفاء لابن قتيبة: ٥٤ ـ ٥٦.

على الحيرة واليمامة، فهو أذلّ وألأم من أن يكون مرّ بهما فضلاً عن الغارة، ولكن جاء في خيل جريدة، فسرّحت إليه جنداً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك ولّى هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للإياب، فاقتتلوا وقتلوا من أصحابه بضعة عشر رجلاً، ونجا هارباً بعد أن أخذ منه بالمخنق، فلولا الليل ما نجا... وهو كما ترى دالّ على أنّه كان قبل الجمل أيضاً.

وجعله الطبري[1] بعد صفّين في سنة (٣٩) فقال: وفيها أيضاً وجّه معاوية الضحّاك بن قيس وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة، وأن يُغير على كلّ من مرّ به ممّن هو في طاعة عليّ من الأعراب، ووجّه معه ثلاثة آلاف رجل، فأخذ أموال الناس وقتل من لقي من الأعراب، ومرّ بالثعلبية فأغار علَيّ مسالح عليّ عليه السلام وأخذ أمتعتهم، ومضى حتى انتهى إلى القطقطانة فأتى عمرو بن عميس ـ وكان في خيل لعليّ عليه السلام وأمامه أهله يريد الحجّ ـ فأغار على من كان معه وحبسه عن المسير، فلمّا بلغ ذلك عليّاً عليه السلام سرّح حجر بن عدي الكندي في أربعة آلاف وأعطاهم خمسين خمسين، فلقي الضحّاك بتدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلاً وقُتل من أصحابه رجلان، وحال بينهم الليل فهرب الضحّاك وأصحابه ورجع حجر ومن معه.

وجعله الثقفي[2] أيضاً بعد صفّين إلّا أنّه قال ـ كما نقل ابن أبي الحديد في (٢٨ / ١) ـ: وكتب في أثر هذه الوقعة عقيل إليه عليه السلام: إنّي خرجت إلى مكة معتمراً، فلقيت عبدالله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فعرفت المنكر في وجوههم فقلت: أبمعاوية تلحقون؟ عداوة والله منكم غير مستنكرة؛ فلمّا قدمت مكة سمعت أهلها يتحدّثون: أنّ الضحّاك بن

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٣٥.

(٢) الغارات للثقفي ٢: ٤٢٩.

قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالها ما شاء ثم انكفأ ـ إلى أن قال في جوابه عليه السلام ـ تذكر في كتابك أنك لقيت ابن أبي سرح مقبلاً من قديد، في نحو أربعين فارساً من أبناء الطلقاء متوجّهين إلى جهة الغرب، وان ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه، وصدّ عن سبيله وبغاها عوجاً ـ إلى أن قال ـ وأمّا ما ذكرت من غارة الضحّاك على أهل الحيرة، فهو أقلّ وأذلّ من أن يلمّ بها أو يدنو منها، ولكنّه قد كان أقبل في جريدة خيل فأخذ على السماوة، حتى مرّ بواقصة وشراف والقطقطانة ممّا وإلى ذلك الصقع، فوجّهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك فرّ هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للاياب، فتناوشوا القتال قليلاً كلا ولا فلم يصبر لوقع المشرفية وولّى هارباً، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا جريضاً بعدما أُخذ منه بالمخنق فلأياً بلأي ما نجا....

وهو وإن لم يذكر ما ذكره ابن قتيبة من كتابة عقيل إليه عليه السلام في كتاب: إنّه لقي في طريقه عايشة وطلحة والزبير، إلّا أنّه ذكر ما ذكره من لقائه ابن أبي سرح مع أربعين من أبناء الطلقاء ليفروا إلى معاوية، ولابدّ أنّهم فرّوا إلى معاوية في أوّل خلافته عليه السلام.

وأيضاً روى الثقفي[1] عن محمّد بن مخنف: أنّ الضحّاك قال على منبر الكوفة في أيام معاوية: أما إنّي صاحبكم الذي أغرت على بلادكم، فكنت أوّل من أغارها في الإسلام وشرب من ماء الثعلبية ومن شاطئ الفرات....

والتحقيق أنّ بعث معاوية للضحاك كان مرتين، أولاهما: في أول خلافته قبل الجمل واقتصر عليه ابن قتيبة، وفيها كان كتاب عقيل إليه عليه السلام وثانيتهما: بعد صفّين والحكمين واقتصر عليها الطبري وقد مرّ كلامهما،

---

(١) الغارات للثقفي ٢: ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

يشهد لكون بعثه مرتين أنّ (الأغاني)[1] في الجزء الخامس عشر من (٢١) جزءاً في عنوان: «ذكر الخبر في مقتل ابني عبيدالله بن العباس» ذكر الأخيرة مجملاً بأسانيد، فروى عن القلاس عن الخراز عن المدائني عن أبي مخنف وجويرية بن أسماء والصقب بن زهير وأبي بكر الهذلي عن أبي عمر الوقاصي: أنّ معاوية بعث إلى بسر بن أرطاة بعد تحكيم الحكمين ـ وعليّ عليه السلام يومئذ حي ـ وبعث معه جيشاً، ووجّه برجل من عامر ضم إليه جيشاً آخر، ووجّه الضحّاك بن قيس الفهري في جيش آخر، وأمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كلّ من وجدوه من شيعة عليّ، وأن يغيروا على ساير أعماله ويقتلوا أصحابه، ولا يكفّوا أيديهم عن النساء والصبيان، فمرّ بسر لذلك ـ إلى أن قال ـ وذبحهما بيده بمدية كانت معه، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية، وفعل مثل ذلك ساير من بعث معه، وقصد العامري إلى الأنبار فقتل ابن حسان البكري....

ولم يذكر تفصيل أفعال الضحّاك، ثم روى[2] الأولى عن محمّد بن العباس اليزيدي عن عبدالله بن محمّد عن جعفر بن بشير عن صالح بن يزيد الخراساني عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن أبي الكنود عن عبدالرحمن بن عبيد قال: كتب عقيل إلى أخيه عليّ عليه السلام: أمّا بعد فإنّ الله جارك من كلّ سوءٍ وعاصمك من المكروه؛ إنّي خرجت معتمراً فلقيت عبدالله بن أبي سرح في نحو أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فقلت لهم ـ وعرفت المنكر في وجوههم ـ: يا أبناء الطلقاء، العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة، قديماً تريدون بها إطفاء نور الله وتغيير أمره؛ فأسمعني القوم وأسمعتهم، ثم قدمت

---

(١) الأغاني ١٦: ٢٦٦.

(٢) الأغاني ١٦: ١١٨.

مكة وأهلها يتحدّثون: أنّ الضحّاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أهلها ثم انكفأ راجعاً، فأُفٍّ لحياة في دهر قد أُمّر عليكم الضحّاك، وما الضحّاك وهل هو إلّا فقع قرقرة وقد طنت؟! وبلغني أنّ أنصارك قد خذلوك فاكتب اليّ يابن أُم برأيك، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أبيك وولد أخيك، فعشنا ما عشت ومتنا معك، فوالله ما أُحبّ أن أبقى بعدك فواقاً، فأُقسم بالله الأعزّ الأجلّ، إنّ عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع، والسلام.

فأجابه عليّ عليه السلام: أمّا بعد، كلأنا الله وإيّاك كلاءة من يخشاه بالغيب إنّه حميد مجيد، فقد قدم علَيّ عبد الرحمن بن عبيد الأزدي بكتابك تذكر أنّك لقيت ابن أبي سرح مقبلاً من قديد في نحو أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، وأنّك تنبئ عن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه، وصدّ عن سبيله وبغاها عوجا، فدع ابن أبي سرح عنك، ودع قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشّقاق، فإنّ قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقّه وجحدوا فضله، وكادوه بالعداوة ونصبوا وجهدوا عليه كلّ الجهد، وسألوا إليه جيش الامرين، اللّهم فاجز عنّي قريشاً الجوازي، فقد قطعت رحمي وتظاهرت عليّ، والحمد لله على كلّ حال؛ وأمّا ما ذكرت من غارة الضحّاك بن قيس على الحيرة، فهو أقلّ وأذلّ من أن يقرب من الحيرة، ولكنّه جاء في بريدة فأخذ على السماوة، ومرّ بواقصة وشراف وما وإلى ذلك الصقع، فسرّحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك جاز هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق، وقد أمعن في السير وقد طفلت الشمس للإياب فاقتتلوا؛ وأمّا ما سألت عنه أكتب إليك فيه فرأيي قتال المحلين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة

ولا تفرّقهم عنّي وحشة، لأنّي محقّ والله مع المحقّ وأهله، وما أكره الموت على الحق، وما الخير كلّه إلّا بعد الموت لمن كان محقاً؛ وأمّا ما عرضته علَيّ من مسيرك اليّ ببني أبيك وولد أخيك فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً مهدياً، فوالله ما أُحبّ أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبنّ ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرّعاً متخشعاً، ولكن أقول كما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنّني صبور على ريب الزّمان صليب

يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة فيشمت باغٍ أو يُساء حبيب

وأوّل من خلط ـ في ما أعلم ـ إبراهيم الثقفي في (غاراته)[1] فقال، كما في (ابن أبي الحديد) (٨٣): فعند ذلك ـ أي: قتل الخوارج، ووقوع الاختلاف بين أصحابه ـ دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري، وقال له: سر حتى تمرّ بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحه أو خيلاً فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أُخرى ـ إلى أن قال ـ فأقبل الضحّاك فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب، حتى مرّ بالثعلبية فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثمّ أقبل عمرو بن عميس ـ ابن أخي عبدالله بن مسعود ـ فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة وقتل معه ناساً من أصحابه ـ إلى أن قال ـ قال: وكتب في هذه الوقعة عقيل إلى أخيه....

ويمكن أن يكون هو المفهوم من (الأغاني) حيث ذكره في العنوان المتقدم، ويحتمل بعيداً أن يكون ذكره لوقوع الضحّاك في خبره الأول مع بسر، فذكره تتميماً.

وكيف كان، فكتاب عقيل وكتابه عليه السلام يشهدان أنّه كان في أوّل خلافته

---

(١) الغارات للثقفي ٢: ٤٢١.

قبل الجمل، وأمّا بعد النهروان فلم يختص اللحوق بمعاوية بأبناء الطلقاء، بل كان كثير من أصحابه عليه السلام يلحقون به ويكاتبونه، لمّا يرون من ضعف أمره عليه السلام وقوّة أمر معاوية، ولأنّ بعد التحكيم كان له أثر عظيم فأغار على مسالحه وأغار على الحاج، وقتل عمرو بن عميس وناساً من أصحابه، حتى خرج عليه السلام إلى الناس وقال: يا أهل الكوفة، أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس وإلى جيوش لكم قد أُصيب منهم طرف، أخرجوا فقاتلوا عدوّكم وامنعوا حريمكم ان كنتم فاعلين. فردوا عليه عليه السلام رداً ضعيفاً ورأى منهم عجزاً وفشلاً، فقال: والله وددت أن لي بكل ثمانية منكم رجلاً، ويحكم أخرجوا معي ثم فروا عني ما بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيّتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم. ثم نزل فخرج يمشي حتى بلغ الغريين.

قال الثقفي[1]: روى ذلك إبراهيم بن مبارك البجلي عن أبيه عن بكر بن عيسى عن أبي روق عن أبيه -كما في (ابن أبي الحديد)- فكيف يقول عليه السلام في جواب عقيل ما قال من عدم أثر للضحاك؟

قوله عليه السلام: «فسرحت» أي: ارسلت.

«إليه» إلى الضحّاك.

«جيشاً كثيفاً» أي: غليظاً.

«من المسلمين» ومفهومه أنّ معاوية وأصحابه لم يكونوا من المسلمين، وقد عرفت من رواية الطبري أنّه عليه السلام سرّح إليه حجر بن عدي في أربعة آلاف.

«فلمّا بلغه ذلك» أي: تعاقب جيش منه عليه السلام له.

«شمّر» أي: رفع ذيله.

---

(١) الغارات للثقفي ٢: ٤٢٣.

«هارباً» أي للفرار.

«ونكص» أي: رجع على عقبيه.

«نادماً فلحقوه ببعض الطريق» في تدمر.

«وقد طفّلت» أي: مالت.

«الشمس للإياب» أي: الغياب؛ قال الجوهري: آبت الشمس: لغة في (غابت الشمس). فلا يحتاج إلى ما طوله ابن أبي الحديد[1] فقال: للاياب، أي: للرجوع إلى ما كانت عليه في الليلة قبلها. يعني غيبوبتها تحت الأرض، وهذا الخطاب إنّما هو على قدر أفهام العرب؛ كانوا يعتقدون أنّ الشمس مقرّها تحت الأرض، وأنّها تخرج كلّ يوم فتسير على العالم ثم تعود إلى منزلها، كما يأوي الناس إلى منازلهم....

«فاقتتلوا شيئاً كلا ولا» كناية عن القصر؛ قال ابن هاني المغربي ـ على نقل ابن ميثم[2] ـ:

وأسرع في العين من لحظة　　　وأقصر في السمع من لا و لا

ولكنّ ابن أبي الحديد[3] نقله: «من لا وذا» وهو الأصح؛ قال الطرمّاح:

كذا وكلا إذا حبست قليلا　　　تعللها بمسود الدرين

قال في (الأساس): أي كان قليلاً مثل هذه الكلمة.

وقال الجوهري: قال الكميت:

كلا وكذا تغميضة ثم هجتم　　　لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا

أي: كان نومهم في القلّة والسرعة، كقول القائل: «لا» و «ذا».

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٩.

(٢) شرح ابن ميثم ٥: ٧٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٨.

وممّا قيل في الاستقصار قول الصولي:

كوميض برق عرض فأسرع، ولمع فأطمع، حتى انحسرت مغاربه، وأيقن مطالبه. لا ملاذ ولا وزر، ولا مورد ولا صدر.

«فما كان» أي: القتال.

«إلّا كموقف ساعة حتى نجا» أي: الضحّاك.

«جريضاً» أي: مبتلعاً ريقه على هم وحزن؛ قال امرؤ القيس:

وأفلتهن علباء جريضا ولو أدركنه صفر الوطاب

وقال رؤبة:

أصبح أعداء تميم مرضى ماتوا جوىً والمفلتون جرضى

«بعدما أُخذ منه بالمخنّق» ـ بالتشديد ـ: موضع الخناق من العنق.

«ولم يبق منه غير الرمق» أي: بقية الروح.

«فلأياً بلأي» أي: شدّة مختلطة بشدّة.

«ما نجا» يمكن أن تكون ما مصدرية ـ أي: نجاته ـ وأن تكون وصفاً للأي، أي: بلأي عظيم.

وكيف كان، يجاء بـ(ما) هذه بعد لأي غالباً؛ ففي (الجمهرة) يقولون: بعد لأي ما عرفته.

وفي (الأساس) قال الشاعر:

فلأياً بلأي ما حملنا غلامنا على ظهر محبوك شديد مراكله

هذا، وقال ابن أبي الحديد[1]: قد تقدم ذكر هذا الكتاب في اقتصاصنا ذكر بسر بن أرطاة وغاراته على اليمن في أوّل الكتاب.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٩.

وقال الراوندي[1]: «هذه القصة وهذا الهارب جريضاً وبعد لأي ما نجا هو معاوية، وقيل: إنّ معاوية بعث أُموياً فهرب على هذه الحال، والأوّل أصح» وهذا مضحك وما وددت له شرح الكتاب.

قلت: وكما أنّ الراوندي وهم، هو أيضاً وهم، فالعنوان غير مربوط ببسر بل بالضحاك ـ كما عرفت ـ وغارة بسر على اليمن مذكورة في (٢٤ / ١) النهج، ولم يذكر فيه شيئاً مربوطاً بالعنوان، وإنّما ذكر قصة الضحّاك وكتاب عقيل إليه عليه السلام وجوابه في العنوان (٢٨) وقلنا ثمة: إنّه توهم أيضاً في كون ذاك العنوان في الضحّاك، مع أنّه كان في طلب الشخوص إلى معاوية ثانياً.

هذا، وابن ميثم لم يتفطّن فتوقّف.

هذا، وذكرنا غارة هيت في (١٣) في فصل آداب الحرب في عنوان «ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل».

---

(١) الراوندي ٣: ١٢٥.

فهرس المطالب

العنوان	رقم الصفحة
تتمّة الفصل الثلاثون ـ في بيعته عليه السلام	
العنوان ١٤ من الحكمة ٣٢١: «... لك أن تشير عليَّ وأرىٰ فإن عصيتك فأطعني...»	١
العنوان ١٥ من الخطبة ٢١٢: «اللّهمّ أيّما عبدٍ من عبادك سمع مقالتنا العادلة ...	٥
الفصل الواحد والثّلاثون ـ في الجمل وهم النّاكثون	٩
العنوان ١ الحكمة ١٠٧: «رُبَّ عالمٍ قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه...»	١١
العنوان ٢ من الخطبة ١٤٨: «... كلُّ واحدٍ منهما يرجو الأمر له...»	١٤
العنوان ٣ من الخطبة ٦: «... والله لا أكون كالضّبع تنام على طول اللّدم...»	٢٣
العنوان ٤ من الخطبة ٣١: «.. لا تلقينّ طلحة، فانّك إن تلقه تجده كالثّور...»	٣١
العنوان ٥ من الخطبة ١٦٩: «إنّ الله بعث رسولاً هادياً بكتابٍ ناطقٍ...»	٤٠
العنوان ٦ من الخطبة ١٧٢: «... فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...»	٤٦
ـ من الخطبة ٢١٨: «... فقدموا على عمّالي بها وخزّان بيت مال المسلمين...»	٤٦
العنوان ٧ من الكتاب ٥٧: «... أمّا بعد، فإنّي خرجتُ من حيّي هذا أمّا ظالماً...»	٦٣
العنوان ٨ من الخطبة ٦٣: «... من عبدالله عليٌّ أمير المؤمنين إلى عبدالله...»	٦٨
العنوان ٩ من الخطبة ١٧٠: «... أرأيت لو أنّ الّذين وراءك بعثوك رائداً...»	٨٤
العنوان ١٠ من الخطبة ١٥٦: «... فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه...»	٩٤
العنوان ١١ من الخطبة ٢١٩: «... لقد أصبح أبو محمّد بهذا المكان غريباً...»	١٤٤
العنوان ١٢ من الخطبة ١٢: «... أهوى أخيك معنا؟...»	١٦٥
العنوان ١٣ من الخطبة ٩: «... وقد أرعدوا وأبرقوا،...»	١٧٢
العنوان ١٤ من الخطبة ١١٨: «... أنتم الأنصار على الحقّ...»	١٧٨
العنوان ١٥ من الكتاب ٢٩: «... وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم...»	١٨١

الفصل الثّاني والثّلاثون ـ في القاسطين وما يتعلّق بصفّين ١٨٩
العنوان ١ من الكتاب ٨: «... أمّا بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية...» ١٩١
العنوان ٢ من الخطبة ٤٨: «الحمد لله كلّما وقب ليلٌ وغسق...» ١٩٤
العنوان ٣ من الكتاب ١٠: «... وكيف أنت صانعٌ إذا تكشّفت عنك...» ٢٠١
العنوان ٤ من الخطبة ٥١: «... قد استطعموكم القتال، فأقرّوا على مذلّةٍ...» ٢١٤
العنوان ٥ من الخطبة ٢٦: «... ولم يبايع حتّى شرط أنّ يؤتيه على البيعة ثمناً...» ٢٢٤
العنوان ٦ من الكتاب ١٧: «... فأمّا طلبك إليَّ الشّام فانِّي لم أكن لأعطيك...» . ٢٣٠
العنوان ٧ من الخطبة ٥٥: «... أمّا قولكم أكلّ ذلك كراهية الموت؟...» ٢٦٥
العنوان ٨ من الخطبة ٢٤: «ولعمري ما عليَّ من قتال من خالف الحقّ...» ٢٧٧
العنوان ٩ من الخطبة ١٠٥: «وقد رأيتُ جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم...» . ٢٧٩
العنوان ١٠ من الخطبة ١٨٠: «ألا انّه قد أدبر من الدّنيا ما كان مُقبلاً...» ٢٨٦
العنوان ١١ من الحكمة ٣٢٢: «... أتعلبكم نساؤكم على ما أسمع!...» ٣٠٩
العنوان ١٢ من الخطبة ٢٠٦: «... أيّها النّاس انّه لم يزل أمري معكم...» ٣١٣

الفصل الثّالث والثّلاثون ـ في المارقين ٣٢١
العنوان ١ من الخطبة ٣٥: «الحمد لله وان أتى الدّهر بالخطب الفادح...» ٣٢٣
العنوان ٢ من الخطبة ١٢٣: «... فإن أبيتم أن تزعموا إلّا أنِّي أخطأت...» ٣٣٧
ـ من الخطبة ١٧٥: «... فاجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين...» ٣٣٨
العنوان ٣ من الخطبة ١٢٣: «... إنّا لم نحكِّم الرّجال، وانّما حكّمنا القرآن...» . ٣٦٢
العنوان ٤ من الخطبة ١٢٠: «... أكلّكم شهد معنا صفّين؟...» ٣٧١
العنوان ٥ من الخطبة ١١٩: «... هذا جزاء مَن ترك العقدة...» ٣٨٠
العنوان ٦ من الخطبة ٤٠: «... كلمةُ حقٍّ يُراد بها الباطل...» ٣٩٧
ـ من الحكمة ١٩٨: «...كلمةُ حقٍّ يُراد بها باطلٌ...» ٣٩٨
ـ من الحكمة ٣٣٢: «السّلطان وزعه الله في أرضه» ٣٩٨
العنوان ٧ من الخطبة ١٨٢: «... اسكت قبّحك الله يا أثرم!...» ٤١١
العنوان ٨ من الحكمة ٩٧: «نومٌ على يقينٍ خيرٌ من صلاةٍ في شكٍّ...» ٤١٥
العنوان ٩ من الخطبة ٧٧: «... لا تخاصمهم بالقرآن...» ٤١٩
العنوان ١٠ من الخطبة ١٩٠: «... ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي...» ٤٣٦

الفصل الرّابع والثّلاثون: في ما يتعلّق بالغارات ٤٥١
العنوان ١ من الخطبة ٢٥: «... ما هي إلّا الكوفة، اقبضها وابسطها...» ٤٥٣
العنوان ٢ من الخطبة ١١٧: «... أمخرسون أنتم؟...» ٤٨٥
العنوان ٣ من الخطبة ٢٧: «أمّا بعد، فانّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة...» ٤٩١
ـ من الحكمة ٢٦١: «... ما تكفونني أنفسكم، فكيف تكفونني غيركم؟...» ... ٤٩٢
العنوان ٤ من الخطبة ٣٤: «... أُفٍّ لكم سئمتُ عتابكم...» ٥١٦
العنوان ٥ من الخطبة ٢٩: «أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم...» ٥٣٥
العنوان ٦ من الخطبة ٣٩: «... مُنيت بمن لا يُطيع إذا أُمرت...» ٥٥٢
العنوان ٧ من الخطبة ١٧٨: «... أحمدُ الله على ما قضىٰ من أمرٍ...» ٥٦١
العنوان ٨ من الخطبة ٦٦: «... وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة...» ٥٧٠
العنوان ٩ من الخطبة ٣٥: «أمّا بعد، فانّ مصر قد افتتحت و...» ٥٨٠
العنوان ١٠ من الخطبة ٦٧: «كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة...» ٥٨٣
العنوان ١١ من الخطبة ٩٥: «... ولئن أمهل الظّالم فلن يفوت أخذه...» ٥٩٣
العنوان ١٢ من الكتاب ٣٦: «... فسرّحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين...» .. ٦٠٥